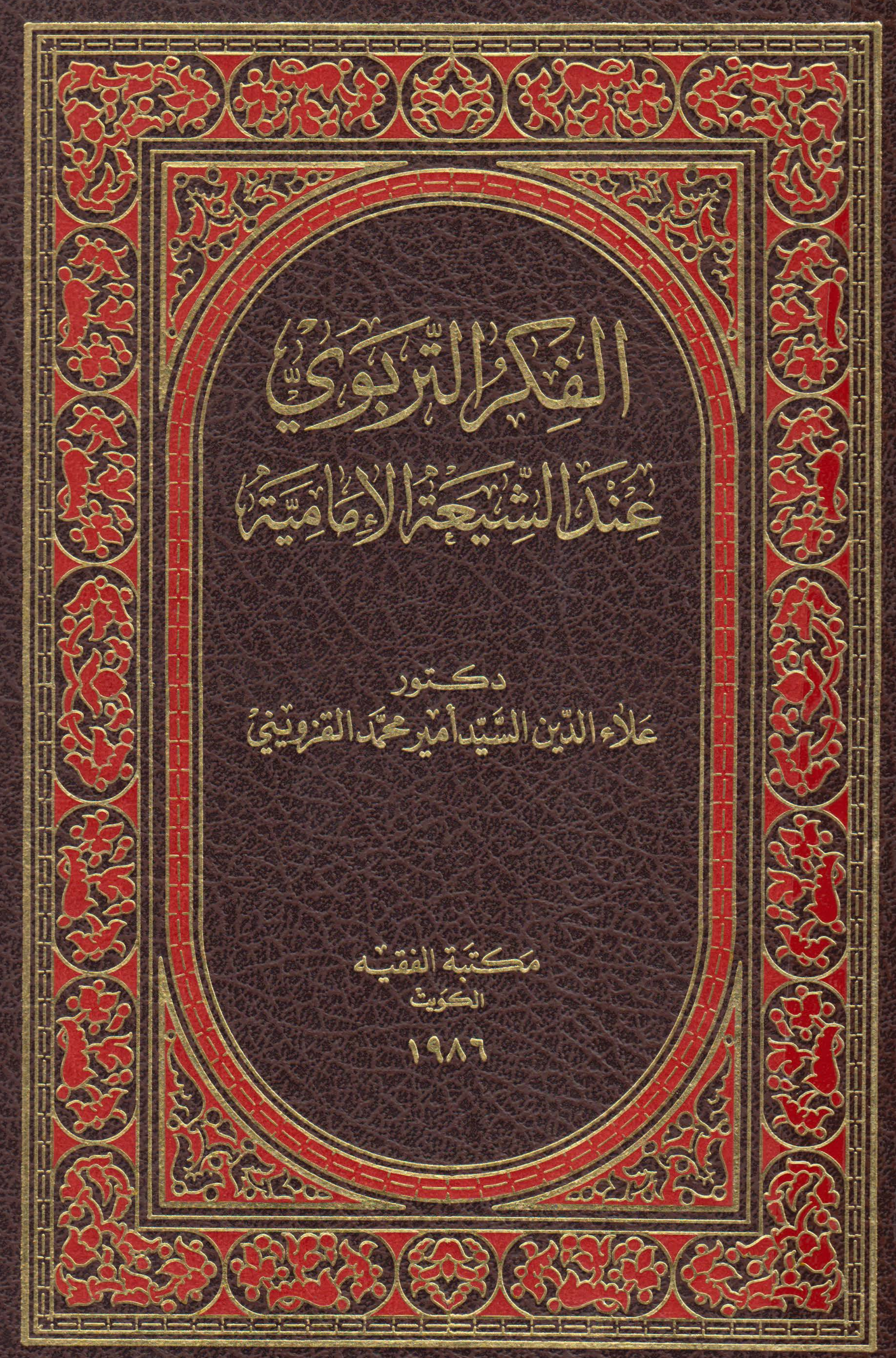
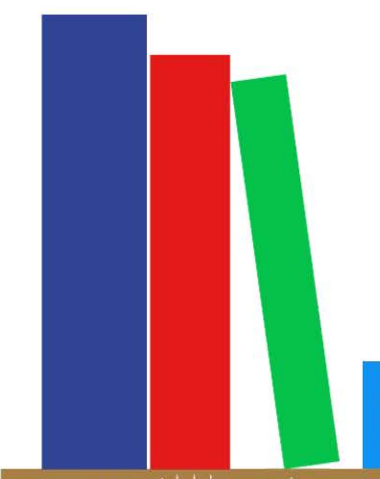

الفكر التربوي
عند الشيعة الإمامية
دكتور
علاء الدين السيد أمير محمد القزويني
مكتبة الفقيه
الكويت
١٩٨٦



مكتبة

مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

الإمام الصادق (ع)

الفكر التربوي
عند الشيعة الإمامية

دكتور
علاء الدين السيد أمير محمد القزويني

طبع بموافقة إدارة رقابة
المطبوعات في وزارة الإعلام
بكتابها المؤرخ في ٢٨/٧/١٩٨٦

١٩٨٦

مكتبة الفقيه
الكويت

الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م

مكتبة الفقيه ـ الكويت

السالمية ـ شارع عمان ـ مقابل مدرسة الرميثية المتوسطة
ص.ب : ٣٢٠١٨ الرميثية ـ الرمز البريدي 20001
تلفون ٥٦١٣٩١٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهـــداء

إلى الكوكبة ..

التي آمنت برسالتهـا فجاهدت وصمدت فمنهم من قضى نحبـه شهيدا ومنهم من ينتظر قائدا ربي انصرهم بنصرك المبين .

الى والدي ..

ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا

وإليك يا ولدي يا محمد الحسين

أيها الملاك الطاهر الوافد الى رضـوان ربك قبـل أن ترتـوي من الحياة ..

وإلى جميـع المستضعفين والمضطهـدين والشهـداء اقـدم هـذا الجهد ...

شكر وتقدير

إني وان كنت لم أترك جهدا أستطيعه إلا وأخضعته لهذا البحث ليخرج بهذه الصورة ، إلا أن وراء هذا الجهد ، الذي عاشه الباحث طيلة سنتين ، توجيها نيرا وارشادا سليما ، ووراء هذا كله ، أستاذي الكريم ، الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل علي ، الذي لم يبخل بوقت ولا بمتابعة على الباحث والبحث ، فقد انطبعت توجيهاته الغنية ، وتشجيعه الصادق المتواصل على جميع مراحل البحث ، مما جعل الباحث يحتفظ له بذكرى الامتنان والتقدير ، فجزاه الله خيرا لخدمة العلم ، إذ لولاه لما ظهر هذا البحث .

كما يتوجه الباحث بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور مصلح سيد بيومي ، عميد كلية أصول الدين والدعوة في جامعة الأزهر ـ المنوفية ـ على قبوله الاشراف على هذا البحث ، ومراجعته له ، مما أغناه بملاحظاته وتوجيهاته .

كما أنوه بالشكر العميق والامتنان البالغ إلى العم السيد أمير علي القزويني ، بما أتاحه لي من مصادر علمية ، حيث فتح لي أبواب مكتبته العامرة ، فجزاه الله خيرا لنصرة العلم .

وأقدم خالص شكري للأساتذة والأخوة أعضاء قسم أصول التربية ـ جامعة عين شمس .

وأخيرا أتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع ، راجيا منه التسديد والتوفيق لما فيه رضاه ، فهو ولي المؤمنين ، فعليه نتوكل وبه نستعين والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وأصحابه المخلصين .

تقديم

دكتور سعيد اسماعيل علي

أستاذ أصول التربية ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس

أنت حر .. اذن أنت موجود ..

تلك هي المقولة الإنسانية الأساسية فيما نرى ، ذلك أن مقولة « ديكارت » (أنا أفكر اذن أنا موجود) تقتضي قبل ذلك ان يكون الانسان حرا حتى يستطيع التفكير .

وعندما نقول أن شرط الوجود الانساني هو (الحرية) إنما نؤكد بذلك ما أشار إليه القرآن الكريم من أن الله عز وجل قد عرض (الأمانة) على السموات والأرض والجبال لكنها خشيت من تحمل مسئوليتها ، بينما قبل الإنسان ذلك . فقد أكد بعض المفسرين أن المراد بالأمانة في هذا الموقف هو « حرية الإرادة الانسانية » .

وإذا أردنا أن نمسك قطاعا واحدا من الحياة الانسانية مثل (البحث العلمي) فسوف يستحيل أن نتصور امكان احراز تقدم ما في مجاله مالم يتوفر له ذلك الشرط وهو « الحرية الأكاديمية » .. الصورة العلمية للحرية .

ومن هنا كانت قوة الأمم والشعوب يمكن أن تقاس بمدى ما يتوفر لأبنائها من (حرية) ..

ومن هنا فان تقدم البحث العلمي ، يمكن أن يقاس بمدى ما يتوفر لطلابه من (حرية) .

كانت هذه قناعتي ـ وما تزال ـ عندما جاء الى الأخ الكريم « علاء الدين أمير محمد مهدي القزويني » مبديا رغبة في أن يبحث عن الفكر

التربوي عند الشيعة الامامية متسائلا في حذر واضح : هـل يمكن أن يتم هذا في مصر ؟

لم أفكر طويلا ، بل كانت اجابتي فورية : ان مجـال البحث العلمي معي هنا مفتوح بــلا حدود .. فقط الالتـزام بقواعد المنهج العلمي وأصوله وشروطه ..

وتقـدم « علاء » يعـرض مشروع بحثه هـذا للحصـول عـلى درجـة دكتوراه الفلسفة في التربية الى سمنـار قسم أصول التـربية والـذي كنت أشرف برئاسته ، وعندمـا انتهى من عرضـه فوجئت بعـاصفة عـاتية من الاستنكار والمعارضة ـ وان لم تكن والحق يقال صادرة عن الأغلبية ـ الى درجـة استخدام العبـارات والاتهامـات الحادة والصـوت العالـي ممـا لا يعرفه النقاش العلمي الموضوعي ، بل ووصل الأمر الى اتهامي بأنني أفتح بذلك باب الفتنة في الدين !! سبحان الله !!

كم كان الأمر عجيبا حقا !!

لماذا نخلط بين قابلية موضوع البحث للدراسة ، وبين الايمان بـه ؟ هل كل من يدرس الماركسية يحبها ويؤمن بهـا ؟ وهل عنـدما نـدرس أي ظاهرة اجتماعية لابد أن نحبها ونؤمن بهـا ؟ ان طلاب البحث في القـانون يدرسون « الاجرام » وطلاب الاجتماع يدرسون « الانحراف » فهـل يجب على هؤلاء أن يتركوا هذين المجالين ؟

أقول هذا مع الاعتذار الشديد ، فـالقياس مـع الفارق ، ولا تشـابه طبعا بين حالتنا وهذه الحالات ، وانما فقط أقول : اذا كان مجال البحث في مثل هذا مباحاً ومشروعاً ومطلوباً ، فما بالنا لـو كان المجـال يتعلق بفرقـة هامة من الفرق الاسلامية نحمل لهـا الاحترام والتقـدير وان لم نشـاركها الايمان بمعتقداتها ؟

إن الـولايات المتحـدة الأمريكيـة لديهـا عشرات المـراكـز العلميـة والأقسام والمعاهد لدراسة (الاسلام) ولا يستطيـع احد ان يـدعي أنها بذلك تدافع عن الاسـلام وتشجعه ، فهـل نقصر نحن في مصر المسلمة عن ذلك بحجة أننا من أهل (السنة)؟

فليكن بيننا الخلاف في الرأي والتباين في الفكـر ، ولكن لا ينبغي أن يحملنا هذا إلى رفع السلاح لحسم هذا الرأي أو ذاك . ان الفكر لا ينبغي أن يواجه الا بالفكر ، والرأي لا يدحضه الا رأي آخر . بـل ان (المنع) و (التحريم) يزيد من قناعة أصحاب الرأي برأيهم ويولد لديهم اتجاهـات عدوانية .

البحث العلمي اذن هـو أرض المعركـة التي ينبغي أن نقف عليها . ومن لا يعجبه هذا الرأي أو ذاك فليتقدم بالأدلة والبـراهين دون أن يسب أو يحرض أو يتهم ..!

وألقيت بكل ثقلي وراء علاء .. بل لقـد كان هـذا ديدني دائمـا حتى لقـد استظل بي بـاحثون من مـذاهب وملل متعـددة ، كـان لـدي طـلاب مـاركسيـون ومن الاخـوان المسلمـين ، ومن غـير هؤلاء وهؤلاء ، الشرط الاساسي الذي وضعته لهم .. هو الالتزام بالمنهجية العلمية ، أمـا محتوى الموضوع ومنحاه الفكري فلا ضغط على أحد ولا الزام عليهم !!

ولقـد حرصت أشـد الحرص عـلى أن أشرك معي في الاشراف عالمـاً دينياً فاضلاً سنيا ، فكان أن وقع الاختيـار على الأستـاذ الدكتـور مصلح سيد بيومي عميد كلية أصول الدين بالمنوفيـة ، فكان خـير معين وأفضـل رفيق .

وعنـدما حـانت ساعـة مناقشـة الرسـالة نظـرت أمامي وحـولي في القـاعة .. فشممت الـرائحة التي تـزكم الأنـوف !! السيـوف المستلـة ، السهام المنصوبـة ومواقـع الحجارة عـلى أتم استعداد !! فـرصة احـراز بطولة كاذبة لا أكثر ولا أقل .

إنني أمسك الآن قلمي بكل شـدة وعنف حتى لا يجمح ويسـير على نهـج الآخرين ونتـراشق بالتهم .. نلبس زي العلم ونخفي تحتـه مـا هـو عكسه .. نستسلم للتحريض بكـل سهولـة ويسر .. نتصور أننـا نقف على خشبة مسرح استعراضي يحتاج الى انتزاع تصفيق الجماهير بغض النظر عن أصول البحث العلمي ومنهجه .

لقد كان في نيتي أن أدير هذه المقدمة حـول دحض تلك القـائمة من

النقد التي وجهت لعلاء وكان معظمها مضادا للتاريخ والفلسفة .. ولكن شعوري الذي يكاد يصل الى حد اليقين بحجم الظلم في الموقف كله جعلني أوجه اهتمامي الى المسار الذي سارت اليه الرسالة بغض النظر عن صياح من هنا أو هناك .. إلى أن وفقنا الله وخرجت الرسالة وأنا راض تماما عن « علميتها » في هذه الصورة المشرفة التي أفخر بها وأعتز .

مصر الجديدة في ٢٩ /٣/ ١٩٨٥

تقرير عن الرسالة

اشترك في مناقشة هذه الرسالة الأستاذ الدكتور/محمد عاطف العراقي وقد قرر :

« .. وأنا أقول أن رسالتك من الرسائل الرائعة التي استفدت منها استفادة لاحد لها وأضافت إليَّ معلومات لم أكن أعرفها ، وإن الباحثين في الفكر التربوي عند الشيعة ليس بامكانهم أن يتخطوا هذه الرسالة لامن قريب ولا من بعيد ، فهي تعد علامة على الطريق ، وأنا أهنئك بهذا المجهود تهنئة لا حدود لها » .

الأستاذ الدكتور/محمد عاطف العراقي
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
١٩٨٤/٢/٩

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقديم	٧
تقديم	٩
الفصل الأول : الاطار العام للدراسة	**١٩ ـ ٦٠**
المقدمة	٢١
نشأة التشيع	٢٢
الشيعة لغة واصطلاحا	٢٢
البذرة الأولى للتشيع	٢٣
نشأة التشيع والقول بالنص والوصية	٢٩
أهمية بحث الجانب التربوي للشيعة	٣١
التركيب العقائدي للتربية عند الشيعة	٣٣
مشكلة البحث	٣٩
أهمية البحث	٣٩
حدود البحث	٣٩
منهج البحث	٤٠
القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة	٤٢
الاجتهاد العقلي	٤٨
الاجتهاد الشرعي	٤٨
الدراسات السابقة	٤٩
خطوات الدراسة	٥٠
الفصل الثاني: الأصول الاجتماعية والفلسفية	**٦١ ـ ١٤٤**
أولا: الأصول الاجتماعية	٦٤
الظروف التي صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعي	٦٥
العصر الأول: عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه	٦٥
العصر الثاني: العصر الأموي	٧٤

سياسة الأمويين تجاه الشيعة وأثرها في
انتشار التشيع ٧٤
العصر الثالث: العصر العباسي ٨٤
فرق خارجة عن التشيع ٩٤
ثانيا: الأصول الفلسفية ١٠٧
الأصل الأول: التوحيد ١٠٨
وحدة الذات الالهية ١١٠
الأصل الثاني: النبوة ١١٥
حاجة الناس إلى النبي ١١٥
عقيدة الشيعة في نبوة محمد (ص) ١١٩
القول في عصمة الأنبياء ١٢٠
الأصل الثالث: العدل ١٢٥
أولا: في حرية الارادة الانسانية، او القضاء والقدر وموقف
التربية منها ١٢٦
ثانيا : الحسن والقبح أو الخير والشر ١٣٥
الأصل الرابع: الامامة ١٣٨
الأصل الخامس: المعاد ١٤٣

الفصل الثالث:

فلسفة التربية من منظور الشيعة .... ١٤٥ ـ ١٩٦
المقدمة ١٤٧
أولا: الطبيعة الانسانية ١٤٧
ثانيا: العلم والعلماء ١٥٤
١ ـ موقف الشيعة من العلم والعلماء ١٥٤
٢ ـ الحث على طلب العلم ١٥٨
٣ ـ العلاقة بين العلم والعمل من منظور
الشيعة ١٦٠
ثالثا: المعرفة الانسانية ١٦٤
مصادر المعرفة ١٦٦

رابعا: النزعة العقلية في الفكر التربوي
عند الشيعة ١٧٤
خامسا: تكافؤ الفرص في التعليم ١٧٩
سادسا: التربية الخلقية من منظور الشيعة ١٨١
سابعا: الأسرة ودورها في تربية الطفل ١٨٧
ثامنا: التعليم المهني ١٩٣

الفصل الرابع:

مناهج وطرق التعليم .... ١٩٧ ـ ٢٤٨
المقدمة ١٩٩
أولا: مناهج التعليم ١٩٩
ثانيا: مراحل التعليم عند الشيعة ٢٠٦
المرحلة الأولى: مرحلة الطفولة ٢٠٦
المرحلة الثانية: مرحلة الصبا ٢٠٩
المرحلة الثالثة: مرحلة التكليف ٢١١
المرحلة الرابعة: مرحلة الاجتهاد ٢١٣
ثالثا: طرق التعليم ٢١٤
١ ـ المناظرة وتطبيقها التربوي ٢١٤
٢ ـ طريقة الدعاء ٢١٧
٣ ـ طريقة الاملاء ٢١٩
٤ ـ طريقة الوعظ ٢٢١
٥ ـ طريقة الرسائل ٢٢٤
٦ ـ التعليم عن طريق الكتب ٢٢٥
٧ ـ التعليم عن طريق الأسئلة والمذاكرة ٢٢٧
رابعا: المعلمون والتلاميذ ٢٢٩
أولا: آداب العالم في نفسه ٢٣١
ثانيا: آداب المعلم مع تلاميذه ٢٣٤
ثالثا: آداب الطالب مع معلمه ٢٣٧
الحالة الاجتماعية للمعلمين ٢٤١

أ ـ الحالة المالية ٢٤١
ب ـ لباس المعلمين ٢٤٦

الفصل الخامس :
أهم المراكز العلمية عند الشيعة .... ٢٤٩ ـ ٣٢٠
المقدمة ٢٥١
أولا: المدينة المنورة ٢٥٢
الامام علي وجمع القرآن ٢٥٥
الحركة العلمية عند الشيعة في المدينة
بعد عهد الامام علي ٢٥٨
مدرسة المدينة ودور الامام الباقر
والصادق في تأسيسها ٢٦٢
نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل
البيت في المدينة ٢٧٠
المحتوى الفكري لمدرسة أهل البيت ٢٧٥
ثانيا ـ العراق ٢٧٦
١ ـ الكوفة ٢٧٦
٢ ـ بغداد ٢٨٢
الدراسة في مدرسة النجف ٢٩٣
جماعة اخوان الصفاء الشيعية ٢٩٥
ثالثا: بنو حمدان في حلب والموصل ٢٩٩
رابعا: قم والري في ايران ٣٠٢
خامسا: الادارسة في المغرب والأندلس ٣٠٨
سادسا: الدولة الفاطمية في مصر ٣١٢

الفصل السادس:
مؤسسات التعليم عند الشيعة .... ٣٢١ ـ ٣٦٦
أولا: المكتب أو الكتاب ٣٢٤
ثانيا: المسجد ٣٢٦
مسجد الكوفة ٣٣٢

جامع الأزهر ٣٣٥
ثالثا: منازل العلماء والأمراء ٣٤٢
رابعا: مجالس العلم والعلماء ٣٤٦
خامسا: دور العلم ٣٤٩
سادسا: دور الكتب أو المكتبات ٣٥٤
سابعا: المدارس ٣٦٢

الفصل السابع :
أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر
والثقافة في العالم الاسلامي ٣٦٧
المقدمة ٣٦٩
١ ـ دور الشيعة في علم الكلام ٣٧١
٢ ـ علم النحو ومدارسه ٣٧٩
متى وكيف نشأ علم النحو ٣٧٩
الشيعة والمدارس النحوية ٣٨١
أ ـ مدرسة البصرة النحوية ٣٨١
ب ـ مدرسة الكوفة النحوية ٣٨٦
جـ ـ مدرسة بغداد النحوية ٣٩٠
٣ ـ علم التصريف ٣٩٣
٤ ـ علم اللغة ٣٩٤
٥ ـ علم البيان والمعاني ٣٩٤
٦ ـ علم العروض ٣٩٦
٧ ـ علم التفسير ٣٩٦
٨ ـ علم غريب القرآن ٣٩٩
٩ ـ علم معاني القرآن ٤٠١
١٠ ـ علم احكام القرآن ٤٠٣
١١ ـ اعراب القرآن ٤٠٣
١٢ ـ علم القراءات ٤٠٤
١٣ ـ علم الحديث ٤٠٥
تدوين العلم بين الاثبات والنفي ٤٠٥

١٤ ـ علم غريب الحديث ٤٠٩
١٥ ـ علم الفقه ٤١١
١٦ ـ علم اصول الفقه ٤١٢
١٧ ـ الفقه المقارن أو الخلافي ٤١٦
١٨ ـ علم التاريخ والمغازي والسير ٤١٩
١٩ ـ علم الجغرافية ٤٢٥
٢٠ ـ علم الأخلاق ٤٢٧
٢١ ـ الشعر التعليمي ٤٢٩
٢٢ ـ الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية ٤٣٠
٢٣ ـ المنهج العلمي التجريبي ٤٣٥
٢٤ ـ الدراسات الفلسفية عند الشيعة ٤٣٩
خاتمة ٤٤٥
مقترحات ببحوث اخرى قادمة ٤٤٨
المراجع ٤٥١

الفصل الأول
الاطار العام للدراسة

المقدمة :

نشأة التشيع :

- **أهمية بحث الجانب التربوي عند الشيعة .**
- **التركيب العقائدي للتربية عند الشيعة .**
- **مشكلة البحث .**
- **أهمية البحث .**
- **حدود البحث .**
- **منهج البحث .**
- **القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة .**
- **الدراسات السابقة .**

خطة البحث .

مقدمة :

الارث الثقافي ، هو أثمن ما خلفه الانسان للانسان ، فبالثقافة يستكمل الانسان وجوده الحق ، لأنها تمده بالمعاني التي تجعل لوجوده معنى انسانيا يميزه عن سائر المخلوقات .

وليست الحضارة المادية ، مهما عظمت سوى حسنة صغيرة من حسنات الثقافة الانسانية اذا قيست بالجوانب المعنوية لهذه الثقافة ، ولهذا فدراسة التاريخ ليست تحقيقا في صحة الحوادث وربطا بين متفرقاتها ، وجمعا لشتاتها فقط . بل هي تسعى للتعرف على انسانية الانسان والغوص في أعماقها واكتشاف ما تنطوي عليه هذه الانسانية من سمو واستعداد للتضحية وايثار للبساطة والحق والخير والجمال .

ولقد أثبتت الأمة العربية خلال السنوات القليلة الماضية انها ما تزال منطوية على فيوض من الطاقة التي تحتاج للمجال الحيوي ، وتسعى الى التعبير عن ذاتها تعبيرا ايجابيا صحيحا .

لقد بدأت سير الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر هذه الفيوض وتنتصب شواهد على هذه الحقيقة منذ أواسط العقد الرابع من قرننا هذا ، ومع ذلك ففي المكتبة العربية والاسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم بعد غبار النسيان ، وفي عبقرياتهم كل لون وكل اختصاص ، ممن اشتركوا في رفع بناء الحضارة العربية الاسلامية . هؤلاء كلهم ينتظرون أن يأتي دورهم ليخرجوا الى الوعي العربي بالدراسة العلمية والبحث الموضوعي الذي يجب أن يتوفر لكل محقق وباحث .

لقد بدأ الناس هنا يعيدون النظر في ماضيهم . بدأوا يرون في هذا الماضي بعضا مما يعين على عملية الانطلاق من جديد . وبالرغم مما أصبحت تزخر به المكتبة الاسلامية من نتاج قيم جعلها تضاهي المكتبات

الفكرية للمبادىء الاخرى ، فإن الكثير الوفير من التراث الاسلامي الفكري لا زال يدعونا لتقديمه بالأسلوب الحديث وبالمنهج الحديث .

والتربية عند الشيعة الامامية واحدة من شرائح التراث الاسلامي التي لم أعثر فيها على عدد كاف من الدراسات التحليلية وبدرجة مرضية تكشف عن موقعها في هذا التراث ودورها في حياة الناس أفرادا وجماعات ، مع ما قاموا به من نشر الثقافة الدينية والعلوم الاسلامية ، فقد تمكنوا من تخريج عدد من حملة العلم والحديث ، والمعارف المختلفة ، حسب دراستهم في تلك المدارس الاسلامية وقابليتهم العقلية . فالحرية والعبودية ، والغنى والفقر ، والعدل والظلم ، والعلم والجهل ، والحرب والسلم ، والنضال المستمر في سبيل عالم افضل لانسان أفضل ـ حسب تصور الشيعة الامامية ـ هو مدار التربية عندهم ، ولهذا كانت مدارسهم أحد المصادر التي تفيض على المجتمع الاسلامي بالدراسات والكتابات المختلفة التي غطت مساحة كبيرة من الاهتمامات الفكرية لجمهور المفكرين الاسلاميين[١] .

نشأة التشيع :

الشيعة لغة واصطلاحا :

ان لفظ الشيعة كما ورد في اللغة العربية والقرآن الكريم ، فسر تارة بالاتباع والأنصار ، وأخرى بالمشايعة ـ وهي المتابعة والمطاوعة ـ وان هذا الاسم قد غلب على كل من يتولى عليا وأهل بيته عليهم السلام ، حتى صار اسما خاصا فاذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم[٢] . ففي قاموس المحيط : « **وشيعة الرجل اتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصة** »[٣] . وفي المنجد : « **شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره ... وقد غلب هذا**

---

(١) أنظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٢) محمد حسين الزين : **الشيعة في التاريخ** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار الآثار ١٩٧٩ ـ ص ٢٧ .

(٣) مجد الدين الفيروز آبادي : **القاموس المحيط** ـ جـ ٣ ـ ص ٤٧ .

الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا والواحد شيعي . (شايعه) تابعه ووالاه على أمر »[1] .

وجاء في لسان العرب : « ... **والشيعة اتباع الرجل وانصاره ... ويقال شايعه كما يقال والاه من الولي .. وأصل الشيعة الفرقة من الناس .. وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته ... حتى صار لهم اسما خاصا ، فاذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم .. وأصل ذلك من المشايعة ، وهي المتابعة والمطاوعة ، قال الأزهري : والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي (ص) ويوالونهم** ... »[2] . وجاء اسم الشيعة في الكتاب العزيز في سورة القصص[3] (**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**) قال الزمخشري في كشافه عند تفسيرها (أي ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل) وفي سورة الصافات[4] : (**وان من شيعته لابراهيم**) قال الزمخشري أيضا في كشافه ـ أي ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكذابين[5] .

البذرة الأولى للتشيع :

يختلف الباحثون في تحديد الوقت الذي نشأ فيه التشيع ، فيذهب البعض الى أن التشيع هو أول مذهب عرف في الاسلام ، ولقب به أربعة من كبار الصحابة هم : أبو ذر ، وسلمان ، والمقداد بن الاسود ، وعمار إبن ياسر. ويميل الى هذا الاتجاه « أحمد أمين » حيث يقول : « وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي (ص) أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه »[6] . ولهذا يرى « جب وكرامرز » أن رجالات حزب الشيعة البارزين كانوا في أول الأمر عربا خلصا[7] . « وذلك أن

(١) لويس معلوف : **المنجد** ص ٤٢٣ .
(٢) ابن منظور : **لسان العرب** ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٧٧ .
(٣) القصص : آية ١٥ .
(٤) الصافات : آية ٨٣ .
(٥) محمد حسين الزين : **الشيعة في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ .
(٦) احمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ ط ٩ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ جـ ٣ ـ ص ٢٠٩
(٧) Gibb and Kramers : « **Shorter Encyclopaedia of Islam** » Leiden, 1953) P. 536.

حركة التشيع نشأت على تربة عربية خالصة »[1] . بالاضافة « الى أن أصول النظرية الامامية بما تتضمنه من النظر الى الدولة نظرة دينية لا دنيوية »[2] ، « وقد أوجدها ـ أي حركة التشيع ثوار دينيون رأوا في عليّ أنه أحق دون غيره بالخلافة .. »[3] . ولهذا « كان لعلي شيعة منذ اللحظات الأولى بعد وفاة الرسول »[4] . وقد « تشيع يومئذ لعلي جميع بني هاشم وبني المطلب ، وانضم اليهم الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلا أو اثنا عشر من المهاجرين والأنصار .. على أن أتباع علي كانوا يعرفون بالعلوية في حياته وبعد مماته مع الدلالة باسم الشيعة أيضا .. »[5] . وقد ذهب الى هذا الرأي أيضا الدكتور شوقي ضيف[6] . مع أن الذين تشيعوا لعلي في هذه الفترة أكثر مما ذكر . يقول ابن حجر العسقلاني : « وثبت عن الثوري فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح اليه ، قال : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألفا مات رسول الله (ص)وهو عنهم راض .. وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب ، وأكثرهم حضروا حجة الوداع »[7] .

ويذهب بعض آخر الى أن الشيعة لم تظهر الا في عهد علي ، بل لم تظهر بمعناها الفني الا بعد هذا الوقت بكثير ، بل ذهب آخرون الى أن ظاهرة التشيع ملازمة للقول بالنص ـ وأن القول بالنص والوصية ظهر في عهد هشام بن الحكم ، وهو العصر الذي عاش فيه الامام الصادق ، فاذن بدء نشوء الشيعة لا يخرج عن أحد هذه الأزمنة التي حددها بعض الباحثين ، ولهذا يرى أصحاب هذا الاتجاه كما يذكره « ابن المرتضى »

(١، ٢) أدم متز : **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ـ ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ ـ جـ ١ ـ ص ٣٧ .

(٣) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة في الاسلام** ـ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ـ القاهرة ـ دار الكاتب المصري ـ ١٩٤٦ ـ ص ١٧٠ .

(٤) أحمد شلبي : **التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٤ .

(٥) أحمد الحوفي : **أدب السياسة في العصر الأموي** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٩ .

(٦) شوقي ضيف : **التطور والتجديد في الشعر الاموي** ـ ط ٥ ـ القاهرة دار المعارف ـ ١٩٧٣ ـ ص ٩١ .

(٧) ابن حجر العسقلاني : **الاصابة في تمييز الصحابة** ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧١ ـ جـ ١ ـ ص ٣ .

في كتابه « المنية والأمل » في قـوله : « أمـا الرافضـة فحدث مـذهبهم بعد مضي الصدر الأول ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في علي متواتر ، فان زعموا أن عمارا وأبا ذر والمقداد بن الأسود كانوا سلفهم لقولهم بامامة علي ، كذبهم كـون هؤلاء لم يظهروا البـراءة من الشيخين ، ولا السب لهما ، الا ترى أن عمارا كان عاملا لعمر بن الخطاب ، وسلمان الفارسي في المدائن »[١] . فالمقياس في هذا الاتجاه هو كون الشيعـة ظهروا حينما أعلنوا البراءة من الخلفاء ، وهو مقياس لا دليـل عليه ، يحتـاج الى سنـد يعضده ولهـذا يقول ، «Gustave» « لقـد سبب موت النبي خـلافـا ونـزاعا فيمـا يتعلق بالخـلافة ويصر قسم من المؤمنـين أن عليا كـان هـو الوريث الشرعي الوحيد . أما الأغلبية فقد رفضوا هذا الرأي »[٢] .

وهناك اتجاه آخر كما يقول الدكتور أحمد صبحي : « ومن الباحثين من يجعل نقطة البداية في التشيع زمن النبي نفسه ، يقول محمد الهـادي كـاشف الغطاء : ان أول من وضـع بذرة التشيـع في حقل الاسـلام ـ هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية يعني أن بذرة التشيع وضعت مـع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء . ولم يزل غارسها يتعهدهـا بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته .. »[٣] وفي ذلك يقـول الحسنى : « والواقـع ان التشيع بمـا هو فـرقة في مقـابل جمـاعـة المسلمين لم يكن قبل وفاة الرسول ، ولكن المبدأ الذي يرتكز عليه التشيع ، وهـو نص النبي على استخـلاف عـلي (ع) من بعـده ، كـان بعـد ولادة الاسلام وقبل ان يهاجر الرسول من مكة الى المدينة باكثر من ثمانية اعوام تقريبا . وذلك حينما أوحى اليه : (**وأنذر عشيرتك الاقربين**) فكـان هذا المـوقف البذرة الأولى للتشيـع ..»[٤] . ولهذا يقـول النـوبختي : « فـأول

---

(١) عبد الحكيم بلبع : **أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابـع الهجري ـ ط ٢ ـ القـاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٦٩ ـ ص ٣٠ ، ٣١ .**

(٢) Gustave Evon Grunebaum.«**Medival Islam**».(Chicago.. The university of Chicago press, 1953. P.186.

(٣) احمد محمود صبحي : **نظرية الامـامة لـدى الشيعة الاثنى عشريـة** ـ القاهـرة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ ـ ص ٢٩ .

(٤) هـاشم معروف الحسني : **الشيعـة بين الاشـاعرة والمعتـزلـة** ـ ط ١ ـ بـيروت ـ دار القلم ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

الفـرق : الشيعة ، وهم فـرقة عـلي بن ابي طالب عليـه السـلام المسمـون بشيعـة علي .. في زمـان النبي (ص) وبعده معـروفون بـانقطاعهم اليـه والقول بامـامته منهم : المقـداد بن الأسود ، وسلمـان الفارسي ، وأبـو ذر جندب بن جناده الغفاري ، وعمار بن ياسر ، ومن وافق مودتـه مودة عـلى (ع) وهم أول من سمي بـاسم التشيع من هـذه الأمـة ...»[1] . « واذا نفس صاحب الشريعة الاسـلامية يكـرر ذكر شيعـة علي وبنيـه بأنهم هم الآمنون يوم القيامة ، وهم الفائزون والراضون المرضيون ، ولا شك أن كل معتقد بنبوته يصدقه فيما يقول ، وأنه لا ينطق عن الهـوى ان هو الا وحي يوحى - فاذا لم يصر كل اصحاب النبي شيعة لعلي فالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعـة منهم أن يكونـوا ممن ينطبق عليه ذلـك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب من التوسع والتأويل .. ومن الغني عن البيـان أنه لو كان مراد صاحب الرسالة من شيعة علي ومن يحبه أولا يبغضـه بحيث ينطبق على أكثر المسلمـين .. لم يستقم التعبير بلفظ ، شيعـة ، فان صرف محبة شخص لآخر ، أو عدم بغضه لا يكفي في كونه شيعـة له ، بـل لا بد هناك من خصوصية زائدة وهي الاقتداء والمتابعـة له ، بـل ومع الالتـزام أيضا .. »[2] . اذن « الشيعة لغة : الصحب والاتباع ، وفي عرف الفقهاء والمتكلمين أنصار علي وبنيه المتحمسون للدفـاع عنهم والعمل عـلى اسناد الخلافة اليهم ...»[3] .

يظهر مما تقدم ان الشيعة هم الأتبـاع والأنصار ، وأن هـذا اللفظ ظهر في عهد رسول الله (ص) . ويؤيد ذلـك ما جـاء في تفسير الطبـري عن محمد بن علي : « **أولئك هم خير البرية** » **فقـال النبي (ص)** : « **أنت يا**

---

(١) أبـو محمد الحسن بن مـوسى النوبختي : **فـرق الشيعة** - ط ٣ - النجف - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **اصل الشيعة وأصـولها** - بـيروت - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بدون تاريخ - ص ٤٥ .

(٣) أحمد مجاهـد مصباح : **تـاريخ الحضـارة الاسلاميـة والفكر الاسـلامي** - ط ٢ - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - ١٩٧٨ - ص ٢٣٩ ، وايضا فيصل بـدير عـون : **علم الكلام ومدارسه** - مكتبة الحرية الحديثة عين شمس - ١٩٨٢ - ص ٧٤ .

علي وشيعتك »[1] . وفي ميزان الاعتدال للذهبي : أن رسول الله (ص) قال : **« أما أنك يا ابن أبي طالب وشيعتك في الجنة »**[2] . وفي شواهد التنزيل للحاكم النيسابوري عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : **(ان الذين امنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال النبي (ص) لعلي : « هو أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ... »**[3] . وقد أخرج هذه الأحاديث علماء السنة وحفاظهم بألفاظ مختلفة وبطرق كثيرة[4] .

فالتشيع بمقتضى ذلك كان هو القاعدة الاساسية في الاسلام وليست ظاهرة طارئة عليه ، يقول آل كاشف الغطاء : « ولا أقول : أن الآخرين من الصحابة وهم الأكثر الذين لم يتسموا بتلك السمة ، قد خالفوا النبي (ص) ولم يأخذوا بارشاداته ، كلا ومعاذ الله أن يظن بهم ذلك وهم خيرة من على وجه الأرض يومئذ ولكن لعل تلك الكلمات لم يسمعها كلهم ، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها ، وصحابة النبي الكرام ، أسمى

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : **جامع البيان عن تأويل القرآن** ـ ط٢ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ جـ ٣٠ ـ ص ٢٦٥ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ ط ١ ـ دار أحياء الكتب العربية ـ ١٩٦٣ ـ جـ ٢ ـ ص ١٨ .

(٣) عبيدالله بن عبدالله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابوري : **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمي ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٤ م ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٤) أنظر أحمد بن حجر الهيتمي المكي : **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ـ ص ١٦١ . وأيضا جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ـ الكاظمية ـ دار الكتب العراقية ـ بدون تاريخ جـ ٦ ـ ص ٣٧٩ . وأيضا أبو المظفر الاسفراييني : **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين** ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ ١٩٥٥ ـ ص ٤٤ ، ٤٥ . وأيضا شيخ سليمان البلخي القندوزي : **ينابيع المودة** ـ ط ٢ ـ صيدا مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ ـ جـ ١ ـ ص ٦١ . وأيضا أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري : **الرياض النضرة في مناقب العشرة** ـ ط ١ ـ محل السادات محمد أمين الخانجي بالاستانة ومصر ـ بدون تاريخ ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٩ . وأيضا سبط بن الجوزي ، يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي : **تذكرة الخواص** ـ طهران ـ مكتبة نينوي الحديثة ـ بدون تاريخ ـ ص ١٦ ، ١٨ . وأيضا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ ط ٣ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م ـ جـ ٣ ـ ص ٦ .

من أن تحلق إلى أوج مقامهم بغاث الأوهام »[١] .

وهـذا دليـل عـلى أن الشيعـة ليس من صفـاتهم الطعن والسب في الصحابة كما توهمه البعض ـ كما مـر ـ بأن التشيـع نشأ بسبب ذلـك . ولهذا جرى بعض الباحثين المحدثين على دراسة التشيـع بوصفـه ظاهـرة طارئة في المجتمع الاسلامي ، والنظـر إلى القطاع الشيعي في جسم الأمـة الاسلامية بوصفه قطاعا تكون على مر الزمن ، ونتيجة لأحداث وتطـورات اجتمـاعية أدت الى تكـوين فكري ومـذهب خاص بجـزء من ذلـك الجسم الكبير ثم اتسع الجزء بالتدريج .

فالتشيع اذن لايمكن أن يتجزأ الا اذا فقد معناه كأطروحة لحمـاية مستقبل الدعوة بعد النبي (ص) وهو مستقبل بحاجة إلى المرجعية الفكرية والزعامة الاجتماعية للتجربة الاسلامية ، ومن هنا فـإن بعض الباحثـين يحاول التمييز بين محورين من التشيع: أحدهما التشيع الـروحي، والآخر التشيـع السياسي ، ويعتقـد أن التشيع الـروحي أقدم عهـدا من التشيع السياسي ، وأن أئمة الشيعة الأمامية من أبنـاء الحسين عليهم السـلام قد اعتزلوا بعد مذبحـة كربـلاء السيـاسـة وانصرفوا الى الارشـاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا ، مع أن التشيع لم يكن في يوم من الايام منذ ولادتـه مجرد اتجاه روحي بحت ، وانما ولد التشيع في أحضان الاسلام بوصفـه أطروحة مواصلة الامام علي للقيادة بعد النبي (ص) فكريا واجتماعيا على السواء[٢] .

« إذن فجـذور التشيع كـانت موجـودة حتى في حياة النبي ، فلمـا بويع الامام علي بالخلافة برزت الفكرة نضاليـة وأرست أسسها في واقعـة الجمل ، وفي معركة صفين ، وتبلـورت ذات نظام فكـري في أواخر الـدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية وأصبح لهـا مباحثهـا العقلية والمنطقيـة ، وأصبح التشيع نظاما اسلاميا وفكرة وعقيدة لها فلسفتها وفقهها »[٣].

---

(١) آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٦ .

(٢) السيد محمد باقر الصدر : **بحث حول الولاية** ـ ط ٢ ـ دار التعارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٩٠ .

(٣) روكس بن زائد العزيزي : **الامام علي** ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

نشأة التشيع والقول بالنص والوصية :

هناك اتجاه من بعض الباحثين يـذهب الى أن أصل نشـوء التشيع هو عند نشوء القول بالنص والوصية ، وهذا الاتجاه يعزي الى أن النشأة الأولى كانت في زمن هشام بن الحكم . يقول الدكتـور عمارة : « أمـا الأمر الذي يميز الشيعة عن غيرهم فهـو عقيدة (النص والـوصية) واذا كـان التأريخ لنشأة « البكرية » أو « الراوندية » لابد أن يرتبط بـادعاء طـلائع هـذه الفرق ، وزعمهم بـالنص على أبي بكـر ، والعبـاس بن عبـد المطلب ، فكذلك التأريخ لنشـأة الشيعة مقتـرن بالفتـرة الزمنيـة التي نشأت فيهـا عقيدة النص ودعوى الوصية من الرسول الى علي بن أبي طالب . ومن هنا كان صوابا ما ذهب اليـه المعتزلـة عندمـا قالـوا : ان فترة امـامة جعفـر الصـادق ، وهي التي نهض فيها هشـام بن الحكم بدور واضـع ومهندس بنائه الفكري ، هي الفترة التي يؤرخ بها لهذه النشأة ، فالقول بالـوصية لم يعرف قبل هشام بن الحكم ، وهو الذي ابتدع هـذا القول ، ثم أخـذه عنه معاصروه ومن أتوا من بعده »[1] . ويقول أيضا : « الذين قالـوا أن الرسول عليه الصلاة والسـلام قد أوصى بـالامامـة من بعده لعـلي بن أبي طالب ... وأن طريق الامامة والسلطة العليا محصورة في « الوصيـة » ... ولا دخل في ذلك للارادة الانسانية ولا اختيار في هـذا الأمر للنـاس .. ولقد أنكر المعتزلة هذا الفكر وحاربوه ، لأنهم رأوا في القول بالوصيـة ما يسلب الحرية الانسـانية والاختيـار فعاليتهمـا ومضمونهمـا في مسألـة من أهم المسائل المتعلقة بتنظيم حياة الانسان ، ورأوها وصاية متـوهمة تلغي أثـر الانسـان وقدرتـه عـلى اختيـار السلطـة العليـا في المجتمـع الـذي يعيش فيه »[2] .

إن المتتبع لآراء المعتزلة في خصوص هذه المسألة يرى خلاف ما ذهب إليـه الدكتـور عمارة . فقـد ذهب أكثر المعتـزلـة ، بـل جـلهم إلى القـول بالنص ، وأن النبي نص على عـلي بن أبي طالب . ولهـذا « يرى الـدكتور

---

(١) محمد عمارة: **الاسـلام وفلسفة الحكم** ـ ط ٢ ـ بـيروت ـ المؤسسة العـربية ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) محمـد عمارة : **المعتـزلة ومشكلـة الحريـة الانسـانيـة** ـ ط ١ ـ بـيروت ـ المؤسسـة العربية ـ ١٩٧٢ ـ ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

نصري أن فئة قليلة من المعتزلة هي التي كانت ترى رأي أهل السنة في القول أن الامامة بالاختيار ويحدد أفرادها بالاسم وهم واصل بن عطاء وأبو بكر الأصم وهشام الفوطي والجبائي وابنه أبو هاشم ، وان باقي المعتزلة كانوا على رأي قريب من رأي الشيعة الامامية ، وهم جميع معتزلة فرع بغداد ومعتزلة فرع البصرة غير السابقين ـ اذ قالوا لا امامة الا بالنص والتعيين ، ويرى الدكتور ألبير نصري ، أن هذا كان رأي الأكثرية منهم » [١] . مع أن الشهرستاني ذكر في الملل والنحل ـ أن معظم المعتزلة يذهبون إلى القول بوجود النص الجلي ، يقول النظام : « أولا لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا . وقد نص النبي (ص) على علي (رضي) في مواضع وأظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة ».. [٢] ووافقه الاسواري في جميع ما ذهب إليه وكذلك أبو جعفر الاسكافي ، وأصحابه من المعتزلة ، والجعفريان : جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكذلك محمد بن شبيب ، وأبو شمر ، وموسى بن عمران من أصحاب النظام . وكذلك الخابطية أصحاب أحمد بن خابط . والحديثية أصحاب الفضل الحديثي [٣] .

ثم أن القول بالوصية والنص لا يلزمه القول بسلب حرية الانسان واختياره ما دامت الشريعة الاسلامية واضحة وكاملة ، وقد تمت أحكامها في عصر الرسول (ص) ولهذا يجب النزول عندها ومتابعتها ، فليس للانسان حق الاختيار في الأحكام والتكاليف إلا إذا قلنا أن الانسان حر مختار في اختيار الأحكام التي تناسبه ، فعلى هذا ، فلا حاجة لنا بارسال الرسل لأنهم يحدون من حرية الانسان . ولما كانت السلطة العليا هي مجرد أداة لتنفيذ الأحكام الثابتة في الشريعة والملزمة لكل مكلف ، سواء أكان وجود السلطة بالاختيار أم بالنص ، فلا دخل لحرية الارادة هنا ما دام الحاكم أو الإمام هو المنفذ لا غير . ولما كانت الشريعة الاسلامية

---

(١) أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة لدى الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٥ .

(٢) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي بمصر ـ ١٩٦١ ـ جـ ١ ـ ص ٥٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ . وايضا زكي نجيب محمود : **المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٤٥ . وأيضا محمد علي أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام** ـ الاسكندرية ـ دار الجامعات المصرية ـ ١٩٧٤ ـ ص ١٧٨ .

صالحة لكل العصور ، وأحكامها لا تتغير ولا تتبدل فلا بد وأن يكون القيم عليها عالما بها وحافظا لها من التغيير ، والحافظ لها لابد وأن يكون منصوبا من قبل الشارع . وعلى هذا يقدم الشيعة العديد من الأدلة والأسانيد والنصوص يقيمون عليها مذهبهم في قيام التشيع على النص والوصية لا يتسع المجال هنا لذكرها [١] .

أهمية بحث الجانب التربوي للشيعة :

كان الجهد الأكبر للأئمة من أهل البيت موجها إلى تهذيب النفوس وبناء الشخصية السوية عن طريق تربية صالحة رسمها الله سبحانه ، فكانوا مع كل من يواليهم يبذلون قصارى جهدهم في تعليمه الأحكام الشرعية وتلقينه المعارف المحمدية ، ويعرفونه ماله وما عليه .

ولا يعتبر الأئمة الرجل تابعا وشيعة لهم الا اذا كان مطيعا لأمر الله مجانبا لهواه أخذا بتعاليمهم وارشاداتهم . ولا يعتبرون حبهم وولاءهم منجاة الا اذا اقترن بالأعمال الصالحة وتحلي الموالي لهم بالصدق والأمانة والورع والتقوى ، بل هم يريدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة للحق وأدلاء على الخير والرشاد ، ويرون أن الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان[٢] . « **كونوا دعاة للناس بالخير بغير السنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع** » **كما يقول الامام الصادق**[٣] .

وعلى هذا أخذ أئمة أهل البيت على أنفسهم أن يقوموا بمهمة بناء الشخصية الشيعية ، لكي تتحقق فيه المواصفات التي يريدون أن يتصف

---

(١) أنظر أمير محمد الموسوي القزويني : **أصول المعارف** ـ ط ١ ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ . وأيضا عبدالحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمي ـ بدون تاريخ . وأيضا : الشيخ مرعي الأمين الانطاكي : **لماذا اخترت مذهب الشيعة** ـ ط ٣ ـ حلب ـ مؤسسة الوفاء ـ بدون تاريخ . وأيضا حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية للفكر السياسي الاسلامي** ـ رسالة دكتوراه ـ غير مطبوعة ـ جامعة القاهرة ـ قسم العلوم السياسية ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ بدون معلومات ـ ص ٩٤ .

(٣) أبو الحسن ورام بن أبي الفوارس الاشتري : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ المعروف بمجموعة ورام ـ ط ٣ ـ المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ جـ ١ ـ ص ١١ .

بها ، والا خرج عن كونه موالياً وتابعا لهم . وفي ذلك **يقول الامام محمد الباقر** : « **ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء** »[١] . حتى قال فيهم الذهبي في ميزان الاعتدال .. على أن التشيع في التابعين وتابعيهم كثير مع الدين والورع والصدق[٢] .

هذه المواصفات التي أشار إليها الامام الباقر ، هي أساس بناء الشخصية الانسانية لترتفع بها نحو السمو ، ويلاحظ فيها المؤشرات التربوية الأخلاقية التي يقوم عليها بناء الفرد والمجتمع . وهذا ما أشار اليه الامام جعفر الصادق في وصيته لتلاميذه وشيعته في قوله لعبدالله بن جندب : « **يا ابن جندب بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا الا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومؤاساة الاخوان في الله وليس من شيعتنا من يظلم الناس** ...»[٣] .

قال رجل للحسن بن علي بن أبي طالب : « **اني من شيعتكم . فقال الحسن بن علي : يا عبدالله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها .. وقال رجل للحسين بن علي ، يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم قال : اتق الله ولا تدعين شيئا يقول الله لك : كذبت وفجرت في دعواك ان شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش ودغل** ...»[٤] .

وعن أبي اسماعيل قال : « **قلت لأبي جعفر ـ يعني الامام محمد الباقر ـ جعلت فداك ان الشيعة عندنا لكثيرة فقال : هل يعطف الغني**

---

(١) أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني : **تحف العقول عن آل الرسول** ـ النجف الاشرف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م ـ ص ٢١٦ ـ من علماء القرن الثالث الهجري .

(٢) الذهبي : **ميزان الاعتدال ـ مرجع سابق** ـ جـ ١ ـ ص ٤ .

(٣) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

على الفقير ويتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسـون ، فقلت : لا ، فقال ليس هؤلاء شيعة ، الشيعة من يفعـل ذلك » . وعن اسحـاق بن عمار قـال : دخلت على أبي عبـدالله (ع) فنظـر إليَّ بـوجـه قطب بـل قـال : قاطب ، قلت : ما الذي غيرك لي ، قال : الذي غيرك لاخوانك ، بلغني يا اسحاق انك أقعدت ببابك بوابا يرد عنك فقراء الشيعة فقلت : جعلت فـداك أني خفت الشهـرة ، قـال : أفـلا خفت البليـة ، أمـا علمت ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أنزل الله عز وجل الرحمـة عليهما .. »[1]
إلى غير ذلك من الـوصايـا والارشادات التي قـام بها أئمـة الشيعة لبنـاء شخصية الفرد والمجتمع . وقد اقتصر البـاحث على نبـذة منها ، ليتضـح مدى اهتمام الشيعـة وأئمتهم بالتـربية منـذ القرن الأول للهجـرة وأوائل القرن الثاني .

التركيب العقائدي للتربية عند الشيعة :

إن كل مسيرة واعية لابد أن يكون لها هدف ، وكل حركة حضـارية لابد أن تكون لها غايـة تسعى إلى تحقيقها ، وكـل مسيرة وحـركة هـادفة تستمد وقودها وزخم اندفاعها من الهدف الذي تسير نحوه ، وتتحـرك الى تحقيقه .

والحقيقة أن الهدف الذي يضمن للتحرك الحضـاري للانسـان أن يواصل سيره واشعاعه باستمرار ، هو الهدف الذي يقتـرب منه الانسـان بـاستمرار ويكتشف فيـه كلما اقتـرب منه آفـاقا جـديدة وامتـدادات غير منظورة تزيد الاشعاع اتقادا والحركة نشاطا والتطور ابداعا .

وهنا يأتي دور التربية الاسـلامية لتتجـه الى (الله) فتجعله هـدفا للمسـيرة الانسانيـة وتطرح صفـات الله كمعالم أسـاسيـة لهـذا الهـدف الكبير . فالعدل والعلم والقدرة والقـوة والرحمـة والجود وحـرية الارادة ، تشكل بمجموعها هدف المسيرة للجماعة البشرية الصالحة . وكلما اقتربت خطوة نحو هـذا الهدف وحققت شيئـا منه انفتحت أمـامها آفـاق أوسع ،

---

(١) المصـدر السابق: ص ١٩١ . وايضـا: أبو جعفـر محمد بن عـلي بن الحسين بن بـابويـه القمي ـ المعـروف بالصـدوق : **الخصال** ـ بـيروت ـ دار التعارف ـ ١٣٨٩ هـ ـ جـ ١ ـ ص ١٠٢ ـ المتوفى سنة ٣٨١ هـ .

وازدادت عزيمة لمواصلة الطريق ، لأن الانسان المحدود لايمكن أن يصل الى الله المطلق ، ولكنه كلما توغل في الطريق إليه اهتدى إلى جديد وامتد به السبيل سعيا نحو المزيد .

ومن هنا نلاحظ ان انسان الدولة الاسلامية الذي انطلق في مطلع تاريخ هذه الأمة لكي يصنع التاريخ من جديد لم تنطفيء الشعلة في نفسه طيلة المدة التي كان الله تعالى هدفه الحقيقي فيها ، بل كان يستمد من العدل المطلق الذي يمثله هذا الهدف العظيم وقود معركته التي لا تنتهي ، وتحركه لبناء مجتمع عادل لا يخمد ضد ظلم الظالمين وجبروت الطغاة وتحرير المظلومين ، وهذا يعني أن العدل المطلق لا ينفد وان الهدف المطلق يظل دائما قادرا على التحريك والعطاء [١] .

والتركيب العقائدي للتربية الاسلامية عند الشيعة ، يقوم على أساس الايمان بالله وصفاته ، ويجعل من الله هدفا للمسيرة وغاية للتحرك الحضاري الصالح على الأرض ، ومن ثم فهو يمد الحركة الحضارية للانسان بوقود لا ينفد .

« وتاريخ الاسلام في تجربته الفريدة أكبر شاهد على ذلك ، فقد استطاع الاسلام بما أعاده للانسان من حرية وكرامة أن يهيء المناخ المناسب للنمو والابداع لكل انسان بقطع النظر عن عرقه ونسبه ومركزه وحاله ، واستطاع عدد كبير ممن كانوا عبيدا أو اشباه العبيد في مجتمعات الجاهلية أن يكونوا من قادة البشرية الأكفاء ونوابغها المبدعين في مختلف مجالات الحياة الفكرية والسياسية والعسكرية وذلك لأن النمو الصالح للفرد في الدولة الاسلامية لا يحدده أي اعتبار سوى قدرات الفرد وقابلياته الخاصة » [٢] .

وقد استهدف الاسلام قبل كل شيء ربط الانسان بربه ومعاده ، فمن الناحية الأولى ربط الانسان بالآله الواحد الحق ، الذي تشير إليه

---

(١) محمد باقر الصدر : **منابع القدرة في الدولة الاسلامية** ـ مجلة صوت الامة ـ العدد الرابع ـ السنة الأولى ـ رجب ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م وزارة الارشاد في جمهورية ايران الاسلامية ـ ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢١.

الفطرة وأكد وحدانية الله وشدد على ذلك لكي يقضي على كل ألوان التأله المصطنع حتى جعل كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » شعاره الرئيسي [١] .
وعلى هذا الأساس يستطيع الانسان أن يجزم بأن هذه العبودية لله هي أساس التحرر الانساني ، لأن العبودية والتجرد لله ، لو صدقت ، فسوف تحرر الانسان من كل حاجة من حاجات الدنيا [٢]

ولما كانت النبوة هي الوسيط الوحيد المباشر بين الخلق والخالق فشهادة هذه النبوة بوحدة الذات الالهية وارتباطها بالاله الواحد الحق تعتبر أساسا كافيا لاثبات التوحيد . ومن الناحية الثانية ربط الانسان بالمعاد لكي تكتمل بذلك الصيغة الوحيدة القادرة على علاج التناقض والتي تحقق العدل الالهي في نفس الوقت [٣] .

فالإيمان بالله سبحانه ، والاقرار بوحدانيته ، والاعتراف باطلاعه على أعمال العباد ، وخوف المؤمن من جزاء الله العادل ، هو الحجر الأساسي في التربية الاسلامية [٤] . « فالذي لا يؤمن بالحياة الآخرة ، ينظر إلى المجتمع أو النظام الذي يحقق له سعادة الحياة الدنيا ، أما الفرد المسلم المؤمن بالاسلام والملتزم بالعقيدة الاسلامية ويرغب في الممارسة الاسلامية يحلم بالمجتمع الذي يمكنه من الممارسة ، ومن الدعوة أو التوجيه لتحقيقها للآخرين وبالتالي ايجاد المجتمع الملتزم وليس الفرد الملتزم » [٥] . ولهذا استطاعت دعوة الاسلام القائمة على التوحيد أن تؤثر في نفس الانسان وتغير من شكل الحياة [٦] .

---

(١) محمد باقر الصدر: **موجز في أصول الدين** ـ مطابع صوت الخليج ـ بدون تاريخ ـ ص ٧٣ .

(٢) عبد الغني عبود : **في التربية الاسلامية** ـ ط ١ ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٧ ـ ص ٥٨ .

(٣) محمد باقر الصدر : **موجز في أصول الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ .

(٤) أحمد فؤاد الاهواني : **التربية في الاسلام** ـ القاهرة دار المعارف ـ بدون تاريخ ـ ص ١٢.

(٥) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨١ .

(٦) أحمد بهجت : **الله في العقيدة الاسلامية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ المختار الاسلامي ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ١٥٨ .

وأما حينما تتخذ الدنيا طريقـا للآخـرة . اي أداة ينمي الانسان في إطار خبراتها وجوده الحقيقي وعلاقته بالله وسعيه المستمـر نحو المطلق في عمليـة البناء والابـداع والتجديـد ، فان الـدنيا تتحـول في هـذه النظـرة العظيمة من كونهـا مسرحا للتنـافس والتكالب عـلى المال الى مسرح للبنـاء الصالح والابداع المستمر . هذا التركيب العقـائدي الـذي تملكه التـربية الاسلامية ممثلا في تعاليم القرآن الكريم والسنة النبويةوأقوال وارشادات أئمـة أهل البيت وعلمـائهم التي تحدد المعـالم العامـة لأخلاقيـاته [١] ، حسب النظرة الشيعية .

وتقوم المدلـولات التربـوية في التـركيب العقائـدي للانسـان بأدوار عظيمـة في تنمية كـل الطاقـات الخيرة لـدى الانسان وتـوظيفها لخـدمـة الانسـان . ان أي بناء حضـاري جديـد لمجتمعات التخلف هـذه اذا كان يستهدف وضع اطر سليمة لتنمية الأمة وتعبئة طاقاتها وتحريك امكاناتها للمعركة ضد التخلف ، فلابـد لهذا البنـاء عند اختيـار الاطار السليم أن يدخل في الحساب مشاعر الأمة ونفسيتها وتركيبها العقائدي والتاريخي . ولهـذا فنحن حين نـريد أن نختـار منهجـا أو اطـارا عـامـا لبنـاء الأمـة واستئصـال جذور التخلف منهـا . يجب أن نأخـذ هذه الحقيقـة أساسـا ونفتش في ضوئها عن مركب حضاري قادر على تحريك الامة وتعبئة قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف [٢] . ولن تستطيع أي تربية أن تقدم هـذا المركب الحضاري لانسان العالم الاسلامي سوى التربية الاسلامية التي تتخـذ من الاسلام أسـاسا لعمليـة البنـاء واطـارا لنظـامهـا التـربـوي والاجتماعي .

إننا نلاحظ أن الاتجاه الموجود في التربية هو محاولة رسم الخطـوط العـامة لـلاسلام في ذهنيـة الانسـان المسلم نحـو المفـاهيم الـواسعـة ، والأهـداف الكبرى للعقيـدة كطريق من طـرق تركيـز العقيـدة في حيـاتـه وايضاح المفاهيم في فكره ، ولكن هناك نقصا في هذا الاتجاه ، وهو فقدانه لعنصر التدريب على ممارسة هذه المفاهيم في مجـالها التطبيقي ، واغفـاله

---

(١) انظر محمد باقر الصدر : **منابع القدرة في الدولة الاسلامية** ـ مرجع سـابق ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٣ .

تحديد الوسيلة في الاتجاه نحو الغاية للتنفيذ ـ بين الطرق المتعددة والمعالم المختلفة ، فالممارسة العملية لكل ما تمثله هذه المفاهيم ـ في المجال التربوي ـ سبيلا للحصول على الشخصية القوية التي لا تنحرف ازاء الاغراء ، ولا تضعف امام التحديات ، وتجابه الحياة بقوة رائدة ، وبروح تؤمن بأن طريق القرب الى الله يمر بالاقبال على خدمة الناس وبناء الحياة العملية على أسس سليمة ثابتة لا يتوقف عند العزلة الحالمة التي تجتر أشواقها وآمالها في الجنة [١] .

« إن الايمان بالله ـــ يضع يدنا على معرفة المصدر الأول الذي صدر عنه الكون.. والايمان باليوم الآخر.. يحقق المعرفة بمصير الوجود ويضع يدنا على النهاية التي ينتهي اليها الكون » [٢] . وتطبيق مبادىء العقيدة هو جزء مكمل لظاهرة الانتماء الصحيح ، اذ لايمكن فصل الاسلام أو المسلم عن الايمان والعمل ، لأن أي فصل هو انحراف عن واقع الاسلام . ولهذا كانت التربية العقيدية « خطوة أخرى خطاها الدين في تربية الإنسان ، كانت أروع الخطوات ، وهي « التوحيد » . لقد مضى يحطم بالتوحيد كل حاجز بين الانسان وبارئه » [٣] وعلى هذا فالمتعلم بشر أهم ما فيه عقيدته الدينية وسلوكه الخلقي ، ومن هنا يجب أن توضع العقيدة والسلوك في المحل الأول [٤] ، في التربية الاسلامية .

ولكن الايمان كغريزة لا يكفي ضمانا لتحقيق الارتباط بالله سبحانه بصيغته الصالحة ، لأن ذلك يرتبط في الحقيقة بطريقة اشباع هذه الغريزة وأسلوب الاستفادة منها ، كما هي الحال في كل غريزة أخرى ، فإن التصرف السليم في اشباعها على نحو مواز لسائر الغرائز والميول الأخرى ومنسجم معها هو الذي يحقق المصلحة النهائية للانسان . كما أن السلوك وفقا لغريزة أو ضدها هو الذي ينمي تلك الغريزة ويعمقها أو يضمرها

---

(١) محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الاسلام** ـ ط ٢ ـ بيروت ، دار التعارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٥٥ .

(٢) أحمد بهجت : **الله في العقيدة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٣ .

(٣) سعيد اسماعيل علي : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراسات في فلسفة التربية ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٨١ ـ ص ٨٢ .

(٤) حسان محمد حسان : **فلسفة التربية** ـ المصدر السابق ـ ص ٤٧ .

ويخنقها ، فبذور الرحمة والشفقة تموت في نفس الانسان من خلال سلوك سلبي ، وتنمو في نفسه من خلال التعاطف العملي المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء ، ومن هنا كان لابد للايمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والانشداد الى المطلق ، من توجيه يحدد طريقة اشباع هذا الشعور ، ومن سلوك عملي يعمقه ويرسخه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصلية في الانسان . وبدون توجيه قد ينقلب هذا الشعور ويمنى بألوان الانحراف، كما وقع ذلك بالنسبة إلى الشعور الديني غير الموجه في أكثر مراحل التاريخ . وبدون سلوك موجه ومعمق ، قد يزول هذا الشعور ولا يعود الارتباط حقيقة فاعلة في حياة الانسان وقادرة على تفجير طاقاته وامكاناته الصالحة[١] .

« والدين الذي طرح شعار (لا إله إلا الله) ودمج فيه بين الرفض والاثبات معا هو الموجه والعبادات هي التي تقوم بدور التعميق لذلك الشعور ، لأنها تعبير عملي وتطبيقي لغريزة الايمان ، وبها تنمو هذه الغريزة وتترسخ في حياة الانسان .

وقد نجحت هذه العبادات في المجال التطبيقي في تربية أجيال من المؤمنين ، على يد النبي (ص) والقادة الأبرار من بعده ، الذين جسدت صلاتهم في نفوسهم رفض كل قوى الشر وهوانها ...»[٢] .

« والعبادات تقوم بدور كبير في هذه التربية الضرورية ، لأنها .. أعمال يقوم بها الانسان من أجل الله سبحانه وتعالى ... فالعمل في سبيل الله ومن أجل الله هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعا ، وتدريب نفسي وروحي مستمر على ذلك ... ولهذا اهتم الاسلام بالتربية على القصد الموضوعي وربط بين قيمة العمل ودوافعه »[٣] . « ومن هنا جاءت الشريعة ووزعت العبادات على مختلف حقول الحياة وحثت على الممارسة العبادية »[٤]

---

(١) محمد باقر الصدر : **موجز في أصول الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩١ ، ٩٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٠٠ .

مشكلة البحث :

تتحدد أبعاد المشكلة وتتبلور معالمها بالسؤال التالي :
إذا كان للشيعة الامامية اتجاههم الفكري ، الذي يتمثل في الأركان الخمسة (التوحيد ـ النبوة ـ العدل ـ الامامة ـ المعاد) فإلى أي حد نجحوا ايضا في ابراز معالم تربوية تتفق وهذا الاتجاه الفكري ؟. ويترتب على ذلك طرح تساؤلات فرعية مثل :

١ ـ ما المؤثرات التي لعبت دورا فعالا على ما ساقوه من آراء تربوية واجتهادات فلسفية ؟.
٢ ـ ما المعالم العامة للاتجاه المذهبي لدى الشيعة الامامية ؟
٣ ـ ما موقف الشيعة الامامية من بعض قضايا التربية والتعليم ؟
٤ ـ الى أي حد استطاعت آراؤهم أن تجد سبلا للتطبيق في الواقع التعليمي الاسلامي؟
٥ ـ إلى أي حد أثرت آراء الشيعة الامامية في الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية ؟ وما موقف مفكري الاسلام من هذه الآراء ؟.

أهمية البحث :

تشكل المساحة الزمنية التي يشغلها المفكرون على خريطة التاريخ مقدار ما يحتلونه من أهمية ، وكذلك مدى التأثير على مجرى الاحداث وحركة التاريخ. والدارس لتطور المجتمع الاسلامي يستطيع أن يستنبط تلك الحقيقة القائلة بأن الشيعة الامامية قد تواجدوا طوال التاريخ الاسلامي وفي كثير من المجتمعات . بل أسسوا دولا كبرى أبرزها دولة الفاطميين في مصر مما يظهر لنا ضرورة دراسة الأسس الفكرية التي قاموا عليها والآراء والجهود التربوية التي صدرت عنهم .

حدود البحث :

يتناول هذا البحث ما يلي :
١ ـ الحد الزمني :

أما من حيث الزمن فيكون البحث مقتصرا على الفترة مابين ظهور الشيعة الامامية حتى أواخر القرن الخامس الهجري .

٢ ـ الحد الموضوعي :

أما من حيث الموضوع فيشمل الآراء الفلسفية والتربوية عند الشيعة الامامية وخاصة من خلال أقوال وأفعال أئمتهم دون أن نتناول وجهة النظر الأخرى التي لا ترى ما يرون ولا تتجه وجهتهم لأن ذلك يخرج البحث عن نطاقه ، كما أنه يحتاج إلى بحث آخر مستقل ، وبطبيعة الحال ، فان ما يراه فريق لا يلزم من لا يسير على نفس طريقه .

منهج البحث :

يتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي باعتباره المنهج الذي يرجع إليه في تحليل ظروف العصر ، كما يبرز الاتجاهات السياسية والاجتماعية والثقافية والخلقية للمجتمع الاسلامي في ذلك العصر ومدى تأثيرها على الفكر الشيعي الامامي .

كما أن دراسة الآراء والأفكار التربوية لدى الشيعة الامامية تحتاج الى تحليل وتصنيف والخروج بتعميمات وذلك عن طريق استقراء واستنباط مما يحتم الاستعانة بالمنهج الفلسفي التحليلي .

بالاضافة الى أن الأدلة التي يعرضها الفكر الشيعي من خلال نصوص القرآن الكريم ، اعتمدت على مراجع التفسير لدى أهل السنة في ضخ المزيد من القناعة في الأجواء المنطقية لأي حوار أو مناقشة في هذا المجال . مع الاعتماد على أقوال الصحابة الذين عاصروا ظاهرة التشيع من مصادر سنية معتمدة وذلك أقوى للاقناع في مقام الاثبات ، لأن الظاهرة التي ينكرها البعض اذا توافرت لديه الأدلة المقنعة لاثباتها من طرقه كانت نصا يجب الأخذ بها والتسليم بمدلولها .

وهناك وجهان لاثبات ظاهرة التشيع ، أحدهما يشير الى واقع وجودية الظاهرة التي يكون الباحث بصدد بحثها في كتب أهل السنة . وهي أدلة على الواقع الحقيقي الذي تعيشه الظاهرة ، والوجه الآخر هو الظاهرة كما هي من خلال مؤلفات أتباعها . وعلى سبيل المثال : أدلة

العقائد التي يتمسك بها الشيعة في كتب أهل السنة ومؤشراتها من خلال مؤلفاتهم ، ثم واقع تلك العقائد في مؤلفات الشيعة أنفسهم . ان الأدلة الظاهرة في كتب أهل السنة هي لمحات ومنافذ وأدلة لأصول العقيدة واثباتها واثبات صحة متابعة تلك الأصول .

إن تأصيل ودراسة نشأة التشيع في الاسلام بين كل من الصياغات النصية للسنة النبوية ، وشرح القرآن الكريم وتفسيره ، وروايات التاريخ وما يكتنفها من مشاكل ومهمات يستوجب تسليط الأضواء عليها في محاولة لتحقيق واثبات هذه الظاهرة ، واثباتها لابد أن يؤخذ من مصادر سنية لتكون أدل على اثبات هذه الظاهرة من المصادر الشيعية . ولهذا يكون الغرض في تحديد مهمة الاستيعاب وعملية بناء الاطار الفكري السليم لمهمة التأصيل قائمة على المنهج العلمي السليم . وبالتالي يكون المنطق العلمي أحد عناصر دراسة هذه الظاهرة من جوانبها المختلفة . ويكون الدافع هو التوجه السليم لتحقيق مباديء الالتزام المترابطة لهذا البحث . وهي محاولة البلوغ الى الواقع من أيسر طرقه وأسلمها . وهي لا تتضح عادة الا بعد عرض مختلف وجهات النظر فيها وتقييمها على أساس موضوعي [١] .

إن التنكر لكثير من النصوص التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية من بعض الباحثين ، ومحاولة توهينها ، أدى إلى ذهاب الكثير من الحقائق ومخالفة الشريعة الاسلامية بعد وفاة النبي (ص) . كما كان للحكام الأمويين والعباسيين بعد ذلك آثار في طمس معالم التاريخ ، والفكر الاسلامي الصحيح ، وذلك بسبب موقفهم من العلويين والشيعة ، وموقف العلويين والشيعة منهم ـ كذلك احساسهم وتخوفهم من هذا الواقع ، واختلاف المسلمين بعضهم مع بعض وفي جوانب من نصوص الشريعة بالذات ، والتي تتمثل في السنة النبوية وشرح القرآن وتفسيره وروايات التاريخ هو دليل على ظهور الممارسات الخاطئة حينذاك [٢] .

---

(١) انظر حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ وأيضا : شرف الدين : **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ وأيضا : القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق . وغيرها من المصادر الشيعية التي تثبت ظاهرة التشيع ، حيث استدلوا على ثبوتها من مصادر سنية .

(٢) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية ـ مرجع سابق** ـ ص ٥٨ .

« إن كبار العلماء يتصفون دائما بالاخلاص العقلي ، وهم يتبعون الحقيقة حيثما تقودهم . انهم لا يكفون أبدا عن محاولة استبدال رغباتهم الخاصة بالحقائق ، كما أنهم لا يحاولون اخفاء هذه الحقائق عندما تثير لهم المتاعب . ذلك لأن على الشخص الذي يتلهف على تأمل الحقيقة أن يوطد دعائم السلام في قرارة نفسه » [١] .

القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة :

من سمات الفكر الشيعي القول بالاجتهاد ، ففي نطاق الفكر التربوي الاسلامي ، وفي حدود دراستنا التربوية للفكر الشيعي ، لايمكن التخلي عن فكرة أهمية المجتهد ومسئوليته في بناء وتوجيه المجتمع في سعيه للعمل والمعرفة.

إن الحكمة من وجوب الاقتداء بالمجتهد الحي دون الميت ، هي لغرض مطابقة الفتاوىٰ والحلول ظروف العصر والاطار العام الذي يحيط به ، والذي يمكن للمجتهد أن يدركه ويفتي على ضوئه . وبالتالي تحديد فاعلية الرأي الاجتهادي ادراكا للواقع المعاش ، ولهذا فان من خصائص كون المجتهد من الاحياء هي امكانية الرجوع اليه في أية مسألة من المسائل التي تتعلق بالمكلف وتنظيم سلوكياته الدينية والدنيوية ، والاستفسار منه عن أصولها ومصادرها ، فهو المسئول عن اسناد الاجابة الى النص ، كما أنه المسئول عن واقع البناء الاجتماعي وتربية الأفراد [٢] .

إن الهدف الذي تتوخاه حركة الاجتهاد وتتأثر به هو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة ، لأن التطبيق لايمكن أن يتحقق مالم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها ، ولكي ندرك

---

(١) الكسيس كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ـ ترجمة شفيق أسعد فريد ـ بيروت ـ مؤسسة المعارف ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٦١ .

(٢) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٤ ، ١٩٥ . وأيضا محمد تقي الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٦٣ ـ ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

أبعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين لتطبيق النظرية الاسلامية للحياة . أحدهما تطبيق نظرية الاجتهاد في المجال الفردي وبالقدر الذي يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته ، والأخرى تطبيق النظرية في المجال الاجتماعي واقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وحركة الاجتهاد من حيث المبدأ ومن الناحية النظرية تستهدف كلا مجالي التطبيق ، لأنها سواء في حساب العقيدة . فالمجتهد خلال عملية الاستنباط للحكم الشرعي يتمثل في ذهنه صورة الفرد المسلم الذي يريد أن يطبق النظرية الاسلامية للحياة على سلوكه ، وفي هذا المجال ، فان المجتهد لا يتمثل صورة المجتمع الذي يحاول أن ينشيء حياته وعلاقاته على أساس الاسلام . لأن التخصيص في الهدف في مجاله الفردي الذي مر به الاجتهاد في عصوره الأولى ـ له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية ـ فان حركة الاجتهاد عند الشيعة قاست منذ ولدت تقريبا عزلا سياسيا عن المجالات الاجتماعية للفقه الاسلامي نتيجة لارتباط الحكم في العصور الاسلامية المختلفة وفي أكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند السنة ، وهذا العزل السياسي أدى تدريجيا إلى تقليص نطاق الهدف وقصره على الهدف الفردي الذي تعمل حركة الاجتهاد عند الشيعة لحسابه [١] .

وقد كان من نتائج ترسخ النظرة الفردية قيام اتجاه عام في الفقه الشيعي يحاول دائما حل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تبرير الدافع وتطبيق الشريعة عليه بشكل من الأشكال . فنظام الصيرفة القائم على أساس الربا مثلا بوصفه جزءا من الدافع الاجتماعي في المعاش يجعل الفقيه يحس بأن الفرد المسلم يعاني مشكلة تحديد موقفه من التعامل مع مصارف الربا ، ويتجه البحث عنده لحل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تقديم مشروع للواقع المعاش بدلا من الاحساس بأن نظام الصيرفة الربوي يعتبر مشكلة في حياة الجماعة ككل [٢] .

---

(١) محمد باقر الصدر : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ، بيروت ـ دار التعارف ـ المجلد الأول ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ـ جـ ٣ ـ ص ٣٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٣ .

إن الانكماش الموضوعي يزول والامتداد العمودي الذي يعبر عن الدراسة العالية من الدقة التي وصل إليها الفكر العلمي سيتحول في سيره إلى الامتداد الأفقي ليستوعب كل مجالات الحياة ، وسوف يتحول الاتجاه نحو تبرير التعامل مع الواقع الفاسد ، إلى اتجاه جهادي نحو تغيير الواقع وتقديم البديل الفكري الكامل من وجهة نظر الاسلام ، كما يمحى في مفهوم حركة الاجتهاد أي تصور ضيق للشريعة ويزول من الذهنية الفقهية وتزول كل آثاره وانعكاساته على البحث الفقهي والأصولي . وهذا الهدف الاجتماعي للاجتهاد يستهدف تقديم الاسلام ككل ، ويعتبر رسالته هو توعية الأمة على ضرورة تطبيقه في كل مجالات الحياة [١] .

إن ما يسير المجتهد في عملية الأداء والعطاء بسخاء هو الاستعداد للأداء والعطاء ، وليس ما يضعه الآخرون من قواعد وأصول . ولهذا فالمذهب ينمو بثلاثة عوامل كما ذكرها أبو زهرة :

أولها : أن يكون باب الاجتهاد مفتوحا ، فان ذلك يفتح باب الدراسة لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وعلاجها من الشريعة بما يناسبها من غير تجاوز لحد النصوص .. واننا نعتقد أن المذهب الجعفري ـ أي الشيعي ـ من الناحية الفقهية قد فتح فيه هذا الباب للدراسة ، وهو بهذا صالح للنمو المستمر الذي لا يتخلف مادام المجتهدون فيه ملتزمين الجادة والطريقة المستقيمة واتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ثانيهما : من عوامل النمو صلاحيته لعلاج المشاكل المختلفة بالموروث من الفقه والبناء عليه ، وهي كثرة الأقوال في المذهب واتساع الصدر للاختلاف مادام كل مجتهد يلتزم المنهاج المسنون ، ويطلب الغاية التي يتغياها ممن يريد محض الشرع الاسلامي خالصا غير مشوب بأي شائبة من هوى . وان الأقوال في المذهب الجعفري كثيرة ، وقد رويت فيه روايات كثيرة ، وقد وضعوا نظما للتعارض ولم يهدموا رواية برواية ، بل أن الطوسي شيخ الطائفة في القرن الخامس الهجري يقرر أنه اذا لم يمكن

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٤ .

الجمع بين خبرين ، وكلا الخبرين روى برواة ثقات يكون في المذهب قولان ، يجوز العمل بأي واحد منهما ـ وان كثرة الأقوال بلا ريب من شأنها أن تجعل تطبيق المذهب مرنا .

ثالثهما ـ تفرق الأقاليم التي انتشر فيها المذهب وتباين عاداتهم، وتفكيرهم وبيئاتهم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، فإن المذهب اذا تعددت الطبائع التي يعالجها استفاد اتساعا ونموا ما دام لا يخرج عن الأصل المرسوم والغاية المنشودة .. وان المذهب الجعفري قد انتشر في أقاليم مختلفة الألوان من الصين إلى بحر الظلمات حيث أوربا وما حولها ... فإنه .. عالج مشاكل كل هذا العدد .

وأضاف أبو زهرة عاملا رابعا من عوامل نمو المذهب الشيعي هو كثرة العلماء الذين يتصدون للبحث والدراسة وعلاج المشاكل المختلفة ، وقد أتى الله ذلك المذهب من هؤلاء عددا وفيرا ، عكفوا على دراسته وعلاج المشاكل على مقتضاه[1] .

هذا ما قرره أبو زهرة من نمو المذهب الشيعي نتيجة فتحهم لباب الاجتهاد «ومهما يكن من قول بمنع الاجتهاد فمن الحق أن نعلم أن عمل السياسة فيه كان أقوى وأفعل من عمل الدين وبواعث العقيدة أو الشريعة ، وهذه مسألة لها خطرها في هذا البحث عن فريضة التفكير في الاسلام »[2] . يقول الدكتور سعيد اسماعيل علي : « فعوامل التفكك كانت قد بدأت تظهر آثارها في الدولة ، وأساليب الاستبداد والاستغلال بدأت تشيع شيوعا واضحا ، ولأجل أن يبرر الحكام أساليبهم استطاعوا أن يشتروا بعض الفقهاء ليبرروا ما يفعلون ، فذهب هؤلاء إلى أن عهد الاجتهاد والرأي قد ولى ، وما على الانسان إلا أن يقلب في صفحات ما كتبه السابقون ، بل انهم انتهوا إلى نتيجة تخالف قواعد المنهج وروح الاسلام ، اذ كان اعتمادهم على آراء فقهاء سابقين أكثر من اعتمادهم على

---

(١) محمد أبو زهرة: الامام الصادق ـ **حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ القاهرة دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ ـ ص.ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ ،

(٢) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٩٤ .

القرآن والسنة [1] . والظاهر أن السياسة في ذلك العصر كانت تخشى من العلماء ذوي الأصالة في الرأي والاستقامة في السلوك ، وهم لا يهادنون على ظلم ولا يصبرون على مفارقة ، ولهذا أرادت قطع الطريق على تكوين أمثالهم باماتة الحركة الفكرية من أساسها ، وذلك بسدها لأهم منبع من منابعها الأصيلة وهو الاجتهاد [2] .

يقول شرف الدين : « وما الذي ارتج باب الاجتهاد في وجوه المسلمين بعد أن كان في القرون الثلاثة مفتوحا على مصراعيه ؟ لولا الخلود إلى العجز والاطمئنان الى الكسل والرضا بالحرمان ، والقناعة بالجهل ، ومن الذي يرضى لنفسه أن يكون قائلا بأن الله عز وجل لم يبعث أفضل أنبيائه ورسله بأفضل أديانه وشرائعه ولم ينزل عليه أفضل كتبه وصحفه ، بأفضل حكمه ونواميسه ، ولم يكمل له الدين ، ولم يتم عليه النعمة .. الا لينتهي الأمر في ذلك كله الى أئمة تلك المذاهب فيحتكروه لأنفسهم ، ويمنعوا من الوصول الى شيء منه عن طريق غيرهم ، كلا بل كانوا كغيرهم من أعلام العلم ورعاته ، وحاشا دعاة العلم أن يوصدوا بابه أو يصدوا عن سبيله ، وما كانوا ليعتقلوا العقول والافهام ، ولا ليسملوا أنظار الأنام ، ولا ليجعلوا على القلوب أكنة ... »[3] .

فالشيعة الامامية فتحوا باب الاجتهاد ولم يغلقوه ، بل فتحه لهم أئمتهم ومنعوهم من اغلاقه ، ولهذا يروون عنهم روايات تنهىٰ عن التقليد ، ومادام النهي عن التقليد ثابتا عندهم فإن اغلاق باب الاجتهاد ممنوع [4] . « فإذا كان الإمام الصادق ينهى عن التقليد فذلك متفق مع روح العصر ... ولذلك .. إن نسبة النهي عن التقليد إلى الإمام الصادق لا مرية فيها » كما يقول أبو زهرة [5] .

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراسات في فلسفة التربية ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ .

(٢) محمد تقي الحكيم : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤ .

(٣) عبدالحسين شرف الدين: **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤ .

(٤) محمد ابو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٩١ .

والإجتهاد هو النظر في الأدلة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها النبي (ص) وهي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والأحوال ، « **حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة** » . والأدلة الشرعية عند الشيعة هي الكتاب الكريم والسنة النبوية والاجماع والعقل . وتحصيل رتبة الاجتهاد يحتاج الى كثير من المعارف والعلوم التي لا تتهيأ الا لمن جد واجتهد وفرغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها[1] .

إذن فالمجتهد ليس العالم الذي يجهد نفسه في استنباط الحكم الشرعي ، وإنما هو من أجهد نفسه وبذل وسعه فترة زمنية طويلة بالبحث والدراسة والتمحيص ، وحصل على ملكة القدرة على استنباط الحكم وابداء الرأي في المسائل التي اجتهد في بحثها .

فطالب الاجتهاد يجب أن تتوفر فيه الشروط اللازمة المتعلقة بمجالات الاستفادة لكي تحصل له القدرة على الاستنباط منها :

أن تكون له خبرة لغوية تؤهله لأن يفهم موارد الكلمات ويؤرخ لها على أساس زمني ليتمكن من أن يضعها في مواضعها الطبيعية لها ـ ويفهمها على وفق ما كانوا يفهمون من معانيها في زمنها.

ولا يشترط فيه أن يكون مستحضرا لمعاني جميع ما ورد في الكتاب أو السنة من الألفاظ اللغوية . قال الشهيد الثاني : « ... وبالتفصيل أن يعلم من اللغة ومعاني الألفاظ العرفية ما يتوقف عليه استنباط الأحكام من الكتاب والسنة ولو بالرجوع إلى الكتب المعتمدة ويدخل في ذلك معرفة النحو والتصريف ومن الكتاب قدر ما يتعلق بالأحكام بأن يكون عالما بمواقعها ويتمكن عند الحاجة من الرجوع إليها ولو في كتب الاستدلال ، ومن السنة الاحاديث المتعلقة بالأحكام بأن يكون عنده من الأصول المصححة ما يجمعها وما يعرف موقع كل باب بحيث يتمكن من الرجوع اليها وأن يعلم أحوال الرواة في الجرح والتعديل ... وأن يكون عالما بالمطالب الأصولية من الأحكام ... وهو أهم العلوم للمجتهد ... ولابد أن

---

(١) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤ .

يكون ذلك بطريق الاستدلال على كل أصل منها لما فيها من الاختلاف .. وأن يعرف شرائط البرهان لامتناع الاستدلال بدونه ... وأن يكون له ملكة مستقيمة وقوة ادراك يقتدر بها على اقتناص الفروع من الأصل ورد الجزئيات الى قواعدها والترجيح في موضع التعارض ... »[1] .

وقد قسم الشيعة الاجتهاد من حيث الطريقة أو الحجية بالذاتية والجعل الشرعي الى قسمين :

١ ـ **الاجتهاد العقلي** : ويراد به ، ما كانت الطريقة أو الحجية الثابتة لمصادره عقلية محضة غير قابلة لجعل الشارع ، وينتظم في هذا القسم كل ما أفاد العلم الوجداني بمدلوله ، كالمستقلات العقلية ، وقواعد لزوم دفع الضرر المحتمل . وشغل الذمة اليقيني يستدعي فراغا يقينيا . وقبح العقاب بلا بيان وغيرها . ويتوقف الاجتهاد العقلي على خبرة بالقواعد الفلسفية والمنطقية ، خصوصا الأقيسة التي ترتكز عليها تلك القواعد بمختلف أشكالها ، لأن فيها وفي بقية قواعد المنطق ـ كما يقال ـ العصمة عن الخطأ في الفكر ، بشرط أن يتعرف عليها من منابعها السليمة في أمثال معاهد النجف الاشرف ، وهي من المعاهد الاسلامية التي عنيت بالدراسات المنطقية والفلسفية ، وادخال الاصلاحات عليها لا مما يؤخذ ويترجم عن الغرب في العصر الحديث ، لكثرة ما فيها من الخلط في المفاهيم ، وتحميلها لوازم غريبة ينشأ أكثرها من عدم فهم لقسم من المصطلحات وتحديد مداليلها بكل ما حفلت به من قيود وشروط .

٢ ـ **الاجتهاد الشرعي** : ويراد به كل ما احتاج إلى جعل أو امضاء لطريقته أو حجيته من قبل الشرع ، ويدخل ضمن هذا القسم : الاجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان والعرف والاستصحاب وغيرها من مباحث الحجج والأصول العملية مما يكشف عن الحكم الشرعي أو الوظيفة المجعولة من قبل الشارع عند عدم اكتشافه .

---

(١) جمال الدين أبو منصور الشهيد الثاني : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ طهران ـ المكتبة العلمية الاسلامية ـ ١٣٧٨ هـ ـ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، وأيضا محمد تقي الحكيم : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٨ .

أما الاجتهاد الشرعي ، فهو متوقف على الاحاطة بعدة خبرات ، وهي مختلفة باختلاف تلك الطرق المجعولة أو المضاة من قبل الشارع ، فبالنسبة إلى الطرق غير المقطوعة أسانيد أو دلالة أو هما معا لابد من الحاجة إلى عدة خبرات يتصل بعضها بتحقيق النص وصحة نسبته إلى قائله : ويتصل بكيفيات الاستفادة من النص في مجالات التماس الحكم أو الوظيفة منه بعد تصحيح نسبته [١] .

وصفوة القول ، أن مسئولية المجتهد لا تنحصر في دراسة النصوص ، واستنباط الحلول لأي حكم شرعي مستجد ، وإنما التفاعل مع أي واقع لغرض رسم صورة شاملة له ، والتحرك نحو الاطار النظري والعملي وبناء منطق معين يطابق النصوص الواردة في القرآن والسنة وتوجيه ذلك المنطق توجيها عمليا ونظريا لضمان أداء واجب المسئولية دون أي ركون أو جمود لأي واقع أو ظروف معارضة لأداء واجب الحكم بما أنزل الله سبحانه تخليا عن المسئولية سواء له أو للآخرين . بالاضافة الى أن الاجتهاد في الشريعة لا يقتصر على العبادات ، وإنما يستوجب الرجوع «أفراداً أو جماعات ، حكاما أو محكومين في نظر الشيعة » إلى العلماء المجتهدين في كل القضايا ، سياسية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، وغيرها ، لأنهم أدرى باحكامها في خطواتها العريضة ، وينبغي ألا تتعارض أية ممارسة دينية أو دنيوية مع أحكامهم [٢] .

الدراسات السابقة :

من سمات المعرفة الانسانية أنها معرفة تراكمية لا تقف عند حد فكل خطوة يخطوها باحث جديد لا تبدأ من فراغ ، وإنما تبدأ من حيث انتهى إليه جهد السابقين ، ليضيف إليها جديدا ، وبهذا يحدث النمو وتزداد المعرفة الانسانية .

---

(١) محمد تقي الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧١ ـ ٥٧٢ .
(٢) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٨ .

والدراسة الحالية لا تزعم أنها سوف تأتي بما لم تأت به الأوائل فقد سبقتها جهود وإن كانت قليلة ، ولكنها تثير الانتباه لدى الباحثين ، وهذه الجهود تمثلت في الدراسات السابقة الآتية :

١ ـ دراسة لتاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي ـ بحث قدم للحصول على درجة دكتوراه في الفلسفة اعداد عبدالله فياض ـ الجامعة الأمريكية ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .

تحديد المشكلة : حاول هذا البحث أن يدرس تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة في الفترة الواقعة بين عهدي الصادق ت ١٤٨ ـ والطوسي ت ٤٦٠ هـ وتعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها للتربية عند الشيعة الامامية بحسب المنهج التاريخي العلمي ـ كما يراه صاحب الدراسة ـ ومن هنا يمكن تحديد مشكلة البحث : بأن الامامية قديمون في التاريخ الاسلامي ، ولهم علماء وأئمة قاموا بنشر العلم والثقافة بين شيعتهم ، وكان لهم طرائقهم ومناهجهم في ذلك ، وعلى هذا لابد أن خلفوا تراثا تربويا ، بالاضافة الى عدم وجود من تصدى للبحث عن التربية وقضاياها عندهم . ومن هنا حاول هذا البحث أن يتناول النظام التربوي عند الامامية .

منهج البحث : استعانت هذه الدراسة بالمنهج التاريخي ، وذلك لما يقتضيه البحث من حيث الفترة التي تناولتها . وكان من الطبيعي أيضا أن تستعين بالمنهج الفلسفي التحليلي عند تتبعها للآراء والقضايا التربوية لتستنبط منها بعض التعميمات وتطبيقها في مجال التربية .

خطوات الدراسة : سارت الدراسة وفق الخطوات التالية :

الفصل الأول : خصص هذا الفصل للبحث عن العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية وأسلافهم من الشيعة . أهمها ، اعتقاد الامامية بأن أئمتهم محيطون بالعلوم الالهية ، وأن النبي كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، فنتج من ذلك أن ما أخذ عنهم كان بمثابة ما أخذ عن النبي .

الفصل الثاني : تناول هذا الفصل أمكنة التعليم عند الامامية . وكانت المساجد ، بما فيها تلك التي احتوت على ترب الأئمة ، ومنازل العلماء أهم تلك الأمكنة .

الفصل الثالث : خصص هذا الفصل للبحث عن كل ما يتعلق بالمعلمين . وأوكل التعليم الأولي للمعلم ، كما تناول معلمي العلوم ، وعلى رأسهم الإمام المعصوم والشيخ والمدرس ، كما عالج هذا الفصل دور كل هؤلاء في التعليم .

الفصل الرابع : تناول هذا الفصل حياة الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم ومراكزهم الاجتماعية .

الفصل الخامس : خصص هذا الفصل للبحث في أساليب التعليم ومناهجه .

الفصل السادس : يبحث هذا الفصل في تمويل التعليم :
وللرسالة ملحقان : أحدهما عن المشاهد الشريفةعند الامامية ، بينما تناول الثاني نبذا عن حياة الأئمة المعصومين .

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث إلى بعض النتائج ، أهمها : أن النظام التربوي عند الامامية فرع من نظام تربوي اسلامي عام ، ولكن له ميزاته التي تميزه عن غيره من فروع التربية الاسلامية الأخرى . فالامامية رغم اعتقادهم أن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وأن السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون أن غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما . ونتج عن هذا الاختلاف في الاعتقاد بين الامامية ، وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن . فالرحلة في طلب العلم ، خاصة في عصر الأئمة ، اتخذت عند الامامية طابعا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهي عندهم تحقق غرضا دينيا اماميا في طابعه ، بالاضافة الى الغرض العلمي . فالطالب الامامي يرحل للقاء الامام ليأخذ الحديث من مصدره الذي لاشك في قوله .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

لاشك أن الجهد الذي قام به الباحث في الكشف عن آراء الشيعة في التربية قد أعان البحث الحالي في الوقوف على بعض تلك القضايا التربوية . إلا أن وجه الاختلاف بين الدراستين ، يكشف على أن الدراسة السابقة اقتصرت على الفترة الواقعة بين عهدي الصادق والطوسي ، مقتصرا على قضايا تربوية وطرق تعليمية تجعل من استقراء الواقع التعليمي هدفا أساسيا ، أما الدراسة الحالية فتعتمد على الفكر التربوي عند الشيعة من حيث فلسفتهم التربوية وآراؤهم في التربية والتعليم من حين نشأتهم حتى أواخر القرن الخامس الهجري وبهذا فإن دراستنا ذات طابع فكري فلسفي . كما تناولت الدراسة الحالية لأهم المراكز العلمية عندهم ومدى أثرهم في الفكر والثقافة الاسلامية . ولهذا فالمحتوى لهذه الدراسة الحالية يختلف عن محتوى الدراسة السابقة ، وإن التقيا في بعض الجوانب الجزئية .

٢ ـ دراسة الشيخ الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن ـ ٣٨٥هـ ٤٦٠ هـ ـ بحث قدم للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد ـ ١٩٧٤ . اعداد حسن عيسى الحكيم .

تحديد المشكلة : حاول البحث صياغة المشكلة على ضوء الحركة العلمية التي عاشها الشيخ الطوسي . وقد جاءت هذه المحاولة على صورة تقرير وهي : أن تاريخ الشخصيات العلمية هو في الواقع جانب مهم من تاريخ الأمة ، ودراسة أحوالهم وأفكارهم تصوير لروح عصرهم وانعكاس للحياة السياسية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في زمانهم . ومن هنا كان اختيار هذه الدراسة لابراز جانب مهم من تاريخنا الاسلامي الذي كان للشيخ الطوسي فضل الاسهام به طيلة حياته العلمية ، فقد تميز بعقلية وافرة ، وذهنية واسعة ، وتمثل لمختلف فروع المعرفة الاسلامية في زمنه . ولهذا حاول البحث دراسة هذه الشخصية ومدى أثرها على الفكر الاسلامي .

أهميته : كان القرن الخامس الهجري ، عصر انهيار سياسي بالنسبة إلى بغداد ، عاصمة الخلافة العباسية ، ولكنه كان في الوقت ذاته

عصر نضج فكري ، احتضنت فيه هذه المدينة نخبة صالحة من كبار المفكرين ، وشيوخ المحدثين ، وأماثل العلماء والمتكلمين ، وكان الشيخ الطوسي أحد الأفذاذ الذين ظهروا في ذلك القرن غير أن المكتبة العربية لاتزال في حاجة ماسة إلى دراسات مركزة عنهم ، تتمثل بهم ، أصالة تراثنا الفكري .

منهج البحث : استعان البحث بالمنهج التاريخي .

خطوات الدراسة : تنتظم هذه الدراسة في ستة فصول :

الفصل الأول : تناول هذا الفصل عصر الشيخ الطوسي ، وهو عصر مهم في تاريخ العراق السياسي والفكري ، تعاقب فيه على الحكم البويهيون والسلاجقة ، في ظل الخلافة العباسية ، وبحكم ما كان بينهما من تباين بارز في الثقافة والعقيدة فقد كان الصراع المذهبي سمة ذلك العصر ، مما خلف في حياة الأمة ومرافق الدولة آثارا واضحة .

الفصل الثاني : تناول هذا الفصل حياة الشيخ الطوسي العلمية في بغداد والنجف ، وانجازاته الفكرية ، في عهد أستاذيه : الشيخ المفيد والسيد المرتضى وفي عهد زعامته الدينية .

الفصل الثالث : يتناول هذا الفصل دراسة شيوخه وتلاميذه ، كما تعرض إلى طائفة من الاعلام الذين كانت لهم روابط علمية وفكرية بالشيخ الطوسي ، والتعريف بمدى اسهامهم الفكري ، كل في ميدان اختصاصه .

الفصل الرابع : خصص هذا الفصل لدراسة كتاب « التبيان » الذي يعتبر من امهات كتب التفسير ، وهو موسوعة شاملة لفروع المعرفة الاسلامية .

الفصل الخامس : في هذا الفصل دراسة لمصنفات الشيخ الطوسي ، توضح منهجه فيها وأصالته في الرأي ، وتعدد جوانب ثقافته .

الفصل السادس : خصص هذا الفصل لوفاته ومدفنه ، وذكر خلفه .

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج مثل :

١ ـ تميز الشيخ الطوسي عن معاصريه من قادة الفكر ، خصوصا في مجالات اختصاصه ، بالاضافة الى موسوعيته التي أتاحت له الاسهام في أكثر أبواب العلوم والمعارف الاسلامية المتداولة في عصره .

٢ ـ اعتراف الخلافة العباسية به رسميا ، وقدم اليه كرسي الكلام ليدرس عليه معارف عصره ، مما جعل مجلسه محط أنظار طلاب العلم من كافة المذاهب الاسلامية .

٣ ـ مواصلة نشاطه العلمي بعد مغادرته بغداد ، واتخاذ مدينة النجف الأشرف دار هجرته ، ومواصلة نشاطه العلمي هناك حيث أسس مدرسة علمية اسلامية ، كما يعتبر مجيئه الى النجف نقطة تحول بارزة في تاريخها العلمي ،مما جعلها محط أنظار العلماء والدارسين ، ولا تزال معالمها حية حتى الوقت الحاضر .

٤ ـ تزعم الشيخ الطوسي للحركة العلمية في زمنه .

٥ ـ أحدث الشيخ الطوسي بنشاطه العلمي الواسع ردود فعل مختلفة في الأوساط المخالفة له في الرأي والمنهج ، مما كان له نتائج طيبة في اغناء الأجواء العلمية . كما ألف في مختلف العلوم والمعارف .

الصلة بينها وبين الدراسة الحالية :

وبما أن هذه الدراسة تناولت شخصية شيعية ، إلا أن موضوعها ومحتواها يختلفان عن محتوى الدراسة الحالية وموضوعها ، ومع ذلك ، فان الدراسة السابقة لها أثرها في الفكر والثقافة الاسلامية مما لا يستغنىٰ عنها في بعض الجوانب الفكرية ، مما أفاد الباحث في ابراز شخصية الطوسي ومدرسته .

٣ ـ **دراسة لفلسفة التربية عند اخوان الصفاء** ـ دراسة للحصول على درجة الماجستير ـ اعداد نادية جمال الدين ـ كلية التربية ـ عين شمس ـ ١٩٧٣ .

تحديد المشكلة : حددت الباحثة المشكلة بالصياغة التالية : أن جماعة اخوان الصفاء التي اتجه البحث الى تحليل فكرهم التربوي والتاريخ له تعتبر في حد ذاتها مشكلة بالنسبة للباحث ، فرغم وجود نتاج فكرهم كوثائق ثابتة ومصادر أصلية بين أيدي الباحثين ، إلا أنهم لم يحددوا زمانهم ولا مكانهم ولا أشخاصهم كما أن المصادر التاريخية المتعددة لم تحمل الا القليل عنهم ، وكان أن اعتمد بعض الباحثين على هذه الوثائق والمصادر وحدها فجاءت نتائجهم مختلفة الى حد كبير بل ومتضاربة .

منهج البحث : يعالج هذا البحث مشكلاته في ضوء المنهج التاريخي .

خطوات البحث : انقسمت الدراسة الى مقدمة تمهيدية وثلاثة أبواب ، ضم كل منها عددا من الفصول ؛

الباب الأول : اخوان الصفاء في اطار مجتمعهم .
الفصل الأول : مجتمع اخوان الصفاء .
الفصل الثاني : حقيقة اخوان الصفاء .
الباب الثاني : الأسس الفلسفية للتربية عند اخوان الصفاء .
الفصل الثالث : الله والكون والانسان .
الفصل الرابع : الأخلاق والمعرفة .
الفصل الخامس : المجتمع ونواة دولة الخير .
الباب الثالث : التربية عند اخوان الصفاء .
الفصل السادس : التربية : ماهيتها ، أهدافها ، أسسها .
الفصل السابع : المنهج وطرق التدريس .
الفصل الثامن : المتعلمون والمعلمون .

نتائج البحث : وقد انتهت الباحثة الى بعض النتائج مثل :

١ ـ تحديد معالم النسق الفكري لديهم والذي يبرز فيه أساسا موقفهم من الديانات والفلسفات والآراء المختلفة ، وانتخابهم منها ما يتلائم مع اهدافهم .

٢ ـ محاولة التوفيق بين آرائهم وبين ما أتى به الدين الاسلامي في مجال المعرفة .

٣ ـ إن هدف التربية عند اخوان الصفاء ارتبط بفكرهم الفلسفي حيث جاء متسقا مع طريقتهم في المزج والتوفيق بين الدين الاسلامي الذي آمنوا به وبين الفلسفة أو العلوم الوافدة .

٤ ـ إن فكر اخوان الصفاء التربوي لايمكن تسميته « تربية اسلامية » بالصورة المقصودة من التربية الاسلامية الأصيلة بالفعل ، بل أنهم جماعة من الفلاسفة المسلمين عاشوا في القرن الرابع الهجري ، فخرجوا بتربية ذات أهداف ومنهج وطريقة ومباديء متسقة مع فكرهم الفلسفي التوفيقي نتيجة تأثرهم بثقافة عصرهم المتدفقة بلا حدود أو قيود . وعلى هذا فهم لا يمثلون ـ من وجهة نظر البحث ـ التربية الاسلامية بقدر ما يمثلون نموذجا من نماذج الفكر التربوي لدى جماعة من الفلاسفة المسلمين .

٥ ـ كما توصل البحث الى بعض المباديء التربوية التي تبين معالم فلسفتهم التربوية ، مثل : طلب العلم فريضة ، تعليم العلم فريضة أيضا ، طلب العلم مستمر حتى سن الخمسين، أهمية الميول وأثرها في إقبال التلاميذ على تعلم علوم دون غيرها ، التعليم عندهم يبدأ من الحواس .

علاقته بالدراسة الحالية :

على الرغم من أن هذه الدراسة قد تناولت فلسفة التربية عند جماعة من الشيعة ، إلا أن الرؤية بين هذه الدراسة والدراسة الحالية مختلفة . بالاضافة الى أن الدراسة الحالية إعتمدت على آراء أئمة الشيعة وشيوخهم البارزين في تاريخ الفكر الشيعي . كما وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسة السابقة من حيث فترة الدراسة ، وأماكن التعليم ـ ومراكزه وأثرها في الفكر والثقافة الاسلامية .

٤ ـ **دراسة العقل عند الشيعة** ـ دراسة للحصول على درجة دكتوراه في أصول التشريع الاسلامي ـ اعداد رشدي محمد عرسان عليان ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ـ ١٩٧١ .

تحديد المشكلة : يعتبر العقل أحد مدارك الأحكام الشرعية عند علماء الشيعة بالاضافة الى الكتاب والسنة والاجماع ، وعلى هذا يمكن تحديد المشكلة بالسؤال التالي : ما أوجه الالتقاء والاختلاف بين المذاهب الاسلامية في جعلهم العقل أحد الأدلة لمعرفة الحكم الشرعي .

منهج البحث : أما منهج البحث فقد كان قائما على أساس المنهج المقارن ، إضافة الى المنهج الفلسفي التحليلي ، لأن الدراسة قائمة على استقراء آراء الأصوليين على اختلاف مدارسهم الفكرية فيه . كما اتبعت المنهج التاريخي .

خطوات الدراسة : انقسمت الدراسة الى مدخل وثلاثة مباحث .

المبحث الأول : في أدلة الأحكام عند أهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول (ص) حتى عصر أئمة الاجتهاد .

المبحث الثاني : في أدلة الأحكام الشرعية عند الشيعة الامامية في عصري النص والاجتهاد .

المبحث الثالث : في التعريف بالعقل من حيث هو ، وموقف المذاهب الاسلامية من مدركاته على سبيل الاجمال ، ثم التعريف بالعقل الذي هو دليل على الأحكام الشرعية عند الامامية .

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث إلى بعض النتائج أهمها :

١ ـ إن جمهور المجتهدين من أهل السنة والامامية اتفقوا على أن أدلة الأحكام الشرعية أربعة . ولا خلاف بينهم في ماهية الدليل الأول ولا في حجيته ـ فهو كتاب الله تعالى المنزل على الرسول الأمين (ص) .

٢ ـ في الحسن والقبح والنزاع يقع في أصلين : الأول في اتصاف الفعل بهما : أي هل للفعل من حيث هوفعل ـ مع قطع النظر عن تعلق خطاب الشارع به ـ جهات حسن أو قبح ، خير أو شر ، فضيلة أو رذيلة أو لا ؟وإنما تعلق خطاب الشارع بالفعل ، وان شئت فقل أمره ونهيه معيار حسن الفعل وقبحه ، فما تعلق به أمره ـ تعالى ـ فهو حسن ، وما تعلق به نهيه فهو قبيح . الى الثاني ذهب جمهور الأشاعرة ، وإلى الأول ذهبت الامامية والمعتزلة والزيدية والماتريدية ـ « وهو الحق » .

علاقته بالدراسة الحالية :

نستطيع أن نقول هنا ما سبق أن قلناه عن الدراسة السابقة ، وذلك لاختلاف الدراستين في المحتوى .

خطوات الدراسة :

هذا وقد سارت الدراسة وفقا للخطوات التالية :

الفصل الأول : الاطار العام للدراسة . وقد تناول : المقدمة ، نشأة التشيع ، أهمية بحث الجانب التربوي عند الشيعة ، التركيب العقائدي للتربية ، مشكلة البحث ، وأهميته ، حدوده ، منهجه ، كما تناول القول بالاجتهاد باعتباره سمة من سمات الفكر الشيعي ، الدراسات السابقة ، وأخيرا خطة البحث .

الفصل الثاني : الأصول الاجتماعية والفلسفية.
وقد تناول هذا الفصل ؛

اولا ـ الأصول الاجتماعية : وتشمل :
١ ـ الظروف التي صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعي .
العصر الاول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه .
العصر الثاني : العصر الأموي :

سياسة الأمويين تجاه الشيعة واثرها في انتشار التشيع .

العصر الثالث : العصر العباسي .

٢ ـ فرق خارجة عن التشيع :

ثانيا ـ الأصول الفلسفية : وتشمل :

الاصل الأول : التوحيد .

وحدة الذات والصفات من منظور الشيعة الامامية .

الأصل الثاني : النبوة .

حاجة الناس الى النبي .

عقيدة الشيعة في نبوة محمد (ص).

القول في عصمة الأنبياء .

الأصل الثالث : العدل :

١ ـ في حرية الارادة الانسانية او « القضاء والقدر » وموقف التربية منها .

٢ ـ في الحسن والقبح او « الخير والشر » .

الأصل الرابع : الامامة :

الأصل الخامس : المعاد .

الفصل الثالث : فلسفة التربية من منظور الشيعة . ويتضمن :

أولا : الطبيعة الانسانية .

ثانيا : **العلم والعلماء** .

ثالثا : المعرفة الانسانية .

رابعا : النزعة العقلية في الفكر التربوي عند الشيعة .

خامسا : تكافؤ الفرص في التعليم .

سادسا : التربية الخلقية .

سابعا : الأسرة ودورها في تربية الطفل .

ثامنا : التعليم المهنى .

الفصل الرابع : مناهج وطرق التعليم . ويشمل :

اولا : مناهج التعليم .

ثانيا : مراحل التعليم .

ثالثا : طرق التعليم .

رابعا : المعلمون والتلاميذ .

الحالة الاجتماعية للمعلمين .

اخذ الأجرة على التعليم .

الفصل الخامس : اهم المراكز العلمية عند الشيعة . ويتضمن :

أولا ؛ المدينة المنورة .

ثانيا : العراق .

ثالثا : بنو حمدان في حلب والموصل .

رابعا : قم والري في ايران .

خامسا : الادارسة في المغرب والاندلس .

سادسا : الدولة الفاطمية في مصر .

الفصل السادس : مؤسسات التعليم عند الشيعة : ويشمل :

١ ـ المكتب او الكتاب .

٢ ـ المسجد .

٣ ـ منازل العلماء والأمراء .

٤ ـ مجالس العلم والعلماء .

٥ ـ دور العلم .

٦ ـ دور الكتب .

٧ ـ المدارس .

الفصل السابع : أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة في العالم الاسلامي والذي يبرر كتابة هذا الفصل ، هو النتائج المترتبة على التربية عند الشيعة ولهذا يشمل هذا الفصل على العلوم التي أوجدها الشيعة في الفكر والثقافة الاسلامية .

الفصـــل الثاني

الأصول الاجتماعية والفلسفية

الأصول الاجتماعية والفلسفية :

تستلزم دراسة الفكر التربوي عند الشيعة تحليل ظروف واتجاهات العصر الذي عاشوا فيه ، وهـذا يقتضي منا الإيمـاء الى الحياة السيـاسية والاجتماعية لتكون مرجعا في الزمان يساعـد على تحـديد الآراء والأفكـار والأشخاص في سجل التاريخ والأحداث ، لأن الحياة كل لا يتجزأ في ذهن الانسان ، فهو يعيش متأثرا بالسياسة والمظاهر الاجتماعيـة ، كما يعيش متأثرا بالتيارات العقلية ، ومن جهة أخرى فإن الحياة العقلية والأدبية لا تنفصـل عن الأحوال السيـاسيـة ، فكـلا الحيـاتـين تؤثـر احـداهمـا في الأخرى .

ولمـا كانت التـربية تتـأثر بـالأوضـاع الاجتمـاعيـة والسيـاسيـة والاقتصـادية ، وبتـأثير الثقـافات المختلفـة ، فـان من الطبيعي أن تهتم بدراسة هـذه الأوضاع والمؤثـرات ، لكي تختار من بينهـا تصورا يحـدد مستقبل المجتمع الذي تعمل فيه . ومن هنا يكون دور الفلسفة تحليـل هذه الأوضاع ونقدها ،، لتكون عملية الاختيار قائمة على أسس علمية ، تستمد اصولها من طبيعـة المجتمع الـذي ينتمي اليه الفـرد . ولذا كـانت حاجـة التـربية الى الفلسفـة في تحديـد الاطار العـام الذي تعمـل فيه ، حيث ان التربية تعالج الفـرد داخل هـذا الاطار . وعـلى هذا لا بـد أن يكون عمـل التربية قائما على مفاهيم واضحة بشأن كل من الفرد والمجتمـع ، وبالقيم التي يسعى اليهـا المجتمع ، ونـوع النظام السيـاسي والاقتصادي الـذي يحقق هذه القيم ويحولها الى سلوك الأفراد(١) .

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظـور الاعتزال** ـ دراسـات فلسفية ـ تصدير ابراهيم مدكور ـ القاهرة ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٠٢ .

أولا ـ الأصول الاجتماعية :

١ ـ الظـروف التي صـاحبت التشيـع ومـوقف الشيعـة مـن التغيـير الاجتماعي :

العصر الأول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه .

العصر الثاني : العصر الأموي .

سياسة الأمويين تجاه الشيعة واثرها في انتشار التشيع .

العصر الثالث : العصر العباسي .

٢ ـ فرق خارجة عن التشيع .

١ ـ الظروف التي صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعي :

العصر الأول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه .

لعل أصعب ما يواجه الباحث المؤرخ هو أن يضع خطا حاسما يفصل بين مرحلتين تاريخيتين لمجتمع ما ، فإن تحول المجتمع من حالة الى أخرى بطيء وتدريجي ولذلك فمن العسير تعيين وحدة زمنية والقول بأنها خاتمة عهد وبداية عهد جديد .

وهذه هي الصعوبة التي نواجهها هنا حين نبغي وضع تحديد زماني دقيق للمرحلة التاريخية التي بدأت الأمة المسلمة تشهد فيها الانحراف الصريح عن مبادىء الاسلام ، ولكننا نستطيع ان نشهد هذا التحول واضحا منذ بداية النصف الثاني من عهد عثمان . ومن الطبيعي ، اذن ، أن تكون قد أعدت ومهدت سبيل الظهور لهذا التيار الجديد في المجتمع احداث وأشكال جديدة في التنظيم ـ نشأ ـ هذا التيار ـ من تفاعلها مع ذهنية الفئات التي كانت تحكم المجتمع الاسلامي أنذاك وتقوده ، مما أدت الى مساهمتها في التعجيل بظهور هذا التيار في الحياة الاسلامية . ولهذا لا بد من اكتشاف الظروف الاجتماعية والانسانية والسياسية التي مهدت لانتشار تيار التشيع . وموقف هذا التيار من التغيير الاجتماعي .

اما في عصر الخليفتين ابي بكر وعمر (رض) فان الامام عليا وشيعته لما رأوا من الخليفتين ما بذلاه من الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا ، أغضى الامام على عما يراه حقا له ، محافظة على الاسلام أن تتصدع وحدته ، وتتفرق كلمته ويعود الناس الى جاهليتهم الأولى ، وبقي شيعته منضوين تحت جناحه ، ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ مجال للظهور والانتشار ، لأن الاسلام كان يجري على منهاجه القويم[١] . ولهذا كان اسلوب الامام علي وشيعته مع الخليفتين النصح والارشاد والمشورة ، فكانا يرجعان اليه في

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **اصل الشيعة** ـ مرجع سابق ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

القضايا التي تحدث لهما ان لم يجدا لها حلا ، سارعا بالرجوع اليه واستفتائه وأخذ الرأي منه بما يتفق والشريعة الاسلامية ، فلم تكن اذن معارضة من أحد ، ما دام الاسلام يسير بصورته الطبيعية ، فاذا ما حدث اي تغيير أو تبديل أو عدم فهم للحكم الشرعي في بعض القضايا التي تتعلق بأمور الدين ، وقف الامام علي حائلا أمام هذا التغيير لئلا يتبدل حكم الله ، فترجع المسألة الى القاعدة الأساسية من الاسلام . ولهذا كان الامام مخلصا مع الخليفتين ، « ونصح لهما صادقا ، وأشار عليهما كلما احتاجا الى مشورته »[1] حتى أن الخليفتين ابا بكر وعمر وليا بعض شيعة علي على الأمصار ، علما منهما بأن هؤلاء الذين انقطعوا في ولائهم وحبهم لعلي لا يريدون سوى اصلاح الأمة . ولهذا سارت الأمور على أحسن ما يكون، ولم تحدث أي خلافات تشتت وحدة المسلمين. وفي ذلك يقول جولدتسيهر ؛ « ان الحزب المناصر لآل البيت قد شايع في عهد الخلفاء الثلاثة الأول حقوق البيت النبوي في الخلافة ، ملتزما الهدوء والسكينة ، ودون أن يدخل مع ذلك في نزاع مكشوف للدفاع عنها »[2] .

هذا وقد تغير موقف الشيعة بعد ما ولي عثمان الخلافة ، لأنه سار على سياسة لم يعهدها المسلمون من قبل ولم يألفوها في عصر من تقدمه من الخلفاء . اذ لم تكد الأيام تتقدم بخلافته حتى أخذ يغدق الهبات الضخمة على آله وذويه وغيرهم من أعيان الصحابة فوق ما كان لهم من العطاء المفروض ، فهو فيما يروي ابن سعد قد وصل الزبير بن العوام بستمائة الف دينار ووصل طلحة بمائتي الف دينار ونزل له عن دين كان عنده[3] . « .. ولو كانت هذه الهبات من أمواله الخاصة لما أثارت اعتراض أحد

---

(١) طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ عثمان ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٦ ـ ص ١٥٢ .

(٢) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٤ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ط ٢ ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ ـ ص ٣٦٥ . وأيضا ابن خلدون : **المقدمة** ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر ـ بدون تاريخ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ . وراجع سعيد اسماعيل علي : **نشأة التربية الاسلامية** ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٥ . وأيضا محمد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

ولكنهـا كانت من بيت المـال الذي يشتـرك فيـه المسلمـون جميعـا »[1] .
وحينئذ وجد الشيعة أن عثمان قـد غير مـا كان عليـه النبي (ص) . وفي هذه الحالة يتحتم عليهم بمقتضى اسلوبهم ، الحفاظ على الشريعـة من أن تمسها يد التغيير والتبديل ، ولهذا وجـدت المناخـات المناسبـة لنمو بـذرة التشيع ، وقد استمـرت هذه البـذرة في النمو كلمـا وجد المسلمـون الظلم والتغيير والتبديل من قبل الحكام والولاه ، وموقف أئمة الشيعـة من هؤلاء في ابداء النصح لهم ووقـوفهم بجانب المحـرومين والمضطهـدين ، ازدادوا تمسكا بهم ، « وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب »[2] .

لم يرض الامام علي عن عثمان ، وعارض سياسته وتصرفاته، وأكثر من نصحه دون جدوى[3] . يقول علي بن أبي طالب : « **ما يريد عثمان أن ينصحه أحد ، اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحـد إلا وقد تسبب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويذل أهلها** »[4] .

واستمـر الامام عـلي بن أبي طالب في نصحـه لعثمان وارشـاده الى طريق الإسلام ومنهجه ، فيقول له : « ... **وإن الطريق لواضح وإن أعلام الدين لقائمة ، اعلم يا عثمان إن أفضل عباد الله عند الله امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة ، فوالله إن كلا لبين ، وإن السنن لقائمة لها أعلام وإن البدع لقائمة لها أعلام وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضـل وأضل فـأمات سنـة معلومة وأحيـا بدعـة متروكة .. وإني أحـذرك الله وسطواتـه ونقماتـه فان عـذابه شـديد اليم ..**»[5].
و « ما زال علي عليه السلام من أكبـر المساعـدين لعثمان الـذابين عنـه ،

---

(١) محمد مهدي شمس الـدين : **الظروف التي صـاحبت ثورة الحسـين** ـ دائرة المعـارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢ .
(٢) علي سامي النشار : **نشاة الفكـر الفلسفي في الاسلام** ـ ط ٧ ـ القـاهرة دار المعـارف ـ ١٩٧٧ ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٢ .
(٣) عـلي ابراهيم حسن : **التـاريخ الاسـلامي العام** ـ القـاهرة ـ النهضـة المصريـة بـدون تاريخ ـ ص ٢٥٤ .
(٤) عبـده حسن الزيـات : **الثورة الشعبيـة التي سبقت خـلافـة عـلي** ـ دائـرة المعـارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٧ .
(٥) ابو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الاثير : **الكامل في التاريخ** ـ ط ٣ ـ بـيروت ـ دار الكتاب العربى ـ ١٩٨٠ ـ جـ ٣ ـ ص ٧٦ .

ومـا زال عثمان يلجـأ اليه في وضـع الناس عنـه ، فيقوم عليـه السلام في دفعهم عنـه القيام المحمـود ...» [1] . وهكذا كـان الامـام عـلي مـرجعـا يرجعون اليه في الملمات ، وظل عثمان يتعلـل بمختلف الأعذار ، لا يستقـر على رأي . وكان أحيانا يـذعن لنصائـح علي ويعـزم على اصـلاح الأمور : ومما قاله عليّ لعثمان: إن معاوية يقتطع الامور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية[2] .

وهنـا يأتي دور الشيعـة الاصلاحي لمـا أحدثـه عثمان ، فيصـوره الصحابي أبو ذر الغفاري بقوله : « **والله ، لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ، ولا سنة نبيه ، والله اني لأرىٰ حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصـادقا مكـذبا ، وأثـره بغير تقى ، ومـالا مستأثـراً به** »[3] . ولهذا رأى أبو ذر أن يعلن ما بذره رسول الله ، وذلك بالدعوة إلى التشيع والتمسك بحق أهل البيت ، الذين هم حصن الإسلام ، وأخذ يدعو الناس إلى ذلك[4] .

بدأت معارضة أبي ذر الاصلاحية أولا بالنظام الاجتماعي . حـاول بقدر المستطاع أن يغير من هذا الـوضع الـذي تفشت فيه الطبقيـة ، كان يكره أن يغنىٰ الغنى حتى يكتنز المال ، بينما لا يجد الفقير مـا ينفق . كما كان يكره أن يتصرف الامام بمال المسلمين فيقصره على الأغنياء بغير حق ، فيزدادوا غنى ، ويزداد الفقـير فقرا ، كـان يـرى أن يصرف هـذا المـال في المصالح العامة ، وهو على كل هذه المعارضة لم يكن ثائرا ولا نازعا يدا من الطاعة .. وانمـا كانت معـارضتهُ سلبيـة تكتفي بالنقـد اللاذع والنصـح العنيف . كما يقول الدكتور طه حسين [5] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي والديني** ـ مرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٧٢ .

(٢) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية التي سبقت خلافة علي** ـ مـرجع سـابق جـ ١ ـ ص ٨٧ .

(٣) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفـة الاسلاميـة** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار القلم ـ ١٩٧٣ ـ ص ٢٣ .

(٤) احمد بن أبي يعقوب بن جعفـر بن وهب الكاتب : **تـاريخ اليعقـوبي** ـ ط ٤ ـ النجف ـ المطبعـة الحيدريـة ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٩ . وانظر حسن ابـراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٠٣ .

(٥) طه حسين : الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٥ .

فأبو ذر من الذين سبقوا إلى الاسلام ، ومن الذين أحبهم النبي وأثنى عليهم ، نظر ذات يوم فاذا عثمان يغدق بعطاياه بعض الصحابة بلا حساب ، فاعطى مروان بن الحكم مالا كثيرا ، وأعطى أخاه الحارث بن الحكم ثلثمائة ألف درهم ، كما أعطى زيد بن ثابت الانصاري مائة ألف درهم ، فينكر ذلك على عثمان ، ويحذره بآيات من القرآن ، بأن الذين يكنزون هذه الأموال ، ولا ينفقونها في صلاح الامة واصلاحها فلهم عذاب اليم. نهاه عثمان عن ذلك ، فقال أبو ذر : « **أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله، لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إليَّ من أن أرضى عثمان بسخط الله**». فما كان من عثمان إلا أن أمر بنفيه إلى الشام ، وما أن استقر به المقام هناك حتى أخذ يظهر للناس ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفكك وانحراف عن التعاليم الاسلامية ، حيث جعل يقول في الشام ما كان يقوله في المدينة ، فانكر على معاوية بناء الخضراء، وقال : **إن كنت إنما بنيتها من مال المسلمين فهي الخيانة، وإن كنت إنما بنيتها من مالك فإنما هو السرف** ، واجتمع اليه الناس يسمعون منه ويؤمنون له، حتى خاف معاوية على أهل الشام من دعوة أبي ذر هذه ، فكتب يشكو منه الى عثمان . فأشخصه اليه على أغلظ مركب[1] . فلما بلغ المدينة مضى في دعوته الاصلاحية ، فقعد في مسجد رسول الله (ص) يحدث الناس بما صارت اليه الأمة داعيا إلى التمسك بأهل البيت والناس يجتمعون اليه[2] .

وكان أبو ذر يرى أن فكرة الحياة الانسانية هي الفضيلة والانسان هو الفاضل فقط . إذن فعلى الناس أن يشيعوا الفضيلة بينهم ، وأن يوفروا كل جهودهم على تحقيقها وانتهاج سننها وأساليبها . وأما أولئك الذين يجمعون أكبر جهدهم وهمهم على متارف الحياة الناعمة وأسباب العيش الرغيد ، فهؤلاء عنده لا يفضلون عن سائمات وجدت سبيل عيشها ، والانسان في اعتباره اذا جمع همه على هذا فإنه يتحول حيوانا فقط ميزته أنه أقدر على التحيل بما فيه من العقل . ولكي يكون الانسان

---

(١) المصدر السابق : ص ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ . وأيضا جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٢) **تاريخ اليعقوبي** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٩ .

انسانا كاملا لابد له من حياة أخرى مادتها الفضيلة ، والفضيلة في نظره هي التجرد والعمل . ولهذا فالانسان يسير بالحياة دوما بالروح التي هي فكرة الحياة وغايتها وضميرها وأخلاقيتها . وعلى هذا كان يوصي ويلح أن نعمل وأن نتجرد أي نعمل ولا ندخر ، فحض بأقصى ما لديه من أسلوب على عدم الكنز [1] .

هذا الموقف الاصلاحي من أبي ذر تجاه الواقع الاجتماعي ، ومحاولة تغييره ، أدى به الى النفي ، لأن السلطة وعمالها لا يريدون اصلاحا . « وأظهر عمار بن ياسر رقة لأبي ذر وعطفا عليه ، فظن عثمان انه إنما يلومه على نفيه أبا ذر ، فغضب عليه وامره ان يذهب هو أيضا الى الربذة منفيا .. وغضب علي وأقبل على عثمان فلامه ، في نفي أبي ذر ، وطلب اليه أن يكف عن عمار .. حتى قال عثمان لعلي : ما أنت بأفضل من عمار ، وما أنت أقل استحقاقا للنفي منه ... » [2] .

واستمر الموقف الاصلاحي يعبىء الجماهير ، وكان يتصدر الموقف علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو ذر الغفاري ثم محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ومالك الأشتر وغيرهم ممن يكوِّنون الدعامات الشعبية أو ممن التقت مصالحهم مع الشعب ، يهاجمون سياسة عثمان ، ولكن الأمر لم يكن سهلا ، فلقد ضرب الفساد في كثير من الأرجاء واختلطت القيم السامية بالأخلاق الوضعية ، واخترعت القصص لتجريح زعماء الشعب وضعف من ضعف من المناضلين [3] . فضرب عثمان عمار بن ياسر حتى غشي عليه ، ثم أخرج محمولا ، وظل مغشيا عليه سائر النهار ، فلما أفاق توضأ وصلى ، وقال : الحمد لله ليست هذه أول مرة أوذينا فيها في الله [4] .

---

(١) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص.ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٢) طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص.ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٣) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٩٦ .
(٤) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : **الامامة والسياسة** ط ٣ ـ مطبعة مصطفى البابي بمصر ـ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م ـ جـ ١ ـ ص ، ص ٣٢ ـ ٣٣ . وأيضا طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٧ .

أما موقف مالك الأشتر من التغيير الاجتماعي ، فهو لا يقل عن موقف من سبقه من شيعة علي بن أبي طالب ، فقد جاء في كتاب كتبه الى عثمان : « ... **فإنه نفسك وعمالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين ، ونسمح لك بطاعتنا . وزعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنك الذي أرداك فأراك الجور عدلا والباطل حقا . وأما محبتنا فان تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنيك على خيارنا ، وتسييرك صلحاءنا واخراجك إيانا من ديارنا ، وتوليتك الأحداث علينا ... واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله . والسلام .**

يقول الدكتور طه حسين : فأنت ترى أن الاشتر لم يخلع طاعة عثمان ولم ينكر إمامته ، وإنما اتهمه بالجور والانحراف عن السنة ونبذ القرآن وراء ظهره وتوليه الأحداث ، ونفى من نفى من المسلمين . قال الرواة : فلما قرأ عثمان هذا الكتاب . قال : اللهم إني تائب ... » [١]

وقد كانت هذه المواقف الاصلاحية لارجاع السلطة إلى ما كانت عليه في عصر الرسول (ص) والخليفتين تشيع في المسلمين فينتظرون من عثمان أن يستجيب لها ، لأنها كانت قائمة على ادراك حاجات المجتمع ، وكانت تعبيرا عن عدم رضا المسلمين عن السياسة التي كانوا يساسون بها . ولكنهم بدل ذلك كانوا يرون أن عثمان وآله قد نكلوا بهؤلاء ولم يستجيبوا إلى شيء مما دعوا إليه .

وقد أثار موقفه هذا سخط عامة المسلمين ، فهؤلاء المعارضون لهذه السياسة من أعلام الصحابة وأركان الدعوة ، يمنعهم عثمان ويضطهدهم لدعائهم اياه إلى الاصلاح ، في الوقت الذي يسمع فيه من مروان بن الحكم وأشباهه من بني أمية وانصارهم من مسلمة الفتح الذين ليس لهم سابقة في الاسلام ، وهؤلاء الداعون إلى الاصلاح كانوا يعبرون عن إرادة جميع المسلمين الذين أذتهم سياسة عثمان في كراماتهم وأرزاقهم ، دون الالتفات من عثمان الى أي نصح أو تحذير [٢] .

---

(١) طه حسين : المصدر السابق ـ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢) محمد مهدي شمس الدين : **ظروف ثورة الحسين** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢ .

وإلى جانب هذه المعارضة الصادقة المخلصة ، كانت توجد معارضة أخرى مدفوعة بأسباب مغايرة ، وتستهدف نتائج مغايرة . وقد رأى زعماء هذه المعارضة في فساد الأوضاع العامة وشيوع التذمر والنقد فرصة يستغلونها لاستعجال نهاية عثمان التي تمكنهم من الوصول إلى مآربهم ، فأخذوا يساهمون في نشر روح التذمر وتعميقها . وقد مكن عثمان بسياسته الإدارية لهذه الطائفة من معارضيه أسباب القوة والنفوذ ، وذلك حين أطلق لها أن تنمي ثرواتها إلى أبعد مدىٍ ، وحين أطلق لها أن تغادر المدينة الى البلاد المفتوحة حيث راح أفرادها يستكثرون لأنفسهم من الأموال ، ويستكثرون من الاتباع ويمنون أنفسهم بالوصول إلى الخلافة ويمنيهم بذلك أتباعهم وقبائلهم [١]

هذه الظروف ، وهذه الأجواء المشحونة بالاضطرابات والتفكك الاجتماعي هيأت الأجواء لانتشار التشيع ، فقد « كان لعلي شيعة في العراق قبل توليه الخلافة ، وقبل أن يجعل الكوفة عاصمة لخلافته . وعندما استقر في العراق بعد حرب الجمل كان ذلك من أقوى الأسباب لانتشار مذهب الشيعة في هذا الاقليم وعلى الأخص في عاصمته الكوفة . ولذا بذل معاوية وولاته كثيرا من الجهد في سبيل القضاء عليه وعلى زعيمهم حجر بن عدي »[٢] . أما في مصر فقد نشأت الشيعة ابتداء في عهد عثمان إذ وجد الدعاة فيها أرضا خصبة ، وعمت العراق واتخذته لها مستقرا ومقاما[٣] .

يقول أبو زهرة : « ونما ـ أي المذهب الشيعي » ـ وترعرع في عهد « علي » رضي الله عنه ، إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا اعجابا بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه ، فاستغل الدعاة ذلك الاعجاب ، وأخذوا ينشرون آراءهم فيه .. ولما اشتدت المظالم على أولاد علي في عهد الأمويين ،

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٣ ، وانظر طه حسين : **عثمان** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٧٦ ـ ١٠٩ .

(٢) علي حسني الخربوطلي : **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي** رسالة دكتوراه مطبوعة ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ دار المعارف ١٩٥٩ ـ ص ١٠٨ .

(٣) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي بدون تاريخ ـ ص ٣٥ .

وكثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم وهم ذرية رسـول الله (ص) ، ورأى النـاس فيهم شهداء الظلم فـاتسـع نطـاق المـذهب الشيعي وكثـر أنصاره »[1] . بالاضافة الى ذلـك فقد « وجـد الموالي في العـراق من النبط والفرس وغيرهما في ظل علي مالم يحققه لهم الأمويون ، اذ كان يـذهب إلى المساواة بينهم وبين العرب في الحقوق . فكان هذا كله سببا في أن تصبـح العراق وأن تصبح الكوفة بنوع خاص مركز التشيع لعلي وآله » [2] .

وقد أخذ الامام علي ينشر مذهب التشيع ويدعو المسلمين للتمسك به وبـأهل بيتـه ، لأن الـرشـد في اتبـاعهم ، ولهـذا يقـول : « **ألا ان أبـرار عتـرتي ، وأطـايب أرومتي ، أحلم النـاس صغـارا ، وأعلم النـاس كبارا ، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنـا ، ومن قول صادق سمعنـا . وإن تتبعوا آثـارنا تهتـدوا ببصائـرنا ، وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا . معنـا راية الحق ، من تبعهـا لحق ، ومن تأخر عنها غرق ، الا وأن بنا ترد دبـرة كل مؤمن ، وبنـا تخلع ربقـة الـذل من أعنـاقكم ، وبنـا غنم ، وبنـا فتـح الله لابكم . وبنـا يختم لابكم** »[3] .

إن هذا الأسلوب من الإمام علي هو الذي نمى التشيع حتى عم أكثر الأقطار الاسلامية بعد أن كان بذرة بذرها رسـول الله (ص) ، وظلت خفية في قلوب أهل البيت ومن تابعهم في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر حفاظا على وحدة المسلمين ولما انحرف المنحرفون ظهرت هذه البذرة وترعـرعت بفضل هؤلاء . يقول آل كاشف الغطاء : « ... فلم يزل التشيع لعلي عليـه السلام وأولاده بهـذا وأمثالـه ينمو ويسري في جميـع الأمة الاسـلامية ... خفيـا وظـاهرا ومستـورا وبـارزا ... فكـان بنـو أميـة كلمـا ظلمـوا واستبـدوا واستأثروا وتقاتلوا كـان ذلك كخـدمة منهم لأهـل البيت وترويجـا لأمرهم وعطفـا للقلوب عليهم ، وكلمـا شـددوا بـالضغط عـلى شيعتهم ومـواليهم

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٣ .

(٢) شـوقي ضيف : **التطور والتجـديـد في الشعـر الأمـوي** ـ مـرجـع سـابق ـ ص، ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٣) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : **البيان والتبيين** ـ تحقيق عبدالسلام محمد هـارون ـ ط ٤ ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ ١٩٧٥ ـ جـ ٢ ـ ص ٥٢ .

وأعلنوا على منابرهم سب علي وكتمان فضائله وتحويرها إلى مثالب انعكس الأمر وصار « رد فعل » عليهم ... » [١] .

« العصر الثاني : العصر الأموي » :

سياسة الأمويين تجاه الشيعة وأثرها في انتشار التشيع :

إن أول عمل قام به الأمويون بعد أن تولى معاوية الخلافة هو سن سب علي بن أبي طالب على المنابر[٢] . فقد صدرت أوامره إلى المغيرة بن شعبة بأن يسب عليا على المنابر ، ولا يتورع عن شتمه وذمه ، وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا لايدع ذم علي والوقوع فيه . وكان هدف معاوية أن يبغض الكوفيين في علي [٣] ، ولهذا بدأ معاوية معركته مع العلويين وأنصارهم فقد أرسل إلى عماله في الآفاق كتابا يحرضهم فيه بالتنكيل بهم وتشريدهم وقتلهم مالم يظهروا البراءة من الإمام علي والولاء للأمويين ، وكان فيما كتب لعماله في ذلك : « أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي ، الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة » وكتب أيضا : « من اتهمتموه في موالاة هؤلاء القوم . فنكلوا به وهدموا داره » [٤] .

« جلس معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي » [٥] ، حتى شب أبناؤهم على التنقص منه ، « تنقص ابن لعبدالله بن عروة بن الزبير عليا رحمه الله . فقال له أبوه : **والله ما بنى الناس شيئا قط إلا هدمه الدين، ولا بنى الدين شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه، ألم تر إلى علي كيف**

---

(١) آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

(٢) جعفر بن محمد بن جرير الطبري : **تاريخ الطبري** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٢ ـ جـ ٥ ـ ص ١٦٨ . وأيضا أحمد بن عبدالله القلقشندي : **مآثر الاناقة في معالم الخلافة** ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ١٩٦٤ ـ جـ ١ ـ ص ١٤٣ .

(٣) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة** ـ القاهرة دار الكتاب العربي ـ ١٩٦٨ ـ ص ، ص ٦٢ ـ ٦٥ .

(٤) محمد جواد فضل الله : **حجر بن عدي الكندي** ـ بيروت ـ دار التراث الاسلامي ـ ١٩٧٤ ـ ص ٨٠ ..

(٥) الجاحظ : **البيان والتبيين** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٥ .

يظهر بنو مروان من عيبه وذمه ؟ والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعا إلى السماء ، وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنما يكشفون عن الجيف »(١) . كما تنقص ابن لعامر بن عبدالله بن الزبير علي بن أبي طالب ، فقال له أبوه : « **لا تتنقصه يا بني ، فإن بني مروان مازالوا يشتمونه ستين سنة فلم يزده الله إلا رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته »**(٢) .

هذه السياسة من الأمويين تجاه الشيعة ، كانت نتيجتها عكس ما كان يريدونه ، فقد كانت أوامر معاوية هذه ، سببا في تحريك الجذوة الكامنة في نفوسهم ، وكانت هذه اللعنات التي يصبها الأمويون على علي ، زادت الجذوة اشتعالا ، فإن الشيعة لم يرضهم أن يلعن علي على منابرها كل صباح وكل مساء ، فغضب له أحد شيعته المخلصين ، حجر بن عدي الكندي ، وأعلن على الملأ غضبه وأخذ يتحدى سلطان الأمويين ، فيؤخذ حجر وأصحابه ، ويبعث بهم إلى معاوية ، فيأمر بقتلهم إن لم يتبرؤا من علي ويلعنوه ، ولكنهم يقولون له : « إن الصبر على حد السيف لا يسر علينا مما تدعونا إليه » (٣) ثم يقدمون للقتل واحدا بعد الآخر (٤) .

كانت البراءة من علي عند معاوية وولاته ، تعني البراءة من رسالته ونهجه العملي في الايمان والحق ، ويتمثل ذلك عنده باخضاع المتهمين بالولاء للامام لرقابة قاسية تعد عليهم أنفاسهم وتمنعهم من القيام بأي نشاط عملي أو اعلامي يكون فيه اظهار لفضل الامام أو أحد من أهل بيته ، ولهذا لم يملك معاوية القدرة على اقتلاع جذور الولاء المتأصلة في أعماق المخلصين من أتباع علي ، ولكنه يسعى جاهدا لفرض حصار مرهق

---

(١) المصدر السابق : ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : **عيون الاخبار** ـ القاهرة ـ دار الكتب ـ ١٩٢٨ ـ جـ ٢ ص ، ص ١٨ ـ ١٩ . وانظر ايضا : عز الدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد : **نهج البلاغة** ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ بدون تاريخ ـ جـ ١ ـ ص ٦ .

(٣) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٤) **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ ٥ ص ٢٧٦ .

من حولهم ، ليمنع من اتساع القاعدة الجماهيرية لهم مبدئيا . وقد سلك معاوية في حربه هذه ، منهجا اعلاميا مضللا ، وألزم به العمال والولاة في الآفاق ، وهو بأن يعمد الى من يعرف عنه الولاء للإمام فيأمره بارتقاء المنبر على مسمع من الجماهير ليتبرأ من الامام علي فيشتمه ، مع علمه بأن ذلك لا يعدو عن كونه أمرا ضروريا لا يمس الواقع بشيء . وبهذا يحاول أن يؤكد الحاجز النفسي الذي عمل على تركيزه ليفصل بين مشاعر العامة ، وبين علي بن أبي طالب وأهل بيته ، وليظهر للعامة اتفاق الأمة على البراءة من الامام ورسالته ، وقد اصطدم معاوية في معركته هذه بكثير من الرؤساء والقادة الذين واجهوا دعوته لهم بالبراءة من الامام ولعنه ... بكل قوة وصلابة [١] . مما أدى الى شدة تمسكهم برسالة علي ونشرها بين الناس . وأكثر الشعراء في نشر فضائل هؤلاء القادة الذين باعوا دنياهم في سبيل انقاذ الناس من الظلم والجور الذي طغىٰ على الامة الاسلامية في ذلك الوقت . فأصبح الشعراء وكأنهم مدرسة سيارة تظهر ما انطوى عليه هؤلاء [٢] .

أقبل معاوية على عبدالرحمن العنزي فقال : ايه يا أخا ربيعة ، ما قولك في علي ؟ قال : دعني ولا تسألني فانه خير لك ، قال : والله لا أدعك حتى تخبرني عنه ، قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا ، ومن الآمرين بالحق والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس » . ولما رأى معاوية منه هذا الموقف بعث به إلى زياد فدفن حيا بقس الناطق [٣] .

وهذا الموقف من العنزي تتجلى فيه الروح التربوية التي كان يغذيها الامام علي في نفوس أصحابه وشيعته حتى أصبحوا أداة لتغيير الواقع الذي انتهى اليه في هذا العصر ، مع التضحية والصمود . ولذا نلاحظ كلام العنزي لمعاوية المنطوي على أهم المفاهيم التربوية التي تؤدي إلى تغيير السلوك لدى الحكام ، فهو يدعو معاوية وينبهه بأن عليا كان من الذاكرين لله كثيرا ليتعظ بذلك ، ويجعل خشية الله طريقه في الحياة ، ثم قوله ، ومن الآمرين بالحق ، والتربية تدعو إلى الحق وإقامة العدل ، وهذا

---

(١) محمد جواد فضل الله : **حجر بن عدي** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٨٠ ـ ٨١ .
(٢) **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
(٣) المصدر السابق : ص ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

ما قام به الشيعة ، ولاقوا من أجله الوان العذاب والاضطهاد ، حتى أن زياد بن أبيه أراد أن يصفي حسابه مع العلويين ، فنفى من الشيعة من أهل الكوفة عددا كبيرا يبلغ الخمسين ألفا إلى خراسان[1] ومما لاشك فيه أن هذا العدد الضخم من الشيعة كان عاملا قويا في نشر حركة التشيع في خراسان[2].

وقد استغل ولاة معاوية هذا الموقف منه بالتنكيل بالشيعة أينما كانوا ، حتى أنهم استعملوا ولاة أشد بغضا لعلي وشيعته ، فأكثروا السب في علي على منابر الكوفة والري[3].

وتثير عذراء المشاعر الاسلامية العامة بمرارة ولوعة ، حيث كانت أول حدث مأساوي من نوعه تصطدم به ، ولم يقتصر ذلك على اتجاه معين ، بل اتحدت فيه جميع الاتجاهات السياسية والمبدئية المختلفة من المنطلقات الاسلامية العامة ، باعتبارها مأساة انسانية حزينة ، ارتكبها الحكم بلا مبرر انساني أو اخلاقي مقبول . وفي ذلك قالت عائشة لمعاوية حيث حج ودخل اليها : **يا معاوية أقتلت حجرا وأصحابه ، فأين عزب حلمك عنهم . أما أني سمعت رسول الله (ص) يقول يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات ، قال : لم يحضرني رجل رشيد يا أم المؤمنين . وروى أن معاوية كان يقول ما أعد نفسي حليما بعد قتلي حجرا وأصحاب حجر »**[4]. « **قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول : يومي منك يا حجر يوم طويل »**[5].

ويصف لنا الامام الحسين بن علي ما قام به معاوية من التنكيل والقتل بالشيعة ، في كتاب كتبه لمعاوية ردا على كتابه جاء فيه :

(١) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ .

(٢) Wellhausen: **«The Arab Kingdom and its Fall»** Translated from German by Margaret weir M.A. (Calcutta 1972) -. 499

(٣) ابن الاثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٧ . وأيضا **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ١٦٨ .

(٤) **تاريخ اليعقوبي** : مرحع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢١٨ ، وأيضا **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢٥٧ ، وأيضا ابن الاثير : الكامل ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٤٣ .

(٥) **تاريخ الطبري** : المصدر السابق ـ ص ٢٥٧ ، وايضا ابن الاثير : المصدر السابق ـ ص ٢٤٣ .

« ... ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين ، الذين كانوا يستفظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فقتلتهم ظلما وعدوانا ، من بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكدة ، جراءة على الله واستخفافا بعهده ، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق ، الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته .. أولست المدعى زيادا في الاسلام ... ثم سلطته على أهل الاسلام ، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحان الله يا معاوية ، لكأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك أولست قاتل الحضرمي الذي كتب اليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه ، ودين عليّ هو دين ابن عمه (ص) .. انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد .. واتق الله يا معاوية ، وأعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وأعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة ، وأخذك بالتهمة »[1] .

والشيعة لم يعلنوا الولاء بقلوبهم للأمويين قط ، فرماهم معاوية في خلافته بزياد بن أبيه ، فقضى على المعارضة أن تظهر ، ولكنه لم يستطع أن يقتلع جذور التشيع من النفوس[2]. وفي ذلك يقول المدائني : « **أن زياد إبن سمية كان يتتبع الشيعة في الكوفة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق به معروف ...»[3] .**

فإذا كان هذا حال معاوية وعماله مع حلمه وطول أناته كما يقولون ، فكيف إذن الحال في أيام عبد الملك مع شدته وفتكه ، « فرماهم بالحجاج فاشتد في القمع ، وكلما اشتد قمعه اشتد المذهب الشيعي في نفوس معتنقيه »[4]. « **فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرا ولو كانوا مائة وعشرين ألفا ، وهل يستبعد أن يكون**

---

(١) ابن قتيبة : **الامامة والسياسة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨١ .

(٢) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦ .

(٣) أحمد أمين : **فجر الإسلام** ـ ط ١٢ ـ القاهرة ـ دار الشباب للطباعة ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٧٥ .

(٤) محمد أبو زهرة :**تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦ .

في حبسه عند موته خمسون ألف رجل وثلاثون ألف إمرأة »[1] . « منهن ستة عشر ألف مجردة ، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ، ولم يكن له غير ذلك من العذاب » .[2] ولا ذنب لهم سوى تمسكهم بأهل البيت .

يقول الرحالة : « **وقد اتفق لي قبل الانفصال عنها ـ أي واسط ـ أني لقيت فيها شيخا كان أبوه خادما عند الحجاج (حاسبه الله تعالى) فحدثني من أخباره ما تنفطر منه الأفئدة رحمة لأهل البيت وأصحابهم ، لأنه كان يقتل منهم جزافا على التهمة إلى أن بلغ عدد الذين قتلهم صبرا مائة ألف وعشرين ألفا ، وكان في السجن عندما أهلكه الله أكثر من خمسين ألفا يرسفون في سلاسل الحديد ، ولا ذنب لهم إلا حبهم لأهل البيت »[3] « حتى يروى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة علي »[4] .**

ومن الذين قتلهم الحجاج صبراً سعيد بن جبير التابعي ، الذي جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع[5]. بعث به إلى الحجاج ، **فقال له الحجاج** : « **ما اسمك ؟ قال** : **سعيد بن جبير ، قال** : **بل أنت شقي بن كسير ، قال** : **الغيب يعلمه غيرك ، قال** : **لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى ، قال** : **لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها ، قال** : **فما قولك في محمد ؟ قال** : **نبي الرحمة وإمام الهدى ، قال** : **فما قولك في علي أهو في الجنة أو في النار ؟ قال** : **لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها ، قال** : **فما قولك في الخلفاء ؟ قال** : **لست عليهم بوكيل ، قال** : **فأيهم أعجب إليك ؟ قال** : **أرضاهم لخالقي ، قال** : **فأيهم أرضى**

---

(١) جرجي زيدان :**تاريخ التمدن الإسلامي** ـ دار الهلال ـ ١٩٥٨ جـ ٤ ـ ص ٩٥ ، وأيضا المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) المسعودي : المصدر السابق ـ ص ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) جميل نخلة المدور :**حضارة الإسلام في دار السلام** ـ القاهرة المطبعة الأميرية ـ ببولاق ـ ١٩٣٥ ـ ص ١٦ .

(٤) أحمد أمين : **فجر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٥) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان : **وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ـ ط ١ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ ـ جـ ٢ ـ ص ١١٧ .

لخالقك ؟ قال : **علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم ، قال** : **أحب أن تصدقني ، قال** : **إن لم أجبك لن أكذبك ..»**[1] .

وتتجلى المواعظ التربوية في هذه المواقف البطولية ، من هؤلاء القادة الذين أمنوا برسالتهم ، حتى ولو أدى بهم إلى الموت ، فكانت نفوسهم تأبى أن ترى الظلم من هؤلاء دون أن يقدموا التضحيات ، حيث يرون أصحابهم وشيعتهم صرعى بين أيدي هؤلاء ، **فهذا التابعي الشيعي حينما قال له الحجاج** : « **ما تقول في ؟ قال** : **ظهر منك جور في حكم الله وجرأة على معاصي الله وقتل لأولياء الله ، قال** : **والله لأقطعنك عضواً عضواً** » ، ولم يبال سعيد بتهديدات الحجاج ، لأنه مؤمن برسالة يجب عليه أن يؤديها ولو زهقت روحه ، فليس هو أولى ممن سبقوه إلى الشهادة من شيعة علي بسيف الحجاج ، فليكن هو واحداً منهم ، ولهذا يجيبه بصراحة فيقول له : « **إذاً تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك ، قال** : **فما تقول في هذه الأموال التي نجمعها لأمير المؤمنين ، قال** : **إن كنت جمعتها لتشتري بها نفسه يوم القيامة ، فقد أحسنت إليه ، وإلا فقد أوقرت ظهره وثقلت حسابه ، فقال** : **الويل لك ، قال** : **الويل لمن أخرج من الجنة وأدخل النار** »[2] .

وهكذا قتله الحجاج شر قتلة بعد أن قال له : **اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك ، قال** : **اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة** ... وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة ، بواسط ، ومات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة المذكورة ، ولم يسلطه الله عز وجل بعده علىٰ قتل أحد إلى أنْ مات ... وهذا ما دعا به سعيد بن جبير فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي »[3] وقال أحمد بن حنبل : « قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض

---

(١) المصدر السابق : ص ١١٤ .وأيضا **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ٦ ـ ص ، ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ .

(٢) أبو الحسين ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٣٧ ، وأيضا ابن قتيبة : **الأمامة والسياسة** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ، وأيضا **المسعودي** : مروج الذهب ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ١٧٣ .

أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه »[١]. وكان الحجاج « إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدو الله ، لم قتلتني ؟ فيقول : مالي ولسعيد ابن جبير ، مالي ولسعيد بن جبير »[٢]. « ...كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي »[٣]، « ...فاختلط عقل الحجاج لوقته ، وبقى قليلا ثم مات ..»[٤].

وهكذا تتابع القتل والتشريد بشيعة علي ، وسار بنو أمية بعد معاوية على خطته ، وسار العلويون على خطة علي في الدفاع عن حق المسلمين ، فقضى العلويون معظم أيامهم خائفين شاردين ، ومات أكثرهم قتلا مع أنهم أهل تقوى ودين وحق . كما يقول جرجي زيدان وغيره[٥]. وأرادوا بذلك تحقير أمر علي وشيعته وتأييدا لسلطانهم[٦] « وكان مسلك الأمويين دائما عنوانا للمخازي والفضائح في نظر الأتقياء ، لأنهم كانوا يضعون نصب أعينهم المصلحة الدنيوية للحكومة الإسلامية ويجعلونها في المحل الأول ، بينما رأى الأتقياء تغليب المصلحة الدينية ، لأنهم كانوا لا يرون الحكومة إلا أن تكون حكومة « تيوقراطية » كما يقول جولد تسيهر » . [٧]

أما موقف الشيعة من يزيد بن معاوية فيقول الخربوطلي : « لم تعجب صفات يزيد الشخصية الشيعة ، فقد كان معظمهم يتصفون بالزهد والتقوى ، ورأوا أن الخلافة تسير من سيء إلى أسوأ .. ورأت الشيعة أن كفاحهم ليزيد هو جهاد ديني ، وأن موقفهم منه هو نفس

---

(١) ابن خلكان : المصدر السابق ـ ص ١١٦ .
(٢) **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ٦ ـ ص ٤٩١ ـ وأيضا المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ حـ٣ ـ ص ١٧٣ ـ وأيضا ابن خلكان : المصدر السابق ـ جـ٢ ـ ص ١١٦ .
(٣) المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٣ .
(٤) القلقشندي : **مآثر الأناقة في معالم الخلافة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣٧ .
(٥) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص ٦٤ .
(٦) المصدر السابق : ص ٩١ .
(٧) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة في الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٦ .

موقف الرسول من الكفار حينما قام بالدعوة إلى الإسلام »[١] **ولهـذا كتب الإمام الحسين إلى شيعته : « أما بعد فإني أدعـوكم إلى إحياء معـالم الحُق وإماتة البدع، فان تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام »** .[٢]

وكانت الصياغة المنطقية لثـورة الحسين عـلى يزيـد تقتضي أن تقوم أولا بالإصلاح التغييري لمجتمع انحـرف عن الخط القويم ، وتـرك معايـير الإسلام وأخلاقياته ، ومن ثم تأتي مرحلة الثورة . وهذه الصياغـة ظهرت في خطبته ، حيث يقول : « **أمـا بعد ، فقـد نزل من الأمـر بنا مـا ترون ، وأن الدنيا قـد تغيرت وتنكـرت ، وأدبر معـروفها ، ولم يبق منهـا إلا صبابة الاناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله فاني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحيـاة مع الظـالمين إلا بـرما** »[٣]، وهـذا يكشف عن طبيعـة السلوك الـذي إختطه الحسـين لنفسـه ولمن معـه من الشيعة ، ولهذا أقبـل عليهم بقولـه : « **أيها النـاس إن رسول الله (ص) قال : من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخـالفا لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مـدخله . ألا وأن هؤلاء قد لزمـوا طاعـة الشيطان وتـركوا طـاعة الـرحمن وأظهروا الفسـاد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلالـه وأنا أحق من غير** .....»[٤]

ولكن إستشهاد الحسين كان له مغزى مثالي كبير ، وتأثـير عميق في نفوس الشيعة فيما بعد[٥] ولهذا استمر الشيعة بالعمل والدعوة إلى مذهب أهل البيت والأخذ بثأر الحسين[٦]. « فقد كانت دمـاء الحسـين أكثـر أثرا من دماء علي في نمو روح الشيعة وازدياد أنصارها ...»[٧] و« ...كان هـذا

(١ ـ ٢) علي حسني الخربوطلي : **تاريخ العـراق في ظل الحكم الامـوي** ـ مرجـع سابق ص ١١٢ ـ ١١٥ .

(٣) تاريخ الطبري : مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٠٣ . وأيضا ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٠ ، وأيضا جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ .

(٥) Wellhausen: **The Arab Kingdom and its Fall**, op. cit., P.147.

(٦) **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢٥٢ .

(٧) علي حسني الخربوطلي : **تاريخ العراق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ .

الحادث البشع المنكر مذكيا للتشيع إلى أقصى حد ، وكان عاملا على وحدة الشيعة وحماستهم لنصرة مذهبهم ، وسبباً في ثوراتهم الجارفة ...»[1].

وظل الشيعة بعد ذلك يقودون الحركة التحررية الشعبية ممثلين الجماهير الإسلامية في نقمتها وثورتها المكبوتة ، وكانت هذه الجماهير تعضد بشتى ضروب التعضيد كل حركة شيعية ، وكان يساندها كبار الفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية ، كما كانوا في طليعة العاطفين على المعارضة الشيعية المؤيدين لها ، فمثلا نرى أنه عندما لم يجد زيد بن علي إبن الحسين بدا من إعلان ثورته على الحكم الأموي ، كان أول المؤيدين له الإمام أبو حنيفة ، فأفتى بوجوب الخروج معه ، وكذلك فعل يوم قامت ثورة شيعية أخرى في العهد العباسي بقيادة النفس الزكية . فعضد أبو حنيفة هذه الثورة أيضا وحرض على الالتحاق بها وأمدها بالمال .[2]

وكان السبب في خروج زيد بن علي على الحكام الأمويين ما كان يعانيه المسلمون من ظلم الأمويين ، وما لحق الشيعة من بطش وقتل وارهاب وتنكيل بالصلحاء والعلماء منهم . ولهذا كانت بيعة الناس لزيد بن علي كما يصورها الطبري ، الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وجهاد الظالمين . والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسمة الفيء بين المسلمين بالسوية . ورد المظالم[3] كل ذلك ، مما جعل زيداً أن يخرج على الحاكمين ، لينقذ هؤلاء من جور الأمويين . وحينما قتل بالمعركة ودفن ، أخرج من قبره وصلب ، وبعد ذلك أمر هشام بن عبد الملك بأن يحرق ، فأحرق ، ونسف رماده في الفرات[4].

---

(١) أحمد محمد الحوفي : **أدب السياسة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥ .
(٢) حسن الأمين : **عوامل تكوين المعارضة الشيعية** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨ .
(٣) **تاريخ الطبري** : مرجع سابق ـ جـ ٨ ـ ص ٢٩٧ .
(٤) أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل : **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ط ٢ ـ القاهرة النهضة المصرية ١٩٦٩ ـ جـ ١ ـ ص ١٥٣ .

وخلاصة ما تقدم أن العصر الأموي كان بالنسبة للبيت النبوي عصر آلام نفسية ومع ذلك ، فكان الشيعة يزدادون قوة وصلابة ، وزاد مذهبهم انتشارا كلما قوبل به أبناء علي من عنف الخلفاء الأمويين الذين استطاعوا أن يقتلوا كل ثائر عليهم من العلويين حتى اضطر هؤلاء إلى جعل دعوتهم سرية، ونشطوا في نشرها برغم ذلك نشاطا كان له أكبر الأثر في تقويض الدولة الأموية وإزالتها .[1] وهكذا زالت دولة بني أمية وبدأت دولة بني العباس ليرى الشيعة عهدا جديدا من الإضطهاد والتنكيل . ولهذا يقول أبو زهرة : « وان الشيعة كانوا منذ الحكم الأموي في اضطهاد وأذى ، وأئمة آل البيت يحصى عليهم كل شيء ، ومن دعا إلى الحق منهم اعتورته السيوف ، وما كان يسوغ أن يسكتوا عن مظالم الأمويين » .[2]

ونتيجة هذه الظروف التي توالت على الشيعة في عصر الأمويين ، استقرتِ آراؤهم الفكرية والعقائدية ، حتى نضجت في عصر الإمام الصادق ، وهو العصر الذي شهد صراعا بين الأمويين وسقوطهم ، وبين العباسيين وقيام دولتهم ، فكانت فترة جديدة بالنسبة إلى الشيعة ، لم يسلموا فيها من الإضطهاد .

العصر الثالث ـ « العصر العباسي » :

أدرك أئمة الشيعة الحكم الأموي في أقسى مظاهره وأعنف أشكاله ، ومنهم الإمام الصادق ، الذي عاش في أواخر تلك الفترة قبل أن تسقط الدولة الأموية على أيدي الثوار العباسيين بني عمومته ، فكان الصادق يسمع بين الحين والآخر بما يجري على شيعة آبائه من قتل وحبس وتشريد ، وبما يحل ببني عمه وأهل بيته من القتل والصلب ، لا لشيء إلا لأنهم دعاة حق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبما حل بالأمة كلها وهي تئن من ظلم الولاة وجورهم ، فآثر القيام بالثورة وقادها بنفسه على

---

(١) عبده فراج : **معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى** ـ ط ١ ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٩ ـ ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤١ .

بني أمية ، ولكن ثورته لم تكن بقوة السلاح كغيرها من الانتفاضات التي كانت تحدث على أيدي أهل البيت ، بل كانت ثورة الصادق على المعاصي والمنكرات وإشاعة حسن الصحبة والجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل لخير الناس أجمعين . أراد الإمام أن يحدث ثورة انقلابية ، يكون أساسها العلم والفكر ، لتغيير الواقع الإجتماعي وإزالة الإنحراف والطغيان ، كما أراد من أصحابه وشيعته أن يكونوا دعاة صامتين يدعون الناس إلى هذه الخصال بأعمالهم قبل أقوالهم ، وكان يقول لهم : **مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقرب أجلا ولم يبعد أرزاقا ، ويعقب على ذلك بقوله : ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** .[1] .

في تلك الساعة التي عاشها الصادق ، وهو يهيء الأجواء الفكرية للثورة على الظلم ، طولب أن يبايع إلى بعض أبناء عمه فأبى ، فاتهم بالحقد والحسد ، ولكنه لم يترك الساحة ، بل شمر عن ساعد الجد ، بعد أن رأى أن السلاح في ذلك الوقت لا يحل مشكلة إجتماعية ولا يرفع ظلامة مظلوم ، فاندفع إلى نشر المعارف والعلوم ، فوزع طلابه بعد أن درس نفسياتهم واتجاهاتهم وقابلياتهم ، فصرف قوما إلى الفلسفة وآخرين إلى المناظرة والمحاجة ، وقوما إلى الفقه وآخرين إلى الكيمياء ، وهذا إلى الطب ، وذلك إلى رغبته من طلب العلم وإلى ما يهوى وبهذا أراد أن يحدث الانقلاب والثورة لا بحد السيف ، ولكن بالعلم والمعرفة فقد كان يرى أن لا ثورة مع الجهل ولا خنوع مع العلم . إنه يرتأي أن تتثقف الأمة فتطالب بحقوقها حيث لا يقضى على الظلم والظالمين إلا العلم ، لذا وجه الناس توجيهاً علمياً .[2]

بهذا أراد الصادق محاربة ظلم بني أمية وبني العباس ، حتى كان بين يديه أربعة آلاف طالب كل يقول درست على جعفر . وبهؤلاء عزم الصادق على أن يقضي على المتزعمين ويدك سلطانهم ليعيد الحق إلى

---

(١) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة الأثنى عشر** ـ بيروت ـ دار التعارف للمطبوعات ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤١ .

(٢) السيد محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٧٩ .

نصابه والإنسان إلى حقوقه يتمتع بها كيف شاء وأنى يـريد .[1] « ولكن المنصور ما كان يستريح لالتفاف النـاس حول الصـادق في كل مكـان . في المـدينة حيث يقيم وفي العـراق حيث يلم ليعلم الناس أو ليحـاور الزنـادقة والملحدين وأصحاب الآراء الذين يخالفونه في أمور الدين » .[2] لكل هذا الصدق والصفاء في التعامل مـع الحياة والنـاس والأشياء . إلتف النـاس على اختلاف آرائهم حول الإمام الصادق ، وكما كـان الأمويـون يراقبـون الناس من حوله بفزع . أخذ الخليفة العباسي المنصور يراقب الإمام جعفر متوجسا من جيشان العواطف نحوه ، وإعجاب الناس به .[3]

هـذا الموقف من الإمـام الصادق ، والتفـاف الناس حـوله ، جعـل المنصـور يتعقب آل أبي طالب وشيعتهم ، فـزج بهم السجون ، ومنهم من قتلهم عـلى الظنة والتهمـة ، وفي ذلك يقـول ابن الأثير : « ثم أن المنصـور أودعهم بقصر إبن هبـيرة شرقي الكـوفـة . وأحضر المنصـور محمـد بن ابراهيم بـن الحسن ـ وكان أحسن الناس صورة ـ فقال له : أنت الديباج الأصغر ؟ قال : نعم . قال : لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحـدا ثم أمر بـه فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها ..» .[4]

وكان بنو عـلي تحت ترقب الخـوف من بني العباس لتطلبهم في كـل وقت ، وقصدهم إياهم دائما بشتى أنواع العذاب والعقاب ، فكانوا ما بين طريد شريد وبين خائف يترقب أن ينزل به عقـاب بني العباس ، ومـع هذا الظلم ، فإن لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في أقطارهم ، من الولاء لهم والإقبال عليهم ما لا مزيد عليه .[5] . وإن مالقيه العلويون من الإضطهـاد في عهد خلفاء بني العباس الأولين ، لم يلقوا مثله من قبل .[6]

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٩ .

(٢) عبد الرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية ـ ائمة الفقه التسعة** ـ بيروت دار إقرأ ـ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ ـ ص ٤٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٦ .

(٤) ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

(٥) تقي الـدين أحمد بن عـلي المقريـزي : **الخطط ـ طبعـة بـولاق** ـ ١٢٧٠ ـ هـ ـ جـ ٢ ص ٢٠.

(٦) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧ .

فإذا كان بنـو علي يتصـورون ظلم بني أمية لهم ، لأنهم أعـداء علي منذ أيام معاوية ، بل أعداء بني هـاشم منذ أيـام أبي سفيان ، فـإنهم لم يكـونوا يتصـورون أن يأتيهم الظلم من قبـل بني العباس أبنـاء عمومتهم وذوي قرباهم . ومن هنا كانت اللوعة والمرارة التي فاضت بهـا نفوسهم ، وقـد جـرت بهـا لسـان النفس الـزكيـة في عبـارتـه أنـه « ظلم ذوي القربى » .[1] فكانوا يقسون أشد القسوة بهم وتقتيلهم وتحريقهم ، فقد ذكـر أن المنصور أمـر فحمـل إليـه من في المـدينـة من علـويـين مقيـدين بالسلاسل فحبسهم في سجن مظلم لا يتبين فيه ليل ولا نهـار ، فإذا مـات واحد منهم في السجن ترك معهم ، ثم أمر بهدم السجن عليهم .[2]

وقد تعقب المنصور كـل من يتهم في ميله إلى العلـويين ، فقضىٰ عـلى أبي مسلم الخـراسـاني الـذي كـان يتمتـع عـلى عهـد السفـاح ببعض الإحترام ، ولكن صانع الملوك حامت حوله الشبهات ، لما كان يضمـره من ميل للعلويين ، فاتجهت إليه في عهد المنصور تلك التهمـة الممقوتـة ، وهي تهمة الزندقة ، فقتل بها .[3] « ...وإنما نكب .. أبو جعفر المنصور .. أبا مسلم ما كان من ميلـه مع أهـل البيت وامداده إيـاهم بالـرأي ...» .[4] وكان السبب في هذا الإضطهـاد لما يتصف بـه كبار أهـل البيت من حسن السيرة وطهارة النفس وما يلقونه من احترام وتقـدير ، كـل ذلك كـان يثير الحسد في نفوس العباسيين ، ويحملهم عـلى إضطهاد العلـويين بـين حين وآخر .[5] ولما تقلد الرشيد الخلافة نكل بكل من يميل مـع العلويـين [6] « ففتك الرشيد بالبرامكة الذين كانوا عماد دولته وصنعوا له الشهرة التي إستأثر بها لمجرد الاشتباه في تآمرهم مع العلـويين » .[7] « وهكـذا عفى الدهر هذه الأسرة التي كان لها أكبر الأثر في تقدم الحضارة الإسلاميـة في

---

(١) المصدر السابق : ص ١٠٧

(٢) أحمد محمد الحوفي : **أدب السياسة في العصر الأموي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤ .

(٣) السد أمير علي : **روح الإسلام ـ ترجمة أمين محمود الشريف** ـ المطبعة النموذجية بالجماميز ـ ١٩٦٣ ـ جـ ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٤) جميل نخلة المدور : **حضارة الإسلام في دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ .

(٥) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٩ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٩٩ ، وايضا أحمد شلبي : **التاريخ الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٩ .

(٧) السيد أمير علي : المصدر السابق ـ ص ١٩٩ .

العلوم والآداب وفي الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها ـ كذلك ذهب الفضل بن سهل وزير المأمون ضحية ميله إلى العلويين » . (١)

وقد أصبح الرشيد يخاف العلويين أشد الخوف ، ويوقع بهم أشد أنواع العقاب ، كما كان يوقع هذا العقاب بكل من أتهم بالميل إليهم ، وقد وجد سعاة السوء سبيلا للايقاع بآل البيت عند الرشيد ، وكان الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ضحية هؤلاء السعاة ،فقد وجد حساده والناقمون عليه سبيلا للايقاع به عند الرشيد ، وإثارة مخاوفه من اعتقاد الناس بإمامته ، حتى أخذوا يحملون إليه خمس أموالهم ، وأنه يعزم الخروج عليه مما أقلق باله ودفعه على التخلص منه . (٢) وعندما حج سنة ١٧٩ هـ . ووصل إلى المدينة قبض على موسى بن جعفر الصادق ، وحمله إلى بغداد حيث حبس هناك ، ثم قتله الرشيد ، وأدخل عليه جماعة من العدول شهدوا أنه مات حتف أنفه . (٣)

وقد فطن المأمون إلى مغبة هذه السياسة التي سار عليها الخلفاء العباسيون في معاملة العلويين وشيعتهم ، فولى عهده على بن موسى الإمام الثامن للشيعة ، ولكن المأمون عدل عن ذلك قبل أن يدس السم له نهائيا ، عن فكرة تحويل الخلافة إلى العلويين ، بعد أن ثار بنو العباس عليه وبايعوا إبراهيم ابن الخليفة بولاية العهد . (٤)

كان علي بن موسى الرضا واسع العلم والمعرفة ، صحيح الفكر متزن العقل قيل لأبي نواس : علام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه ؟ فقال : لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه ، والله ما تركت ذلك إلا اعظاما له ، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله :

قيل لي أنت أحسن الناس طرا   في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح   يثمر الدر في يدي مجتنيه

---

(١) حسن إبراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٣ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٣) المصدر السابق ـ ص ١٥٤ .
(٤) علي إبراهيم حسن : **التاريخ الإسلامي العام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٩ ، وأيضا ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٣ .

فعلا ما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه

ثم أنشد :

مطهرون نقيات جيوبهم يجري عليهم ثناء أينما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقا فأتقنه صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور[1]

هذه الخصال التي تجمعت في أئمة الشيعة نمت روح المحبة لهم من الجماهير ، وازداد التشيع مع مر الأيام ، وكلما ازداد ظلم آل البيت ، ازداد الناس حبا لهم ، فرمي محبوهم وشيعتهم بالزندقة والخروج عن الدين ، كما رمي أكثر الشعراء ومنهم أبو نواس لحبه وتشيعه لأهل البيت . ولهذا مثلا اتهم البغدادي البرامكة بالزندقة والميل إلى مذهب المجوس .[2] فالذي يميل إلى التشيع أو إلى العلويين يرمى بالزندقة ، فكيف إذا كان علوي الهوى والمذهب

وحين تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ أنزل نقمته على الشيعة ، وكان شديد البغض لعلي بن أبي طالب (رض) ولأهل بيته .. وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه مخدة تحت ثيابه ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقول :

قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين .

يعني علياً (رض) . والمتوكل يضحك ، ففعل ذلك يوما بحضرة ولده المنتصر ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن عليا ابن عمك ، فكل أنت لحمه إذا شئت ، ولا تدع مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه ... وبلغ من بغضه لعلي وأهل بيته أنه في سنة ست وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته .[3]

---

(١) إبن خلكان : المصدر السابق ـ ص ٤٣٣ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : **التاريخ الإسلامي السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ١٧٢ .

(٣) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، وجـ ٥ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، وأيضا القلقشندي : **مآثر الأناقة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

ومن غريب ما اتفق للمتوكل أنه طلب عليا الزكي ، ويقال : على الهادي وعلى التقى ، الإمام العاشر للشيعة الإمامية ، فبعث إليه جماعة من الترك ليحضروه ، فهجموا عليه داره ، فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة شعر ، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصا ، فحمل إلى المتوكل ، والمتوكل في مجلس شرابه ، والكأس في يده ، فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس ، فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني ، فأعفاه ، وقال : إنشدني شعرا فقال : إني لقليل الرواية للشعر ، فقال : لابد من ذلك ، فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم فأودعوا حفرا يا بئس مانزلوا

....

قال : فاشفق من حضر على علي ، وظن أن بادرة تبدر إليه ، فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ... [(١)]

من هذا المنطلق الذي سار عليه الأئمة تجاه بني العباس ، حبب الناس إليهم وازدادوا تمسكا بهم ، مع ما لاقوه من عذاب وتنكيل ، ومع ذلك كانوا يعلنون في كل ما يقتضى اعلانه خدمة للدين ونشر تعاليمه، مما جلب نفوس العامة إليهم .

وهذه الحوادث وأمثالها من أنواع التنكيل بالشيعة قد لازمت العباسيين طول حكمهم ، ولما ظهر سلطان الأتراك في عهد المتوكل صحبه دعوة التنكيل بالشيعة ، فكل تاريخهم مملوء بكراهيتهم للتشيع والشيعة . [(٢)] حتى إمتدت أيديهم إلى أصحاب الفكر الحر منهم الذين كانوا يمثلون الحركة العلمية طوال العصور الإسلامية ، حيث تعرض يعقوب بن اسحاق النحوي مثلا المعروف بابن السكيت ، لأبشع أنواع القتل ، لأنه امتنع من التنقص بالحسن والحسين عليهم السلام ، فمدحهما بما هما أهله ، وتنقص من أبناء المتوكل بعد أن سأله : أيهما

---

(١) ابن خلكان : المصدر السابق ـ ص ٤٣٥ ـ وجـ ٥ ـ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، وأيضا القلقشندي : المصدر السابق ـ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .
(٢) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ ـ ص ٤٢ .

أحب إليك إبناي هـذان ، أم الحسن والحسين : فـأمر المتـوكل الأتـراك فداسوا بطنه ، فحمل إلى داره فمات فيها .[1]

كان الشيعة يمثلون الحركة الفكريـة والعقلية ، ولهـذا أخذوا عـلى أنفسهم محاربة الظلم والطغيان ، تارة بالخروج بحد السيف ، ليتخلصوا ممـا هم فيه من الإضطهـاد ، وتارة أخـرى بحد الفكـر واللسـان ، حتى « امتدت جذور التشيع إلى بلاط المـأمون فكـان وزيره الفضـل بن سهل ، وكان قائد جنده طـاهر بن الحسـين شيعيين » .[2] ولمـا إعتلى المتـوكل عرش الخلافة ، حاول أن يقضي على كل نفـوذ للشيعة ، لأنهم كـانوا أهـل المناصب العالية الذين قاموا بـالحركـة العلمية . يقـول السيد أمـير علي : « وكان العقليون هم أصحـاب المناصب الـرئيسية ، فكـان منهم أساتـذة المدارس ومديرو المستشفيات والمراصد ... وكـانت فرقـة الصفاتيـة ذات نفوذ بين الطبقـات الدنيـا في المجتمع ... وكـان المتوكـل رجلا قـاسيا ... فأصدر أمره باقصاء أحرار الفكر عن وظائف الـدولة ، وإغـلاق المدارس والجامعات وتحريم الأدب والعلم والفلسفة ، وطرد أصحاب المذهب العقلي من بغداد ، كما أمر بهدم ضريح الإمام علي وأبنائـه ... وهنا انتهت أيـام المـذهب العقلي في عهـد العباسيـين ، فلجأ إلى القـاهرة بعـد خروجـه من بغداد ، وهذا زاد الأمر سوءا لأنـه لو كـان هناك بلـد يكرهـه العباسيـون كراهة المـوت لكان القـاهرة » .[3] لأن فيهـا أبناء عـلي بن أبي طالب ، أنصار أصحاب الفكر الحر .

هذا الظلم الذي أصاب الشيعة ، أدى إلى الثـورات الجارفـة منهم لتغيير هذا الواقع المؤلم الذي عاشـه المسلمون في هـذا العصر ، فقد ظـل العلـويون يعملـون سرا وجهرا ، وظـل أتباعهم يـزدادون ، والعبـاسيـون يرصدونهم جميعا ، فمن حدثته نفسه بالثورة أو الخروج قتل أو زج بـه في السجون . وكان بعض الشيعة يصل إلى أعلى المناصب في الدولة ، فما هي

---

(١) ابن الأثير : **الكامـل** ـ مرجـع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٣٠٠ ، وايضـا ابن خلكان : **وفيـات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٤١ ـ ٤٤٣ .

(٢) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة لدى الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٦ .

(٣) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

إلا أن تعرف سريرته حتى ينكب فتصادر أملاكه ويلقى في غياهب السجون أو يقتل ويصلب نكالا لأمثاله . [١]

وقد ذهب كل هذا الاضطهاد الذي أصاب الشيعة أدراج الرياح ، فلم يأت بأية ثمرة في نمو وانتشار التشيع ، إذ كان يغل من حده دائما ما كانت عليه الادارة الشرقية من الاضطراب ، ويزيده وهنا ، ذلك التوقير العام لأهل البيت ، حتى انتشرت الحركة الشيعية في مركز الامبراطورية وفي العاصمة نفسها ، وكان علماء الشيعة لا يدخرون وسعا في توطيد دعائم دعواهم وتحصينها [٢] . ولهذا يقول آدم متز : « وفي ذلك العصر لم يكن قد تم لمذهب الشيعة افتتاح البلاد التي يملكها اليوم ، ولكنه كان سائرا في أحسن طريق يوصله إلى ذلك ، بل كان الاضطهاد مما يساعد هذا المذهب على الانتشار » [٣] .

ويصف أبو بكر الخوارزمي ـ وكان شيعيا ـ ما لاقاه الشيعة من بني العباس من ظلم وقتل وغصب ، وما أصاب الشيعة من تشريد ومحنة وبلاء بأسلوب تسوده نغمة الحزن فيقول : « ... **ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا أو سوفسطائيا ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا أو مانويا ، ويقتلون من عرفوه شيعيا ، ويسفكون دم من سمى ابنه عليا .. ويتكلم شعراء الشيعة في ذكر مناقب الوصي ، بل في ذكر معجزات النبي ، فيقطع لسانه ، ويمزق ديوانه ، كما فعل بعبدالله بن عمار البرقي ، وكما نبش قبر منصور النمري ... حتى أن هارون والمتوكل كانا لا يعطيان مالا ، ولا يبذلان نولا ، إلا لمن شتم آل أبي طالب ، ونصر مذهب النواصب** ... »[٤] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ص ٢٩ .
(٢) جوستاف جرونيباوم : **الحضارة الاسلامية** ـ ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ـ مكتبة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٢٤١ .
(٣) آدم متز : **الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٦ .
(٤) عز الدين اسماعيل : **في الشعر العباسي** ـ الرؤية والفن ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ص ٦٥ . وانظر احمد أمين : ظهر الاسلام ـ مرجع سابق ـ ١٩٧٥ ـ جـ ٤ ـ ص ١٤٤ .

هذه المظالم التي أصابت الشيعة اضطرتهم إلى الخروج وإعلان الثورات للتخلص من هذا الظلم ، وما وصلت اليه الحالة الاجتماعية من فقر وفاقة . وقد كانت هذه الثورات صادرة عن وعي للواقع ، واحساس بانحطاطه وقسوته ، واحتجاج عليه ، ومحاولة لتطويره وتغييره ، وما ثورة أبي السرايا مع محمد بن ابراهيم بن طباطبا العلوي الحسني على المأمون الا نموذجا من الآلام التي أصابت العلويين بصورة خاصة والشيعة بصورة عامة مما رأوه من الظلم الاجتماعي الذي أصاب الأمة ، فعاش بعضهم منعما في القصور ، والبعض الآخر يتضور جوعا .

كان محمد بن ابراهيم يمشي في بعض طرق الكوفة ، إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب ، فتلتقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث ، فسألها عما تصنع بذلك ، فقالت : إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ، ولي بنات لا يعدن على أنفسهن ، فأنا اتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي . فبكى بكاء شديدا وقال : أنت وأشباهك تخرجونني غدا حتى يسفك دمي ، ونفذت بصيرته في الخروج . فلما أعلن أمره خطب الناس ، ودعاهم إلى البيعة ، وإلى الرضا من آل محمد والدعاء إلى كتاب الله ، وسنة نبيه (ص) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والسيرة بحكم الكتاب، فبايعه جميع الناس حتى تكابسوا وازدحموا عليه. ومات محمد ابن ابراهيم بعد نشوب الثورة بقليل، فلم تخمد وإنما قام عليها من بعده علي بن عبيد الله العلوي ... ونقرأ عن هذه الثورة فنعجب بأخلاق الثائرين الجياع ، وبضبطهم لأنفسهم . لقد امسك هؤلاء الثائرون عن النهب والسلب بعد أن هزموا عدوهم بمجرد أن أمرهم قائدهم بأن يمسكوا [1] . وتكرر قيام الرجال من العلويين مرة بعد مرة ، والطلب عليهم من ورائهم ، فلاذوا بالاختفاء ، ولم يكادوا يعرفون ، حتى تسمى محمد بن اسماعيل ـ بالمكتوم ـ سماه بذلك الشيعة حذرا من السلطات عليه [2] . « ... وقد جمع أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الكبير « مقاتل الطالبيين » الذي يبلغ نحو ثمانمائة وخمسين صفحة ، أسماء من قتلوا

---

(١) محمد مهدي شمس الدين : **ظروف ثورة الحسين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٠ .

(٢) **خطط المقريزي** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ .

من غير ذكر لتاريخهم ولم يكن ذلك إلا إلى عهده ، وقد توفى سنة ٣٥٦ »[١] . وكل هؤلاء كانوا من العلويين . وهكذا « كان اضطهاد العلويين هو شغل الحكام الشاغل »[٢] .

٢ ـ « فرق خارجة عن التشيع » :

سبق أن عرض الباحث الظروف التي صاحبت التشيع منذ وفاة الرسول (ص) حتى أواخر القرن الرابع ، والسياسة التي اتبعها كل من الأمويين والعباسيين في الحد من انتشار التشيع ، وكيف باءت خططهم بالفشل ، مع ما قاموا به من أعمال العنف والاضطهاد لكل من ينتسب الى التشيع أو يتعاطف معه .

ولما كانت هذه الخطط لم تنجح في القضاء على التشيع والشيعة حاولوا الدس عليهم . وذلك عن طريق اضافة فرق متعددة ، تنتمي إلى أصول غير اسلامية ، أو إلى عقائد يهودية أو مسيحية أو مانوية ، وارجاع الشيعة إليهم ، لتكون ركيزة يرتكز عليها هؤلاء للحط من كرامة الشيعة ومذهبهم .

هذا بالاضافة إلى أن تلك الفرق التي يدعونها لم يظهر لها أثر في التاريخ ولم يكن ما ينسب إليهم على تقدير صحته سوى آراء وأفكار عابرة لم تتخط دعاتها والعاملين على خلقها وإشاعتها. ويؤيد ذلك ما جاء في الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد : أن الفرق التي تنسب إلى الشيعة لم يكن لها وجود في القرن الرابع الهجري ، ولا وجود في هذا القرن إلا للامامية القائلين بامامة محمد بن الحسن الامام الثاني عشر ، ومنهم العلماء والفقهاء والمتكلمون والعباد الصالحون والأدباء والشعراء ، وهم وجه الشيعة المعتمد عليهم في المذهب وسواهم من الفرق المزعومة ليس في هذا العصر أحد منهم ، وإنما الموجود عنهم بعض الحكايات والأراجيف التي لا تثبت وجودهم [٣]

---

(١) أحمد أمين : **يوم الاسلام** ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٢ـ ص ٦٨ .

(٢) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٧

(٣) هاشم معروف الحسني : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٧ .

وهذا الكلام من المفيد ، يدل على عدم وجود تلك الفرق في القرن الرابع الهجري ، كذلك يشير الى أنه في شك من أصل وجود هذه الفرق التي يدعيها المؤلفون في المذاهب الاسلامية ، مع أن الزمان الذي وجد فيه المفيد لم يكن بعيدا عن العصر الذي يدعى الكتاب وجودهم فيه . ومن المستبعد أن توجد فرق يكون لها خصائصها وميزاتها ولا يبقى لها أثر بتلك السرعة وتخفىٰ حتى على الباحثين أمثال الشيخ المفيد ، ولاسيما وأن فرقا من هذا النوع لو وجدت في التاريخ ستجد من يناصرها ويمهد لها أسباب البقاء والاستمرار .فالحكام كانوا يرحبون بكل ما من شأنه أن يحط ويشتت من أمر الشيعة وتفريقهم عن أئمة أهل البيت ، والتاريخ الذي مر به الشيعة مليء بالشواهد على ذلك [١] .

ولا أغالي إذا قلت أن الباحث في تاريخ الفرق المنسوبة إلى الشيعة وفي الآراء والمعتقدات التي أضيفت إليها ، وللظروف السياسية التي صاحبت التشيع ،أن آياد قوية كانت وراء تسيير التاريخ لصالحها ، وتعمل لمحاربة التشيع عن طريق التشويش عليه وتغيير معالمه ، تلك الأفكار ، التي نسبوها إلى بعض المتشيعين ، لقد رأى الحكام الأمويون والعباسيون ، أن فكرة الخلافة عند الشيعة ، تعني أن جميع الحكومات التي لا تخضع لمبدأ الوصاية لا تتصف بالشرعية ، فحاربوا هذه الفكرة بشتى الأساليب ، وفي النهاية استطاعوا أن يفرضوا على التاريخ شخصا اسمه عبدالله بن سبأ ، قد انتحل الاسلام ، وأخفى اليهودية المتغلغلة في أعماق نفسه ، للدس في تعاليم الاسلام والكيد له فأسس فرقة وقادها لقتل عثمان واخترع فكرة الوصاية التي تدين بها الشيعة الامامية ، وأخيرا أدعى الألوهية لعلي (ع) وأصبح الركيزة التي يعتمد عليها كل من جاء من بعده من الخارجين عن الاسلام لأجل تهديم صرحه [٢] .

يقول الدكتور أحمد الحوفي : « على أن في كتب المذاهب أخبارا شتى عن ابن سبأ لم تسلم من التهويل والتزيد والتكثير ، وربما كان خصوم الشيعة هم الذين روجوا هذه الأخبار لينتقصوا من أقدارهم منذ قام لهم

---

(١) المصدر السابق : ص ٨٧ ـ ٨٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٨٨ .

حـزب متميز . فهم يـذكرون أن ابن سبـأ كان يؤلـه عليا ، وأن عليـا أمر بقتله ، ثم استبدل بـالقتل نفيـه إلى المدائن ، ولـو أن هذا الخبـر صحيح لأتخذه خصوم علىسلاحاًبتارا للقضاء عليه ، وفض أتباعه من حوله ، بل لكان أتباع علي أول الخارجين عليه المحاربين لـه » [1] . وعلى هـذا يقول الدكتور طه حسين : « ويخيل إليّ أن الذين يكبـرون من أمر ابن سبـأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعـلى التاريـخ اسرافا شـديدا . وأول مـا نـلاحظه أنـا لا نجد لابن سبـأ ذكرا في المصـادر المهمة التي قصت أمـر الخلاف على عثمان ، فلم يـذكره ابن سعـد حين قص مـا كان من خـلافة عثمان وانتفاض الناس عليه ، ولم يذكره البـلاذري في أنساب الأشراف ، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا . وذكره الطبري عن سيف بن عمـر : وعنـه أخـذ المؤرخـون الـذين جـاءوا بعـده فيمـا يظهر » [2]

يقول الدكتور أحمد شلبي ، بعـد أن ذكر الاستـدلال على أسطـورة عبـدالله بن سبأ للسيـد مـرتضى العسكـري : « ... ومـع أن الطـريق في الاستـدلال ليس حاسمـا فإننـا نورد سؤالا مهمـا هو : من الـذي أدخـل الانحرافات إلى المذهب الشيعي الذي نعرف في أصوله السليمة بعـدا عما نراه فيه من انحرافات وترهات : ولهـذا فإني أقـرر هنا أن زعـامة ضـالة بـدأت هذا الشـوط ، وهي عبدالله بن سبـأ أو شخص ما أطلق عليـه هذا الاسم ، وان مريدين كثيرين أخذوا عنه هذا الضـلال وساروا فيـه أزمنة طويلة وأشواطا واسعـة ، فالاسم لا يهمنـا . ولكن يهمنا أن شخصـا قام بالدور الذي نسب إلى عبدالله بن سبأ ... » [3] . وفي ذلك يقول الدكتـور شـوقي ضيف : « ولعل في آراء ابن سبـأ ما يشـير الى أن عناصر أجنبيـة أخذت تدخل في التشيع ، حتى ليزعم بعض الباحثين أن غلاة الشيعة بثوا في التشيع مع مر الزمن كثيرا من دياناتهم الأولى ، فدخلت فيـه عناصر من اليهـوديـة والنصرانيـة ممـا عنـد ابن سبـأ ، ودخلت فيـه عنـاصر من

---

(١) أحمد الحوفي : **أدب السياسة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ .
(٢) طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ .
(٣) أحمد شلبي : **التاريخ الاسلامي والحضـارة الاسلاميـة** ـ مرجـع سابق ـ جـ ٥ ـ ط ٥ ـ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

الزرادشتية والمانوية الفارسيتين ومن البوذية الهندية » [1] .

أمـا أبو زهـرة فيقول : « وقـد تساءل بعض العلمـاء الأوربيين عن اصل الشيعة ، وفيها مبادىء لا شك أن بعضها دخيـل في الاسلام ، فقـد ذهب الأستـاذ « ولهوسن » إلى أن العقيـدة الشيعية نبعت من اليهـوديـة أكثر مما نبعت من الفارسية ، مستدلا بأن مؤسسها عبدالله بن سبـأ وهو يهـودي ... ثم يقول : والحق الـذي لا مريـة فيـه أن الشيعـة كـانت مـع تقديسها لآل البيت ـ كان بعضها مسترادا للكثير من الـديانـات القديمـة الآسيوية ـ ففيها من المذاهب الهندية مبدأ التناسـخ الذي يقـول أن روح الانسـان تنتقل إلى انسـان غـيره ، فقـد طبق بعضهم ذلـك المـذهب عـلى أئمتهم ، وقالوا أن روح الامام تنتقل إلى من يليه ... وهكذا تـرى الشيعة كان فيها خليط من أهواء وملل ونحل قديمـة دخلت على المسلمـين لافساد الاسـلام ، أو تحت تـأثـير التـربيـة والألف ، فـدخلـوا في الاسـلام ولم يستطيعوا نزع القديم .. » [2] . وفي ذلك يقول الألوسي : « .. فـاعلم أن أسلاف الشيعة وأصول الضلالات كانوا عدة طبقات ، الطبقة الأولى : هم الذين استفادوا هذا المذهب بلا واسطة ، من رئيس المضلين ابليس اللعين وهؤلاء كـانـوا منـافقـين .. ومقتـداهم عبـدالله بـن سبـأ اليهـودي الصنعاني ... » [3]

وهناك آراء وأقوال أخـرى اكتفى الباحث بعـرض نبذة منهـا لنرى مدى التحامل على الشيعة ، فقد تحاملوا عليهم في القـديم ، ولم يسلموا في العصر الحـديث ، عصر العلم والـعـرفـان والبحث والتمحيص ، ونبـذ المخلفـات والمعتقدات السـابقـة ، ورفض التقليـد ، والبحث عن الحقيقـة لتلتئم وحـدة المسلمين بعـد أن مزقهـا هـذا التفـرق القـائم عـلى الهـوى والتخمـين . والباحث هنـا يحاول بيـان عدم صحـة مـا ذهب إليـه هؤلاء الباحثون وغيرهم من وجود فرقة تدعى بالسبئية .

---

(١) شوقي ضيف : **التطور والتجديد في الشعر الأموي** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ .

(٢) محمـد أبو زهـرة : **أبو حنيفـة** ـ حياتـه وعصره آراؤه وفقهه ـ دار الفكـر العربي ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) محمـود شكري الألـوسي : **مختصر التحفة الاثنى عشريـة** ـ استـانبـول ـ مكتبـة ايشيق ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ـ ص ٥٤ .

يقـول آل كاشف الغطـاء : « أما عبـدالله بن سبأ الـذي يلصقونـه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ، فهذه كتب الشيعـة بأجمعهـا تعلن بلعنه والبراءة منه ، وأخف كلمة تقولهـا كتب الشيعة في حقـه ويكتفون بهـا عن تـرجمة حـاله عنـد ذكره في العـين هكذا : « عبـدالله بن سبأ ألعن من أن يذكر » [(١)] . ويقول أبو زهـرة : « والشيعة الحـاضرون وأكثر المعتـدلين ينكرون أن يكون عبدالله بن سبأ منهم لأنـه ليس مسلما في نظـرهم فضلا عن أن يكـون شيعيا ، ونحن نـوافقهم كل المـوافقة » [(٢)] . ولهـذا يقول الدكتور طه حسين : «وأقـل ما يدل عليه إعـراض المؤرخين عن السبئيـة وعن ابن السـوداء في حـرب صفـين ، أن أمـر السبئيـة وصـاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفا منحولا ، قد اخترع بآخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية . أراد خصوم الشيعة أن يدخلـوا في أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا امعانـا في الكيد والنيـل منهم . ولو قـد كـان امر ابن السـوداء مستندا إلى أسـاس من الحق والتاريـخ الصحيح لكـان من الطبيعي أن يظهر أثـره وكيده في هـذه الحرب المعقـدة المعضلة بصفين » [(٣)] ثم يعقب على ذلك بقوله : أما أنا فلا أعلل الأمرين الا بعلة واحدة ، وهي أن ابن السوداء لم يكن الا وهما .. » [(٤)]

ويقول السيد أمير علي : « ويقسم الشهرستاني الشيعـة إلى خمس فـرق : زيديـة ، واسماعيليـة ، واثني عشرية أو امـاميـة ، وكيسـانيـة ، وغالية ، أو غلاة . على أن الحقيقة لما سيتضح من كلام الشهرستاني فيما بعد ـ أن بعض هذه الفرق ، وبخاصة الفروع التي تفرعت عليها ، لا صلة لهـا بالشيعـة الأصلية ... » [(٥)] . فـاضافتهـا إلى الشيعـة عـلى فـرض وجودها يحتاج إلى دليل لا إلى تكهن وتخمين .

أما الدكتـور احمد صبحي فيقـول : « ... ولكن السابق لأوانـه أن يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكري العميق فيحدث هذا الانشقاق العقائدي

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **اصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨ .
(٣) طه حسين : **الفتنـة الكبرى** ـ عـلي وبنوه ـ ط ٩ ـ القـاهرة دار المعـارف ـ ١٩٧٨ ـ ص ٩٠ . وانظر أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩ .
(٤) طه حسين : المصدر السابق ـ ص ٩١ .
(٥) السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٨ .

بين طائفة كبيرة من المسلمين ، ومن هنا فإن الدكتور « برنارد لويس » يشكك في وجوده فكريا ، أي من ناحية أثره في التطور العقدي للاسلام اذ يقول : « ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث ، وأنه صورة مثل بها في الماضي وتخيلها محدثو القرن الثاني للهجرة من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ ، وقد أظهر « فلها وزن وفريد ليندر » بعد دراسة المصادر دراسة نقدية بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين إلى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين ، وبين « كايتائي » أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لايمكن أن يتصورها العالم العربي المعروف عام ٣٥ هـ بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة ، وإنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء ... » (١)

بالاضافة إلى ذلك ، كيف استطاع ابن سبأ ان يغير الأمة المسلمة عن تفكيرها وعقيدتها بهذه الصورة الخيالية ، حتى استطاع أن يؤلب المسلمين على عثمان من جميع الأقطار الاسلامية في فترة قصيرة ، لم تحصل حتى لرسول الله (ص) المصطفى من الله ، حيث عاش في مكة يدعو قريشا ثلاثة عشر عاما إلى عبادة الله مع ما أوتي من قوة فكرية وسياسية أن يغير من عقائدهم الا أفراداً قليلة مما يدل على أن هذه الشخصية التي أعطيت هذه المكانة التي لا تستحقها إنما كانت مفتعلة لتشويه عقيدة الشيعة .

والذي يؤيد أن عبدالله بن سبأ شخصية لا واقع لها ، أن المصدر الوحيد الذي تنتهي إليه قصته هو ابن جرير الطبري المؤرخ الشهير ، وكل من جاء بعده اعتمد عليه في هذه الأسطورة وارسلها ارسال المسلمات التاريخية التي لا تقبل التشكيك والتأويل على حد زعمهم. ولهذا يقول الشيخ محمود أبو ريه : « ... وقد ظهر كتاب نفيس اسمه « عبدالله بن سبأ » من تأليف العالم العراقي الكبير الأستاذ مرتضى العسكري أثبت فيه بأدلة قوية مقنعة أن هذا الاسم لا حقيقة له ، لأن المصدر الأول الذي اعتمد عليه كل المؤرخين من الطبري الى الآن في اثبات وجوده هو سيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، وقد طعن أئمة السنة جميعا في

---

(١) أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة لدى الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧ .

روايته ، وقال فيه الحاكم : اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط ... » [1] . ولهذا يقول الدكتور الحوفي : « ولا شك أن هذه اسطورة لكنها مثيرة ، فليس في كتاب من كتب التاريخ الأولى شيء من هذا ، وليس في أقوال أنصار على أو خصومه اشارة إلى هذا الحدث ، ولو أنه كان صحيحا لأشاد به أنصار علي ، دلالة على صفاء ايمانه ، ولو أنه كان شبه صحيح لأتخذه خصوم على معاول لهدم حزبه » [2]

« ومن أغرب ما يروى من أمر عبدالله بن سبأ هذا أنه هو الذي لقن أبا ذر نقد معاوية فيما كان يقول من أن المال هو مال الله ، وعلمه أن الصواب أن يقول أنه مال المسلمين ... فالذين يزعمون أن ابن سبأ قد اتصل بأبي ذر فألقى اليه بعض مقاله يظلمون أنفسهم ويظلمون أبا ذر ، ويرقون بابن السوداء هذا إلى مكانة ما كان يطمع في أن يرقى اليها » [3] .

والأغرب من ذلك ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن ، حيث أدلى بالرأي الذي يراه وهو : « ان ابن سبأ هو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة الغالية في الاسلام ، وأن أعمال أبي ذر لا تنطوي على محاولة ما لتحويل الخلافة إلى علي ، وإنما أدت إلى توطيد دعائم هذا المذهب الذي غرس بذوره ابن سبأ » [4] .

وهذه الصياغة من الدكتور حسن ابراهيم غير سليمة من الناحية المنطقية والرأي غير صحيح . لأن مذهب الشيعة الغالية لا يفهم منه خصوص تحويل الخلافة إلى علي بن أبي طالب ، وذلك يشترك فيه كل الشيعة ، وإنما المراد من الغالية ـ كما سيأتي ـ المأخوذة من الغلو ، وهو تأليه على ، فابن سبأ على رأي الدكتور حسن،أول من بذر بذرة تأليه علي،

---

(١) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ص ١٥١ وانظر أيضا : السيد مرتضى العسكري : **عبدالله بن سبأ** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ مطبعة دار الكتب ـ ١٩٧٣ ـ جزآن .

(٢) أحمد الحوفي : **أدب السياسة** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ .

(٣) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ ـ ص ٦ـ٧ .

وكان دور أبي ذر توطيد هذه العقيدة في نفوس الشيعة ، التي تخرجه عن الاسلام ـ وقد فات الدكتور قول رسول الله لأبي ذر : « **ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أمرءاً أصدق لهجة من أبي ذر** »[1] «والغلاة هم الشيعة ـ كما يقول عبده فراج ـ الذين اعتنقوا أفكارا لا تتفق مع العقيدة الاسلامية وأقدمهم فرقة السبئية اتباع عبدالله بن سبأ » [2] .

والذي يظهر من ذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا ، ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من جهة ، وليشنعوا على علي وشيعته من جهة أخرى ، فيحاولوا رد بعض عقائد الشيعة إلى يهودي أسلم كيدا للمسلمين ، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة [3]

أما الغلاه الذين نسبوهم إلى الشيعة ، فيقول فيهم محمد جواد مغنية : « أما الغلاة فليسوا من الشيعة ولا من السنة ، لأن من أعطى صفة من صفات الألوهية لأي مخلوق كان ، أو أعطى غير النبي جميع صفات النبي فهو خارج عن الاسلام باتفاق الجميع ، وما نجده في بعض الكتب من نسبة الغلاة إلى مذهب التشيع فهو جهل ، أو دس بقصد التشنيع على الشيعة لغاية سياسية » [4] .

ويذهب الشهرستاني إلى القول في الشيعة الامامية إلى أن : « هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم بأحكام الالهية . وربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق . وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ، ومذهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام الالهية في حق بعض الأئمة .

---

(١) أبو المظفر الاسفراييني : **التبصير في الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦١ .
(٢) عبده فراج : **معالم الفكر الفلسفي** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧ .
(٣) طه حسين : **الفتنة الكبرى ـ عثمان** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٤ .
(٤) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٦ .

وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك ، وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول »[١] .

ومن هنا نلاحظ أن الشهرستاني نفسه قد اعترف بأن أهل السنة منهم من يقول بالتشبيه والحلول وغيرهما مما قالت به الشيعة ـ حسب دعواه ـ وهذا الزام منه بأن أهل السنة يذهبون إلى ذلك . أما دعواه أن الشيعة يذهبون إلى ذلك فدعوى تحتاج إلى دليل من مصادر شيعية ، ولما أهمل ذكر ذلك كان قوله بلا سند فيخرج عن الاعتبار . وفي ذلك يقول جوستاف : « نعم إن المعتدلين ـ من الشيعة ـ تبرأوا من تبعة هذا الغلو ، بنفس القوة التي كانوا ينبذون بها أي مباديء تشتم منها رائحة حلول الله في الامام ... »[٢] .

وقد نفى آل كاشف الغطاء ما نسب إلى الشيعة من الحلول وغيره بقوله : « ومن ذلك ما يزعمونه من أن النصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الامام إلى الله كنسبة المسيح إلى الله ، وهذا قول مرسل بغير سداد ، ولم يعين قائله من الشيعة ؟ فإن كان المراد ما يسمونه غلاة الشيعة كالخطابية ، والغرابية .. وأشباههم من الفرق الهالكة المنقرضة التي نسبتها إلى الشيعة من الظلم الفاحش ، وما هي إلا من الملاحدة والقرامطة ونظارهم ، فإن الشيعة الامامية وأئمتهم يبرأون من تلك الفرق براءة التحريم ، على أن تلك الفرق لا تقول بمقالة النصارى ، بل خلاصة قولتهم ، بل ضلالتهم أن الامام هو الله سبحانه وتعالى ظهورا واتحادا أو حلولا أو نحو ذلك مما ينقل عن بعض المتصوفة.. وقصارى القول إنه إن أريد بالشيعة تلك الفرق البائدة ، والمذاهب الملحدة التي لا أحسب أن على رقعة الأرض منهم اليوم نافخ ضرمه ، فنحن لا نضايق في ذلك ولكن نسبتهم إلى الشيعة ظلم فاحش ، وخطأ واضح ، وسوء في التعبير ، وان أريد بالشيعة الطائفة المعروفة اليوم بهذا الاسم ، والتي تعد بالملايين من

---

(١) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق جـ ١ ـ ص ١٧٣ .
(٢) جوستاف جرونيباوم : **حضارة الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤١ .

المسلمين فهذه كتبهم ومؤلفاتهم وعلماؤهم من حاضر وغابر ، فأين في شيء منها أثر هذا القول الباطل » [١]

أما فرقة الزيدية ، فالملاحظ أن الامام زيد بن علي بن الحسين لم يأت بفرقة ولا مذهب يخالف ما عليه أبوه وأخوه ، ولهذا جعل الاسفراييني أن فرق الزيدية ثلاث وهم الجارودية والسليمانية ، والابترية ، والجارودية هم أتباع أبي الجارود وليس اتباع زيد ، وهكذا بقية الفرق ، فنسبة هذه الفرق إلى زيد بن علي غير صحيح ، ولهذا بين الاسفراييني مذهب هؤلاء الثلاث الذين ينتسبون إلى زيد بن علي ، وأن الاختلاف ما بين هذه الفرق شديد وصل إلى حد تكفير بعضهم بعضا [٢] . بالاضافة إلى ذلك ، أن بعض الباحثين يرى أنه لم تكن هناك فرقة حتى ذلك التاريخ الذي قتل فيه زيد بن علي تسمى بالزيدية بالمعنى الذي وجد بعد ذلك [٣]

أما فرقة الغرابية التي أضافوها إلى فرق الشيعة ، فالشيعة لا تعرف هذه الفرقة ، وليس لها أثر في كتبهم . أما عقيدة هذه الفرقة كما هو موجود في مصادر غير شيعية ، أن شخصا ادعى أن النبوة كانت لعلي ، وقد أخطأ الوحي في نزوله على محمد (ص) ، لأن عليا كان يشبهه كما يشبه الغراب الغراب . وقد جاء عن بعض أهل السنة أعظم من ذلك في الخليفتين أبي بكر وعمر ، ومع ذلك فلم يعدوا أصحاب تلك المقالات فرقا من فرق السنة ، ولم يحكموا بتجريحهم [٤] .

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **التثبت قبل الحكم** ـ دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام . جمع محمد محمد المدني ـ القاهرة ـ دار التحرير ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ ص ٧٤ ـ ٧٨ .

(٢) انظر الاسفراييني : **التبصير في الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٣) محمد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧٠ ـ ٦٧١ .

(٤) هاشم الحسني : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـص ٩٤ . وانظر جلال الدين السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط٣ ـ القاهرة ـ مطبعة المدني ـ ١٩٦٤ ـ ص ١١٧ . وأيضا المحب الطبري : **الرياض النضرة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص١١٢ .

ومن هنا يظهر عدم موافقة ما توصل إليه الباحث فيما ذهب إليه الدكتور سعيد اسماعيل علي في قوله : « ولابد للباحث في دراسة أفكار غلاوة الشيعة أن يأخذه العجب للسبب الذي دعا إلى الاعتقاد بألوهية علي مع أن أحدا لم يقل بألوهية محمد (ص) ، ولكننا إذا ضممنا هذا الرأي إلى آراء أخرى تسير في نفس الاتجاه ثم تنبهنا إلى أن أكثر شيعة علي كانوا في العراق وفارس حيث شاعت تعاليم ماني ومزدك وابن ديصان ، فلربما أدرك السر الذي يكمن وراء هذا .. »[١] .

إن أكثر الباحثين من المسلمين وغيرهم في هذه النظرية ، اعتمدوا في دراسة آراء وأفكار غلاة الشيعة من مصادر غير شيعية ، لم تكن خالية من التحيز والتعصب الظاهر ، مع أن مؤلفي الشيعة ومفكريهم ينفون وجود مثل هذه الفرقة في كتبهم . بالاضافة إلى أن الباحثين لو اعتمدوا على الوقائع التي رافقت تاريخ المسلمين قبل الفتح العربي لبلاد الفرس ، لوجدوا أن الفرس أثناء الفتح العربي الاسلامي كانوا يدينون بمذهب السنـة وليس للشيعة فيها عين ولا أثر وإنما دخل التشيع إلى بلاد فارس نتيجة الاضطهاد الذي أصاب الشيعة في العصر الأموي والعباسي ، مع أن القائلين بـالغلو ينسبون ذلك إلى ابن سبأ اليهودي الصنعاني الذي كان في عصر عثمان ، وهو بعيد عن بلاد فارس . ولهذا يقول جولد تسيهر : « الخطأ القائل بأن التشيع في منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلي الذي أحدثته أفكار الأمم الايرانية في الاسلام ، بعد أن اعتنقته أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية . وهذا الوهم الشائع مبني على سوء فهم للحوادث التاريخية .. فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحتة »[٢] .

وصفوة القول : أن أكثر الفرق حسب الاحصـاء الموجـود في كتب الفرق والتراجم ، لا وجود لها إلا اسمها ، وعلى فرض وجودهـا لايسوغ اعطاؤها وصف الاسلام ، فضلا عن التشيع الذي لايشذ في أصوله وفروعه عن القرآن ونصوص الرسول (ص) لأن التشيع لايعني مجرد الحب والولاء لعلي وبنيه ، بل لابد مع ذلك من الايمان بالكتاب والنبوة ، وبكل ما جاء به

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **نشأة التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ .
(٢) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

النبي من أصول وفروع ، فالمنكر لنبوة محمد (ص) أو لبعض ما فرضه الله في كتابه من ضروريات الدين وحتى المشكك بشيء من ذلك خارج عن الاسلام والتشيع فضلا عمن يدعي الألوهية لأحد من الناس أو الحلول في الله ، أو يعطي صفات الخالق وخصائصه لبعض مخلوقاته[1] .

إن أية شائبة تشوب ذهن الإنسان في أصول العقيدة ، قد تدفعه إلى أن يبني إطارات فكرية خاطئة أو غير سليمة ، لذلك ينبغي على الفرد أن يستمع إلى النقد والتوجيه ، وأن لايركن إلى التعصب ، لأنه يدفع الإنسان إلى الإبقاء على الشوائب التي علقت في ذهنه وممارستها فكريا وعمليا . وعلى هذا توجد عناصر في العقيدة الدينية يؤدي استعمالها إلى تطوير معالم التحرك الحضاري وعناصره ومقدماته ووسائله ، كما توجد مظاهر أخرى متوفرة في عناصر وممارسات يؤدي عدم استعمالها إلى الجمود والتأخر ، ومن هنا لابد من مراعاة شروط الحركة ومتطلباتها على ضوء الحقائق ، لتقوم العقيدة الدينية بدورها السليم في بناء المجتمع وفي عملية تسيير الحياة بما يضمن سعادة الإنسان الشرعية[2] .

والاعتماد على معيار ثابت لمعرفة عقيدة فرقة من الفرق أو جماعة من الجماعات لابد أن يكون على ضوء الالتزام بما عند الفرقة أو الجماعة في مؤلفاتهم وكتبهم . وعلى هذا يقول القاسمي : « أرى من واجب كل من يؤرخ في مذهب قوم ، وكل من يناقش فرقة ما في مذهبها ـ أن ينقل آراءها عن كتب علمائها الثقات ، ويقوم بالعزو إلى مآخذها ومصادرها ، لتكون النفس في طمأنينة مما يريبها ان لم يعن بهذا الواجب .. »[3] خصوصا فيما يتعلق بقضايا العقيدة التي يتوقف على صحتها أو عدم صحتها الايمان وعدمه . « وبالجملة فلابد من السند في قبول ما يعزىٰ ويروىٰ إلى تلك الفرقة ، فاما عن أسفارها أو عن إمام ثقة أثر عنها ، وأما من رمى فرقة برأي بدعوى أنه قيل عنها ذلك أو يقال ، فمما لايقام له وزن في الصحة والاعتماد ... وهذه القاعدة يجب أن تؤخذ دستورا وأمرا عاما في كل ما يؤثر

---

(١) هاشم معروف الحسني : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ .
(٢) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ـ٦٢ .
(٣) الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي : **تاريخ الجهمية والمعتزلة** ـ ط١ ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ص ٣٠ .

وينقل ..»[1] لبناء الفكر الصحيح عن تلك الفرقة . ويستعرض الباحث المعالم الأساسية لفكر الشيعة العقائدي والتي بالامكان توفيرها عن طريق التربية الإسلامية .

(١) المصدر السابق : ص ٣٠ .

ثانيا : الأصول الفلسفية

وتشمل :

الأصل الأول : التوحيـــد :

وحدة الذات والصفات من منظور الشيعة الإمامية .

الأصل الثاني : النبـــوة :

حاجة الناس إلى النبي .
عقيدة الشيعة في نبوة محمد (ص) .
القول في عصمة الأنبياء .

الأصل الثالث : العـــدل :

أولا : في حرية الإرادة الإنســانية أو (القضــاء والقدر) ومــوقف التربية منها .
ثانيا : في الحسن والقبح أو (الخير والشر) .

الأصل الرابع : الإمامـــة :

الأصل الخامس : المعـــاد :

الأصل الأول : « التوحيـــــد » :

الإسلام دين التوحيد ، والتوحيد هو الأساس الذي ينطلق منه الإنسان المسلم في بناء عقيدته في عمق ذاته ، وبدون ذلك لايكون مسلما ، ولايشع في روحه ضوء الإيمان ، ولو آمن بجميع الأصول والفروع ، لايختلف في مفهومه عما يقول به جميع المسلمين .

أما التوحيد عند الشيعة ، فقد وصفه آل كاشف الغطاء في قوله : « ويجب على العاقل بحكم عقله عند الإمامية تحصيل العلم والمعرفة بصانعه والاعتقاد بوحدانيته في الألوهية ، وعدم شريك له في الربوبية ، واليقين بأنه هو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والاعدام ، بل لا مؤثر في الوجود عندهم إلا الله ، فمن اعتقد أن شيئا من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الإسلام ، وكذا يجب عندهم إخلاص الطاعة والعبادة لله ، فمن عبد شيئا دونه أو ليقربه زلفى إلى الله فهو كافر عندهم أيضا ، ولايجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له .. »[1] . ولهذا يقول العلامة الحلى : « وقول الإمامية في التوحيد .. إن الله تعالى واحد لا قديم سواه ، واله غيره ، ولايشبه الأشياء ولايجوز عليه ما يصح عليها من التحرك والسكون ، وأنه لم يزل حيا قادرا عالما مدركا لايحتاج إلى أشياء يعلم بها ، ويقدر ويحيى وأنه لما خلق الخلق أمرهم ونهاهم ولم يكن آمراً ولا ناهيا قبل خلقه لهم ..»[2] .

وقد استدل الشيعة على وحدانية الله سبحانه ، بأن أكثر العقلاء اتفقوا على أنه سبحانه واحد ، والدليل على ذلك النقل والعقل . أما العقل فلوجوب وجوده تعالى ، فإنه يدل على وحدته ، لأنه لو كان هناك واجب وجود آخر لتشاركا في مفهوم كون كل واحد منهما واجب الوجود . فإما أن يتميزا أو لا ، والثاني يستلزم المطلوب وهو انتفاء الشركة ، والأول يستلزم التركيب وهو باطل وإلا لكان كل واحد منهما ممكنا ، وقد فرض أنه واجب الوجود

---

(١) آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ـ٦٢ .
(٢) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ المطبعة الحيدرية في النجف ـ ١٩٧٩ ـ جـ١ ـ ص ١٩٩ .

وهذا خلاف الفرض[1] . وفي ذلك يقول الصدوق : الحمد لله الذي توحد بالوحدانية وتفرد بالالهية وفطر العباد على معرفته وكل الألسن عن صفته ، وحجب الأبصار عن رؤيته »[2] « .. عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم .. » كما يقول الكليني[3] .

وقد سلك الشيعة في فلسفة التوحيد نهج أئمة أهل البيت ، فهو المنهج الأصيل عندهم الذي اتحدت فيه كلمة أهل البيت ، ودافعوا عنه[4] . ولهذا يستدلون على التوحيد بأقوال أئمتهم ، ويستنبطون معنى التوحيد من هذه الأقوال ، كقول الإمام علي في أول خطبته ، حيث بين التوحيد الخالص في ترجمة الفكرة الغامضة ، بتعابير مقتضبة ، ذات الرؤية الواضحة ، رغم اشتمالها على المحتوى الفلسفي الواسع ، حيث يقول : « **أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه** ..»[5] .

وجاء في توحيد الصدوق ، المتوفى سنة ٣٨١هـ ، أن رجلا سأل الإمام علياً في البصرة عن حقيقة التوحيد فقال : **إن القول بالوحدانية يصح على أربعة أوجه : إثنان منها لا تجوز عليه سبحانه ، واثنان ثابتان له . فأما ما لا يجوز منها عليه ، فقول القائل : واحد يلاحظ العدد ، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد ، ولذا كفر من قال : إن الله ثالث ثلاثة . وكذا اطلاق الواحد عليه يلاحظ أنه واحد من الناس ، ويراد بذلك النوع من الجنس ، وهذا لا يجوز عليه سبحانه ، لأنه تشبيه وجل ربنا عن ذلك وتعالى علوا كبيرا . وأما اللذان يجوزان عليه سبحانه ،**

---

(١) جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر العلامة الحلى : **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد** ـ ط١ ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ ص٣١٦ .

(٢) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص١ .

(٣) ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني : **أصول الكافي** ـ ايران ـ مطبعة حيدري ـ بدون تاريخ ـ جـ١ ـ ص١ . المتوفى سنة ٣٢٨هـ .

(٤) محمد جواد فضل الله : **الإمام الرضا تاريخ ودراسة** ـ بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣ ـ ص ٢٢٢ .

(٥) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني : **شرح نهج البلاغة** ـ طهران ـ مؤسسة النصر ـ ١٣٧٨هـ جـ١ ـ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ . والمتوفى سنة ٦٧٩هـ .

فهما الواحد بمعنى نفي الشبيه له ، وبمعنى أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربنا عز وجل[1] .

وجاء عن الحسين بن علي : « ...**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. استخلص الوحدانية والجبروت** .. »[2] وقال علي بن الحسين : « **الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والأخر بلا آخر يكون بعده** » . فالشيعة تعتقد أن الله سبحانه واجب الوجود لذاته . ومعنى هذا أنه تعالى لايزال موجودا بلا علة لوجوده ، وأنه الموجود الأول بلا ابتداء ، ودائم الوجود بلا انتهاء ، وأنه المبدأ الأول لكل الموجودات ، ولو أمكن عدم وجوده لحظة لم يكن واجب الوجود وهو خلاف الفرض . ولهذا قال أيضا : « **وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ، ودلنا عليه من الإخلاص في توحيده** .. » دعا سبحانه العباد إلى الإيمان به والإخلاص له في العبادة وحده بلا ند وشريك ، وما من شك أن الإيمان ثمرة العلم وفرع عنه ، لذا أرشدنا سبحانه إلى الطريق الموصل إلى هذا العلم وهو إمعان النظر في الموجودات الكونية وطبائعها وتماسكها ووحدة نظامها حيث لا تفسير معقول لذلك إلا بقوة عليمة[3] . هذه هي عقيدة الشيعة في التوحيد كما أخذوها عن أئمة أهل البيت .

« وحدة الذات والصفات من منظور الشيعة الإمامية »

« وحدة الذات الإلهية » :

ويقصد بوحدة الذات الإلهية ، بساطتها ، واستحالة كونها مركبة بأي نحو من أنحاء التركيب . سواء كان عقليا ، كتركب الذات من جنس وفصل . أو خارجيا كتركبها من المادة والصورة[4] . ويعتقد الشيعة بوحدة

---

(١) هاشم معروف الحسني : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ .
وأيضا الصدوق : **الخصال ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢** .

(٢) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣) محمد جواد مغنية : **في ظلال الصحيفة السجادية** ـ ط٢ ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٣ ـ ٢٤ .

(٤) محمد جعفر شمس الدين : **دراسات في العقيدة الإسلامية** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٤١ .

الذات الالهية وأنها غير مركبة لا عقلا ولا خارجا ، واستدلوا على استحالة تركب الذات بأي نحو من أنحاء التركيب بأمور :

الأول :إن المركب ، مفتقر في وجوده إلى كل جزء من أجزائه ، بحيث لو تخلف جزء واحد فقط عن الإنضمام إلى باقي الأجزاء لما وجدت ذات المركب ، أي أن كل جزء من أجزاء المركب مفتقر في وجوده للأجزاء الأخرى ، ليتحقق وجود المركب ، والفقر والحاجة نقص يتنزه عنه واجب الوجود ، لأنه الغنى المطلق . ولهذا أشار علي بن أبي طالب : « ..**ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله** .. »[1] . وفي ذلك يقول العلامة الحلي : « .. **إن وجوب الوجود يقتضي نفي التركيب أيضا والدليل على ذلك أن كل مركب فإنه مفتقر إلى أجزائه لتأخره وتعليله بها ، وكل جزء من المركب فإنه مغاير له ، وكل مفتقر إلى الغير ممكن فلو كان الواجب تعالى مركبا كان ممكنا هذا خلف ، فوجوب الوجود يقتضي نفي التركيب واعلم أن التركيب قد يكون عقليا وهو التركيب من الجنس والفصل وقد يكون خارجيا كتركب الجسم من المادة والصورة وتركيب المقادير وغيرها والجميع منتف عن الواجب تعالى لاشتراك المركبات في افتقارها إلى الأجزاء فلا جنس له ولا فصل له ولا غيرهما من الأجزاء الحسية والعقلية** »[2] .

الثاني : إن الذات الإلهية ، لو كانت مركبة من أجزاء لاحتاجت في تركبها والتأليف بينها إلى مركب ومؤلف ، وبالتالي لاحتاج الوجود التركيبي المزعوم للذات الإلهية إلى موجد ، وهو خلاف فرض الله واجب الوجود لذاته بذاته[3] .

الثالث : إن الذات الإلهية ، لو كانت مركبة من أجزاء لم يخل أمر هذه الأجزاء عن احدى ثلاث حالات :

---

(١) البحراني : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٠٧ .

(٢) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١٧ . وأيضا عبدالله شبر : **حق اليقين في معرفة أصول الدين** ـ ط٢ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ـ جـ١ ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) انظر محمد جعفر شمس الدين : **دراسات في العقيدة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤١ .

الأولى : أن تكون جميع هذه الأجزاء واجبة الوجود . ومعنى هذا أن كل جزء مباين مع الأجزاء الأخرى . ولازم ذلك أن تكون الذات الإلهية مركبة من المتباينات وهو مستحيل ، لأنه لا يمكن أن نفرض أي تلازم وارتباط بين هذه الأجزاء ، إلا إذا فرضنا أن التلازم بين هذه الأجزاء ، إما أن يكون ناشئا من كون بعضها معلولا للبعض الآخر ، أو كلها معلولة لعلة خارجة . وكلا الفرضين ينافي كون الذات الإلهية واجبة الوجود بذاتها .

الثانية : أن يكون جميع هذه الأجزاء ممكنة الوجود . ومعنى هذا أن الذات الإلهية ممكنة الوجود ، لأن المركب من الممكنات لابد وأن يكون ممكنا ، وهذا خلاف فرض الله واجب الوجود بذاته .

الثالثة : أن يكون بعض هذه الأجزاء واجب الوجود والبعض الآخر ممكن الوجود . ومعنى هذا ، أن الذات الإلهية مركبة من أمرين متباينين ، واجب وممكن ، وهو مستحيل ، لأن الممكن من هذه الأجزاء ، لابد وأن يكون حادثا . ولازم هذا ، أن تكون الذات الإلهية محلا للحوادث ، وما كان محلا للحوادث لابد وأن يكون حادثا ، وهذا خلاف فرض الله قديما .

وعلى ضوء هذه الأدلة الثلاثة ، يتضح أن الذات الإلهية يستحيل فيها التركيب ، بل هي واحدة وبسيطة من جميع الجهات[1] .

من هذا العرض لوحدة الذات الإلهية ، يظهر أن الصفات الذاتية عند الشيعة ، ـ ويطلق عليها صفات الكمال ـ كالعلم والقدرة والاختيار والحياة والإرادة والكراهة والسمع والبصر والسرمدية ونحوها ، هي عين ذاته تعالى وجودا وعينا وفعلا وتأثيرا ، بمعنى أن ذاته تعالى بذاته يترتب عليه آثار جميع الكمالات[2] . وليس المراد أنه سميع بجارحة السمع ، أو بصير بآلة البصر . إذ لو كان كذلك لكان تعالى ذا جزء ، ولكان محلا للحوادث ولكان ممكنا ، وكل ذلك منتف عنه سبحانه ، بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المسموعات والمبصرات بدون آلة[3] . ولهذا **يقول الإمام علي بن أبي**

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤١ ـ ١٤٢ .
(٢) عبدالله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٤٦ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٩ .

طالب : « إن الله ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيـرى .. كلم موسى تكليما بلا جوارح وأدوات .. »[1] .

يقول القزويني : « صفات الله الذاتية هي عين ذاته وتمام حقيقته بلا تعدد ولا اثنينية ولا مغايرة جهة لجهة كـالحياة والقـدرة والعلم .. فهذه الصفات كلها عين الذات وتمام الحقيقة استحقها لنفســه لا لمعنى آخر ، ودليلنا على ذلك أنه لو كان عالما بعلم وقادرا بقدرة وحيا بحياة وباقيا ببقاء لزم إما أن تكون هذه الصفات معان قديمة معه في الأزل أو أنها حادثة ، فإن كانت قديمة معه في الأزل لزم تعدد القدماء من جهة ومشاركة هذه المعاني له في أخص صفاته ومماثلتها له من جهة أخرى وهو يستلزم بطلان التوحيد .. وإن كانت هذه الصفات حادثة لزم أن يكون قبل حدوثها غير مستحق لأن يوصف بها ، وقد ثبت بالضرورة أنه تعالى لم يزل عالما قادرا حيا باقيا ، ولأنها لو كانت حادثة لاحتاجت إلى محدث يحدثها ولا يجوز أن يكون المحدث غير الله ، لأنه الفاعل الأول والقديم الذي لم يزل ، فكيف يصح في العقول أن يفعل الحياة لنفسه من لا حياة له أو يحدث القدرة من لا قدرة له ... ومن كل هذا ونحوه نستشرف على القطع بأن هذه الصفات ... هي عين ذاته وتمام حقيقته »[2] فقدرة الله سبحانه من حيث الوجود حياته ، وحياته قدرته ، فهو سبحانه قادر من حيث هو حي ، وحي من حيث هو قادر ، لا اثنينية في صفاته ووجودها . هذه الصفات وان كانت مختلفة في معانيها ومفاهيمها ، ولكنها واحدة في حقائقها ووجوداتها ، لأنه لو كانت مختلفة في الوجود ، وهي بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات ، للزم تعدد واجب الوجود ، ولانثلمت الوحدة الحقيقية ، وهذا ما ينافي عقيدة التوحيد[3] .

وينقل الحراني ، « المتوفى في القرن الثـالث الهجري » كـلام **الامام علي في ذلك : « ان اول عبادة الله معرفته ، وأصل معـرفته تـوحيده ، ونظـام توحيـده نفي الصفات عنــه ، لشهادة العقـول أن كـل صفـة**

---

(١) هاشم الحسني : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٣ .
(٢) أمير محمد القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤ .
(٣) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩ .

وموصوف مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ... ومن قال : حتى فقد غياه ، ومن غياه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد وصفه ... لا دين الا بمعرفة ولا معرفة الا بتصديق ولا تصديق الا بتجريد التوحيد ، ولا توحيد الا بالاخلاص ، ولا اخلاص مع التشبيه ولا نفي مع اثبات الصفات ، ولا تجريد الا باستقصاء النفي كله .. » الى آخر كلامه في التوحيد[1] .

هذه هي عقيدة الشيعة في صفات الله الذاتية ، وأنها عين الذات ، ذهنا وخارجا ، وهناك صفات أخرى تسمى ، بصفات الأفعال ، وهي : كل صفة تقتضي وجود غير الموصوف فهي صفة الفعل ، كقولنا مالك وجواد وفاعل وراحم ورازق ومتكلم وصادق وغير ذلك من صفات الأفعال ، فان مالك مثلا يقتضي وجود المملوك، لأنه لا يقال ملك المعدوم ... بمعنى ان الله لا يتصف به الا بعد وجود الفعل ، فلا يطلق عليه خالق قبل خلقه للأشياء ، ولا محي قبل احيائها [2] .وفي ذلك يقول أبو زهرة : « أثبت الامامية لله ما أثبته القرآن الكريم له سبحانه ، وقد قسموا ما أثبته القرآنٌ الى قسمين : أحدهما ، صفات ذاتية له سبحانه ... والثاني ، صفات افعال ، وهي الصفات التي تقررت لوجود افعال له سبحانه ، ككونه خالقا [3] .

هذا موجز لما يعتقده الشيعة في ذات الله وصفاته ، والذي يظهر منهم انهم استنتجوا ذلك من اقوال أئمتهم ، وأخذوا عنهم معنى التوحيد والصفات ، كما استدلوا على ذلك بما جاء عنهم .

أما مسألة التشبيه والتجسيم والجهة ، وما يترتب عليها من القول بالحلول ، فالشيعة تعتقد : « أن الله سبحانه ليس بجسم ، ولا بجوهر ، ولا عرض ، ولا في جهة ، أو زمان ، أو مكان ، ولا يتحد بغيره ولا يحل في شيء ، اذ لو كان جسما لكان حادثا ، ولافتقر الى حيز . ولو كان في مكان أو زمان أو جهة لزم قدم المكان والزمان والجهة ، مع أنه لا قديم سواه ، هذا

---

(١) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣ ـ٤٤ ـ٤٥ ـ.
(٢) امير محمد القزويني : **اصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤
(٣) محمد ابو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٠ .

بالاضافة الى أنه يكون مفتقرا الى الغير ، ولو كان جوهرا لكان وجـوده غير ماهيته مع أن وجوده عين الماهيـة . ولو كـان عرضـا لكان قـائما بغـيره ، ومحتاجا الى سواه ولو اتحد بغيره لصار الاثنان واحـدا . ولو حـل في شيء لكـان في حـاجـة الى المحـل الـذي حـل فيـه ، وكـل محتـاج حـادث وممكن »[1] . ولهـذا **يقول الكليني** : « .. **عـرف بغـير رؤيـة ، ووصف بغير صورة ، ونعت بغير جسم** »[2] . **وجاء عن الامـام علي** : « **كـذب العـادلون بـك اذ شبهوك بـأصنـامهم ، ونحلـوك حليـة المخلـوقـين بأوهامهم** ...»[3] .

الأصل الثاني : «النبوة » :

« حاجة الناس الى النبي » :

يقـول البحراني : « .. فلمـا كان المقصـود الأول من بعثة الأنبيـاء والـرسل بـالكتب الالهية والنـواميس الشرعية ، إنما هو جـذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هـذه الدار والفـاتها الى حظائر القدس ومنازل الأبرار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كـانت من ذلك على خطر ... ثم ما يلـزم ذلك المقصـود من تدبـير أحوال المعـاش البدني وساير أسباب البقاء للنوع الانسـاني .. » [4] . « واذا وجب في الحكمة اقامة من يقوم بالتعليم مقامه من جهته - سبحانه - كان ضروريا وجود من يكون في عالم النفس نبيا معلما مؤيدا ، واماما مفضلا مقدمـا . فيعلم الكافة مصـالحها ، ويهـديها ويقيهـا مما يـوبقها ويؤذيهـا ، ويسد فاقتها ، ويختم بالحسن عاقبتها » [5] .

فالبشر لما كانوا مختلفين في القدرات والقـابليات والاستعـدادات في سرعـة قبول مـا يلقىٰ اليهم من العلم ، وكان التعليم واجبـا في الحكمـة ،

---

(١) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الاسلامية** - مرجع سابق - ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) الكليني **الكافي** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١ .

(٣) هاشم الحسني : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** - مرجع سابق - ص ١٤٧ .

(٤) البحراني : **شرح نهج البلاغة** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢ .

(٥) حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني : **الأقوال الذهبية في الطب النفساني** - تحقيق عبد اللطيف العبد - القاهرة - النهضـة المصرية - ١٩٧٨ - ص ١٧٥ - والكـرماني يلقب بحجة العراقين وكبير دعاة الشيعة في العراق - توفى سنـة ٤١١ هـ - انظر قـول المحقق - ص ٦ .

وامتنـع الأمر في وصـول البشر الى المتعالي سبحـانه ، ليتـولى هو بـذاتـه هـدايتهم وتعليمهم ، لذلـك وجب اقـامـة من يخلفـه في تعليمهم ، ويقـوم مقامه في هدايتهم ، فالمـرشح للنبـوة لا بد وأن يكـون على غـاية لا يفـوته فيض عالم القدس ، وهو كلام الله المسمى وحيـا ، فيكون بـه مخاطبـا من جهة الله سبحانه ، ومعلما ، وعلى هذا يجب ان يكون مهيئا لقبـول ما يلقىٰ اليه بأدنى اشـارة وتعريض بحيث لا يحتـاج معه الى اعـادة قول عليـه . وهذا بخلاف من يحتاج الى عناء ورياضة ومشقـة ، وترتيب الكـلام معه ، وتعليمه [١]

ولما كان الانسان مخلوقا غريب الاطوار ، معقد التركيب في تكوينـه وفي طبيعته وفي نفسيته وفي عقلـه ، وقد اجتمعت فيـه نوازع الفسـاد من جهـة وبواعث الخـير والصلاح من جهـة اخـرى . فمن جهـة جبـل عـلى العواطف والغرائز من حب النفس والهوى والأثرة واطاعة الشهوات ، كما فطر على حب التغلب والاستيلاء على الغير ، والتكالب على الحياة الـدنيا . ومن جهة ثانية ، خلق الله سبحانه فيه عقلا هاديـا يرشـده الى الصـلاح ، ومواطن الخير ، وضميرا وازعا يردعه عن المنكرات والظلم والشرور ويؤنبه على فعل مـا هو قبيـح ومذمـوم ، ولا يزال الخصـام الـداخـلي في النفس الانسانية مستعرا بين هذه الغرائـز والعقل [٢] . اذن لا بـد من قانـون يرجع اليـه الجميع في حفظ نظـامهم وتنظيم غرائـزهم ورعايـة حقوقهم في المعاملات والجنايات وغيرها من مـرافق الحياة ، ويقطـع به دابـر الشغب ويـزيل الفتن بـين الأفراد والجمـاعات ، ويحكم بينهم بـالعـدل ،، وهـذا القانون لا بد وان يكون سماويا ، لأنه ان لم يكن سماويـا لم يمكن رجوع الجميع اليه لاختلاف طباعهم وتباين أحوالهم وتضـارب نزعـاتهم ، فيقع التنافس بينهم ، ويختل بذلك نظامهم ، وهذا القانون هـو الشرع . فلا بـد اذن للشرع من يسنه ويقرر ضوابطه ، ولا بد من أن يمتاز ذلـك الشخص عـلى سواه من بـين نوعـه لانتفاء الأولـوية ويلـزم أن يتميـز من قبـل الله سبحـانه بخـارقة ينقـاد اليه النـوع البشري وتصديقـه بحيث يتم النظام ويستقر حفظ الانسان ، ويكون حجة من قبله تعالى يبين لهم ذلك القـانون

---

(١) المصدر السابق : ص ٦ .

(٢) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ .

وذلك الحجة هو النبي [١]

والنبوة بوصفها ظاهرة ربانية في حياة الانسان هي القانون الذي وضع صيغة الحل هذه بتحويل مصالح الجماعة وكل المصالح الكبرى التي تتجاوز الخط القصير لحياة الانسان الى مصالح للفرد على خطه الطويل . وذلك عن طريق اشعاره بالامتداد بعد الموت والانتقال الى ساحة العدل والجزاء التي يحشر الناس فيها ليروا اعمالهم .. وصيغة الحل هذه تتألف من نظرية وممارسة تربوية معينة للانسان على أساسها ، والنظرية هي المعاد يوم القيامة ، والممارسة التربوية على هذه النظرية عملية قيادية ، ولا يمكن الا أن تكون ربانية لأنها عملية تعتمد على اليوم الآخر أي على الغيب فلا توجد الا بوحي السماء وهي النبوة [٢] . ولهذا فالنبوة عند الشيعة تمثل رسالة ثورية وعملا تغييريا للجماعة الانسانية ، لكي تقوم بدورها الصالح بأن يتسلم شخص النبي الرسول الخلافة العامة ليحقق للثورة اهدافها في القضاء على الجاهلية والاستغلال [٣]

وهذه التربية لا يمكن أن تبدأ من داخل الجماعة التي انحرفت مسيرتها وتمزقت وحدتها ، بل لابد من تربية تتلقاها ، ولابد من هدىً ينفذ إلى قلوبها من خارج الظروف النفسية التي تعيشها . وهنا يأتي دور الوحي والنبوة ، ليكونوا منذرين ومبشرين ، فالوحي وحده هو القادر على أن يؤمن التربية الثورية التغييرية والخلقية والنفسية الصالحة ، التي تنشيء ثائرين لا يريدون في الأرض علوا ولا فسادا ، وتجعل من المستضعفين والمحرومين أئمة لكي يتحملوا أعباء الخلافة بحق ويكونوا هم الوارثين[٤] .

والنبي الرسول هو حامل الرسالة من السماء ، والانسان المبني ربانيا ، ومن هنا دعا الأنبياء الى جهادين : أحدهما الجهاد الأكبر من

---

(١) امير محمد القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٢) محمد باقر الصدر : **موجز في أصول الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ .
(٣) محمد باقر الصدر : **خلافة الانسان وشهادة الأنبياء** ـ قم ـ ايران ـ مطبعة الخيام ـ ١٣٩٩ هـ ـ ض ٤١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٩ .

أجل أن يكون المستضعفون أئمة ويتغلبوا على شهـواتهم ويبنوا أنفسهم بناء ثوريـا صالحـا ، والآخر الجهـاد الأصغر من أجـل ازالة المستغلـين والظالمين عن مواقعهم . وهاتان العمليتان تسـيران جنبا الى جنب في ثـورة الأنبيـاء ، فالنبي ينتقـل بأصحـابه دائمـا من الجهاد الأكبـر الى الجهـاد الأصغر ومن الجهاد الأصغر الى الأكبر ، بل أنهم يمارسـون الجهادين في وقت واحد ، حتى في ساحات الجهاد وفي أحرج لحظات القتال[1] .

والنبي يتمثل دوره في أمور ثلاثة :

أولا ـ استيعاب الرسالة السماوية والحفاظ عليها .

ثانيا ـ الاشراف على ممارسة الانسان لدوره في الخلافة ومسئوليـة اعطاء التوجيه بالقـدر الذي يصـل بالـرسالـة وأحكامهـا ومفاهيمهـا الى مستوى التطبيق .

ثالثا ـ التدخل لمقاومة الانحـراف واتخاذ كـل التدابـير الممكنة من أجل سلامة المسيرة .

ويعتقـد الشيعة أن هـذه الادوار يشتـرك فيهـا مـع النبي (ص) الامام والمجتهد «المرجع الديني»، فالنبي أو الامام أو المجتهد، هومرجـع فكري وتشريعي من الناحية الايديـولوجيـة ، يشرف على سـير الجماعـة ، وانسجامه أيديولوجيا مع الرسالة الـربانيـة التي يحملها ، ومسئـول عـن التدخل لتعديل المسيرة أو اعادتها الى طريقها الصحيح اذا واجه انحرافا في مجال التطبيق فالنبي هو حامل الرسالة من السماء باختيار الله تعالى له للوحي ، والامام هو المستودع للرسالة ربانيا ، والمرجع هو الانسـان الذي إكتسـب من خلال جهد بشرى ومعاناة طويلة الأمد استيعابا حيا وشـاملا ومتحركا للاسلام ومصادره وورعا معمقا يروض نفسـه عليه حتى يصبـح قوة تتحكم في كل وجوده وسلوكه ووعيا اسلاميا رشيـدا على الـواقع ومـا تزخر به من ظروف وملابسات ليكون شهيدا عليه [2]

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢ ـ ٢٣ .

هذه نبذة مما يعتقده الشيعة في حاجة الناس الى النبي باعتباره موجها ومعلما للناس .

عقيدة الشيعة في نبوة محمد (ص) »:

يقول العلامة الحلي : « .. في نبوة محمد صلى الله عليه وآله : إعلم أن هذا أصل عظيم في الدين وبه يقع الفرق بين المسلم والكافر ، فيجب الاعتناء به واقامة البرهان عليه ... » [١] . ولهذا يعتقد الشيعة أن النبي محمداً (ص) الذي جاء برسالة الاسلام تميز عن جميع الأنبياء الذين سبقوه ، وذلك بتقديم رسالته بوصفها آخر أطروحة ربانية ، وبهذا أعلن أن نبوته هي النبوة الخاتمة . وفكرة النبوة الخاتمة كما يرى **السيد محمد باقر الصدر**، لها مدلولان **أحدهما** : سلبي وهو المدلول الذي يلغي ظهور نبوة أخرى على المسرح ،**والآخر** ، ايجابي وهو المدلول الذي يؤكد استمرار النبوة الخاتمة وامتدادها مع العصور . فالمدلول السلبي للنبوة الخاتمة قد انطبق على الواقع تماما خلال الأربعة عشر قرنا التي تلت ظهور الاسلام وسيظل منطبقا على الواقع مهما امتد الزمن ، غير أن عدم ظهور نبوة أخرى على مسرح التاريخ ليس لأن النبوة تخلت عن دورها كأساس من أسس الحضارة الانسانية ، بل لأن النبوة الخاتمة جاءت بالرسالة الوريثة لكل ما يعبر عنه تاريخ النبوات من رسالات والمشتملة على كل مافي تلك النبوات والرسالات من قيم ثابتة دون ما لابسها من قيم مرحلية ، وبهذا كانت هي الرسالة المهيمنة القادرة على الاستمرار مع الزمن وكل ما يحمل من عوامل التطور والتجديد [٢] .

كما أن الشيعة تعتقد أن النبي (ص) لابد أن يكون جامعا للفضائل من الصدق والعدالة والسخاء والشجاعة ، والورع والأمانة والوفاء ، والزهد والعفة والصبر على الأمور الدينية ، وأن يكون ذا أنفة وانتقام

---

(١) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٦٥ .
(٢) محمد باقر الصدر : **موجز في أصول الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٦ .

وحمية وذكاء وعلم ومعرفة وتنبيه للأمور بأيسر دليل ، وادراك لغوامض الأمور بأدنى إشارة وتعريض ، وأن يكون قادرا على وجوه الكلام في الافهام والاستفهام التي بها تتم السياسة الالهية ليكون معلما وهاديا إلى الخير [1]

ويعتقد الشيعة بعصمة الأنبياء ، ومنهم رسول الله (ص) بل هو سيدهم ، وأنهم منزهون عن ارتكاب الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها ، وفي ذلك يقول التستري : « ذهبت الامامية كافة إلى أن الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر منزهون عن المعاصي قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان وعن كل رذيلة ومنقصة ، وما يدل على الخسة والضعة .. » [2] . و « أن يكون متصفا بأكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها ـ حتى لا يدانيه سواه فيها ـ ، لأنه لولا ذلك لما صح أن تكون له الرئاسة العامة على جميع الخلق ولا قوة ادارة العالم كله »[3] . وبهذه الصفات تطمئن إليه القلوب وتركن إليه النفوس ، بل يستحق هذا المقام الالهي العظيم[4] ... ومن هنا يرى الباحث أن يعرض فكرة العصمة ومعناها ومدلولاتها من وجهة نظر الشيعة ، لأنها من القضايا التي يتوقف عليها صحة التشريع وعدمه .

القول في عصمة الأنبياء :

قلنا أن الشيعة تعتقد بأن النبي لابد أن يكون معصوما من جميع الذنوب صغائرها وكبائرها قبل البعثة وبعدها . **والعصمة عند الشيعة** : **« ... عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصي كلها كجائز الخطأ ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على**

---

(١) الكرماني : **الاقوال الذهبية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٣ .

(٢) نور الله الحسيني المرعشي التستري : **احقاق الحق وازهاق الباطل** ـ طهران ـ المطبعة الاسلامية ـ ١٣٧٧ هـ ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٨ .

(٣) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٦ .

ترك المعصية ، بل يفعل به ألطافا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها »[1] .

واستدل الشيعة على وجوب عصمة النبي بأمور :

الأول : أن العلة التي أحوجتنا إلى وجود النبي (ص) في الأرض ، هي عدم عصمة الخلق لأنهم لو كانوا معصومين لم يحتاجوا إلى الأنبياء (ع) فلو كان الأنبياء غير معصومين لكانوا محتاجين إلى غيرهم لوجود علة الحاجة فيهم ، فيكون الكلام في غيرهم كالكلام فيهم فيؤدي إلى وجود أنبياء لا نهاية لهم أو وجوب الانتهاء الى معصوم ، ووجود أنبياء لا نهاية لهم باطل ، فثبت وجوب عصمتهم [2] . ولهذا يقول الخواجه نصير الدين الطوسي : « وامتناع التسلسل يوجب عصمته .. » [3] لأنه لو كان يخطأ لاحتاج الى من يسدده ويمنعه عن خطئه وينبهه على نسيانه ، فإما أن يكون معصوما فيثبت المطلوب أو غير معصوم فيتسلسل [4]

الثاني : لو لم يكن النبي معصوما لجاز عليه فعل المعصية ، وحينئذ فإما أن يجب علينا طاعته واتباعه في فعل المعصية ، فقد وجب فعل المعصية الواجب تركها ، وحينئذ يجتمع الضدان ، وإن لم يجب اتباعه فيها وقد جعله الله حجة علينا يجب اتباعه فتنتفى فائدة ارساله وتكون بعثته عبثا باطلا تعالى الله عن ذلك ، فوجب أن يكون معصوما [5] . « ... ولأنه حافظ للشرع ولوجوب الانكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة ويفوت الغرض من نصبه » [6] . ولهذا يقول المظفر : « **إنه لو جاز أن يفعل النبي المعصية ، أو يخطأ وينسى ، وصدر منه شيء من هذا القبيل ، فاما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانا أو خطأ أو لا يجب ، فإن وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى ، بل أوجبنا ذلك ، وهذا**

---

(١) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧١ .
(٢) أمير محمد القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ .
(٣) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٠ .
(٤) عبدالله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ .
(٥) القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ .
(٦) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٠ .

باطل بضرورة الدين والعقل ، وإن لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لابد أن تقترن بوجوب الطاعة أبدا »[١] .

الثالث : إن النبي (ص) لو لم يكن معصوما لم يحصل لنا الوثوق بقوله ، إذ من الجائز أن يكذب عمدا أو نسيانا ، ولا يجوز على الله أن يرسل إلى الخلق أنبياء كذابين ، لأنه قبيح يستحيل على الله ذلك . فوجب أن يكون معصوما [٢] وفي ذلك يقول العلامة الحلي : « .. فلو جاز الخطأ عليه لم يبق وثوق بما تعبدنا الله تعالى به وما كلفناه وذلك يناقض الغرض من التكليف وهو الانقياد الى مراد الله تعالى .. » [٣]

الرابع : إنه لو جاز أن يعصي لوجب ايذاؤه والتبري منه لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن الله تعالى نص على تحريم ايذاء النبي فقال : « **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة** »[٤] .

الخامس : إنه لو جاز عليه العصيان لزم سقوط محله وإنحطاط درجته عند الناس ، وأن تكون شهادته مردودة لقوله تعالى : (**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)[٥] . فكيف تقبل عموم شهادته في الوحي وأحكام الله تعالى . ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة[٦] . « **ولأن وقوع المعصية من مثلهم اعظم من وقوعها من غيرهم ، والحجة عليهم ألزم ، ويقول الله تعالى : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فوجب عصمتهم**[٧] . **ولهذا يقول الخواجه نصير الدين الطوسي : « ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض ولوجوب متابعته وضدها والانكار عليه** »[٨] .

---

(١) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦ .
(٢) امير محمد القزويني : **اصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ .
(٣) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩١ .
(٤) سورة الأحزاب : آية ٥٧ . وايضا عبدالله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٢٢ .
(٥) سورة الحجرات : آية ٦ .
(٦) عبدالله شبر : **المصدر السابق** ـ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .
(٧) القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٦ .
(٨) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

ويدل على عصمة النبي (ص) قوله تعالى : (**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) [١] . فإن وجوب المحبة مطلقا يستلزم وجوب الطاعة مطلقا وكل من وجبت طاعته مطلقا كان معصوما [٢]

وقد نفى أحمد أمين فكرة العصمة واعتبرها « بعيدة عن روح الاسلام وتعاليمه كما أنها بعيدة عن الطبائع البشرية التي ركبت فيها الشهوات ، وركب فيها الخير والشر ، ومزجت فيها الميول المتعاكسة وفضيلة الانسان الراقي ليس في أنه معصوم ، بل في أنه قادر على الخير والشر ، وينجذب إليهما ، وهو في أكثر الأحيان ينجذب إلى الخير ويدفع الشر . أما الطبيعة المعصومة فطبيعة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا طبيعة الانسان الذي فقد شهوته لفقد حيويته » [٣]

والظاهر أن أحمد أمين فهم من العصمة أنها طبيعة مخلوقة في النبي أو الامام أو الملائكة ، وهذا مالا يذهب إليه أحد من الشيعة ، **وإنما العصمة ملكة تمنع صاحبها عن فعل القبائح مع القدرة عليها حتى يتحقق الثواب والعقاب وبهذا المعنى يقول الشيعة : « والعصمة لا تنافي القدرة ، بل المعصوم قادر على فعل المعصية وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب ولبطل الثواب والعقاب في حقه فكان خارجا عن التكليف وذلك باطل بالاجماع وبالنقل في قوله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليَّ)** [٤] . ومن هنا فإن صياغته المنطقية في عصمة الملائكة واعتبارها من طبيعتهم ، واستدلاله بالآية غير سليم ، لأن الطبيعة المعصومة لا تحتاج إلى الأمر والنهي حتى يترتب عليه العصيان ، والملائكة يؤمرون وينهون . وثانيا أن المستفاد من كلامه هذا بمفهوم المخالفة أن النبي يعصى الله في أوامره ونواهيه ، ولا يفعل ما يأمره الله به ، لأن ذلك خاصا بالملائكة . بالاضافة الى أنه من الثابت أن رسول

---

(١) سورة آل عمران : آية ٣١ .

(٢) القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٦ .

(٣) احمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ طبعة ١٩٧٨ ـ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٤) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٢ .

الله (ص) أشرف الخلق ، ولما كان الملائكة من مخلـوقات الله ، فهـو أشرف منهم فاذا أعطينا صفة العصمة للملائكة من حيث المعنى الـذي ذهب إليه الشيعة في العصمة ، فالأولى أن نقول ذلك بالنسبـة الى الرسـول . « ولأن الله قال : (**وإنك لعلى خلق عظيم** »[1] . وفسرت عائشـة ذلك بـأن خلقه القرآن .. واقتصرت في خلقه على ذلك ـ فـدل على أن قـوله وفعلـه وإقراره راجـع إلى القرآن ، لأن الخلق محصـور في هذه الأشيـاء ، ولأن الله جعل القرآن تبيانا لكل شيء »[2] .

والقـرآن الكريم لا يـأتيه البـاطـل من بـين يـديـه ولا من خلفـه ، فالصياغة المنطقية تقتضى أن يكون الرسـول كذلـك ، ولما كـانت وسوسـة الشيطـان من الباطـل فهي اذن منتفية عن الـرسول ،وبهذا يبطل قـول الغزالي بأن الشيطـان لابد وأن يـوسوس .للنبي[3]. وقـال ابن عقيل في الارشـاد : « إنهم عليهم السلام لم يعتصمـوا في الأفعـال ـ بـل في نفس الأداء ولا يجوز عليهم الكذب في الأقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى ـ وهـذا ينكره علماء الشيعة فانهم أجمعوا على أن الأنبياء لا يخطئون ولا يعتريهم السهو والنسيان ـ وهم يجمعـون على أنهم معصـومون في الكبـر والصغر حتى في أمـور الدنيـا ـ وقد ثبت أن النبي كـان يصدق بعض مـا يفتريـه المنـافقون ـ كمـا وقع في غـزوة تبوك وغـيرها ـ. وصـدق بعض أزواجه في حديث الافك . وضاق صدره به زمنا حتى نزلت عليه آيات البراءة وكشفت له الغطاء عن الحقيقة » [4] .

ومن هذا يظهر أن الأنبيـاء يخطئون وينسـون فيما إذا لم يكن أداء عن الله سبحانه بل قد تصدر منهم الصغائر ، ومعلوم أن مرتكب الصغيرة تخرجه عن العـدالةفتنتفيشهادتـه .أماقـول ابن عقيل ؛ ولا يجـوز عليهم الكذب في الأقوال فيمـا يؤدونه عن الله تعـالى . فإن معنى ذلـك أنه يجـوز عليهم الكـذب في غير ذلـك ، وهذا مـا يخالف خلق القـرآن الذي هـو خلق الرسول . والكذب من الباطل مطلقا سواء كان فيمـا يبلغه عن الله أو غـير

---

(١) سورة القلم : آية / ٤ ،
(٢) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ .
(٣) انظر أحمد امين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣ .
(٤) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥ ـ ١٦ .

ذلك . وأما حديث الصدق والتردد فيما يفتريه المنافقون ، وتردده في حديث الافك ، فهو لايخلو ، اما أن يكون النبي (ص) عالما بنفاقهم أو أنه يعتقد بايمانهم ، فاذا كان عالما بنفاقهم فلا يجوز له تصديقهم قبل التثبت لقوله تعالى : (**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**) ، وإن كان يعتقد ظاهرا بايمانهم فهو نزول عند الحكم الشرعي حيث أن الشارع اعتبر قول المؤمن حجة : وأما تردده وشكه في حديث الافك فلا يصح أن يصدر عن النبي (ص) قبل أن يتثبت في الامر كما سبق من خلقه ، وأن خلقه القرآن . ومن هذا يظهر عدم صحة ما قيل في ذلك .

الاصل الثالث : « العدل » :

يعتقد الشيعة بعدل الله المطلق ، ولهذا قالوا : « في العدل وبه يتم التوحيد بل تتوقف عليه سائر الأصول من النبوة والامامة والمعاد ، وهو وإن كان داخلا في جملة صفاته تعالى .. لأن معنى قولنا عادل أنه حكيم ليس بظالم ... **وقد قال أمير المؤمنين (ع) التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه** . وبالجملة فالعدل هو اعتقاد أنه تعالى عادل في مخلوقاته غير ظالم لهم لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين ولا يكلف الخلق مالا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون ولا يقابل مستحق الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب وأنه تعالى لم يجبر عباده على الأفعال سيما القبيحة ويعاقبهم عليها »[١] .

وكلما استطاع الإنسان من خلال ممارسته السلوكية أن يتصاعد في تحقيق تلك المثل ، ويجسد في حياته بصورة أكبر عدالة الله وعلمه وقدرته ورحمته وجوده ورفضه للظلم والجبروت ، كلما سجل انتصارا في مقاييس الخلافة الإلهية في الأرض واقترب نحو الله من مسيرته[٢] « ولم يكن من الصدفة أن يوضع العدل أصلا من أصول الدين ويميز عن سائر صفات الله تعالى بذلك ـ حسب اعتقاد الشيعة ـ وإنما كان تأكيدا على أهم صفات الله

---

(١) عبدالله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٧٣ .

(٢) محمد باقر الصدر : **خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨ .

تعالى في مدلوله العملي ودوره في توجيه المسيرة الإنسانية وذلك لأن العدل في المسيرة وقيامها على أساس القسط هـو الشرط الأسـاسي نحو كـل القيم الخيرة .. وبدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضروري لتحرك تلك القيم وبروز الامكانات الخيرة »[1] .

إن مسـألة العدل الإلهي تـرتبـط ارتبـاطا وثيقـا بمسـألة الإرادة الإنسانية والحسن والقبح أو الخير والشر . ومن هنا يحاول الباحث عرض وجهة نظر الفرق الإسلامية في هاتين المسألتين وموقف التربية منها .

أولا ـ في حرية الإرادة الإنسانية ، أو القضاء والقدر وموقف التربية منها :

تجدر الإشارة أولا إلى ما جاء في معنى القضاء والقدر ، ثم بيان ما يمكن تعلقه بأفعال المكلفين على رأي الشيعة .

أما القضاء : فقـد جاء في اللغـة على معـان أربعة . **الأول** بمعنى الاعلام كقوله تعالى : (**وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**) سورة الحجر آية / ٦٦ أي اعلمناه بذلك وأخبرناه ، وقـوله تعالى : **وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين** » . **سورة الإسراء** ، آية/ ٤ أي أعلمناهم وأخبرناهم . **الثاني** : بمعنى الخلق كقوله تعالى : (**وقضاهن سبع سموات**) . سورة فصلت آية/ ١٢ . أي خلقهن سبع سماوات . **الثالث** : بمعنى الأمر كقوله تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**) . سورة الإسراء : آية/ ٢٤ . أي أمر بذلك في التكليف على خلقه وألزمهم به . الرابع : بمعنى الفصل بالحكم بين الناس كقـوله تعالى : (**والله يقضي بالحق**) سـورة المؤمنـون : آية ٢٠ . أي يفصـل بالحكم بالحق .. ويأتي أيضا بمعنى الفراغ من الأمر والانتهاء منه كقوله تعالى : (**قضى الأمر الذي فيه تستفتيان**) سورة يوسف : آية/ ٤١ . أي فرغ منه[2] .

وأما القدر : فقد جاء في اللغة على معـان ثلاثـة : **الأول** : بمعنى الأخبار والكتاب كقوله تعالى : (**إلا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين**) سورة

---

(١) المصدر السابق : ص ١٨ـ١٩ .

(٢) أمير محمد القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ص ٥١ .

الحجر : آية/ ٦٠ . أي أخبرنا وكتبنا ذلك في اللوح المحفوظ . **الثاني** : بمعنى وضع الأشياء في مواضعها بلا زيادة ولا نقيصة كقوله تعالى : (**وقدر فيها أقواتها**) . سورة فصلت : آية/ ١٠ . **الثالث** : بمعنى التوضيح بمقادير الأشياء وتفاصيلها والاعلام باختلاف أحوالها[١] .

أما ما يتعلق بأفعال الإنسان فيمكن القول أن الله تعالى قضى بها عليه على معنى حكم بها عليه وألزمه إياها وأوجبها ، وهذا الالزام هو أمره له وليس على سبيل الالجاء والاجبار . كما يمكن أيضا القول أن الله قدر أفعال الإنسان على معنى أنه بين مقاديرها وأوضح تفاصيلها واختلاف أحوالها من حسنها وقبحها وفرضها وحلالها وحرامها ومندوبها . وأما أنه قضاها بمعنى خلقها في الإنسان فباطل لايجوز ، لأنه ان أريد أنه خلقها فيه ، لقال سبحانه : وقضى في خلقه بالعصيان ولا يقول قضى عليهم ، لأن الخلق إنما يكون في الإنسان لا عليه ، مع أنه تعالى قد أبطل هذا القول بقوله : (**الذي أحسن كل شيء خلقه**) . سورة السجدة : آية/ ٧ . فهو صريح في عدم وجود القبيح في خلقه ، وان كل فعله حسن ، والمعاصي قبائح باتفاق المسلمين فوجب نفيها عنه سبحانه . وان أريد أنه قضى عليه بالمعاصي بمعنى أمره بها فقد أبطل هذا القول أيضا قوله تعالى : (**إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون**) . سورة الأعراف : آية/ ٢٨ . فهذا صريح في عدم إرادة هذا المعنى . وان أريد أن الله قضى على الإنسان بالمعاصي بمعنى أعلمه بها فغير صحيح أيضا لأن الإنسان لايعلم في المستقبل بأنه يطيع أو يعصي ، ولا يستطيع أن يحيط علما بما يكون فيه على التفصيل ، ولأنه لو خلق الطاعة والمعصية في عباده لسقط اللوم عن العاصي بمقتضى العدل ، ولم يستحق الطائع ثواباً على عمله بمقتضى العقل[٢] .

ويظهر من النصوص أن أول من تكلم بالقضاء والقدر بهذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب ، حينما سأله رجل من أهل العراق عن خروجهم لحرب الشام أبقضاء الله وقدره[٣] . إلى أن **قال له الإمام علي** : « .. **وتظن أنه كان قضاء حتما وقدرا لازما ، إنه لو كان كذلك لبطل الثواب**

---

(١) المصدر السابق : ص ٥١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥١ ـ ٥٢ .
(٣) المصدر السابق : ص ٥٣ . وأيضا الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ . وأيضا السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن . ولكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن ، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب .. إن الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ..»[1] . ولهذا يقول السيد أمير علي : «وأول من تكلم في حرية الإنسان في أفعاله رسول الله (ص) ثم علي بن أبي طالب أو القضاء والقدر فما .. روى عن الإمام علي (رض) ... يهدينا إلى الرأي الإسلامي الصحيح في موضوع حرية الإرادة الإنسانية .. وفي خطب الإمام علي ما يؤيد ذلك»[2] . ويعقب على ذلك بقوله : « ويقدم لنا احتجاج الطبرسي مادة جديدة تساعدنا على تكوين رأي صحيح بشأن مسألة الجبر في الإسلام ، فقد سأل رجل عليا أمير المؤمنين عن القضاء والقدر فقال : **الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية .. ثم قال في قوله تعالى : (يهدي من يشاء ويضل من يشاء) ليس معناه أنه أجبرهم على فعل الشر أو الخير لأنه لو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب ولكن المقصود بالهداية هو التعريف ، أي عرف لهم طريق الهدى ثم ترك لهم اختيار ما يشاءون** »[3] ولهذا يقول الدكتور عمارة : « أما الإمام علي بن أبي طالب فإن القائلين بالعدل والتوحيد ، سواء منهم المعتزلة أو الذين وقفوا في الإمامة والسياسة مع فرق الشيعة ، يذكرون الكثير من الأقوال والمواقف التي تثبت اشتراكه في هذا الصراع الفكري حول الجبر والاختيار ، ووقوفه إلى جانب القول بحرية الإنسان»[4] .

وتعتبر مشكلة حرية الإرادة الإنسانية من أهم المشكلات الكلامية التي حدثت في الإسلام في عصره المبكر ، ويظهر من النصوص أن هذه المشكلة نشأت على أيدي الشيعة في عصر الإمام علي ، وتبلورت معالمها على

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .
(٢) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٧ إلى ٢٠٠ .
(٣) المصدر السابق ـ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
(٤) محمد عمارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ـ ٢١ .

أيديهم ، فهي محض نتاجهم وتفكيرهم ، وذلك قبل التقاء المسلمين بالثقافات الأخرى ، من فارسية ويونانية ، وإنما نشأت نتيجة الأوضاع السياسية والاجتماعية التي صحبت الشيعة في عصر عثمان . وفي ذلك يقول أبو زهرة : « وقد كثر الكلام في القدر في عهد الإمام علي كرم الله وجهه ، وكان هو الذي يرد الشبهات ويكشف الغمة عن إدراك كل من يلتبس عليه الأمر ويتحير »[1] . « ولم تأخذ المشكلة شكلا واضحا إلا في زمن « علي » الخليفة الرابع ، وكان الجواب عنها وخاصة عند علي ومريديه تأكيدا لاختيار الإنسان »[2] .

ويصور الإمام الحسن بن علي حرية الإرادة في قوله : « **من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنوبه على ربه فقد فجر ، إن الله لايطاع استكراها ولا يعصى لغلبة ، لأنه المليك لما ملكهم والقادر على ما قدرهم عليه ، فإن عملوا بالطاعات لم يحل بينهم وبين ما فعلوا ، وان عملوا بالمعصية فلو شاء حال بينهم وبين ما فعلوا ، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك ، فلو أجبر الله الخلق على الطاعات لاسقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصي لاسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة بالطاعات كانت له المنة عليهم** »[3] . **وبهذا المعنى جاء عن الإمام الصادق قوله** : « **لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين** »[4] **وقال أيضا** : « **لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما** »[5] . **وقد سئل أبو الحسن محمد إبن موسى الرضا عن أفعال العباد ، فقيل له هل هي مخلوقة لله تعالى ، فقال عليه السلام** : « **لو كان خالقا لها ما تبرأ منها ، وقد قال سبحانه** : « **إن الله بريء من المشركين ، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وإنما**

---

(١) ابو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ص ١٤١ .

(٢) محمود حب الله : **موقف الاسلام من المعرفة** ـ الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث ودراسات إسلامية ـ جمع وتقديم محمد خلف الله ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ـ ص٣٦ .

(٣) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٤١٣ .

(٤) أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٥ . وأيضا الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢٢٤ .

(٥) الكليني : المصدر السابق ـ ص ٢٢٢ .

تبرأ من شركهم وقبائحهم . وسأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن أفعال العباد لمن هي ، **فقال أبو الحسن عليه السلام : إن أفعال العباد لا تخلو من ثلاثة منازل : إما أن تكون من الله خاصة ، أو منه ومن العبد على وجه الاشتراك فيها ، أو من العبد خاصة ، فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أولى بالحمد على حسنها والذم على قبحها ولم يتعلق بغيره حمد ولا لوم فيها ، ولو كانت من الله والعبد لكان الحمد لهما معا ، والذم عليهما جميعا فيها ، وإذا بطل هذا ثبت أنهما من الخلق ، فإن عاقبهم الله تعالى على جنايتهم فله ذلك ، وان عفا عنهم فهو أهل التقوى وأهل المغفرة»**[1] . ويعقب أبو زهرة على قول الإمام هذا : « هذا كلام واضح في أن الله تعالى لا تنسب إليه أفعال العباد فيكون العدل في الثواب والعقاب »[2] . وهكذا تبلورت فكرة حرية الإنسان على أيدي أئمة الشيعة ، كما نبعت هذه الفكرة من البيت العلوي[3] . ولهذا « وقف الأئمة من آل البيت للفريقين - الجهمية والقدرية والمعتزلة - يصححون ويدعون ويرشدون ، وأوضحهم في هذا الصادق»[4] . « وقد كان أبوه محمد الباقر على قيد الحياة ، يتولى هو الهداية والارشاد »[5] .

يقول الدكتور عمارة : ويشهد لهذه الفكرية بالأصالة في تراثنا ، اتساع القاعدة والأرض التي ضمت العديد من التيارات والمدارس الفكرية والفرق الإسلامية التي قالت بالحرية والاختيار ... من فرق الشيعة : تيار كبير من الشيعة الإمامية وغيرها ، يذكر من أعلامه في كتب طبقات المعتزلة كثيرون منهم مثلا : الحسن بن علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي بن أبي طالب ، والحسن بن الحسن ، وعبدالله بن الحسن بن الحسن .. وأبوهاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية والحسن بن محمد بن الحنفية ...»[6] . إلى آخر من ذكرهم وهؤلاء كلهم قالوا بحرية الإنسان وهم من رؤساء التشيع ،

---

(١) أبو زهرة : **الإمام الصادق** - مرجع سابق - ص ٢١٧ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢١٨ .
(٣) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام** - مرجع سابق - جـ١ - ص ٢٣٢ .
(٤) أبو زهرة : **الامام الصادق** - مرجع سابق - ص١٥٥ .
(٥) المصدر السابق : ص ٤٧ .
(٦) محمد عمارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية** - مرجع سابق - ص ٢٤ - ٢٥ .

بل إن بعضهم من أئمة الشيعة ، كالحسن والحسين ، وهؤلاء وغيرهم تعرضوا لمسألة حرية الإنسان قبل أن يوجد واصل بن عطاء ، وقبل أن يكون هناك اعتزال .

هذا وقد قسم الشيعة فعل الإنسان حسب ما تقتضيه الضرورة إلى أقسام ثلاثة : ما يصدر عن الإنسان عن اضطرار كحركة المرتعش والساقط من أعلى السطح . وما يصدر عنه من غير قصد كفعل النائم والساهي والناسي ، وما يصدر عنه عن قصد واختيار كالأكل والشرب والصعود والنزول ، وهذا الأخير هو من فعل الإنسان لا من فعل غيره ، لأن كل عاقل لايشك في الفرق بين حركاته الاختيارية والاضطرارية ويحكم حكما قطعيا ببداهة فطرته وعقله أن الحركات الاختيارية الصادرة عنه هي من فعله وايجاده[1] .

في هذا الجو الذي ظهر فيه القول بحرية الإنسان واختياره ، ظهر اتجاه آخر يذهب أصحابه إلى القول بالجبر ، وأن أفعال العباد مخلوقه وليس هناك خالق إلا الله . ولهذا **يقول البغدادي** : « **فمن زعم أن العباد خالقون لاكسابهم فهو قدري مشرك بربه لدعواه ان العباد يخلقون مثل خلق الله من الأعراض التي هي الحركات والسكون** ..»[2]

ولم يظهر الاتجاه الجبري إلا في العصر الأموي ، ففي هذا العصر ظهرت جماعة من الناس في دمشق قالوا بأن الإنسان مجبور في أفعاله ، ليس لديه قوة على الفعل ، أو الترك ، لأنه خاضع فيها لسلطان الله وإرادته ، وأن أفعاله كلها صادرة مباشرة عن الله ، وقد يكون ذلك بتشجيع من الأمويين أو بوحي منهم[3] . **ويمثل هذا الاتجاه الجبري عند أهل السنة الأشعري في قوله : « وأقروا أنه لا خالق إلا الله ، وأن سيئات العباد يخلقها الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله عز وجل ، وأن العباد لايقدرون أن يخلقوا منها شيئا ... وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون**

---

(١) امير محمد القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ .

(٢) عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : **الفرق بين الفرق** ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ القاهرة ـ مطبعة المدني ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٢٥ ـ ٣٣٦ .

(٣) محمود حب الله : **موقف الاسلام من المعرفة** ـ مرجع سابق ص ٣٧ .

بقضاء الله وقدره خيره وشره ، حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله »[1] .

وقد ذهب من أهل السنة من أكد على : « **أن الله سبحانــه خالق الأجسام والأعراض خيرها وشرها ، وأنه خالق أكساب العباد ، ولا خالق غير الله ، واعتبروا ذلك من عدل الله سبحانه »[2] . « والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة عـلى معنى خلق الضلال في قلوب أهـل الضلال .. من جهة أن هداية الله سبحـانه لعبـاده خلق الاهتداء في قلوبهم »[3] ومن هنــا جــوز الأشعــري أن يكلف الله الإنسـان بمــا لايطاق[4] .**

يقول الاسفراييني في بيان عقيدة هؤلاء في مسألة الجبر والاختيار : « **في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة : ... أن تعلم أن العالم بجميع أركانه وأجسامه وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوان وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول ، حادث بعد أن لم يكن شيئا ولا عينا »[5] . وفي ذلك يرى الطحاوي أن « كل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم . فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن »[6] .**

وقد بنى أصحاب هذا الرأي في قولهم بالجبر بأن لا إرادة للعبد مع إرادة الرب على أمرين : الأول : ان كمال الاله في التفرد ، ونفي القدرة عيب ونقصان ، والكمال يقتضي أن يكون كل شيء خاضعا لقدرة الله وجاريا على ما تقتضي به حكمته . والثاني : اثابة المحسن ليس لاحسانه وحده ، وإنما ذلك من فضل الله عليه ، وتعذيب من يعذبهم الله ليس لذنوبهم وحدها ، وإنما ذلك لحكمة يعلمها الله وليس في هذا ظلم ، لأن الظلم إنما ينسب لمن يتصرف

---

(١) الأشعري : **مقالات الاسلاميين** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٣٤٦ .
(٢) البغدادي : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٤٠ .
(٤) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٩٦ .
(٥) الاسفراييني : **التبصير في الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٥ .
(٦) علي بن علي بن محمد الحنفي : **مختصر شرح العقيدة الطحاوية** ـ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٢ .

في غير ملكه ، والله سبحانه يتصرف فيما خلق[1] . **ولهذا روى في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة »**[2] .

من هذا العرض تبين لنا أن هناك اتجاهين متقابلين أحدهما يذهب إلى القول بأن أفعال الإنسان مخلوقة وليس له من الحرية والإرادة ما تجعله يتأثر بالمؤثرات الخارجية ، ويتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه ، مادام الإنسان خاضعا لقوى خفية قاهرة لكل حركاته وسكناته . ولهذا فإن التربية ليس لها أثر في تغيير سلوكه وبالتالي تنتفي من عالم الإنسان الأهداف العامة للتربية[3] . ويمثل هذا الاتجاه فرق من أهل السنة والجماعة .

أما الإتجاه الآخر الذي يثبت للإنسان حرية تجعله يتأثر بمؤثرات البيئة فإن التربية تؤدي دورها في تغيير سلوك الإنسان ، ومن هنا يتضح أن التربية الصحيحة غير مقصودة ولا مقدورة في غياب الحرية إلا ما قد يكون بالتخويف من شر المستبدين[4] . ويمثل هذا الاتجاه الشيعة والمعتزلة .

ولما كان الإنسان هو موضوع اهتمام فلاسفة التربية ، باعتباره موجودا من الموجودات المتعددة ، ويحمل في داخله قدرا كبيرا من الامكانيات والاستعدادات بل ومن المتناقضات ، وله أهداف معينة في هذه الحياة لابد من تحقيقها لكي تتحقق له انسانيته ، ولا تكون إلا عن طريق الممارسة والاحتكاك والتفاعل من جانب الإنسان لأخيه الإنسان ، وعن طريقها تتحقق غايته الأساسية ، وهي تحقيق ذاته وتأكيد حريته ، فالإنسان بهذا لايستطيع تحقيق وجوده إلا بقدر ما يحقق من الامكانيات ،

---

(١) عبدالكريم الخطيب : **القضاء والقدر بين الفلسفة والدين** ـ ط٢ ـ القاهرة ـ الفكر العربي ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٠٤ .

(٢) علي بن علي الحنفي : **مختصر شرح العقيدة الطحاوية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ .

(٣) علاء الدين أمير محمد مهدي القزويني : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم في التربية والتعليم** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية عين شمس ـ أصول التربية ـ ١٩٨١ ـ ص ٧٧ .

(٤) سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** ـ دراسات فلسفية ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧ .

التي لا تتحقق إلا بحرية الإنسان وقدرته واختياره[١] .

ومن هنا تظهر أهمية الحرية بالنسبة للتربية ، حيث أن الحرية أساسية في تحقيق الذات الحقيقية ، أما إذا فقد الإنسان حريته فإن النتائج السيئة في تربيته أكثر من أن تعد وتحصى ، فالإنسان الفاقد لحريته لايمكن له القيام بالعملية التربوية على الوجه الأكمل[٢] . إذن فالتربية لايمكن أن تنجح ما لم تقم على أساس استعدادات التلميذ واهتماماته وأغراضه[٣] . وعلى هذا فالتربية الصحيحة والمثمرة لا تجد لها نصيرا إلا من القائلين بالحرية الإنسانية ، وأن الشيعة هم أنصار هذا القول ، كما سبق . « والتربية ما هي إلا وسيلة لتنمية قدرات الإنسان وامكانياته واستعداداته الحرة لتتحقق إنسانية الإنسان »[٤] . وهذا ما دعا إليه الشيعة في قولهم بالإرادة وحرية الإنسان .

فالمربي إذن لابد أن يكون حر الإرادة في اختياره للمواد الدراسية وطريقة التدريس الملائمة من غير جبر ولا إكراه ، كما أن التلميذ يجب أن يكون حرا في اختيار المواد التي تلائم قدراته العقلية وميوله النفسية ليتجه إليها ذاتيا وبدون قهر من السلطات العليا . وعلى هذا يكون اتجاه التربية اتجاها طبيعياً وسليما ومتمشيا مع الطبيعة الإنسانية الحرة[٥] . بمعنى أن الإنسان يولد وله القدرة والقابلية على اختيار أفعاله والاتيان بها[٦] . لكي يربىٰ تربية حرة تهتم بتنمية شخصيته وقدرته على الاختيار .

---

(١) سامي نصر لطف : **الحرية المسئولة في الفكر الفلسفي الاسلامي** ـ مكتبة الحرية الحديثة ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٠ ـ ١١ .

(٢) سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٣) جورج ـ ف ـ نيلر : **مقدمة إلى فلسفة التربية** ـ ترجمة نظمي لوقا ـ القاهرة ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ـ ص ٦٥ .

(٤) علاء الدين القزويني : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم في التربية والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧ .

(٥) المصدر السابق : ص ٧٨ .

(٦) R.L. Akcher: **Roussau** on Education (London, Arnold, Co., 1928) P.78.

ثانيا ـ « الحسن والقبح أو الخير والشر » :

تحدث الشيعة وأسهبوا الحديث عن العقل ، وعدوه أصلا من أصول التشريع « لأنهم ذهبوا إلى أن للأشياء حسنا وقبحا يدركها العقل قبل أن يرد أمر الشارع أو نهيه ، وعللوا ذلك بأن الله بين في طائفة من الأحكام منافعها وأضرارها وأن منكري الشرائع السماوية يحكمون بحسن بعض الأشياء وقبح بعضها الآخر وأن العقل نفسه يحكم بقبح ما يراه عبثا أوتكليفا بما لا يطاق »[(١)] .

وقد ذهب الشيعة ومن تابعهم من المعتزلة إلى أن من الأفعال ما هو معلوم الحسن والقبح ببداهة العقل كالعلم بحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار ، فإن كل عاقل لايشك في ذلك ، وليس اعتقاده بهذا الحكم بأقل من اعتقاده بأن الممكن مفتقر إلى السبب ، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية ، كما أن من الأفعال ما هو معلوم بالاكتساب والتعليم أنه حسن أو قبيح كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يعجز العقل عن العلم بحسن الفعل أو قبحه كالعبادات[(٢)] . فلو « كان الحسن والقبح شرعيين لما حكم بهما من ينكر الشرائع ، والتالي باطل فإن البراهمة بأسرهم ينكرون الشرائع والأديان كلها ويحكمون بالحسن والقبح مستندين إلى ضرورة العقل في ذلك »[(٣)] .

وقد يستفاد من ذكر الله تعالى للهداية إلى الخير والشر عند بيان تكوين الإنسان ، إن ادراك الخير والشر أمر فطري في الإنسان ويكون جزءا من بنائه ، (**ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين**) . فمن هذا النص ونصوص أخرى يمكن الاستنتاج بأن الاسلام يعتبر ادراك الخير والشر فطريا عند الإنسان ، لكن يجب أن يعلم أنه لايتسنى للإنسان ادراك جميع أوجه الخير والشر بصورة فطرية ، وإلا فأي ضرورة في ارسال

---

(١) صبحي الصالح : **معالم الشريعة الاسلامية** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧٥ ـ ص ٥٢ .

(٢) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ . وايضا العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٨ . وايضا عبدالله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٧ .

(٣) محمد حسن المظفر : المصدر السابق ـ ص ٢١٧ .

الأنبياء ، ذلك أن الجانب الفطري من هذه الادراكات منحصر في المسلمات الأولية للخير والشر أو الفضائل والرذائل ، ويبقى جانب من هذه الادراكات يحتاج فيها الإنسان إلى التعليم والاقتباس . وبعبارة أخرى ، إن هناك طائفة من الأفعال تكون ضرورية لسعادة الإنسان ، وطائفة أخرى مضرة بسعادته وكماله ، فتسمى الطائفة الأولى خيرا والثانية شرا[1] .

ويستطيع الإنسان أن يصل إلى معرفة الخير والشر من طريقين : الفطرة والتربية ، فهناك طائفة من الأمور الخيرة والشريرة تدركها جميع الأمم والشعوب في العالم ، ولا تحتاج في فهمها إلى معلم ، بل إنها من الأمور الفطرية عندهم وهناك طائفة من الخيرات والشرور لايدركها الإنسان بفطرته ، بل إن الأنبياء القائمين على تربية البشرية ، هم الذين يبينون حسنها أو قبحها ، وقد أصبحت لها على مر العصور جذور عميقة في نفوس الناس ، هذه الطائفة غير فطرية فهي تحتاج في بيانها إلى التربية الخلقية[2] .

وقد توسع الشيعة في حكم العقل في معرفة الحسن والقبح أو الخير والشر ، ويعتبر « شيخ الطائفة الطوسي هو أول من مهد لفكرة الاستدلال بالعقل على الحكم الشرعي الفرعي ، وذلك بتقسيمه الأفعال إلى حسنة وقبيحة ، وجعله طريق معرفة ذلك الشرع أو العقل ، وتمثيله للقبائح الشرعية بشرب الخمر والربا ، وللقبائح العقلية بالقتل والظلم ، ومما يحسن شرعا بالجهاد ومما يحسن عقلا بالاحسان »[3] . ونظرة الإسلام هذه إلى الخير والشر ـ حسب ما يذهب إليه الشيعة والمعتزلة ـ تلتقي مع أحدث النظريات الأخلاقية التي تجعل الفرد يقيم الأخلاق ويزنها بميزان ذاتية[4] .

---

(١) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ ترجمةُ عن الفارسية فاضل الحسيني الميلاني ـ ط٢ ـ مطبعة الآداب في النجف الأشرف ـ ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ـ جـ١ ـ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢٨ .

(٣) رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة الإمامية** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ جامعة الأزهر ـ كلية الشريعة والقانون ـ بغداد مطبعة دار السلام ـ ١٩٧٣ ـ ص ٩٣ .

(٤) عبدالكريم الخطيب : **القضاء والقدر** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٠ .

هـذا مـا ذهب إليـه الشيعـة في الحسن والقبـح أو الخـير والشر وتقسيمهما إلى عقلي وشرعي ، والشرعي معناه ، أن الفعل بما هو يتصف إما بالحسن ، أو القبح ، ولكن العقل لايتوصل إلى ذلك ، فيكون الشارع كاشفا عن حسنه أو قبحه .

أما أهل السنة ، فذهبت فرق منهم الى أن الحسن والقبح أو الخـير والشر شرعيان ، أي ليس هـنـاك ما يسمى حسن أو قبيـح ، وانما الحسن والقبح راجع الى الشرع ، فما حسنهُ الشارع فهو حسن ، ومـا قبحه فهـو قبيح ، ولهذا يقـول الألوسي : « أن الأفعـال كلها سـواء ليس شيء منها في نفسه يقتضي مدح فاعله وثوابه ولا ذم فاعله وعقـابه .. » [١] . «بـل كل ما أمر به الشارع فهو حسن وكل ما نهى عنه فهو قبيح ، حتى لـو انعكس الحكم لانعكس الحال كما في النسخ من الوجوب الى الحرمة ، فليس للعقل حكم في حسن الأفعال وقبحها ، وفي كون الفعل سببا للثواب والعقاب ، بل ان الحسن مـا حسنه الشرع والقبيـح ما قبحـه الشرع ، فـالأمـر والنهي امارة موجبة للحسن والقبح لا غير »[٢] .

وصفوة القول ، ان العقل ، من منظور الشيعة ، وان كانت له وظيفة ادراك الحسن والقبـح ، الا أن ادراكه محـدد بحدود خـاصـة لا تتعـدى الكليات من ناحية ، ولا تعني كثيرا بمجـالات التطبيق والقضايـا الجزئيـة من ناحية اخرى ، ولما كان في الانسان قوى أخرى كالحواس ، والغرائز ، وغيرها ، فهي مسئولة عن ذلك وهذه القـوى عرضـة لكثير من الأخطـاء ، كما أن كثيرا من تصرفاتها لا منطقيـة ، ولهذا تـوجد كثـير من الأخطاء في مجالات التطبيق لبعض المدركات العقلية ، فالعدالة مثلا ممـا تطابق عـلى حسنها العقلاء ، وأقاموا عليها دساتـيرهم وانظمتهم وشرائعهم ، ولكن لو حـاول الانسان التعـرف عليها في مجـالات التطبيق لرأىٰ التفـاوت الكبـير بينهم، فالشيوعية ـ مثلا ـ ترىٰ أن العدالة لا تتحقق الا اذا ألغيت الملكية الفردية الغاء تاما ، واستبدلت بالملكية الجماعية ، بينما يرى دعاة الحرية الاقتصادية فسح المجال للفـرد في أن يمتلك مـا يشاء ويعمـل مواهبـه في انماء ملكيته دون تدخل من السلطات في شأنه ، وكل يـدعي تحقيق العدل

---

(١) محمود شكري الالوسي : **مختصر التحفة الاثنى عشرية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٧١ .

فيما تبناه من تشريعات ، وقد يكون بعضهم مخلصا في ذلك [١]

هذه النظرة التجزيئية للانسان ، وتركيز النظر على بعض جوانبه الفردية أو الاجتماعية مع غفلة عن بقية الجوانب ، وقصور عن استيعاب النظرة وشمولها ، كل ذلك مما أوقعه بهذه التناقضات ولهذا احتاج الانسان الى من يضمن له العدل في تشريعاته على أن تستوعب مختلف أبعاده المتشابكة ، سواء ما يتصل منها بتحديد علاقة الفرد بربه ، أم بنفسه ، أم بمجتمعه ، أم المجتمعات بعضها ببعض ، ولا يمكن أن يضمن ذلك غير خالق الانسان ، ولما كانت الأحكام وليدة مصالح ومفاسد في المتعلقات ، وان العقول لو استشرفتها واطلعت على واقعها لاقرتها حتما ، ولكن قصورها عن إدراك ذلك ، هو الذي أوقع بعض اربابها في كثير من المفارقات . ولهذا ورد عن أئمة أهل البيت ، أن دين الله لا يصاب بالعقول ، أي ما ثبت انه من الدين لا يمكن للعقول ان تدرك فلسفة ذلك ككل ، لقصور امكاناتها عنها في مجالات الادراك ، ولكن هذا لا يمنع من أن يدرك العقل شيئا ـ على سبيل الموجبة الجزئية ـ ومن ادراكه يدرك حكم الشارع فيه اذا كان ادراكه على سبيل القطع [٢] .

الأصل الرابع : « الامامة » :

لا بد للباحث من الاشارة الى معنى الامامة ، وموقف الفرق الاسلامية الكبرى منها فالامام والخليفة لفظتان تعبران عن معنى واحد ، وهو الرياسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي (ص) وسمي القائم بهذه المهمات اماما لأن الناس يسيرون وراءه فيما يشرع لهم ويرشدهم اليه . وسمي بالخليفة ، كما كان الشائع في عصر الراشدين أو ما بعده ، لأنه يخلف الرسول في ادارة شئون الأمة وقيادتها .

وكما كان تعيين الخليفة بعد الرسول موضع جد ل وخلاف ادى الى انقسام وتمزيق وحدتها ،، كذلك حصلت بينهم أنواع اخرى من الجدل والنزاع ، وتطور بعد ذلك الى النزاع في وجوب نصب الامام على الله

---

(١) محمد تقي الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** مرجع سابق ـ ص ٢٩١ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

سبحانه أو عدمه ، فأنكره جماعة وأثبته آخرون ، والقائلون بوجوبه بين من يقول بوجوبه على الله سبحانه عقلاً ، وبين من يقول بوجوبه على الأمة بحكم العقل . فالاشاعرة والمحدثون والجبائيان من المعتزلة يرون وجوب نصب الامام على الأمة ، والباقون من المعتزلة قالوا بوجوب نصبه على الأمة بالنص على ذلك من الله عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام[1] .

أما الشيعة الامامية فكلهم متفقون على وجوبها من طريق العقل والشرع ، وان اختيار الامام يعود الى الله وحده ، لأن وجود الامام لطف من الله ، يقربهم من الطاعات ويصدهم عن المعاصي والمنكرات ، واللطف واجب عليه سبحانه بحكم العقل ، وقد عين النبي (ص) لهم الامام من بعده بأمر من ربه ، ونص عليه بوصفه واسمه ، كما تؤكده النصوص الاسلامية [2] . ووافقهم بهذا القول اكثر المعتزلة [3] ، « وقد أجازت الأشاعرة أن تكون الامامة بالنص لو أن الرسول قد ذهب الى ذلك أو جوزه » [4] . مع أن الغزالي يرى أن « من حق النبي أن يعين خليفته الذي يتولى امامة الأمة من بعده » [5] .

والامامة عند الشيعة لم تتحقق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شخص او تعيينه لهذا المنصب ، وانما هي خاضعة لارادة الله يختار من يشاء من عباده ممن تتوافر فيه شروط الامامة . ولهذا عرفها السيد علي أكبر ناصري بأنها « الرياسة العامة الالهية خلافة عن رسول الله (ص) ، في أمور الدين والدنيا .. وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة » فالمراد بالامامة هنا تولي السلطة التي كانت للنبي دون استثناء .

---

(١) انظر الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٥٧ الى ص ٦٠ . وأيضا أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي : **فرق الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ . وانظر مبحث نشأة التشيع والقول بالنص من الفصل الأول من هذا البحث .

(٢) انظر هاشم الحسني : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٧ . وايضا امير محمد الكاظمي القزويني : **رد على رد السقيفة** ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ـ بدون تاريخ .

(٣) الشهرستاني : **الملل والنحل** مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٧ وما بعدها .

(٤) فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٢ .

(٥) محمد نبيل نوفل : **أبو حامد الغزالي فلسفته وآراؤه في التربية والتعليم** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٦٧ ـ ص ١٣١ .

ولذا تسمى بخلافة النبي ، وتجب طاعة الامام على الأمة كافة كما تجب طاعة النبي كذلك[1] .

ان هذه الامامة لم تكن ظاهرة طارئة ، ولم ترتبط بأية حوادث سياسية او غيرها، إنها قضية الهية إستنفذت كل حقائقها ووقائعها وما تزال . اما الأدلة عليها فمتوفرة في مؤلفات كل من السنة والشيعة واسانيدهم . ولهذا فالامامة في المفهوم الشيعي امتداد طبيعي للنبوة ، وان الأدلة التي يعرضها الشيعة لا تقتصر على تسمية اشخاص بأعينهم في توليهم هذا المنصب بعد الرسول (ص) فحسب وانما يقدمون الأدلة التي تبين خصائص وشروط من يتولى هذه المنزلة لتحقيق هدف قيادة الأمة والحكم بما انزل الله [2] . والأدلة التي ساقها الشيعة على تعيين النبي لشخص الامام علي بن أبي طالب اعتمدوها من كتب لأهل السنة ، سواء اكانت ادلة من القرآن الكريم كآية الانذار والولاية وآية التطهير والمودة وغيرها ، أم من السنة الصحيحة كحديث الغدير والمنزلة وغيرها من الأحاديث الناصة على خلافته . كما وأن الشيعة استدلوا على أن الامامة أو الخلافة لا بد وأن تكون بنص من الله بأدلة عقلية ساقوها لصحة مدعاهم [3]

وقد عرض الدكتور احمد صبحي وجهة نظر الشيعة بوجوب صدور إستخلاف من النبي في ضوء وقائع التاريخ بقوله :

الحقيقة الأولى التي يجب التسليم بها أن النبي كان يعلم ان امته ستتعرض اذا لم ينص هو على من يخلفه الى الفتن والاضطراب ، أما أنه كان يعلم ذلك فان كل الفرق الاسلامية قد اوردت هذا الحديث : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ..» فهل كان رسول الله يعلم أن الدهر يدخر لأمته صفحة مملوءة بالحوادث والفتن اذ تختلف أمته من

---

(١) حسن عباس حسن **الصياغة المنطقية** (ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٧ ـ ٣٧٠ . وانظر شرف الدين : **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ وايضا أمير محمد الكاظمي القزويني : **مع النشاشيبي في كتابه الاسلام الصحيح** ـ مطابع اليقظة ـ بدون تاريخ .

(٣) انظر شرف الدين : المصدر السابق ـ وأيضا القزويني : المصدر السابق . وانظر الانطاكي : **لماذا اخترت مذهب الشيعة** ـ مرجع سابق .

بعده ويتقاتل افرادها وتراق الدماء وتزهق النفوس ثم يسكت النبي عن ذلك دون أن يقدم على مشورة تجنب أمته شر العثار ؟ ولنفرض أن الحديث والتاريخ لم يسجلا لنا حديثا واحدا يقضي فيه النبي بمن يخلفه في أمر أمته ، فهل يصح أن نصدقهما بهذا الاهمال ونصدقهما أن النبي ترك امته في فوضوية لاحد لها .

وهل كان دينه خاصا بعصره ليترك أمته من بعده هملا من غير راع يسوسهم أو طريقة يتبعونها في أمور دينهم ودنياهم ؟ لقد ورد أن عائشة قالت لعمر في أواخر أيام خلافته . لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فاني أخشى عليهم الفتنة ، فهل لم يدرك النبي ما أدركته عائشة أن المسلمين يتعرضون للفتنة نتيجة عدم الاستخلاف أم ليس بين المسلمين وصحابة الرسول من سأله هذا السؤال الذي سألته عائشة لعمر ؟

واذا لم يكن محمد نبيا مرسلا نزل دينه للناس كافة في كل زمان ،، واذا لم يكن عالما عن وحي فليكن على الأقل سياسيا كسائر الساسة الذين لا يخفىٰ عليهم بعض أمور رعاياهم فلا يتركونهم تحت رحمة هؤلاء واختلاف الآراء . على أنه قد عرف عنه انه لم يترك المدينة اذا خرج لحرب أو غزوة من غير أمير يخلفه عليها فكيف نصدق عنه أنه اهمل أمر أمته بعده الى آخر الدهر دون قاعدة يرجع اليها المسلمون أو خلف بعده ؟ فان قيل أنه وكل الأمر الى اتفاق أمته واختيارهم ، فمعناه أنه أوقع أمته في منازعات دائمة تقضي الى ازهاق النفوس واضعاف القوى وذهاب الايمان ، اذ كيف يتفق اهل البلد الواحد على حكم واحد فضلا عن أمة كبيرة ؟ [١] .

هذا ما قرره الدكتور احمد صبحي . أما الأمدي ، فقد قرر رأي الشيعة في وجوب الامامة بقوله : ولربما قرروا ذلك بطريق معنوي ، وهو أن النبي عليه السلام اما أن يكون عالما باحتياج الخلق الى من يقوم بمهماتهم ، ويحفظ بيضتهم ، ويحمي حوزتهم ، ويقبض على أيدي

---

(١) احمد محمود صبحي : **نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ١٠٠ - ١٠١ .**

السفهاء منهم ، ويقيم فيهم الأحكام الشرعية على وفق ما وردت به الأدلة السمعية على ما تقرر . أو لم يكن عالما . لا جائز أن يقال بكونه غير عالم ، اذ هو اساءة ظن بالنبوة وقدح في سر الرسالة . وكذلك أيضا ان كان عالما ولم ينص ، لا سيما والتنصيص هنا أكد من التنصيص وايجاب التعريف لما يتعلق بباب الاستنجاء والتيمم على ما لا يخفى ..

ولا جائز أن يقال : انه ترك الأمر شورى فيما بين الصحابة ، وفوض الأمر الى اجتهاداتهم وآرائهم ، ليعلم القاصر من الفاضل والمجتهد من العي ، والالجاز للصحابة الا ينصبوا اماما ايضا ، ليعلم الطائع من العاصي ، والمنقاد للأوامر والنواهي من غيره ، بل ولجاز اهمال بعثة الرسل ، وتفويض الأمر الى أرباب العقول ، ليتميز أيضا المجتهد ومن له النظر في المدارك واستنباط المسالك ممن ليس كذلك ، وذلك مما لا يخفىٰ فساده . كيف وان التعيين بعد ما ثبت القول بوجوب الامامة لازم لا محالة، ثم كيف يجب على الناس طاعته وهو انما صار اماما باقامتهم له ؟ فاذن لا بد ان يكون التعيين وارداً من قبل الشرع وصادرا من جهة السمع ، وهو انما يثبت في حق من يدعيه ، دون من ينفيه ، هذا معتقد الشيعة وطوائف الامامية كما يقول الأمدي [١]

يقول الدكتور أحمد صبحي : « هذه أدلة متكلمي الشيعة الاثنى عشرية في نقد مبدأ الاختيار واثبات وجود النص على الامامة ، فما كان موقف أهل السنة ازاءها ... أما ازاء الدفاع عن مبدأ الاختيار فلم يكن موقفهم متماسكا موحدا ، ويرجع ذلك الى اختلاف آرائهم في كيفية الاختيار .. كل ذلك لا نجد عند متكلمي أهل السنة موقفا مجمعا عليه ، الأمر الذي يسر على الشيعة نقد دعوى الاختيار من أساسها واثبات تهافتها فضلا عن عدم انطباقها في الواقع الا حين اختير ابو بكر ،، فلقد كان في واقع التاريخ الاسلامي ما التمس فيه الشيعة نقط الضعف لتركيز هجومهم على اسلوب اختيار الخلفاء ..» [٢] . ثم يستطرد في القول :

---

(١) سيف الدين الأمدي : **غاية المرام في علم الكلام** ـ تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ـ القاهرة ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ١٩٧١ ـ ص . ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

(٢) أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة** مرجع سابق ـ ص ٩٧ .

« ولا شك أن أدلة الشيعة جديرة بالاعتبار ، ولا شك أيضا أن انتقاداتهم المتتالية لمبدأ الاختيار لها ما يبررها ،... كل ذلك مما يجعل الأدلة الشيعية وانتقاداتهم لمبدأ الاختيار بعض الاعتبار »[٢٧٦] .

الأصل الخامس : « المعاد » :

أجمع المسلمون قاطبة على ضرورة المعاد من دينهم ، وهو يوم الحساب ، ولهذا يجب التصديق والاعتقاد به على الوجه الذي ذكره الأنبياء عليهم السلام ، وهو أمر معلوم الثبوت بالضرورة من دين رسول الله (ص) ، وصريح القرآن دل عليه في كثير من آياته . وضرورة العقل القاطع يقضي بلزومه ، لأن الله تعالى وعد المكلفين بالثواب على الطاعة وتوعدهم بالعقاب على المعصية بعد الموت مع مشاهدتهم للموت ، وليس من المعقول تصور الثواب والعقاب بعد الموت الا بعد عودتهم فوجب التصديق بعودتهم ليحصل الوفاء بوعده ووعيده ، ولأنه تعالى قد كلف العباد بالأوامر والنواهي وفعل الالم ، فيجب ايصال الثواب بالطاعة والعقاب على المعصية والعوض الى المؤلم وهذا لا يكون الا بالعودة ، والا لزم أن يكون ظالما ، وقد ثبت أيضا بضرورة العقل والنقل حكمته وعدله فيجب البعث بمقتضى حكمته وعدله ، وعلى الجملة ان لازم التكليف بالأمر والنهي والالم ترتب الثواب والعقاب والعوض عليها والا لزم العبث أو الظلم ، وهما منتفيان عن الله تعالى وتقدس عن الظلم والعبث ، واذا تسجل بطلانهما ثبت وجود العود والبعث ، لأن الثواب والعقاب والعوض انما تصل الى المكلف في الآخرة لانتفائهما في الدنيا[٢] .

وقد استدل الشيعة على وجوب البعث بالعقل والسمع : أما العقل فلان العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود ، لأن هذا العالم ممكن الوجود ، ولا شك أن حكم المثلين واحد ، ولما كان هذا العالم ممكن الوجود ، وجب الحكم على الآخر بالامكان كذلك ، والى هذا البرهان اشار

---

(١) المصدر السابق : ص ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) القزويني : **اصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ . وأيضا آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ . وأيضا العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣١ .

الخواجة نصير الدين الطوسي ـ حكم المثلين واحد . وأما السمع فقوله تعالى (**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم**)[1] . « ووجوب ابقاء الوعد والحكمة يقتضي وجوب البعث، والضرورة قاضية بثبوت الجسماني من دين النبي مع امكانه »[2] .

هذه هي الأصول العامة التي آمن بها الشيعة ، كما جاء بها الاسلام ، وبينها الرسول (ص) من طريق أئمة أهل البيت ، حتى تجسدت في سلوكياتهم من حيث التطبيق العملي في واقع الحياة ، وجاهدوا من أجل نشرها بين الناس تعلما وتعليما ، وهذا ما يتضح في الفصول التالية .

---

(١) العلامة الحلي : المصدر السابق ـ ص ٤٢٤ .
(٢) المصدر السابق : ص ٤٣١ .

الفصل الثالث

فلسفة التربية من منظور الشيعة

ويتضمن :

أولا : الطبيعة الانسانية .
ثانيا : العلم والعلماء .
ثالثا : المعرفة الانسانية
رابعا : النزعة العقلية في الفكر التربوي عند الشيعة
خامسا : تكافؤ الفرص في التعليم .
سادسا : التربية الخلقية .
سابعا : الأسرة ودورها في تربية الطفل .
ثامنا : التعليم المهني .

مقدمة :

إن دراسة الآراء والمذاهب التربوية تتيح الفرصة لعلماء التربية وفلاسفتهم فهم ما كان لهذه الآراء والمذاهب من الفضل في نهضة التربية ورقيها ، وما ابتكره الفلاسفة والمفكرون من أنظمة وأساليب كانت السبب في ارساء علم أصول التربية حتى استقر على ما هو عليه الآن . ولهذا فإن المذاهب والآراء التربوية في أي مجتمع ما هي الا حصيلة الأوضاع والظروف المختلفة المحيطة بها ، والثقافة السائدة فيها(١) .

وعلى هذا فإن الفكر التربوي يختلف من عصر إلى آخر حسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي يمر بها المجتمع . ولما كان الشيعة ـ كما رأينا ـ قد مروا بعصور مختلفة وبأوضاع اجتماعية وسياسية متباينة ، من حيث الاضطهاد والاستقرار ، أدى ذلك إلى انعكاس فلسفتهم عن الكون والحياة والانسان على فكرهم التربوي في الكتاتيب والمساجد وفي كل مكان تواجدوا فيه ومارسوا خلالها عملية التعليم والتعلم ومن هنا يعرض الباحث الاتجاهات الرئيسية لفكر الشيعة التربوي ، وما ينطوي عليه من أسس تربوية وقضايا تعليمية . ولهذا يتناول هذا الفصل فلسفة التربية من منظور الشيعة ، وموقفهم من العلم والعلماء .

أولا ـ الطبيعة الانسانية :

من أولى عمليات التربية البحث عن طبيعة الانسان ، المادة الخام التي يعالجها فلاسفة التربية، وعلى ضوئها تتحدد المعالم الرئيسية للتربية. فنظرة الفيلسوف الى الطبيعة الانسانية تفسح أمامه المجال في معرفة الطريقة التي يعامل الانسان بها ، ومدى قابليته للتغير بمؤثرات التربية ، وبالتالي يحدد مجال العمل معه حسب قدرة الانسان وامكانياته

---

(١) اميل فهمي حنا : **المذاهب والآراء التربوية** ـ دار العلم للطباعة ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣ـ٥ .

ومدى تقبله لها[١] . وعلى ضوء ذلك تتحدد آراؤهم حول مبادىء التربية وأهدافها ومناهجها وطرق تعليمها ، لأن استيضاح وجهات النظر المختلفة التي عالجت طبيعة الانسان ، هو حجر الزاوية لكل من يتصدى لتوجيه أي عمل تربوي ، تمهيدا لتكوين مفهوم علمي سليم عن طبيعة الانسان ، يتخذ فيما بعد أساساً يرجع إليه لمعرفة جوانب العملية التربوية كلها ، وتحديد دورها في الثقافة التي يعيش فيها الناشئون ، ولهذا فإن فلسفة التربية تتطلب تفكيرا عن طبيعة الانسان ، لأن فهم الانسان هو مفتاح كل خبرة قد يفكر فيها الانسان كمرآة للعالم[٢] .

وفيما يتعلق بطبيعة الانسان ، نلاحظ أن هناك اتجاهين مختلفين لدى فلاسفة التربية ، الأول منهما يذهب إلى أن الانسان يولد وقد انطبعت معه كل معالم شخصيته ، وان المعارف العامة تحددت منذ ولادته ، وان البيئة والتربية لا تؤثر فيه الا قليلا . وما دامت الطبيعة الأصلية غير قابلة للتغير فإن وظيفة التربية حسب هذا المفهوم هي إظهار ما كمن في داخل الانسان الذي حددت شخصيته سلفا . وعلى هذا يكون التغيير لجوهر الانسان وامكانياته ضئيلا ان لم يكن منعدما[٣] .

أما الاتجاه الثاني ، فيرى أن الانسان يولد وعقله صفحة بيضاء ، يقبل كل ما يطرأ عليه من مؤثرات البيئة والتربية ، مادامت طبيعته غير محددة سلفا ، فهو يقبل كل ما يخط عليه من أفكار ومعارف ، وبالتالي تكون الطبيعة الانسانية قابلة للتغيير والتشكيل والنمو باستمرار حسب ظروف البيئة والمجتمع التي تحيط به[٤].

وإذا كانت الطبيعة الانسانية غير محددة ، فهي اذن تقبل كل ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر[٥] . وتكون مهمة التربية توجيهها

---

(١) محمد نبيل نوفل : **أبو حامد الغزالي** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ .

(٢) سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** ـ مرجع سابق ص ٨٩ .

(٣) محمد نبيل نوفل : **الغزالي** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ .

(٤) Kennedy F. Roche, **Roussau stoic and Romanatic**, (London Methuen & Co. Ltd. 1974). P. 24.

(٥) بول وودرنج : **نحو فلسفة التربية** ـ ترجمة د. سعد مرسي أحمد ، فكري حسن ريان ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٦٦ ـ ص ٨٨ .

نحو الخير ومعنى ذلك أن لديه من الامكانيات والاستعدادات ما يفعل بها الخير والشر[1]. وما يأتيه من شر إنما هو أمر طاريء عليه ، لا أصيل فيه ، وإنما المجتمع الذي يعيش فيه هو الذي يؤثر فيه[2].

وهذا الاتجاه الأخير هو السائد عند كثير من مفكري التربية في العصر الحديث ، وكان من أنصار هذا الاتجاه « جون لوك » ونظرته الأساسية هي أن الطبيعة الانسانية لا تظهر عند الميلاد وإنما هي نتيجة تأثير البيئة على مادة خام مرنة للكائن الحي لم تشكل بعد ، وهي التي توجد عند الميلاد ، ولهذا أكد على أن الخبرة والبيئة هي مصادر المعرفة والتعلم[3] . ومن هنا كانت وجهة نظر لوك أن المولود يملك فقط لوحة بيضاء تطبع عليها المدركات من العالم الخارجي ، ومن ثم فإن الأفكار والقيم والمعرفة ، يكون أصلها الخبرة من العالم الخارجي[4] وإن ما يظهر في العقل الانساني من ملكات نتيجة لانعكاسات هذه الخبرة[5] .

هذه النظرة إلى الطبيعة الانسانية ، وأن الانسان يولد وعقله صفحة بيضاء قابلة لكل ماينقش عليها ، واسنادها الى مفكري التربية في العصور الحديثة ، وبالأخص إلى جون لوك ، لا تخلو من نظر . حيث أن الفكر التربوي الاسلامي عند الشيعة قد صاغ هذه النظرة بأسلوب يقوم على الابداع والابتكار ، لجدتها وطراوتها وصلاحها في بناء تربية اسلامية أصيلة تعبر عن واقع التربية الاسلامية ، من دون أن تتأثر بأي فكر آخر : **فقد جاء عن الامام علي بن أبي طالب قوله : « إنما قلب الحدث ، كالأرض الخالية . ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك »**[6] . **وقال الامام الصادق :**

---

(١) على خليل أبو العينين : **فلسفة التربية في القرآن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة دار الفكر العربي ـ ١٩٨٠ ـ ص ٨٦ .

(٢) Kennedy F. Roche. **Rousseau stoic and Romantic**, op. cit., P. 24.

(٣) ، (٤) سيد ابراهيم الجيار : **دراسات في تاريخ الفكر التربوي** ـ القاهرة ـ دار غريب ١٩٧٧ ـ ص ١٦٧ .

(٥) منير المرسي سرحان : **في اجتماعيات التربية** ـ ط ٢ ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٩٤ .

(٦) محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ طهران ـ شركة طبع بحار الأنوار ١٣٧٦ هـ ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٣ .

« .. فصار ـ أي الطفل ـ يخرج إلى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله ، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ، ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال ، حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها ، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطرار إلى المعاش بعقله وحيلته ، وإلى الإعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية[1]. ويعلل الامام الصادق ذلك بقوله : « فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم »[2].

بهذا الأسلوب التربوي بين الامام الصادق وجوها ثلاثة لبيان الحكمة في مجيء الطفل وعقله فارغا من العلوم والمعارف قابلا لها بحسب الاستعداد الفطري ، فانه لو كان يولد وله من المعارف لحصل : أولا : ذهاب حلاوة التربية من الأبوين للأولاد . وثانيا : عدم حصول مصلحة للوالدين في تربية أولادهم ورعايتهم ، وعدم وجود الترابط والتراحم ما بينهم . وثالثا ، ذهاب مكافأة الولد لوالديه بالبر والاحسان عند عجزهم وكبرهم . ولهذا يرتقي الامام الصادق في هذه النظرة التربوية التي سبقت وجهات النظر التربوية الحديثة منذ ثلاثة عشر قرنا حيث يقول : « ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم ، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حيث يولدون .. لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها مالا يحل له ولا يحسن به أن يراه »[3] .

وهذا المعنى الذي أشار إليه الامام الصادق ، جاء عن شيوخ الشيعة وعلمائهم ، يقول العلامة الحلي : « اعلم أن الله تعالى خلق النفس الانسانية في مبدأ الفطرة خالية من جميع العلوم بالضرورة ،

---

(١) امالي الصادق : تحقيق محمد الخليلي ـ النجف الاشرف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ـ جـ ١ ـ ص ٨١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٨٩ ـ ٩٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ٩٠ ـ ٩١ .

وقابلة لها ، وذلك مشاهد في حال الأطفال ، ثم أن الله تعالى خلق للنفس آلات بها يحصل الادراك وهي القوى الحساسة ، فيحس الطفل في أول ولادته بحس لمس ما يدركه من الملموسات ويميز بواسطة الادراك البصري على سبيل التدرج بين أبويه وغيرهما ، وكذلك يتدرج في العلوم وباقي المحسوسات إلى ادراك ما يتعلق بتلك الآلات ، ثم يزداد تفطنه فيدرك بواسطة احساسه بالأمور الجزئية الأمور الكلية من المشاركة والمباينة ويعقل الأمور الكلية الضرورية بواسطة ادراك المحسوسات الجزئية ، ثم اذا استكمل العلوم وتفطن بمواضع الجدال أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية »[1] ولهذا يقول العيناثي :« ... إن مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل رق أبيض نقي لم يكتب فيه شيء »[2] . « .. ولخلوها ـ أي النفس ـ من المعارف التي بها يتعلق كمالها ، صار فقدها العلم بذاتها علة لها أولى ، تحتاج في ازالتها الى الاستعانة بجسمها استعانة المولود بوالده ... »[3] . وعلى هذا يقول القزويني : « ... خلق الله تعالى النفوس البشرية في مبدأ الفطرة عارية عن العلوم كلها ، ثم تحصل لها العلوم والمعارف باستعمال الحواس ... ولا تزال تكون في التغيير من حال إلى حال وفي التبديل من نقصان إلى كمال بحسب الاستعدادات الخاصة والقابليات المخصوصة ، كما هو المعلوم بالوجدان من حال الأطفال »[4] .

ومن هنا يظهر أن نظرة الشيعة ـ منذ القرن الأول للهجرة ـ إلى الطبيعة الانسانية قائمة على النظرة الشمولية للمعرفة ، وبالتالي فإن التربية عندهم ترتكز أساسا على الحواس ، فالطفل يتدرج في اكتساب

---

(١) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٤ .

(٢) السيد محمد العيناثي : **آداب النفس** ـ طهران ـ المكتبة المرتضوية ـ ١٣٨٠ هـ ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٧ .

(٣) الكرماني : **الأقوال الذهبية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤١ .

(٤) أمير محمد القزويني : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٣ .

معارفه أولا عن طـريق حواســه ، وما يحيط بـه من خبرات خـارجية ، ثم يستكمل هذه المعرفة عن طريق العقل . وبهذا المعنى أيضا جاء عن **هشام إبن الحكم في منتصف القرن الثاني للهجرة حينما قيـل له : بم عـرفت ربك ؟ قال : بنفسي لأنها أقرب الأشياء إليّ ، وذلك أني أجدها أبعـاضا مجتمعة وأجزاء مؤتلفة ظاهرة التركيب متبـاينة الصفـة مبنية عـلى ضروب من التخطيط والتصوير زائدة من بعد نقصان ، وناقصـة من بعد زيادة . وقد أنشيء لها حواس مختلفة وجوارح متباينة من بصر وسمـع وشـام وذائق ولامس ، مجبـولـة عـلى النقص والضعف .. واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له واثبات صورة لا مصور لها .. فهذا مما يستعان به على تحصيل المعرفة ...** »[١] .

وتلتقي هذه النظرة التي نادى بها الشيعة منذ القـرن الأول والثاني للهجـرة ، مع النظـرة الحديثـة للطبيعة الانســانيـة . يقـول الابـراشي : « فالافكار نتيجـة للحواس ، والحـواس أمهات الأفكـار . وأن الغرض من تـرتيبها الـوصول إلى المعـرفة والحكم الســديد ، وقـوة الشعور والادراك والمـلاحظة ، وهـذا المعنى قول « جـان جاك روســو » في كتابـه اميل : أن أرجلنا وأيدينا وأعيننا هي المعلم الأول لنـا في الفلسفة »[٢] . ولهـذا يرى جـان بياجيـه أن النمو في تفكـير الأطفال يبـدأ أولا عن طريق الحـواس ، فالطفل الرضيع أو الطفل الصغير يعمل ليصل الى نتيجة لكنه لا يستطيـع أن يحتفظ في عقله بتتابع للأداءات أو الأفعال ، ثم يعقب المرحلـة الحسية هذه حركة مباشرة طورا للنمو يكون فيه التفكـير من خلال التمثيـل ، ليس تفكيرا تصوريا بعد ، وهكذا يأخذ الطفل في نمـوه العقلي نتيجـة ما يكـرره من أعمال حسية[٣] . ولهذا « تسمح القـدرة الجديـدة للأطفـال على تتبـع الأشياء بأعينهم أن يكتشفوا الأشياء أو المـوضوعـات المحيطة بهم »[٤] .

---

(١) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٧ .

(٢) محمد عطية الابراشي : **التربيـة الاسلاميـة وفلاسفتهـا** ـ ط ٣ ـ مطبعة عيسى البـابي الحلبي بمصر ـ ١٩٧٥ ـ ص ١٩٤ .

(٣) روث م. بـيرد : **جان بيـاجيه وسيكـولوجيـة نمو الأطفـال** ـ ترجمـة د/فيـولا فـارس الببلاوي ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٢ .

وهكـذا ينتقل الطفـل من مرحلـة الاعداد للعمليـات الحسيـة إلى التفكـير الاجرائي خلال المرحلة الحسية[1] .

وقد أشار الشيعـة إلى ذلك قبـل ظهور هـذه النظرة الحـديثة بعـدة قـرون ، ولهذا جـاء عن شيوخ الشيعـة ـ اضافـة إلى ما تقـدم ـ قولهم : « .. **أن العلم اما ضروري وإما كسبي ، وكلاهما حصـل بعد عـدمه ، إذ الفطـرة البشرية خلقت أولا عـارية عن العلـوم ، ثم يحصـل لهـا العلم بقسميه ، فلابد من استعداد سابق اذ القابـل لا يخرج المقبـول من القوة إلى الفعل بذاته وإلا لم ينفك عنه ، وللقبول درجات مختلفة في القرب والبعد ، وإنما تستعد النفس للقبـول على التـدرج فتنتقل من أقصى مراتب البعد إلى أدناها قليـلا قليلا لأجـل المعدات التي هي الاحساس بالحواس على اختلافها والتمرن عليها وتكـرارها مـرة بعد أخرى فيتم الاستعداد لافاضة العلوم البديهية الكلية من التصورات والتصديقات بين كليات تلك المحسوسات** »[2] .

ومجمـل ما ذهب إليـه الشيعة في نظـرتهم إلى الطبيعة الانســانية ، أنهم أمنوا بأن النفس الانسانية في مبدأ الفطرة خـالية من جميـع العلوم وقابلة لها ، وذلك عن طريق الاستعدادات والقـابليات المـودعة في الفطـرة الانســانية ، وأن الطفـل يتدرج بمعـارفه عن طـريق الخبـرة الخـارجيـة بواسطة حواسه ، وذلك عن طريق تكرار استعمال الحـواس حتى تحصل له المعارف الأوليـة الناتجـة عن الحس عن طريق البيئـة التي يعيش فيها الطفل ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى تحصل له المدارك العقلية . وهذا غايـة ما توصل اليه فـلاسفة التـربية في العصر الحـديث . وهي طابـع التربيـة الاسـلامية عند الشيعة منذ القرن الأول للهجرة .

---

(١) المصدر السابق : ص ٥١ .

(٢) العلامة الحلي : كشف المراد ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .

ثانيـا ـ « العلم والعلمـاء » :

١ ـ موقف الشيعة من العلم والعلماء :

من أروع مبادىء التربية الإسلامية تعظيم العلم والمعرفة . وقد ذكر العلماء مكانة العلم ، ومن تحلى به ، وتوسعـوا في بيانـه عن طريق العقل والتنزيل والسنة النبوية . وموقف الشيعة من العلم والعلماء يظهر من موقف أئمتهم وشيوخهم في كل حقبة من تاريخهم الذي وجدوا فيه ، فقـد مرت بالشيعة عصور مختلفة من حيث النشاط العلمي والفكري في نشر مذهبهم ، مما أدى بهم إلى التوسع في الاستدلال على مكانة العلم وفضل العلمـاء ، بالآيات والأحاديث الشريفة ، وأقوال أئمتهم ، بالاضافة إلى دليل العقل . والباحث يعرض بعض ما جاء في ذلك على سبيل المثال .

أما الكتاب الكريم ، فقد أشار إلى ذلك في مواضع كثيرة منه قوله تعالى في سورة العلق ، وهي أول ما نزل على النبي (ص) : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم**)[1] . **حيث افتتـح كلامـه سبحانـه بذكـر نعمة الايجاد واتبعه بذكر نعمة العلم ، فلو كان بعد نعمة الايجاد نعمة أعلى من العلم لكانت أجدر بالذكر . وقد قيل في وجـه التناسب بـين الاي المذكورة في صدر هذه السورة المشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق ، وبعضها على تعليم ما لم يعلم ، أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان يعني كونه علقة وهي بمكان من الضعة ، وآخر حاله وهي صيرورته عالما وذلك كمال الرفعة والجلالة**[2] . **وقوله تعالى : (الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا » فإنه سبحانه جعل العلم علة لخلق العالم العلوي والسفلى طرا وكفى بذلك جلالة وفخرا)**[3] . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظمة العلم وشرفه ، ويكفي ذلك برهانا أن الله سبحانه أمر نبيه (ص) بزيادة طلب العلم مع ما أعطاه الله من العلم والحكمة ، فقال مخاطبا لنبيه : (**وقل رب زدني علما**) ولهذا ثبت

---

(١) **العلق** : ١ـ٥ .

(٢) الشهيد الثاني : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٥ـ٦ .

(٣) سورة طه : ١١٤ . وأيضا عبدالصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص١٠ .

الله قلوب المؤمنين الذين أوتوا العلم بالتوحيد والحكمة حتى يزدادوا إيمانا وتطمئن قلوبهم بقوله سبحانه : (**وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم**)[1] .

وأما السنة النبوية الدالة على فضل العلم فكثيرة ، منها ما جاء عن الامام علي بن أبي طالب قال : **قال رسول الله (ص) : العالم بين الجهال كالحي بين الأموات ، وإن طالب العلم ليستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ، فاطلبوا العلم فإنه السبب بينكم وبين الله عز وجل وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم »[2] وعنه أيضا قال : قال رسول الله (ص) : « تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة ، وهو أنيس في الوحشة ، وصاحب في الوحدة ودليل على السراء والضراء ، وسلاح على الأعداء ، وزين للاخلاء ، يرفع الله به أقواما يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم ، وترغب الملائكة في خلتهم .. لأن العلم حياة القلوب ، ونور الأبصار من العمى ، وقوة الأبدان من الضعف ، ينزل الله حامله منازل الأخيار ويمنحه مجالس الأبرار في الدنيا والأخرة . بالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام والعلم إمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء »[3]** .

وقد جاء عن أئمة الشيعة في فضل العلم ومكانته أقوال كثيرة منها قول الإمام علي لتلميذه كميل بن زياد : « **يا كميل احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم**

---

(١) سورة الحج : آية ٥٤ .

(٢) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٣٥ .

(٣) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

يلجأوا إلى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العالم دين يدان به تكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، فمنفعة المال تزول بزواله ، يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة .. »[1] وقوله (ع) « **الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا »**[2] . **وقوله : « لا كنز أنفع من العلم »**[3] . **وقوله : « لا علم كالتفكير ولا شرف كالعلم »**[4] . **وقوله : « كفى بالعلم شرفا أنه يدعيه من لايحسنه ، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله ، وكفى بالجهل خمولا إنه يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إليه »**[5] . وفي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي أحد تلاميذ الإمام علي المتوفىٰ سنة ٦٩هـ :

والعلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا
وحامل العلم مغبوطٌ به أبدا ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به درا ولا ذهبا[6]

وكان للشيعة إحساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره في حياة الناس ، تمشيا مع الدين الإسلامي ، ولهذا فقد استشهدوا بكثير من الشواهد التي وردت عن أئمتهم . منها ما جاء عن **الإمام علي بن الحسين** : **« لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض**

---

(١) المصدر السابق : جـ١ ـ ص١٨٦ ـ ١٨٧ . وأيضا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ المدينة ـ المكتبة السلفية بدون تاريخ ـ جـ٦ ـ ص ٣٧٩ .
(٢) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٨٣ .
(٣) المصدر السابق : ١٦٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٧٩ .
(٥) ياقوت الحموي : **معجم الأدباء** ـ الطبعة الأخيرة ـ مطبعة المأمون ـ بدون تاريخ ـ جـ١ ـ ص ٦٥ .
(٦) عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٩٥٦ ـ جـ١ ـ ص ٨ ـ ٩ .

اللجج ، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم ، وأن أحب عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القابل عن الحكماء »[1] وقال الإمام محمد الباقر : « الروح عماد الدين والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم »[2] . وقوله : « العالم كمن معه شمعة تضيء للناس فكل من أبصر شمعته دعا له بخير ، كذلك العالم مع شمعته تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النار ..»[3] . وقال الصادق : « الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك »[4] . وقوله : « العلم حياة القلوب ومصابيح الأبصار »[5] .

بالاضافة إلى ذلك فقد استدل الشيعة على فضيلة العلم بالعقل ، ومن ذلك قولهم : إن شرف العلم وتقدمه على جميع المعقولات والموجودات أمر قضت به الضرورة وحكم به العقل والوجدان ، ففي العلم يكون تمام الكمال ، وفي الجهل يكون غاية النقصان ، لأنه عندما يلاحظ الإنسان المعقولات فهي إما موجودة أو معدومة ، ولاشك أن الموجود أشرف ، ثم أن الموجود منه الجماد ومنه النامي ولا ريب أن النامي أشرف من الجماد ، والنامي إما حساس أو غير حساس ، والحساس أشرف ، ثم الحساس منه العاقل وغير العاقل ، كالانسان وسائر الحيوانات ولاشك أن العاقل أشرف ، ثم العاقل ينقسم إلى عالم وجاهل ، ولاريب أن العالم أشرف ، فالعالم حينئذ أشرف المعقولات[6] .

ومما يزيد من أهمية العلم عند الشيعة ، وجوب الاعتناء به ومدارسته ونشره بين الأمة ، وتعليمه وتعلمه وبذله لمن طلبه . وبهذا المعنى جاء عن

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٤٣ .
(٢) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٨١ .
(٣) المصدر السابق : جـ٢ ـ ص ٤ .
(٤) المصدر السابق : جـ١ ـ ص١٨٣ .
(٥) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٣٨ .
(٦) الشهيد الثاني : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٥ .

النبي (ص) : « **العلم وديعة الله في أرضه ، والعلماء أمناؤه عليه ، فمن عمل بعلمه أدى أمانته ، ومن لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الخائنين** »[١] .

٢ ـ الحث على طلب العلم :

يظهر لنا مما تقدم موقف الشيعة من العلم ، ومدى اهتمامهم به ، ولم يقفوا عند ذلك ، بل قاموا بتشجيع طالبيه ، والحث على تعلمه وتعليمه ونشره بين الناس ، ولهذا أوجبوا التفقه في الدين ، والاختلاف إلى حملة العلم والأخذ منهم . وقد صور لنا أئمة الشيعة ذلك المعنى ، **قال عبدالله الأنصاري للإمام جعفر الصادق : إن قوما يرون أن رسول الله (ص) قال : اختلاف أمتي رحمة . قال : صدقوا . قلت : إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ قال ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنما أراد قول الله عز وجل : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » . فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (ص) ويختلفوا إليه فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم ، إنما أراد اختلافهم من البلدان ، لا اختلافهم في دين الله ، إنما الدين واحد »**[٢] . **ولهذا قال الصادق : « سارعوا في طلب العلم ، فوالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة »**[٣] .

ولم يقتصر حث الشيعة على طلب العلم والتفقه في الدين على فئة خاصة من الناس ، بل شمل جميع المسلمين . **يقول الإمام علي بن أبي طالب : « أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال . إن المال مقسوم بينكم مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم وضمنه ، سيفي لكم به ، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه ، واعلموا أن**

---

(١) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ٣٦ .
(٢) المصدر السابق : جـ١ ـ ص ٢٢٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٢٨ .

كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب ، وأن كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب إلى الجنة ، والنفقات تنقص المال ، والعلم يزكو على انفاقه »[1] .

قال ابن عبدالبر : إن قول علي بن أبي طالب : « قيمة كل امرىء ما يحسنه » لم يسبقه إليه أحد . قال : وقالوا : ليس كلمة أحض على طلب العلم منها .. وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به ، وكلفا بحسنه فمن ذلك ما يعزىٰ إلى الخليل بن أحمد وهو قوله :

قيمة المرء كل ما يحسن المر ء قضاء من الامام علي[2]

وجاء عن الإمام علي بن الحسين : « إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له الأرضين السابعة »[3] **. وقال الإمام محمد الباقر : « ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلا خاض الرحمة ، وهتفت به الملائكة : مرحبا بزائر الله ، وسلك من الجنة مثل ذلك المسلك » . ومعنى ذلك أن الذي يزور العالم لله ولطلب العلم لوجه الله فكأنه زار الله**[4] **. وعنه أيضا : « إن الذي تعلم العلم منكم له مثل أجر الذي يعلمه ، وله الفضل عليه ، تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه اخوانكم كما علمكم العلماء »** [5]

وجاء عن الإمام الصادق : **« لكل شيء زكاة وزكاة العلم أن يعلمه أهله »** [6] **. وقوله : « من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة عالما فقيها »**[7] . وقوله : **« العالم والمتعلم في الأجر**

---

(١) المصدر السابق : ص ١٧٥ . وأيضا الكليني : **الكافي** - مرجع سابق - جـ١ - ص ٣٥ .
(٢) الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي : **تاريخ الجهمية والمعتزلة** - مرجع سابق - ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٣) المجلسي : **بحار الأنوار** - مرجع سابق - جـ١ - ص ١٦٨ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٧٤ .
(٥) الكليني : **الكافي** - مرجع سابق - جـ١ - ص ٤٢ .
(٦) المجلسي : **بحار الأنوار** - مرجع سابق - ج - ٢ - ص ٢٥ .
(٧) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

سواء » [1] .

ويبدو من هذا أن علماء الشيعة ساروا على طريقة أئمتهم في حثهم على طلب العلم وتعلمه وتعليمه . **يقول الحراني ـ القرن الثالث الهجري ـ** : **« فتأملوا معاشر شيعة المؤمنين ما قالته أئمتكم (ع) واندبوا إليه وحضوا عليه وانظروا بعيون قلوبكم واسمعوه بآذانها ، ووعوه بما وهبه الله لكم واحتج به عليكم من العقول السليمة والافهام الصحيحة ... واجتهدوا في طلب ما لم تعلموا ، واعملوا بما تعلمون ليوافق قولكم فعلكم ، فبعلومهم النجاة وبها الحياة ... واجتهدوا في العمل بما أمروا به .. »** [2] .

تلك مقتطفات يسيرة من أقوال أئمة الشيعة الدالة على طلب العلم ، ومن هذا يبدو أن الشيعة قاموا بنشاط ثقافي وعلمي واسع ، كما نالوا قسطا كبيرا من ينابيع العلم المختلفة ، وقد تهيأ لهم أن يصلوا إلى غاية الشوط في هذا الميدان ، الذي منبعه القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأقوال أئمتهم . على أن الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة عند الشيعة لم تكتف بالحث على العلم والترغيب في طلبه وتطبيقه عمليا ، كما يظهر منها ، وإنما قدمت هي نفسها أنواعا من الفكر والمعرفة كانت مجالا رحبا للدراسة والبحث ، ومن أجل ذلك قام الشيعة بالدراسات المختلفة في شتى العلوم الاسلامية ، حتى كانوا السابقين إلى وضع بذورها وتأسيسها . وبهذا أثروا الفكر والثقافة الإسلامية [3]

٣ ـ « العلاقة بين العلم والعمل من منظور الشيعة » :

إن مفهوم العمل كان ولايزال موضع جدل بين المفكرين ، كما أنه كان في ذات الوقت يحمل أكثر من معنى بالنسبة للتربية ، وقد يعزىٰ ذلك إلى تعدد أنواع العمل وأشكاله وفقا لأسس التصنيف ما بين عمل فكري أو

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٤٤ .
(٢) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٤ ـ ٥ .
(٣) أنظر الفصل السابع من هذا البحث .

مادي ، وما ترتب على ذلك من اختلاف في أنماط السلوك والاتجاهات وأنواع القيم المرتبطة بالعمل في المجتمعات المختلفة[1] .

وعندما جاء الإسلام أحدث ثورة شاملة في حياة العرب في كل جانب من جوانب الحياة ، وكان العمل هو الجوهر الأساسي في الإسلام فله شرف كبير ليس له مثيل في الديانات الأخرى ، فالحياة لا تقوم إلا بالعمل وعلى العمل ، ولا قيمة للإنسان إلا بالعمل ، ولهذا فقد عنى الإسلام عناية عظيمة بتعمق هذا المفهوم في نفوس معتنقيه ،وعلى هذا فقد وردت آيات كثيرة تشيد بالعمل وتدعو إليه وتبين مدى خطورة العمل في قيام المجتمع وازدهاره[2] . بالإضافة إلى ذلك فإن الدين الإسلامي فكر وعمل ، ولهذا جاء بأسمى المبادىء التي تتمشى مع الطبيعة الإنسانية ، ولا تزال تلك المبادىء هي الأساس لأحدث النظريات المعاصرة في مجال اقتصاديات واجتماعيات العمل[3] . ولهذا يشترط القرآن أن يكون العمل قرينا للعلم في تكوين أخلاق الإنسان وبناء علاقاته الاجتماعية التي لا تقوم على مجرد الوعظ والارشاد ، وإنما تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه عمليا ، ومن هنا كانت شروط الإسلام من قبيل ربط الفكر أو العلم بالعمل أو ربط النظر بالتطبيق[4] .

ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بين العلم والعمل في العملية التربوية حيث أنها تكاد تكون دائرية ومستمرة ، ولهذا يتحتم على المشتغلين بالتربية أن يجعلوا من العمل « أسلوبا ومنهجا يربون به ، ومن خلاله مما يوحي بسببية تعزىٰ إلى التربية بحيث يصبح العمل هنا مفعولا به ، إلا أننا من ناحية أخرى نعترف بأن تغير موقع العمل أيضا ومكانته ، يمكن أن يكون مؤثرا هاما جعلنا نعيد النظر في معنى التربية والوظائف التي يجب أن ترمي

---

(١) مصطفى عبدالقادر : **مفهوم العمل وتطبيقاته التربوية في التعليم الثانوي العام في المجتمع المصري المعاصر** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية ـ عين شمس ـ ١٩٧٩ ـ ص١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠ .

(٤) علي خليل أبو العينين : **فلسفة التربية في القرآن** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٩ .

إليها »[١] . ولهذا فإن العملية التـربويـة لايمكن لها أن تقـوم إلا في ظل الالتحام بين الفكر والعمل أو بين النظر والتطبيق[٢] .

ويظهر من النصوص الواردة عن أئمة الشيعة ، وموقفهم من العلم وتقسيمـه إلى عقلي ومـادي ، أنهم لم يهملوا الناحيـة العملية وارتبـاطها بالعلم ، بل هناك علاقة ارتباطية بينهما ، وأن كـلا منهما مكمـل للآخر ، فلايمكن أن يتصور علم بلا عمل ، كما لايمكن أن يكون هناك عمل بلا علم . لأن التعليم عندهم كما يبدو ليس هو مجرد حشو أذهان التلاميذ بالعلوم والاكتفاء بذلك ، بل لابد من أن ينعكس ما يتعلمه على سلوكه ، ولهذا أراد أئمة الشيعة وشيوخهم من شيعتهم ذلك . **يقول الإمام محمد الباقر لأحد تلاميذه** : « **ابلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عنـد الله إلا بالعمـل ، وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه إلى غيره** »[٣] .

وقد اهتم الشيعة كل الاهتمام بالتأكيد على وجود أن يظهر أثر العلم في عمل الإنسان وأن ينعكس في سلوكياتهم ، وبهذا ورد عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن علي بن أبي طالب أنه قال : « **الدنيـا كلها جهـل إلا مواضع العلم ، والعلم كله حجة إلا ما عمل به ، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصا ، والاخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم به** »[٤] . والذي يظهر من ذلك أن الاخلاص أساس العمل ، والعمل أساس العلم . وفي هذا جاء عن الإمام موسى بن جعفر : « **أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به ، وأوجب العلم عليك ما أنت مسئول عن العمل به ، والزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده ، وأحمد عاقبته ما زاد في علمك العاجل فلا تشغلن بعلم ما لا يضرك جهله ولا تغفلن عن علم ما يزيدك في جهلك تركه** »[٥] .

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **مكانة العمل في الفكر التربوي** ـ الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس ـ المجلد السادس ـ القاهرة ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٠ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٢ .
(٣) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٩ .
(٥) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٤ .

وقد حلل أئمة الشيعة العلاقة بين العلم والعمل تحليلا انتهى بهم إلى القول بأن العلم مقرون بالعمل وموصول به ـ يقول الإمام علي : « **العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه** »[1] . وقوله لجابر بن عبدالله الأنصاري : « **يا جابر قوام الدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لايستنكف أن يتعلم ... فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ..** »[2] .

والذي يظهر من أقوال الأئمة عند الشيعة أنهم لم يفصلوا بين العلم والعمل أو بين النظر والتطبيق ، وهذا غاية ما تدعو إليه التربية في مجالها التطبيقي ، وعلى هذا دعوا المتعلمين بأن يحولوا العلم إلى عمل . يقول الإمام الصادق : « **تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به ، لأن العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية** » وقوله : « **العلم الذي لا يعمل به كالكنز الذي لا ينفق منه ، أتعب صاحبه نفسه في جمعه ، ولم يصل إلى نفعه** » .[3]

والعالم عند الشيعة هو العامل والمعلم والدارس للعلم ، مع تمسكه بطاعة الله ، وهذه الطاعة لا تحصل إلا عن طريق العلم والعمل به ، ولهذا أوجبوا عليه أن يعمل بعلمه ، كما أوجبوا على الجاهل أن يطلب العلم . يقول الإمام علي : « **ما أخذ الله ميثاقا من أهل الجهل بطلب بيان العلم حتى أخذ ميثاقا من أهل العلم ببيان العلم للجهال ، لأن العلم قبل الجهل** » . وهذا دليل على سبق العهد على العالم ببذل العلم على أخذ العهد على الجاهل بالتعلم .[4] وبهذا قال الإمام الصادق : « **من تعلم لله عز وجل وعمل لله وعلم لله دعي في ملكوت السموات عظيما** » .[5]

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٥ .

(٢) المجلسي : **بحار الانوار** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٣٦ .

٣) المصدر السابق : ص ٣٧ .

٤) المصدر السابق : ص ٢٣ .

٥) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٣ .

ومجمل ما تقدم ، أن العمل عند الشيعة معلول ، وأن العلم علة له وسبب في وجوده ، فلا يمكن أن يوجد عمل من الفرد من دون علم ، كما أن العلم عندهم مقرون بالعمل ، وإلا ارتحل عن صاحبه كما تقدم . وهذا دليل على عمق مفهوم العمل وارتباطه بالعلم عند الشيعة .

ثالثا ـ « المعرفة الإنسانية » :

تدور حول المعرفة الإنسانية مناقشات حادة تحتل مكانا رئيسيا في الفلسفة ، وخاصة الفلسفة الحديثة ، فهي نقطة الانطلاق الفلسفي لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والحياة والإنسان ، فما لم تتحدد مصادر الفكر البشري ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة مهما كان لونها . وإحدى تلك المناقشات الضخمة هي المناقشة التي تتناول مصادر المعرفة ومنابعها الأساسية بالبحث والدرس ، وتحاول أن تستكشف الركائز الأولية للكيان الفكري الذي تملكه البشرية ، فتجيب على هذا السؤال : كيف نشأت المعرفة عند الإنسان ، وكيف تكونت حياته العقلية بكل ما تزخر به من أفكار ومفاهيم ، وما هو المصدر الذي يمد الإنسان بذلك السيل من الفكر والإدراك ؟ .[1] ولهذا حاول الإنسان منذ القديم أن يعرف كيفية العلم بالأشياء ، وما علاقة قوى الإدراك بالشيء المدرك .[2] وعلى هذا اختلفت آراء الفلاسفة حول طبيعة المعرفة ، فمنهم من آمن بالمدارك الحسية وإعتبرها أساس المعرفة ، ومنهم من جعل العقل هو الوسيلة الوحيدة لكل المعارف ، نجد فريقا آخر جمع بين الحواس والعقل ، واعتبرهما معا طريقا للمعرفة .

وبناء على هذا الإختلاف في طبيعة المعرفة ، اختلفت وجهات النظر التي ترتكز عليها فلسفة التربية ، وبالتالي ظهر الاختلاف في مناهج الدراسة ، فالنظرة إلى طبيعة المعرفة تعتبر الأساس في تشكيل المنهج والطريقة التي يعالج بها التلاميذ .[3]

---

(١) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ ط ٣ ـ دار الفكر ١٩٧٠ ـ ص ٥٥ .

(٢) توفيق الطويل : **أسس الفلسفة ـ القاهرة** ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ ـ ص ٢٤٩ .

(٣) علاء الدين القزويني : **المعتزلة فلسفتهم و آراؤهم في التربية والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ .

وإذا كانت المعرفة من المباحث الفلسفية النظرية ، فهي كذلك تعتبر من المباحث الفلسفية التطبيقية .[1] بمعنى أن الفلسفة إذا كانت هي النشاط الثقافي الذي يعبر فكريا عن أوضاع الثقافة ومشكلاتها ، ويحاول تعديلها وتطويرها ، فإن التربية هي المجهود العملي الذي يترجم هذه الفلسفة ويحولها إلى عادات ومهارات وقيم سلوكية لدى الأفراد ، ولهذا تتضمن الفلسفة في داخلها على اتجاهات تربوية ، حيث أن التربية تحول الأفكار والمعارف الإنسانية إلى واقع تطبيقي عملي يتعلق بسلوك الأفراد .[2] ولهذا تتحول الفلسفة من مجرد ألفاظ ممتعة ونظريات جامدة إلى قيم تحدد السلوك ، ولما كانت القيم هي أساس الفلسفة التي تبحث عنها ،[3] فمهمة التربية هي إظهار هذه القيم من الواقع النظري إلى الواقع العملي ونقلها إلى الآخرين ، وتوضيحها في مناهج الدراسة لكي يتعلمها التلاميذ .[4]

ومما لا شك فيه أن البحث في طبيعة المعرفة ومصادر اكتسابها ونوع المعرفة التي تعالجها ومدى أهميتها ـ لبنات أساسية ـ تسهم في بناء فلسفة التربية ، وعلى هذا فإن النظرة إلى المعرفة على إنها غير يقينية ، أو أن الحواس أساس المعرفة أو أن العقل هو مصدر للمعرفة ، ينعكس على الطريقة التي يعد بها الإنسان ليتلقى لونا من ألوان التربية .[5]

« فالمعرفة ليست هي القوى الذهنية التي تقف من الأشياء موقف التسجيل والمعاينة ، بل أنها تنشأ من مواقف المشاركة الفعلية للإنسان في بيئته » .[6] وعلى هذا لابد أن تؤدي النظرية الفلسفية إلى تبديل في

---

(١) نبيل نوفل : **الغزالي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ .

(٢) محمد الهادي عفيفي : **الأصول الثقافية للتربية** ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ١٩٧٨ ـ ص ٨٧ .

(٣) سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** مرجع سابق ـ ص ٩٦ .

(٤) علاء الدين القزويني : **المعتزلة فلسفتهم و آراؤهم في التربية والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ .

(٥) نادية جمال الدين : **فلسفة التربية عند إخوان الصفاء** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٧٣ ـ ص ١٥٨ .

(٦) محمد الهادي عفيفي : **الأصول الفلسفية للتربية** ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ١٩٧٨ ـ ص ٢٤٨ .

العمل التربوي ، وإلا أصبحت مصطنعة ، لأنها لا تعكس الواقع العملي للتربية .[١]

وبالنسبة للشيعة ، فإن دراسة نظرتهم إلى المعرفة لها أهميتها ، ذلك أنهم اعتبروا نفس الطفل كصحيفة بيضاء ، أي أن المعرفة ليست فطرية في النفوس ، بل تستمد من العالم الخارجي ، ولهذا وثقوا بالحواس كوسيلة من وسائل المعرفة البشرية ، بالاضافة للعقل ، مع وجود الاستعدادات الفطرية الكامنة لدى الطفل ، وهي ما يطلق عليها بالمعارف الضرورية أو الفطرية ، مع إيمانهم بالمعارف التي تحصل عن طريق الشرع أو الوحي . ومن هنا يتعرض الباحث لمصادر المعرفة عند الشيعة .

مصادر المعرفة :

يرى بعض الفلاسفة أن المصدر الأساسي للمعرفة هو الخبرة الحسية وأن وسيلتها هي الحواس ، وأن معرفة الإنسان التي يتلقاها لا تكون إلا عن طريق حواسه المختلفة .[٢] ويمثل هذه المدرسة من الفلاسفة القدماء « الهرقليطيون » . فقد إدعوا أن المعرفة مقصورة على الإحساس ، وأنه ظاهرة قائمة بذاتها متغيرة أبدا ، ليس لها جوهر تتقوم به ولا قوة تصدر عنها . وهذا الإدعاء يؤدي إلى القول بأن الإحساس هو كل المعرفة ، ومعناه أن المعرفة تقتصر على الظواهر المتغيرة فقط ، ولا يمكن إدراك ماهيات الأشياء .[٣]

ولعل المبشر الأول لهذه النزعة من الفلاسفة المحدثين هو «**جون لوك**» الفيلسوف الإنجليزي ، فهو يعتبر المؤسس للمذهب التجريبي ، وهو المذهب القائل بأن معرفتنا كلها مستمدة من التجربة ، كما أنكر الأفكار الفطرية ، وجعل الإحساس هو المصدر الأساسي الذي تستند إليه

---

(١) سعيد إسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٧ .

(٢) زكي نجيب محمود : **نظرية المعرفة** ـ مطبعة وزارة الارشاد القومي ـ ١٩٥٦ ـ ص ٥٣ .

(٣) يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية** ـ القاهرة ـ مطابع الدجوي ـ ١٩٧٦ ـ ص ٧٠ .

كل أفكارنا ، فالإدراك كما يقول « هو الخطوة الأولى والدرجة الأولى نحو المعرفة والمدخل إلى جميع خاماتها »[(١)] وقد بزغ في عصر فلسفي زاخر بمفاهيم « **ديكارت** » عن الأفكار الفطرية فبدأ في تفنيد تلك المفاهيم ، ووضع لأجل ذلك دراسة مفصلة للمعرفة الإنسانية في كتابه « **مقالة في التفكير الإنساني** » وحاول في هذا الكتاب ارجاع جميع التصورات والأفكار إلى الحس ، وقد شاعت هذه النظرية بعد ذلك بين فلاسفة أوربا .[(٢)]

ويمكننا أن نوضح فشل النظرية الحسية في محاولة إرجاع جميع مفاهيم التصور البشري إلى الحس ، على ضوء دراسة عدة من مفاهيم الذهن البشري كالمفاهيم التالية : العلة والمعلول ، الجوهر والعرض ، الإمكان والوجوب ، الوحدة والكثرة ، الوجود والعدم ، وما إلى ذلك من مفاهيم وتصورات غير خاضعة للحواس . فنحن جميعا نعلم أن الحس إنما يقع على ذات العلة وذات المعلول ، فندرك ببصرنا سقوط القلم على الأرض إذا سحبت من تحته المنضدة التي وضع عليها ، وندرك باللمس حرارة الماء حين يوضع على النار ، وكذلك ندرك تمدد الفلزات في جو حار . ففي هذه الأمثلة نحس بظاهرتين متعاقبتين ولا نحس بصلة خاصة بينهما ، هذه الصلة التي تسمى بالعلية ، ونعني بها تأثير إحدى الظاهرتين في الأخرى ، وحاجة الظاهرة الأخرى إليها لأجل أن توجد ، وهذه الصلة غير خاضعة للتجربة. وعلى ضوء ذلك فالحس هو البنية الأساسية التي يقوم على قاعدتها التصور البشري ، ولا يعني ذلك تجريد الذهن عن الفعالية وابتكار تصورات جديدة على ضوء التصورات المستوردة من الحس[(٣)] وهذا ما ذهب إليه الشيعة .

إذن فالإحساس عند الشيعة « هو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات والمعاني ، والقوة الذهنية هي القوة العاكسة للإحساسات

---

(١) برتراند رسل : **تاريخ الفلسفة الغربية** ـ الفلسفة الحديثة ـ ترجمة محمد فتحي الشنيطي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ ـ جـ ٣ ـ ص ١٧٨ . وأيضا محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ .

(٢) محمد باقر الصدر : المصدر السابق ـ ص ٦٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٤ .

المختلفة في الذهن فنحن حين نحس بالشيء نستطيع أن نتصوره ـ أي أن نأخذ صورة عنه في ذهننا ـ وأما المعاني التي لا يمتد إليها الحس فلا يمكن للنفس ابتداعها وابتكارها ذاتيا وبصورة مستقلة » .[١] وعلى هذا الأساس تتكون المعارف الأولية لدى الطفل نتيجة إحساسه بالأمور الخارجية التي تحيط به ، وعن طريق الإحساس تتكون في ذهنه بعض المفاهيم بمثابة معارف أولية .

فأسباب المعرفة عند الشيعة لا تنحصر بالتجربة والمشاهدة فقط ، ولا بالعقل أو النقل ، ولا بالوثائق والآثار ، بل تشمل هذه جميعا . ولو اختصرت أسباب المعرفة بشيء واحد للزم أيضا أن تكون أشياء الكون عندنا علما واحدا فقط لا علوما متعددة ، مع أن هناك علوما شتى يبحث كل علم منها بموضوع خاص يميزه عن غيره .[٢]

هذا مع العلم بأنه لا غنى للتجربة في الطبيعيات عن العقل ، ولا للعقل في الرياضيات عن التجربة ، فكثيرا ما يطابق الرياضي بين شكلين هندسيين بل لا غنى عن العقل في جميع الأسباب . وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على وجود صلة بين العقل والمادة بنحو من الأنحاء على ما بينهما من التباين والتباعد ، وبالتالي ، فإن الواقع أعم مما تناله التجربة الحسية والتفكير العقلي ، ونقل الثقات ، بل يشملها جميعا .[٣] ولهذا « لا يقف الشيعة كثيرا عند نقد الحواس كمصدر لإفادة العلم .. ففي حوار هشام إبن الحكم من متكلمي الشيعة مع عمرو بن عبيد المعتزلي حول الإمامة يشبه هشام الإمام بالنسبة للرعية كالقلب بالنسبة للجوارح ... والمتحاوران يقصدان بالقلب هنا العقل ...» .[٤]

ومن هنا يظهر لنا أن المعرفة الحسية ما هي إلا مرتبة من التفكير لدى الشيعة ، حيث يتوصل الإنسان من حين ولادته بالمدركات الحسية إلى المعارف العقلية ، وذلك عن طريق استعمال الحواس ، وتدرجه في

---

(١) المصدر السابق : ص ٦١ .
(٢) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .
(٣) المصدر السابق : ص ٨٤ .
(٤) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٤ .

إحساسه للأمور الجزئية إلى إدراك الأمور الكلية عن طريق تجريد العقل للجزئيات المدركة بالحس ، ليتوصل إلى إستنتاج المعاني الكلية ، وبالتالي تؤدي عملية التجريد هذه إلى تنمية العقل الإنساني التي تدعو إليه التربية العقلية . بالاضافة إلى ذلك ، فقد اعتبر الشيعة أن الحواس لابد من صحتها ، لأنها أصل الاعتقادات ، التي تتفرع عنها الأحكام العقلية الكلية ، وصحة الأخيرة متوقفة على صحة المدركات الحسية . وفي ذلك يقول العلامة الحلي : « ..**ثم إذا استكمل العلوم وتفطن بمواضع الجدل أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية ، فقد ظهر من هذا أن العلوم الكسبية فرع على العلوم الضرورية ، والعلوم الضرورية الكلية فرع على المحسوسات الجزئية ، فالمحسوسات إذن أصل الاعتقادات ، ولا يصح الفرع إلا بعد صحة أصله** » .[1] ومن هنا يأتي دور التربية في تنمية الحواس ، وعلى هذا فالتربية عند الشيعة تشمل التربية الحسية والعقلية معا . إذن « فقيمة المعرفة تنبع من مقدار ارتكازها على تلك الأسس ومدى استنباطها منها ، ولذلك كان من الممكن استحصال معارف صحيحة في كل من الميتافيزيقا والرياضيات والطبيعيات على ضوء تلك الأسس ... وهو أن الحصول على معارف طبيعية بتطبيق الأسس الأولية يتوقف على التجربة التي تهيء للإنسان شروط التطبيق « كما يقول السيد الصدر » .[2]

وتنقسم المعارف العقلية عند الشيعة إلى طائفتين : احداهما معارف ضرورية أو بديهية . والطائفة الأخرى معارف أو معلومات نظرية أو كسبية[3] .

أما المعارف الضرورية : فيراد بها أن النفس تضطر إلى الإذعان بقضية معينة من دون أن تطالب بدليل أو تبرهن على صحتها ، بل تجد من طبيعتها ضرورة الإيمان بها إيمانا غنيا عن كل بينة وإثبات . كأيمانها ومعرفتها بأن النفي والأثبات لا يصدقان معا في شيء واحد ، وأن الكل أكبر

---

(١) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٤ .
(٢) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ .
(٣) العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .

من الجزء ، والواحد نصف الأثنين[1] . ولهذا فالعلم الضروري أو البديهي « لا يحتاج إلى نظر وفكر »[2] .

وما دامت القضايا البديهية لاتحتاج إلى دليل واستعمال الفكر فالناس اذن ، والحال هذه ، في إدراكها سواء ، لا فرق فيها بين العالم والجاهل ، كما أنها ليست محلا للجدل والنقاش بين أهل المعرفة ، ولا يبحث عنها في العلوم كغاية في حد ذاتها ، بل كوسائل ومقدمات تتألف منها الأدلة والأقيسة المنطقية فليس من مسائل العلم في شيء البحث في أن الماء يغلي اذا وضع اناؤه على النار ، وأن الشمس تشرق عند الصباح .. وإنما يبحث العلم : لماذا سقط الحجر على الأرض ؟ وما هو السبب لارتفاع الشمس .. وكم تبلغ درجة الحرارة في الماء اذا غلى[3] . وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يدرك بواسطة وجدانه الفطري ومن دون حاجة إلى معلم أو مربى ، أن كل معلول يحتاج إلى علة ، ولا يوجد أثر بلا مؤثر .. أن الوجدان الفطري الذي يربط بين الأثر والمؤثر أمر طبيعي إلى درجة أن الطفل بمجرد أن يصبح قادرا على التكلم يسأل أمه باستمرار عن علل الحوادث المختلفة ، هذه الأسئلة ليست ذات صلة بالتفكير ولا ناجمة من المحاسبة العقلية . يقول الشريف الرضى عند شرحه لبعض روايات الفطرة : « وهذا يدلك على أن فطرة ابن آدم ملهمة معلمة من الله بأن الأثر دالٌ دلالة بديهية على مؤثره بغير إرتياب »[4] .

وعلى هذا فإن الأنبياء والمربين يسلكون بالنسبة إلى المعرفة الضرورية أو ما يطلق عليها بالفطرية ، دور المذكر لا المعلم ، حيث يقومون بازاحة استار الغفلة عن الضمير الباطني والفطرة الإنسانية . فالأنبياء جاءوا ليوصلوا المعرفة الفطرية الاجمالية إلى مرحلة الإيمان الاستدلالي العقلي التفصيلي عن طريق الارشاد إلى التفكير والتدبر في الآيات[5] . ومن

---

(١) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٢) السيد محمد الحسيني الشيرازي : **شرح منظومة السبزواري** ـ قم ـ ايران مطبعة مهر ـ بدون تاريخ ـ ص ١٦ .
(٣) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٢ .
(٤) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٠٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٠٢ .

هنا فإن أهم واجبات الأنبياء هو ايقاظ الجوانب الفطرية عند الإنسان . **يقول الامام علي : « .. فبعث فيهم رسله ، وواتر اليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسى نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ... »**[١] **ويعلق البحراني على ذلك بقوله : « فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار ، موجودة في النفوس بالقوة ، أشبهت الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ، ولما كانت الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لاعداد النفوس لاظهارها حسن اضافة إثارتها اليهم ليرشدوهم إلى تحصيل مقدمات تلك الأدلة والبراهين »**[٢] . ومن هذا النص يظهر أن الشيعة يعتبرون الأمور الفطرية في الإنسان مقدمات للأدلة والبراهين العقلية ، وعلى هذا فمهمة التربية عندهم اظهار هذه الأمور لتحصيل هذه الأدلة عن طريقها .

إن أولى الأمور الفطرية الضرورية عند الانسان في نظر الاسلام ، معرفة الله سبحانه ، وهي من أوضح البديهيات في الفطرة الإنسانية ، وهذا هو الأساس الرصين للفطرة ، ويظهر ذلك في الميل الغريزي للتدين ومعرفة الله جل وعلا ، **ولهذا سئل الإمام محمد الباقر : ما الحنيفية ؟ قال : « هي الفطرة التي فطر الناس عليها .. فطرهم على معرفته »**[٣] . **وفي ذلك يقول الإمام الحسين بن علي : « كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك »**[٤] .

أما المعارف أو العلوم الكسبية : فيراد منها ، مجموعة من القضايا لا تؤمن النفس بصحتها إلا على ضوء معارف ومعلومات سابقة ، فيتوقف صدور الحكم منها في تلك القضايا على عملية تفكير واستنباط للحقيقة من حقائق أسبق وأوضح[٥] أي أن المعارف الكسبية متفرعة على المعارف

---

(١) البحراني : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٠٢ .
(٣) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .
(٤) عبدالله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٧ ـ ١٨ .
(٥) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .

الضرورية ، والتي تكون بدورها متفرعة على المعارف الحسية[1] . ولهذا احتاجت إلى إعمال فكر وروية ، مثل العالم حادث ، والتسلسل ممتنـع ، والحركة سبب الحرارة[2] . « فإن هذه القضايا حين تعرض على النفس لا تحصل على حكم في شأنها إلا بعد مراجعة للمعلومات الأخرى . ولأجل ذلك فالمعارف النظرية مستندة إلى المعارف الأولية الضرورية ، فلو سلبت تلك المعارف الأولية من الذهن البشري ، لم يستطع التوصل إلى معرفة نظرية مطلقا .. وعلى ذلك الأساس تقوم البنيات الفـوقية للفكـر الإنساني التي تسمى بالمعلومات الثانوية »[3] . إذ أن « النظرية لابد أن ينتهي دليلها إلى البديهية والوجدان »[4] .

والعملية التي تستنبط بها معرفة نظرية من معارف ضرورية بديهية سابقة ، هي العملية التي يطلق عليها اسم الفكر والتفكير . فالتفكير جهد يبذله العقل في سبيل اكتساب معارف وعلوم جديـدة من معارف سـابقة موجودة ومرتكزة في الذهن . ولهذا تعتبر المعارف الضرورية العلل الأولى للمعرفة الإنسانية [5] . ومثال ذلك قولنا : العالم متغـير ، وهذه قضيـة ضرورية ، لأنها خاضعة لحكم الحواس فتغير العالم من ليل إلى نهار ومن حر إلى برد ، من الأمور المعلومة بالحس وقولنا كل متغير حادث ، فهي قضية بديهية أيضا . فإذا أردنا أن نكتسب علما جديدا ، فلابد من إعمال الفكر ، وذلك عن طريق القياس المؤلف من القضيتين المتقدمتين ، فيقال : العالم متغير ، وكل متغير حادث . فتكون النتيجة ، العالم حادث . حيث تـوصل العقل من قضيتين بديهيتين إلى قضية كسبية نظرية ، ولهذا تعتبر المعارف الضرورية سببا وعلة للمعارف النظرية .

إن نظرة الشيعة إلى المعرفة الإنسانية وتقسيمها إلى ضرورية ونظرية كسبية ، تؤدي إلى القول بأن نقل هذه المعرفة إلى الناشئة لا يكون إلا عن

---

(١) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٤ .
(٢) السيد محمد الحسيني الشيرازي : **شرح منظومة السبزواري** ـ مرجع سابق ص ١٦ .
(٣) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٤) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٨١ .
(٥) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ـ ٦٩ .

طريق التعليم . كما تؤدي نظرتهم الشاملة إلى مصادر المعرفة ، إلى القول بأن التربية عند الشيعة تتجه اتجاهين رئيسيين : أحدهما تجريبي ، وهو الذي نهض بالدراسات الواقعية ، ولهذا إشترط الشيعة في المجالات التجريبية ، على مدى دقة المبادىء الضرورية على مجموعة التجارب التي أمكن الحصول عليها . ولهذا فلا يمكن اعطاء نظرية علمية بشكل قاطع إلا إذا استوعبت التجربة كل إمكانيات المسألة ، وبلغت إلى درجة من السعة والدقة بحيث أمكن تطبيق المبادىء الضرورية عليها وإقامة استنتاج علمي موحد على أساس ذلك التطبيق[١] . والآخر نظري وهو الذي ساعد على فحص وتمحيص العلوم العقلية . ولهذا ترتكز النظرية على تطبيق المبادىء الضرورية في كل المجالات غير التجريبية ، ويجب على العقل أن يقوم بمحاولة تطبيق مبادئه الضرورية على هذه المجالات كإثبات العلة الأولى للعالم مثلا ، فما دامت المسألة ليست تجريبية فالتطبيق يحصل بعملية تفكير واستنباط عقلي بحت بصورة مستقلة عن التجربة[٢] .

أما المصدر الثالث للمعرفة عند الشيعة ، فهو الشرع وما جاء به الوحي ، أي أن المعارف الحاصلة من جهة الشرع ، كالعلم بالحلال والحرام ، والواجب والمسنون ، والمكروه ، وسائر أحكام الفقه ، يجب تعلمها وتعليمها . وهذه الأحكام تؤخذ عادة من مصادر ، دل على وجوب الأخذ بها الشرع أو العقل ، كما هو مفصل في كتب الفقه وأصوله . من هذه المصادر ، القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وآحاديث أهل البيت وهم أئمة الشيعة ـ والسيرة القطعية ، وبناء العقلاء ، وحكم العقل ، والاجماع الكاشف عن رأي المعصوم ، والاستصحاب ، والاحتياط ، وغير ذلك من المصادر التي يرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية[٣] . ولما كان المكلف ملزما بالعمل بهذه الأحكام وجب عليه تعلمها إما اجتهادا ، أو بالرجوع إلى المجتهد وتعلمه منه . « لأن المسلم مكلف بالعمل بجميع الأحكام المنزلة في الشريعة كما أنزلت »[٤] . ولهذا **جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا** : « ..

---

(١) المصدر السابق : ص ١٥٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

(٣) محمد تقي الحكيم : **الاصول العامة للفقه المقارن** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٩٥ ـ ٥٩٧ .

(٤) محمد رضا المظفر : **عقائد الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥ .

أن الله عز وجل لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن في تبيان كل شيء ، وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله فهو كافر به »[1] .

ومجمل القول : إن الشيعة جعلوا المدارك الحسية هي الأساس لجميع المعارف وأصل لها ، وذلك لأن المعرفة العقلية الحاصلة لدى الإنسان عن طريق البراهين والأقيسة الاستدلالية ترجع اليها ، كما أن المعارف العقلية الضرورية ، هي أساس للمعرفة الكسبية ، ومتوقفة عليها . بالاضافة إلى المعرفة الحاصلة عن طريق الشرع . ومن هنا فإن مهمة التربية هي التعامل مع هذه المصادر لايصال المعرفة إلى الإنسان . « وإذا كان هناك طريقان للتعلم ، تعلم يبدأ بالمحسوسات حتى يصل إلى حصول المعقولات في عقولنا . وتعلم يعتمد على القول بأنه موهبة إلهية لا تتيسر إلا للسعداء ... »[2] . فإن الشيعة يقولون بالطريق الأول طبقا لمذهبهم في تدرج المعرفة الإنسانية في المحسوسات حتى المعقولات ، وهذا هو التطور الطبيعي للمعرفة ، كما أنهم آمنوا بالمعارف الفطرية البديهية ، وإنها موهبة إلهية ، يشترك فيها جميع البشر على السواء ، كما مر .

رابعا ـ « النزعة العقلية في الفكر التربوي عند الشيعة » :

لعل أولى الجوانب التي تؤكد النزعة العقلية في الفكر العربي عامة والفكر التربوي خاصة ، تلك المكانة الرفيعة التي يحتلها « العقل » في مصادر هذا الفكر الرئيسية ، وما حظى به العلم والعلماء من آيات التقدير ومظاهر الثقة والتبجيل ، ولهذا جاءت الآيات القرآنية تارة تدعو إلى التصديق والطاعة والانقياد ، وجاءت تارة أخرى مصحوبة بالدعوة إلى

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٨٤ .
(٢) سعيد اسماعيل علي : **النزعة العقلية في الفكر التربوي العربي** ـ الثقافة العربية ـ تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ العدد الخامس ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٩ .

التفكر والتعقل والاشادة بالتدبر ، وتقدير العلم والعلماء ، وتقريع الجهال والغافلين ، والسخرية ممن لا يفكر[١] .

ومن المعطيات الثورية للحرية الفكرية في الإسلام ، الحرب التي شنها على التقليد وجمود الفكر ، والاستسلام العقلي للأساطير أو لآراء الآخرين دون وعي وتمحيص ، والهدف الذي يرمي إليه الإسلام من ذلك ، تكوين العقل الاستدلالي أو البرهاني عند الإنسان ، فلابد في رأي الإسلام لانشاء الفكر الحر أن ينشىء في الإنسان العقل الاستدلالي الذي لا يقبل فكرة دون بحث ولا يؤمن بعقيدة ما لم تحصل على برهان ، ليكون هذا العقل الواعي ضمانا للحرية الفكرية وعاصما للانسان من التفريط بها ، بدافع من التقليد أو التعصب أو الركون إلى الخرافة . وفي الواقع أن هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلي للإنسان . فهو كما حرر الإرادة الإنسانية من عبودية الشهوات ، كذلك حرر الوعي الإنساني من عبودية التقليد ، وبهذا وذاك أصبح الإنسان حراً في تفكيره وحرا في إرادته[٢] .

فالعقل البشري من الطاقات التي أنعم الله بها على الإنسان ، ولهذا استطاع أن يستخدم عقله على نطاق واسع ، فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا في المجتمع البشري ، ولكن تربيته لم تكن متكاملة . ولم يكن له رصيد روحي يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات إلى الخير ، ولما كان الإسلام يهدف إلى إسعاد الإنسان وإلى إقامة الحياة في الأرض على أساس من الحق والعدل والخير ، فقد عمل على اصلاح القلب البشري ووجه الطاقة العقلية إلى التأمل في حكمة الله سبحانه[٣] .

والإسلام باعتباره آخر اطروحة سماوية جاءت لخير الإنسان ، فهو لذلك يقدر الطاقة العقلية ويديرها ليستخدمها المسلم في صلاح الناس ، وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلي ، فطلب تدبر نواميس الكون ، وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ، ولذلك فقد نعى على الإنسان التقليد المطلق

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) محمد باقر الصدر : **المدرسة الإسلامية** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) علي القاضي : **أضواء على التربية في الإسلام** ـ القاهرة ـ دار الطباعة الحديثة ـ ١٩٧٩ ـ ص ٣٣ .

الذي لا يستخدم العقل ، والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها[1] .

إن التربية العقلية غاية في حد ذاتها ، ووسيلة لإدراك كل شيء ، وتعليله عن طريق التدريب الصحيح على التفكير ، ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الأساسية للفلسفة .. ذات صلة بالنواحي العقلية والمنطقية والإنسانية[2] . ولهذا فإن الوسيلة المباشرة إلى تحسن طرقنا في التدريب والتعليم تحسنا مطردا ، هي تركيز انتباهنا في الأمور التي تستلزم التفكير وتنميه وتمتحنه ، فالتفكير هو طريقة التعليم الرشيدة ، أو طريقة التعلم التي تستلزم العقل وتكافئه ، والتفكير هو طريقة الخبرة الرشيدة في مسلكها الذي تسلكه[3] .

فالعقل ينمو على أثر التوجيهات الصحيحة ، ويظهر كماله الباطني بصورة تدريجية ، ولهذا فالإسلام يعتبر التفكير واستخدام العقل والتدبر في عوالم الطبيعة أعظم العبادات . وقد وردت بهذا المعنى روايات وآيات كثيرة . **وكان الإمام علي (ع) يوصي ولده الحسن فيقول** : « **.. يا بني لا فقر أشد من الجهل ، ولا عدم أشد من عدم العقل ... ولا عبادة كالتفكر في صنعة الله عز وجل ، يا بني العقل خليل المرء ... إنه لابد للعاقل من أن ينظر في شأنه ...** »[4] **وقال أيضا** : « **لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب ..** »[5] . **وقوله** : « **لا علم كالتفكر ولا شرف كالعلم** »[6] .

وإذا كان التفكير يلعب الدور الأكبر في الحياة الاجتماعية ، وإذا كان نوعه يتحدد بنوع هذه الحياة ، وبالاطار الفلسفي الذي يوجهها في هذه

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٤ .
(٢) منير المرسي سرحان : **في اجتماعيات التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨ .
(٣) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤** .
(٤) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٤ .
وأيضا محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٨ .
(٥) محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ المصدر السابق ـ ص ٩٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٧٩ .

الناحية ، فإنه يوفر للتربية مناخا صحيا ملائما لها للنمو السليم[١] . ومن هنا نجد أن أئمة الشيعة وشيوخهم رفعوا من شأن العقل وقدسوه ، **قال الإمام علي** : « **العقل ولادة ، والعلم إفادة ، ومجالسة العلماء زيادة** » . **وقال** : « **من صحب جاهلا نقص عقله** »[٢] . وجاء عن الإمام الصادق قوله : « **كثرة النظر في العلم يفتح العقل** »[٣] . وقوله : « **أفضل طبائع العقل العبادة ، وأوثق الحديث له العلم ، وأجزل حظوظه الحكمة ، وأفضل ذخائره الحسنات** »[٤] . وجاء عنه أيضا : « **دعامة الإنسان العقل ، ومن العقل الفطنة والفهم ، والحفظ ، والعلم ، فإذا كان تأييد عقله من نور كان عالما حافظا ذكيا فطنا فهما ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره** ... »[٥] . « .... **ودليل العقل شيئان : صدق القول وصواب الفعل ، والعاقل لا يتحدث بما ينكره العقل ، ولا يتعرض للتهمة ... ويكون العلم دليله في أعماله ، والحلم رفيقه في أحواله ، والمعرفة تعينه في مذاهبه ، والهوى عدو العقل**[٦] . وقوله أيضا : « **لم يقسم بين العباد أقل من خمس : اليقين ، والقنوع ، والصبر ، والشكر ، والذي يكمل به هذا كله العقل** »[٧] .

وتتجلى النزعة العقلية في الفكر التربوي عند الشيعة في قول الإمام موسى بن جعفر لتلميذه هشام بن الحكم : « ... **يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه .. يا هشام .. إن الله جل وعز أكمل للناس الحجج بالعقول ، وأفضى اليهم بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة .... يا هشام قد جعل الله جل وعز دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا .. ثم وعظ أهل العقل ، ورغبهم في الآخرة .... ثم بين أن العقل مع العلم ... ثم ذم الذين لا يعقلون .. ثم ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر ، وحلاهم بأحسن الحلية يا هشام إن الزرع ينبت في**

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ .
(٢) محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٦٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٥٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣١ .
(٥) المصدر السابق : ص ٩٠ .
(٦) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ مطبعة النعمان ـ ١٩٧٦ ـ جـ ١ ـ ص ١٢٤ .
(٧) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٧ .

السهل ولا ينبت في الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، لأن الله جعل التواضع آلة العقل ، وجعل التكبر من آلة الجهل ..»[1] .

وتظهر هذه النزعة واضحة في قول هشام بن الحكم أحد شيوخ الشيعة ، في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وذلك بعد عرضه للآيات التي تدل على التفكر والتعقل في كل شيء : « ... **وهذه الآيات دالة على الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر ، فهذا مما يستعان به على تحصيل المعرفة فيثمر لك المحبة والعمل بالطاعات ، وإن أكثر الناس إنما قصرت أفهامهم عنه لاعراضهم عن التدبر والنظر واشتغالهم بشهوات الدنيا ، فالتدبر والنظر في ملكوت الله تعالى هو حقيقة الإيمان ، إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرض ألا وفيها عجائب دالة على قدرة الله وحكمته وجلاله وعظمته** ... »[2]

وهكذا يحتل العقل في التربية الإسلامية عند الشيعة مكانة كبرى ، حتى جعلوه أساسا في معرفة الأحكام الشرعية التي لا دليل عليها من قبل الشرع ، وقد حث أئمة الشيعة شيعتهم على التفقه والتفكر . **قال الإمام علي لسائل سأله عن معضلة** : « **سل تفقها ، ولا تسأل تعنتا ، فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل** »[3] .

ومما قدمناه فإن الشيعة يعدون من أوائل المعبرين عن النزعة العقلية في التفكير الإسلامي ، فإن « **مسألة الدراسة العقلية .. قد كانت في طليعة المسائل التي اشتغل بها الشيعة الأماميون ، ومن أفواه الشيعة الإماميين تلقى أساطين الفلسفة الإسلامية كلامهم في العقل والنفس** ... »[4] . « **فالدراسات المنطقية وسائر الدراسات العقلية كانت من شواغل الشيعة الإماميين** »[5] . ولهذا كان لهم الفضل في

---

(١) الحراني : **تحف العقول** - مرجع سابق - ص ٢٨٦ إلى ص ٢٩٩ .
(٢) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٠٧ .
(٣) المجلسي : **بحار الأنوار** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٢ .
(٤) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة إسلامية** - مرجع سابق - ص ٤٠ .
(٥) المصدر السابق : ص ٤٠ .

البحوث العقلية والفلسفية والكلامية ، حتى كانوا أبرز من اشتغل بها من المسلمين في عهد مبكر من الإسلام . وقد نشأت هذه الدراسات العقلية في دائرة التشيع[١] .

خامساً ـ « تكافؤ الفرص في التعليم » :

ويقصد بهذا المبدأ « إتاحة الفرصة لكل فرد ليضطلع بدوره في المجتمع ، ويختار نوع العمل أو المجال الذي يزاوله فيه بقدر ما تؤهله قدراته وخبراته . وبذلك يكون هذا المبدأ بمثابة تنظيم اجتماعي يهدف للافادة من جميع أفراد المجتمع ومساهمتهم في بناء الوطن وسعادته »[٢] .

ويعتبر هذا المبدأ من أهم المبادىء في التربية الإسلامية ، حيث أن التربية في الإسلام تأثرت تأثراً كبيراً بمبدأ الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص في التعليم ، وفسح المجال أمام الراغبين في التعليم من غير تفرقة بين أفراد المجتمع بمختلف طبقاته ، مادام التعليم واجبا دينياً على الجميع[٣] .

ويتضح هذا المبدأ لدى الشيعة ضمن موقفهم من العلم والعلماء ، حيث اعتبروا العلم حقا لكل فرد من أفراد المجتمع ، لا فرق فيه بين المتعلمين ، ولهذا كان من واجب رئيس الدولة أن يهيىء الفرص الكافية لجميع أفراد المجتمع على اختلاف معتقداتهم وأديانهم ما داموا متصفين بالمواطنة الإسلامية . وقد أشار أئمة الشيعة لهذا المعنى . **فقد جاء في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة : « وأما حق رعيتك بالعلم ، فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم قيما أتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة ... فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله ، وإن كنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عز**

---

(١) انظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٢) سعيد اسماعيل علي : **ديمقراطية التربية الإسلامية** ـ القاهرة ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٤ ـ ص ٢٤ .

(٣) محمد عطية الأبراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ص ٢٦ ـ ٢٧ .

وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك »[١] . وهـذا المعنى للسلطان أو الحـاكم لا ينطبق إلا عـلى مفهوم الشيعـة للحكـومـة الإسلامية ، حيث إعتبروا أن الحكومة بعد الأئمة المعصومين هي من حق العلماء المجتهدين الجامعين لشرطي العدالة والاجتهـاد ، ولهذا ورد عن أئمة الشيعة أنهم لا يحبون أن يروا الشاب إلا غادياً في حالين إما عالماً أو متعلماً ، وإلا كان مفرطا يستحق الإثم[٢] . وهذا غاية ما يمكن أن يكون في تهيئة الفرص للجميع . **وقد ورد عن الإمام محمد الباقر قوله : « تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء »**[٣] . وبهذا جاء عن الكليني أن كل إنسان صحيح الخلقة كامل الآلة يجب أن يكون له مؤدب ودليل وأدب وتعليم ، لأن الجهالة غير جائزة ، ولهذا فالتعليم يكون عاما للجميع[٤] . بالإضافة إلى أن موقف أئمة الشيعة وشيوخهم من العلم وحثهم على التعليم يوجب عليهم باعتبارهم يمثلون السلطة الشرعية في نظر الشيعة ، أن يهيئوا الفرص الكافية لتعليم الناس . **قال الإمام الصادق : « أغـد عالمـا أو متعلما أو أحب أهـل العلم ، ولا تكن رابعـا فتهلك ببغضهم »**[٥] . ولهذا أرادوا للناس جميعا أن يتعلموا .

وقد مارس الشيعة هذا المبدأ عمليا ، حيث قاموا بالعملية التعليمية في كل مكان ، ولجميع الأفراد ، وأتاحوا الفرصة لكافة المتعلمـين ، وكانت مجالسهم مسرحا لطلاب العلم على اختلاف طبقاتهم . وقد ورد بذلك عنهم الحث عـلى طلب العلم ومجالسـة أهله ، والاختـلاف اليهم ودرس كتبهم ، حتى تخـرج من حلقاتهم كثـير من العلمـاء ورواد الفكـر ، عـلى اختـلاف اتجاهاتهم[٦] . **وفي هذا جاء عن الامام موسى بن جعفر في قوله لتلميذه هشام بن الحكم : « يا هشام تعلم من العلم ما جهلت ، وعلم الجـاهل ممـا علمت ، وعظم العالم لعلمـه ، ودع منازعتـه ، وصغر الجـاهل**

---

(١) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ . وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٧ .
(٢) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٧٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٤ .
(٤) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥ ، ٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٤١ .
(٦) انظر مراكز العلم عند الشيعة من الفصل الخامس من هذا البحث .

لجهله ولا تطرده ولكن قربه وعلمه »[١] . وبهذا أرادوا محاربة الجهل ونشر العلم بين جميع الأفراد . وفي ذلك **يقول الامام علي بن أبي طالب** : « **لا يستحي الجاهل اذا لم يعلم أن يتعلم** »[٢] . وهكذا اتاحوا الفرصة لكافة المتعلمين .

سادسا ـ « التربية الخلقية من منظور الشيعة » :

تعتبر التربية ذات طبيعة خلقية ، ومن ثم فان البحث في الاخلاق يرتبط ارتباطا قويا بالتربية ،، وذلك انها تمدنا بتصور فيلسوف التربية للانسان المتكامل الذي يراه ويريده ويتصوره للسلوك الذي ينبغي أن يسلكه الناس . كما وترتبط المباحث الأخلاقية ارتباطا وثيقا بعملية التربية ، فنظرة الفيلسوف الى الأخلاق تفسر لنا سلوك الناس وتعاملهم كما ينبغي أن يكون في نظره ، وتقسيم عمل الانسان الى خير وشر أو فضيلة ورذيلة ، يستلزم ايضاح الوسيلة المتبعة في تربية الانسان لكي يعمل الفضيلة ويتجنب الرذيلة . ومن هنا لا بد ان نفهم كيف تعمل الحقائق الأخلاقية ، لأن هذه الحقائق تساعدنا على فهم الحياة الخلقية والعمل الخلقي ، وفي تصور سقراط تساعد على «اختيار» الحياة [٣] ، التي ينبغي للانسان أن يسلكها . وعلى هذا فان الفلسفة الخلقية لا يمكن أن تكون مجرد نظر عقلي يستهدف تعريف الفضيلة أو تحديد ماهية الخير ، بل ينبغي أن تتخذ طابع الفلسفة العملية التي تقوم بمهمة العمل على ايقاظ الشعور بالقيم لدى الناس والمساهمة في تربية الانسان بوجه عام[٤] . ولهذا **قال الامام علي بن أبي طالب** : « **السعيد من وعظ بغيره ما اتعظ ، روضوا انفسكم على الاخلاق الحسنة ، فان العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم** »[٥] .

---

(١) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٧٦ .

(٣) James H. ''Ethice'' in **Tewenteeth century Philosophy.** (Dagobert and Drunes (ed.) : New York : **Philosophy** Library, Inc. 1243— P.11.

(٤) زكريا ابراهيم : **المشكلة الخلقية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار مصر للطباعة ـ ١٩٨٠ ـ ص ٥٩ .

(٥) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٢١ .

« والأخلاق هي دراسة القيم في مجال السلوك البشري..»[١] ولهذا « .. تتكون من خلال الممارسة والانخراط في مواقف الحياة حيث يكون التعامل مع الأفراد والجماعات ، وحيث يكون اكتساب القيم والاتجاهات والعادات ذات الأثر الايجابي البناء ، كالتعاون والتساند الاجتماعي وحب الخير وكره الشر »[٢] . وكان أئمة الشيعة يدعون شيعتهم الى ممارسة الأعمال الخلقية وتطبيقها في سلوكياتهم . **قال الامام الصادق** : « **كونوا دعاة للناس الى الخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع** »[٣] .

وكما يسعى الانسان في سبيل احياء مواهبه الفكرية ، وادراك الحقائق العلمية ، ويحرز تقدما جديدا في كل يوم ، كذلك عليه أن يسعى في سبيل تزكية نفسه وتطهيرها بالفضائل الأخلاقية ، وبغض النظر عن الجانب الديني ، فان الفضائل الخلقية والملكات الطاهرة من الضروريات الحيوية لمجتمع سعيد فاضل **قال الامام علي** : « **لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا ، لكان ينبغي لنا ان نطالب بمكارم الأخلاق ، فانها تدل على سبيل النجاح** » . ولهذا فان شطرا مهما من سعادة المجتمع مرتبط بالفضائل الخلقية ، كما أن شطرا مهما من شقاء المجتمع وفساده له ارتباط وثيق بالانحطاط الخلقي ، **يقول الامام على** : « **رب عزيز أذله خلقه ، وذليل أعزه خلقه** »[٤] . ولهذا كان مقياس الخير والشر عند الشيعة العقل بالاضافة الى كشف الشارع عن كثير من القضايا الحسنة والقبيحة التي لا يمكن للعقل ادراكها ،، ولأجل ذلك قسموا الحسن والقبح او الخير والشر الى عقلي وشرعي .

ولم يقف الاسلام عند حد معالجة الأمور الدنيوية ، بل تعداها بعد ان بين واقع المجتمع وعلاقة ابنائه بعضهم ببعض ، الى دنيا الروح ، فأعطاها

---

(٦) جورج ـ ف ـ نيلر : **مقدمة الى فلسفة التربية** ـ ترجمة نظمي لوقا ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٦ .

(٢) منير المرسي سرحان : **في إجتماعيات التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ .

(٣) ورام: **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١١ .

(٤) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٧ .

صورة صحيحة واضحة ، باستطاعة النفس المؤمنة أن تتبينها من خلال عمق ايمانها ، وتقف على حقيقتها من خلال التعاليم الاسلامية الرشيدة ، فأقر بوجود حياة اخرى لا موت فيها ولا فناء ولا مادة ، حياة حقيقية تبقى فيها النفس البشرية ناجية خالدة[1] . ولهذا تعد التربية الخلقية المثالية اسمى اغراض التربية الاسلامية ، فقد عنىٰ علماء الاسلام كل العناية لبث الأخلاق الكريمة وغرس الفضائل في نفوس المتعلمين . وفي ذلك **يقول الشهيد الثاني** : « **ومن اهم ما يجب على العلماء مراعاته تصحيح القصد واخلاص النية وتطهير القلب من دنس الأغراض الدنيوية ، وتكميل النفس في قوتها العملية وتزكيتها باجتناب الرذائل واقتناء الفضائل الخلقية وقهر القوتين الشهوية والغضبية** »[2] .

« ان القيم الروحية اذن ، ليست شكلا فارغا او اطارا من الشعائر والأقوال التي تتردد آليا على الألسن ، بل هي قبل كل شيء سلوك عملي في الحياة ، والحريص حقا على القيم الروحية ليس ذلك الذي يردد ألفاظا أو يؤدي طقوسا ، بل هو ذلك الذي يثبت بسلوكه في الحياة أنه يتخذ لنفسه هدفا رفيعا ، ويضمن من أجل تحقيقه بكل ما يملك »[3] . وكان أئمة الشيعة يوضحون هذه المعاني الخلقية ، وأنها لا بد أن تتحول الى سلوك عملي . فقد جاء عنهم : «**وعلى العاقل أن يحاسب نفسه محاسبة الشريك شريكه عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها ، ويتكلف باصلاحها .. وعلى العاقل ان يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه ، وعلى العاقل أن لا يصاحب ولا يجاور الا ذا الفضل في العلم والدين والأخلاق فيأخذ عنه ، وعلى العاقل أن يجعل من أهل التقوى حارسا على أقواله وأفعاله اذا أخطأ.. وعلى العاقل أن لا يكون راغبا الا في احدى ثلاث : تزود لمعاد أو لذة في غير محرم أو مرمة لمعاش ..**

---

(١) عبد الصاحب الحسيني العاملي : **الأخلاق عند الرسول واصحابه** ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ ١٩٦٩ ـ ص ٧ .

(٢) الشهيد الثاني : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١ .

(٣) فؤاد زكريا : **آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة** ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥ ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

وعلى العاقل أن لا يستصغر الذنب فمع الاصرار يكون كبيرا ولا يستكثر العمل بالطاعة ، والا فيدخله العجب فيفسد »[1] . ولهذا كانت هذه القيم الاخلاقية تنعكس في سلوكيات الشيعة وأئمتهم . **قيل لعلي بن الحسين : « أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك ، قال : أخاف أن تسير يدي الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها**[2] .

وقد اتخذ الشيعة تبعا لما اتخذه الاسلام ، للتوفيق بين الدافع الذاتي والقيم ، او المصالح الاجتماعية : التعهد بتربية أخلاقية خاصة تعني بتغذية الانسان روحيا ، وتنمية العواطف الانسانية والمشاعر الخلقية فيه ، فان في طبيعة الانسان طاقات واستعدادات لميول متنوعة ، بعضها ميول مادية تتفتح شهواتها بصورة طبيعية كشهوات الطعام والشراب والجنس ، وبعضها ميول معنوية تتفتح وتنمو بالتربية والتعاهد ، ولأجل ذلك كان من الطبيعي للانسان اذا ترك لنفسه أن تسيطر عليه الميول المادية ، لأنها تتفتح بصورة طبيعية ، وتظل الميول المعنوية واستعداداتها الكامنة في النفس مستترة والدين باعتباره يؤمن بقيادة معصومة مسددة من الله ـ حسب رأي الشيعة ـ فهو يوكل أمر تربية الانسانية وتنمية الميول المعنوية فيها الى هذه القيادة وفروعها ، فتنشأ بسبب ذلك مجموعة من العواطف والمشاعر النبيلة ، ويصبح الانسان محبا للقيم الخلقية والمثل التي يربيه الدين على احترامها ويستبسل في سبيلها ويزيح عن طريقها ما يقف أمامها من مصالحه ومنافعه[3] . ولهذا يؤمن الشيعة بأن الفهم المعنوي للحياة والتربية الخلقية للنفس في رسالة الاسلام هما السببان المجتمعان على معالجة السبب الأعمق للمأساة الانسانية ، ولهذا فالشيعة تعبر دائما عن فهم الحياة على أنها تمهيد لحياة أبدية : بالفهم المعنوي للحياة ، كما عبروا أيضا عن المشاعر والأحاسيس ، التي تغذيها التربية الخلقية : بالاحساس الخلقي بالحياة ، فالفهم المعنوي للحياة والاحساس الخلقي بها ، هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسهما المقياس الخلقي عند

---

(١) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) ابن قتيبة **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٩٧ .

(٣) محمد باقر الصدر : **المدرسة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ ، ٩٤ .

الشيعة ، والذي وضعه الاسلام للانسانية وهو : رضا الله تعالى ، ورضا الله ، هذا الذي يقيمه الاسلام مقياسا عاما في الحياة ، هو الذي يقود السفينة البشرية الى ساحل الحق والخير والعدل[1] . وبهذا جاء عن أئمة الشيعة قولهم : « **خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع ، قيل** : **ما هن يا بن رسول الله ؟ قال** : **الدين ، والعقل ، والحياء ، وحسن الخلق ، وحسن الأدب ، وخمس من لم يكن فيه لم يتهنأ العيش** : **الصحة ، والأمن ، والغنى ، والقناعة ، والأنيس الموافق** »[2] و«حسن الأدب اجراء الأمور على قانون الشرع والعقل في خدمة الحق ومعاملة الخلق »[3] . ولهذا فمراد الشيعة من الغنى هو عدم الحاجة الى الخلق ، وهو غنىٰ النفس فانه الكمال لا غنىٰ المال[4] . وقد جاء عن الامام الحسن بن علي قوله : «**أوصيكم بتقوى الله وادامة التفكر ، فإن التفكر أبو كل خير وأمه** »[5] .

وقد اهتم الشيعة بالتربية الأخلاقية اهتماما كبيرا حتى أوصوا المتعلمين بأن يكون المعلم الذي يقوم بمهمة العملية التعليمية متصفا بالكمالات الأخلاقية . **يقول العيناثي** : « **ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخي معلم رشيد عارف بحقائق الأمور مؤمن بيوم الحساب ، عالم بأحكام الدين ، بصير بأمور الآخرة ، خبير بأحوال المعاد ، مرشد لك إليها ، ومن أنحس المناحس أن يكون ضد ذلك . وأعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة لحياتها ، كما أن والدك أعطاك صورة جسدانية فمعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذي نفسك بالعلوم ، ويزينها بالمعارف ويهديها طريق الآخرة التي هي دار البقاء والدوام والخلود في النعيم ، واللذة والسرور الأبدي والراحة السرمدية ، كما أن أباك كان سببا لجسدك في الدار الدنيا ، ومرشدك ومربيك إلى طلب المعاش .. فاسأل يا أخي أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا ، فاذا رزقت**

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٤ ـ ٩٥ .
(٢) محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٣ .
(٣) المصدر السابق : ص ٨٣ .
(٤) المصدر السابق : ص ٨٣ .
(٥) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٨ .

فاشكر الله على نعمائه ، واعلم يا أخي أن من سعادتك أيضا أن يتفق لك معلم ذكي ، جيد الطبع حسن الخلق ، صافي الذهن ، محب للعلم ، مبغض للرئاسة ، قنوع متوكل غير شره ، ولا مداهن ولا متعصب ، قد أخذ علمه من العلماء الأخيار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام »[1] .

بالاضافة الى ذلك فإن « مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ عظيم يصلح بمفرده دستورا لجميع نواحي الاصلاح »[2] . ولهذا اهتم الشيعة بهذا المبدأ واعتبروه ركنا أساسيا في بناء الشخصية المسلمة . « فهذا المبدأ أخلاقي عملي لا يتصل بالبحث النظري ... »[3] وفي ذلك **يقول الامام الحسين بن علي** : « **فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه ، لعلمه بأنها اذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم .. ثم أنتم أيتها العصابة ، عصابة بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله في أنفس الناس مهابة ، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف** .. »[4]. **ويقول حفيده جعفر الصادق** : « **إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم** .. »[5]. وجاء عنه أيضا في قوله لقوم من أصحابه : « **أنه قد حق لي أن أخذ البريء منكم بالسقيم ، وكيف لا يحق لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه** »[6] . ولهذا **قال الامام محمد الباقر** : « **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عز وجل ، فمن نصرهما اعزه الله ، ومن خذلهما خذله الله عز وجل** »[7] .

---

(1) السيد محمد العيناتي : **آداب النفس** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(2) سعيد اسماعيل علي : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراسات في فلسفة التربية ـ مرجع سابق ـ ص ١١١ .
(3) المصدر السابق : ص ١٠٦ .
(4) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٨ .
(5) المصدر السابق : ص ٢٦٦ .
(6) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٢٠ .
(7) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٢ .

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وتنتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم واتعظوا بألسنتكم ...، كما يقول الامام محمد الباقر »[1] .

سابعا ـ « الأسرة ودورها في تربية الطفل » :

إن مسألة تربية الطفل تشغل مكانة كبرى من المسائل الاجتماعية في العصر الحديث ، فهي من أهم أركان السعادة البشرية ، لهذا بحث العلماء كثيرا حول مختلف الجوانب النفسية والتربوية للطفل ، والفوا الكتب العديدة في هذا المجال ، ولذلك فإن الدول العظمى تنشيء المؤسسات والمنظمات لغرض تنشئة الطفل تنشئة سليمة من حيث الروح والجسد ، فيخضعون الأطفال في سبيل ذلك إلى رقابة عملية وتطبيقية مشددة ، وبصورة موجزة فإن الطفل يشغل مجالا مهما من مجالات التفكير الحديث .

فالطفل هو اللبنة الأولى في المجتمع ، إن احسن وضعها بشكل سليم كان البناء العام للمجتمع مستقيما مهما ارتفع وتعاظم . ولهذا يحتاج الطفل إلى هندسة وموازنة بين ميوله وطاقاته ، ويفتقر كذلك الى تربة صالحة ينشأ فيها وتصقل مواهبه ، كما يعوزه تنظيف لموارد الثقافة التي يتلقاها ، والحضارة التي يتطبع عليها ، والتربية التي ينشأ عليها ، لأنه عالم قائم بنفسه ، يحمل كل سمات الحياة بصورة مصغرة ، في صخبها وأمنها ، في سعادتها وشقائها ، في ذكائها وبلادتها في صفائها وحقدها ، في تفوقها وتأخرها ، في ايمانها وجحودها ، في حربها وسلمها ، وهذا ما أشغل العلماء والباحثين فراحوا يعدون البحوث ويلقون المحاضرات ويؤلفون الكتب ويوردون النظريات في مسألة « تربية الطفل »[2]

---

(١) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٢) فاضل الحسيني : **مقدمة كتاب الطفل بين الوراثة والتربية** لمحمد تقي فلسفي ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥ـ٦ ،

ويظهر من النصوص الواردة عن أئمة الشيعة ، أنهم اهتموا اهتماما كبيرا بالأسرة ودورها في تربية الطفل . **فقد جاء عن الامام علي بن الحسين قوله** : « ... **وأما حق ولدك ، فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وأنك مسئول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل ، والمعونة على طاعته ، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان إليه ، ومعاقب على الاساءة إليه** »[1] . **وجاء عنه أيضا** : « **وحق الصغير رحمته في تعليمه ، والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له** »[2].

وانطلاقا من هذا أقام الاسلام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وحاجات الناس وسلوكياتهم . ولهذا يسعى الاسلام دائما إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة وطيبة تتوفر فيها عناصر القيادة الرشيدة في تربية أبنائها . قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين : (**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) وأهم قاعدة من قواعد التربية الاسلامية أن توجد عملياتها التربوية القدوة الحسنة والمثل الأعلى للخير والصلاح[3] . وفي ذلك **يقول الامام جعفر بن محمد الصادق** : « **وتجب للولد على والده ثلاث خصال** : **اختياره لوالدته ، وتحسين اسمه ، والمبالغة في تأديبه** »[4] .

ومن هنا يعتبر الأب هو المسئول الأول عن تربية أبنائه تربية صالحة ليكونوا قرة عين له في مستقبله ، وكان أئمة الشيعة يعنون عناية كبيرة في هذا المجال ، ويولونها المزيد من الاهتمام ، **يقول الامام علي بن أبي طالب لولده الحسن** : « ... **وجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ،**

---

(١) رضي الدين ابو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي **مكارم الأخلاق** ـ ط ٦ ـ بيروت ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ـ ص ٤٢١ . وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٨ .

(٢) الطبرسي : المصدر السابق ـ ص ٤٢٣ .

(٣) باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** ـ بيروت دار التعارف ـ ١٩٧٩ ـ ص ٨٣ .

(٤) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٩ .

فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ..»[1] . فالولد ليس بعضا من الأب ، بل هو نفسه ، يحكي وجوده وكيانه ، فعليه أن يهتم بشئونه التربوية ، وأن يعني في تهذيبه وكماله ليكون فخرا له . وفي ذلك **يقول الامام علي أيضا : « .. ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل بين ذي النقية والنية وان أبدأك بتعليم كتاب الله .. »**[2] .

وقد رسم أئمة الشيعة المناهج التي ينبغي على الوالدين اتباعها في تربية الطفل ، ولهذا ينبغي عليهما أن يهيئا الظروف المناسبة في محيط الأسرة . وقد جاءت الروايات عن الأئمة من أهل البيت تؤكد على المسئولية الكبرى للوالدين في تربية الأطفال وتسدي لهما النصائح المفيدة في هذا المجال . لقد تحدث أئمة الشيعة عن كل خصلة من الخصال الحميدة والملكات الفاضلة في حث الآباء على تربية أبنائهم وتزويدهم بهذه الملكات . **فقد جاء عن الامام الصادق قوله : قال رسول الله (ص) : « أحبوا الصبيان وارحموهم ، وإذا وعدتموهم ففوا لهم ، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم »** وهذا نوع من تغذية الطفل بالوفاء بالعهد ، وفي ذلك **يقول الامام أبو الحسن علي الهادي : « إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم ، فإنهم يرون أنكم ترزقونهم ، إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان »**[3] . **وقال رسول الله (ص) : « من حق الولد على والده ثلاثة : يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ »**[4] **وقوله (ص)** أيضا : **« أكرموا أولادكم واحسنوا أدبهم يغفر لكم »**[5] .

إن عبء مسئولية الوالدين في هذه المرحلة من مراحل نمو الطفل ثقيل ، ولهذا فالطفل يكتمل بناؤه في الأعوام الأولى من حياته ، ولابد من

---

(١) باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٩ . وأيضا الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق جـ ١ ـ ص ٤٥ .

(٣) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ . وأيضا الطبرسي : **مكارم الأخلاق** مرجع سابق ـ ص ٢١٩ .

(٤) الطبرسي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٢٢ .

الاعتناء بجميع جوانبه المادية والمعنوية ، فالوالد مسئول عما وليه من تربيته وحسن أدبه ، فإن عمل على اصلاحه وتوجيهه كان مثابا على ذلك ، وإن أغفل ذلك فقد أساء إلى أبنائه ، والإساءة إلى الأبناء توجب العقاب ، كما جاء عن أئمة الشيعة[١] . وقد ورد عن النبي (ص) أنه قال : « **لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم** »[٢] .

ولضمان التربية الاسلامية للأطفال في نظر الشيعة في الفترة موضوع البحث ، أن يكون هناك تماثل بين أرواحهم وأجسامهم من الناحية الايمانية ولهذا أوجب أئمة الشيعة تبعا لما جاء به الإسلام على الوالدين من جهة أن يعرفا الطفل خالقه ، ويعلماه الدروس الدينية المتقنة ، كما أمروهم بتدريب الطفل على العبادات **وقد ذكر الإمام محمد الباقر واجبات الوالدين في تربية أطفالهم حسب التدرج في السن في حديث طويل جاء فيه : « ... إذا بلغ الغلام له ثلاث سنين يقال له سبع مرات قل : لا إله إلا الله ويترك ، ثم يقال له حين يتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرين يوما : قل : محمد رسول الله سبع مرات ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له سبع مرات : قل : صلى الله على محمد وآله ، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال له : اسجد ثم يترك حتى يتم له ست سنين فإذا تم له ست سنين صلى وعلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين ، فإذا تمت علم الصوم وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها فإذا علم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه** »[٣] .

وتلتقي هذه النظرة التي نادى بها أئمة الشيعة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة مع النظرة الحديثة في تربية الطفل ، وقد أكدت الدراسات العلمية لسيكولوجية النمو اللغوي ، أن مرحلة تعلم

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٢١ . وأيضا الصدوق : **الخصال** مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٦٨ .

(٢) باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** - مرجع سابق - ص ٩٧ . وأيضا الطبرسي : **مكارم الأخلاق** - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .

(٣) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠ . وأيضا الطبرسي : **مكارم الأخلاق** - مرجع سابق - ص ٢٢٢ . وأنظر محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٧٨ - ١٧٩ .

الجمل القصيرة تبدأ من العام الثالث وتكون الجمل في هذا السن مفيدة وبسيطة وتتكون من ٣ ـ ٤ كلمات ، أما مرحلة الجمل الكاملة ، فتبدأ في العام الرابع وتتكون الجمل من ٤ ـ ٦ كلمات ، وتتميز بأنها جمل مفيدة تامة الأجزاء .(١) بالاضافة إلى ذلك ، **فقد ورد عن الإمام الصادق أن الطفل إذا بلغ خمس سنين يقال له** : « **أيهما يمينك وأيهما شمالك ، فإذا عرف ذلك حول وجهه إلى القبلة** » .(٢) وهذا اختبار للطفل على مدى نمو المفاهيم المكانية لديه . وهذا ما يعبر عنه « جان بياجيه » بالمفاهيم المكانية لدى الطفل في مرحلة طور الحدس الذي يبدأ من سن الرابعة حتى السابعة .(٣)

والذي يظهر من كلام الإمام محمد الباقر في قوله : « وعشرين يوما » أن هناك علاقة بين هذه الأيام ونمو الطفل في المجال العقلي ، وهذا ما نلاحظه في دراسة « جان بياجيه » وملاحظته للأطفال ، وتأثير الأيام القليلة على نموه ، وانتقاله من حالة إلى أخرى أكثر نضجا .(٤)

وقد توسع الشيعة في تربية الطفل حتى شملت « تربية اليتيم » فكثيرا ما يصادف أن يموت الأباء والأمهات في أيام الحروب ، أو في الحالات الأعتيادية، ويخلفون أطفالا صغارا ، يجب أن يحافظ عليهم في المجتمع ، وأن الدول الحديثة وضعت نظما معينة تكفل لهم حقوقهم .

والإسلام أيضا قد تضمنت تعاليمه القانونية والخلقية الخاصة به في حل هذه المشكلة . فإذا كان الطفل اليتيم قد ورث من أبويه مالا فإن القيم عليه ـ وهو الشخص الذي يعين من قبل الحاكم الإسلامي العادل لإدارة شئون اليتيم وهو الإمام المعصوم عند الشيعة أو نائبه ، وهو المجتهد العادل ـ يقوم بتهيئة ما يحتاج إليه من طعام ولباس ومسكن من ماله الخاص . أما إذا لم يملك اليتيم مالا ، فإن بيت المال هو المسئول عن

---

(١) حامد عبد السلام زهران : **علم نفس النمو** ـ ط ٤ ـ القاهرة عالم الكتب ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٧٩ .

(٢) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ .

(٣) روث م . بيرد : **جان بياجيه** ـ مرجع سابق ـ ص ٨١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٤ .

مصارفه ، فحياة اليتيم إذن مؤمنة طبقـا للنظام المـالي في الإسلام . ولكن الملاحظة الجـديرة بـالإهتمام هي : أن الإسـلام لا يرى انحصـار سعادة اليتيم في توفير وسائل الحياة المادية من الطعام واللبـاس والمسكن فقط . بـل إن اليتيم إنسان قبـل كل شيء ويجب أن تحيى فيه جميع الجـوانب المعنوية والفـردية ، ولـه الحق في الاستفادة من الحنـان والعطف والأدب والتوجيه والتعليم وكل ما يستفيد منه الطفـل في حجر أبـويه ، كمـا يجب الإهتمام بميوله الروحيـة وغذائـه النفسي مضافـا إلى الرعـاية الجسـدية والغذاء البدني .[1]

إن الروايات الكثيرة التي وردت عن أئمة الشيعـة تقر عـلى معاملـة اليتيم معاملة بقيـة الأطفال في الأسرة ، وأن يقـوم الرجـال والنساء مقـام الوالدين في رعايته ، لأن الأسرة هي التي تستطيـع أن تلبي نداء عـواطف الطفـل ، ولذلـك كان النبي (ص) ومن بعـده أهل بيتـه يـوصـون الأبـاء والأمهـات وأولياء الأسر بمنطق الـدين والإيمان بـالمحافظـة عـلى اليتيم ، وأخذه إلى بيوتهم ، وإجـلاسه عـلى موائـدهم ، ومعاملتـه كأحـد أولادهم والسعي في تـأديبه وإدخـال السرور على قلبـه بالعطف والحنـان والمحبة . **وقد جاء عن الإمام علي بن أبي طـالب قولـه : « أدب اليتيم مما تؤدب منه ولدك ، واضربـه مما تضرب منـه ولدك » وفي وصيتـه إلى أولاده قـولـه : « الله الله في الأيتـام فـلا تغبـوا أفـواههم ، ولا يضيعـوا بحضرتكم »** .[2]

وجاء في رسالة الحقوق لـلإمام عـلى بن الحسين قـوله : « ...**وحق أهل ملتك اضمار السلامة والرحمة لهم .. وتآلفهم واستصـلاحهم ... وتحب لهم مـا تحب لنفسك وتكـره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تكـون شيوخهم بمنزلة أبيك ... والصغـار بمنزلـة أولادك** ... » .[3] ولا شك أن هذه الالتفاتات الدقيقة من الإمام علي بن الحسين ، وإنـزاله الصغـار منزلة الأولاد ، لـه الأثر البـالغ في تـربية الصغـار ، وخصوصـا إذا كان

---

(١) محمـد تقي فلسفي : **الطفل بـين الوراثـة والتربيـة** ـ مرجـع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٦ .

(٣)) الحـراني : **تحف العقول** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٩٥ . وأيضا الصـدوق : **الخصـال** ـ مرجع سابق ـ ٣٢ ـ ٣٣ .

يتيما ، فكما يجب على الأب تعليم إبنه ، كذلك يجب عليه تعليم صغار أهل ملتـه . ويمكن لنا أن نطلق عـلى هذه العمليـة ، **بالتكـافل الإجتمـاعي في تربية الطفل** ، والتي كانت طـابع التـربية الإسـلامية عنـد الشيعة منـذ الصدر الأول من الإسلام . فرحمة الصغير لا تكون إلا بتعليمه ، كما يقول الإمام علي بن الحسين .

ثامنا ـ التعليم المهني :

المهنة معناها ـ كما يقـول جون ديـوي ـ أي شكل للنشـاط المتصل يقـدم الخدمـات للآخـرين ، ويجعل القـدرات الشخصية تعمـل لانجـاز النتائج . ومسألة عـلاقة المهنـة بالتـربية تـدفع إلى بؤرة الإهتمـام بشتى المشكلات التي نوقشت بصدد صلة التفكير بالنشاط البدني ، وصلة النمو الفردي الواعي بالحياة الإجتمـاعية ، وصلـة الثقافـة النظريـة بالسلـوك العمـلي ذي النتـائـج المحـددة وصلـة كسب العيش بـالاستمتـاع القيم بالفـراغ .[١] فالمهنـة لا تعني شيئا سوى ذلك الإتجاه في أنشطـة الحياة الـذي يجعلها ذات مغـزى ملموس للشخص . إن المهنـة إصطـلاح عيني للاستمرار أو الإطـراد ، ويتضمن نمو القـدرة الفنية من أي نـوع ، ونمو القدرة العلمية ونمـو المواطنـة الفعالـة ، كما يتضمن الشـواغل الحـرفية والتجارية وكذلك طبعا العمل الآلي والمساعي التي غايتها الكسب .[٢]

ويـرى الدكتـور سيد أحمـد عثمان ، أن التعليم المهني لم يـدخـل تـاريخ الفكـر التربـوي والبحث النفسي في التعلم إلا في مراحـل حديثـة ، ولهـذا لم يكن غريبـا من الزرنـوجي عندمـا لم يتناول اكتسـاب المهارات الحركية أو التعلم الحـركي ، ذلك لأن هـذا الجانب من التعلم لم يكن من إهتمام عصره ، ولم يكن ضمن تصور ذلك العصر للتربية عامة .[٣]

وإذا كـان الـزرنـوجي المتـوفى عـام ٥٩١ هـ لم يتنـاول اكتسـاب

---

(١) جون ديوي : **الديمقراطية والتربيـة** ـ ترجمـة نظمي لوقـا ـ مكتبة الأنجلـو المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧٤ .

(٣) سيد أحمد عثمان : **التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي** ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٩ .

المهارات الحركية وأن هذا الجانب من التعلم لم يدخل تاريخ الفكر التربوي إلا في مرحلة متأخرة ، فإننا نجد أن الشيعة تناولوا هذا الجانب من التعليم منذ بداية القرن الثاني للهجرة ، حيث إهتموا بالجانب الحركي واكتساب المهارات ، كما اهتموا بالجانب النظري . ولهذا لم يغفل الشيعة المنهج التعليمي المهني ، فقد تنوعت العلوم المهنية وبنيت على أسس عامة ومتنوعة بنفس الطريقة التي قامت عليها مناهج التعليم العام . لأن شمول الشريعة الإسلامية واستيعابها لجميع مجالات الحياة ، من الخصائص الثابتة لها ، وذلك عن طريق التأكيد عليها في مصادرها العامة ، فنحن نستطيع أن نجد في هذه المصادر نصوصا تؤكد بوضوح على استيعاب الشريعة ، وامتدادها إلى جميع الحقول ، التي يعيشها الإنسان ، واغتنائها بالحلول لجميع المشاكل التي تعترضه في شتى المجالات .[١]

ويمكن التعرف على مدى عمق مناهج التعليم عند المسلمين وشمولها للتعليم المهني والحث على تعلم جميع المهن التي تتعلق بتطور الحياة الفكرية والإجتماعية ما جاء عن أئمة الشيعة في هذا المجال . **ولعل أقدم نص ورد في التعليم المهني ما جاء عن الإمام جعفر الصادق في أوائل القرن الثاني للهجرة ، حيث بين فيه جهات معايش العباد التي فيها الإكتساب ، فقال في تفسير الصناعات** :

« **....فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة والصياغة والسراجة والبناء والحياكة والقصارة والخياطة وصنعة صنوف التصاوير ما لم يكن مثل الروحاني وأنواع صنوف الآلات التي يحتاج إليها العباد التي منها منافعهم وبها قوامهم وفيها بلغة جميع حوائجهم فحلال فعله وتعليمه والعمل به وفيه ولنفسه أو لغيره ، وإن كانت تلك الصناعة وتلك الآلة قد يستعان بها على وجوه الفساد ووجوه المعاصي ويكون معونة على الحق والباطل فلا بأس بصناعته وتعليمه نظير الكتابة التي هي على وجه من وجوه الفساد من تقوية**

---

(١) محمد باقر الصدر : **المدرسة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٢ .

معونة ولاة الجور ، وكذلك السكين والسيف والرمح والقوس وغير ذلك من وجوه الآلة التي قد تصرف إلى جهات الصلاح وجهات الفساد وتكون آلة ومعونة عليها فلا بأس بتعليمه وتعلمه وأخذ الأجر عليه وفيه العمل ، والعمل به وفيه لمن كان له فيه جهات الصلاح من جميع الخلائق ، ومحرم عليهم فيه تصريفه إلى جهات الفساد والمضار ، فليس على العالم والمتعلم إثم ولا وزر لما فيه من الرجحان في منافع جهات صلاحهم وقوامهم به وبقائهم ...» .(١)

من هذا النص ونصوص أخر ، يظهر أن أئمة الشيعة لم يهملوا التعليم المهني والفني والصناعي ، وذلك لإعداد الإنسان الكامل الذي يشق طريقه في الحياة ويكسب رزقه عن طريق العلم والمعرفة ، فشجعوا على دراسة كل مهنة أو فن أو صناعة مما يحتاجها الإنسان ، والتدريب عليها ، لكي يعد اعدادا مهنيا ، ويحيا حياة شريفة مع المحافظة على الناحية الروحية والدينية . ولهذا إذا كانت التربية الإسلامية في مفهوم الشيعة خلقية غالبا ، إلا أنها لم تهمل إعداد الفرد للحياة وكسب العيش والرزق . ويظهر هذا واضحا من أقوال أئمة الشيعة . **قال الإمام علي بن أبي طالب : « العلم ثلاثة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنحو للسان » .**(٢) **وقال الإمام محمد الباقر : « الكمال كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة » .**(٣)

يقول الشيخ باقر شريف القرشي : « ويأمر الإسلام بالخوض والاختصاص بجميع أنواع العلوم والمعارف خصوصا التي تتطور بها الحياة الفكرية والإجتماعية ، بل أن بعضها يكون واجبا يتحتم على المسلمين القيام به ، كعلم الطب والصيدلة وغيرها من سائر العلوم والفنون الصناعية .. وعلى أي حال فإن العلم الذي حث الإسلام على طلبه لا يتقيد بنوع خاص ، وإنما يشمل جميع أنواع العلوم والفنون ، وقد فتق أغلب أبوابها أئمة أهل البيت عليهم السلام ...» .(٤)

---

(١) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢١٣ .

(٤) باقر شريق القرشي : **النظام التربوي في الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٢ .

ويخلص الباحث إلى أن فلسفة التـربية عنـد الشيعة تنطـوي على أهم القضـايا التـربويـة والتعليمية التي تعـالج الإنســان باعتبـاره شخصية متكاملة . وعلى هذا جمع الفكر التـربوي عنـد الشيعة بصـورة عامـة بين تأديب النفس وتنمية العقل والعناية بالجسم . وهـذا غايـة ما تـدعو إليـه التربية . بالإضافة إلى أن فلسفة التربية التي جاء بها الشيعة منذ الصدر الأول للإسلام صالحة لبنـاء فكر تـربوي إسـلامي متميز ، لمـا تحمل من معان تربوية لها جدتها في عالم التربية والتعليم . خصوصا إذا لاحظنا أن منبـع هذه الآراء هم أهـل البيت ، وعلى هـذا فهي تعبر عن روح التـربية الإسلامية .

الفصل الرابع

مناهج وطرق التعليم

ويشمل :

أولا : مناهج التعليم

ثانيا : مراحل التعليم

ثالثا : طرق التعليم

رابعا : المعلمون والتلاميذ
الحالة الاجتماعية للمعلمين .

مقدمة :

لم يقف الشيعة عند حد صياغة الآراء والأفكار والنظريات الفلسفية والتربوية فحسب ، وإنما أرادوا لها الذيوع والشيوع ، وهذا يقتضي بطبيعة الحال أن يبحثوا عن الطرق والوسائل التي توصل بها هذه الآراء والأفكار إلى أذهان الناس .

ولما كان الرأي الفلسفي والاتجاه التربوي بحاجة إلى جهد عملي يحيلها من مجرد معان وأفكار جامدة إلى سلوك يجسدها ويبرز قيمها واتجاهاتها . كان من الطبيعي عندما نكون ازاء جماعة بحجم الشيعة ، كان لها وجودها المؤثر والقوى في تاريخ الثقافة الاسلامية ، أن نفتش عن مدى الجهد الذي بذلوه في هذا الشأن ، خصوصا وأنهم قد مارسوا الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية . وعلى هذا قاموا بوضع المناهج التربوية التي تعتبر من أهم الوسائل التي تساعد المربى في تحقيق الأهداف التربوية ، كما بحثوا عن الطرق والأساليب التي يوصلون بها هذه المناهج إلى اذهان الناشئة ، حتى ابتكروا طرقا تعليمية لم تكن معروفة ولا متداولة في الفترة موضوع البحث ، ولهذا استطاعوا أن ينفذوا ما رسموه من آراء ونظريات فلسفية وتربوية ، وهذا يؤكد أن الشيعة لم يقفوا عند حد النظريات ، بل الحقوا بها طرق التنفيذ والتطبيق . وعلى هذا يتناول هذا الفصل مناهج وطرق التعليم .

أولا ـ « مناهج التعليم » :

يعد المنهج من أهم الوسائل التي تساعد المربى في تحقيق الأهداف التربوية ، ولما كان الهدف الرئيسي للتربية الاسلامية هو التكامل بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، انعكس ذلك على مناهج التعليم حسب مراحله المختلفة وحسب مراحل النمو لدى المتعلمين .

والـدين الاسلامي لا يخص دعوته لتعلم العلوم الدينيـة فحسب ، وإنمـا يخص الفرض العـين بهـا ، ويـرغب في تعلم كـل علم فيـه اسعـاد الحياة ، ولا تفترق علوم الدين عن غيرها مما يحتاج إليه النوع من اسعاد الحياة ويضطر إليه ، إلا في رجحان الدينية على غيرهـا ، وعينية الـوجوب فيها على كل أحد وكفائيته في غيرها[1] .

لقد كانت مناهج التعليم عنـد الشيعة تستهـدف التوسـع في العلوم الهامة المقصـودة بالـذات ، كالشرعيـات والتفسير والحـديث والفقه وعلم الكلام والطبيعيات والآلهيات ، وكذلك العلوم الاجتماعية المختلفة[2] . وفي ذلك يقول البحراني : « ... **فإن كثيرا من الجهال ممن يدعي العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على معلميه ، فـأكثر الناقلين للأحكام الفقهية والمتصدرين للفتاوىٰ والقضاء بين الخلق في زماننا ومـا قبله ، فـإنهم يبالغـون في انكار العلـوم العقلية ويفتـون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلـون عن أن احدهم لا يستحق أن يسمى فقيهـا إلا أن يكـون لـه مـادة من العلم العقـلي المتكفل ببيان صدق الرسول (ص) ، واثبات النبوة الذي لا يقوم شيء من الأحكام الفقهية التي يدعون أنها كل العلم إلا بعـد ثبوتهـا** »[3] . ومن هذا النص يظهر أن المنهج عند الشيعة يشمل العلوم العقلية والنقلية معا .

ولكن المناهج التعليميـة عند الشيعـة تختلف من مرحلـة إلى أخرى حسب النمـو العقلي لـدى الانسان ، ومن هنـا فإن مناهج تعليم الصبيان تختلف عن منـاهـج تعليم الشبـاب والكبـار ، وذلـك حسب نظـرتهم إلى القدرات العقلية لدى المتعلمين ومستوى ذكائهم .

أما المرحلة الأولى فيبدو أن المعلمين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة في اختيار مواد الـدراسة الأوليـة . وبالـرغم من ذلك يظهـر أن مواد معينـة كالخط وتعلم القرآن كـانت من بين مـواد منهج التعليم الأولى الـرئيسية .

---

(١) محمد الصادقي : **علي والحاكمون** ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعـات ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ ص ٢٤٣ .

(٢) أنظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٣) البحراني : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

وقد وردت إشارات إلى وجود مادتي الحساب والشعر بـين مواد المنهـج . **قال محمد بن أحمد ، قلت للصادق (ع) : « إن لنا جارا يكتب وسألني أن أسألك عن عمله . فقال مره إذا دفع إليه الغلام أن يقول لأهله إني إنما أعلمه الكتاب والحساب وأتجر عليه بتعليم القرآن كي يطيب له كسبه »** .[1] **وجاء عن الصادق أيضا : « ...فكل ما يتعلم العبـاد أو يعلمـون غيرهم من صنـوف الصنـاعـات مثـل الكتـابـة والحسـاب والتجارة .. فلا بأس بتعليمه وتعلمه وأخذ الأجر عليه .....»** .[2]

ولا يختلف الشيعة عن أهل السنة في أن القرآن هو أول العلوم التي ينبغي أن يدرسه الصبيان ، بل هو المحور الـذي يدور عليـه التعليم ، لأنه مرجع المسلمـين في معرفـة العبادات والمعـاملات ، ولا سبيـل إلى معرفـة الحدود الشرعية الصحيحة للديـانة إلا بمعـرفة الأصـل الأول من أصول الـدين ، وهو القـرآن .[3] وقد وردت إشـارات كثيرة عن أئمـة الشيعة في تعليم الصبيان القرآن الكريم ، وما يتعلق به من حلال وحرام ، كما حثـوا الآباء على تعليم صبيانهم ذلك . دخل الفرزدق مع أبيه عـلى الإمام عـلي ، فقال الإمام علي لأبيه : « من هذا الذي معك ، قال : إبني وهو شاعـر وإن شئت أنشـدك ، فقـال الإمـام عـلي علمـه القـرآن فهـو خـير له من الشعر[4] **وجاء في وصيـة الإمام عـلي لإبنه الحسن : « ... وأن أبـدأك بتعليم كتـاب الله عز وجـل وتأويلـه ، وشرائع الإسـلام وأحكامـه ، وحلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره »**[5] وجاء عنه أيضـا قولـه : **« ...علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا ثمان سنين »** .[6]

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعـة** ـ رسالـة دكتوراه مطبوعة ـ بغداد ـ مطبعة أسعد ـ ١٩٧٢ ـ ص ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٢) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٣) أحمد فؤاد الأهواني : **التربية في الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٤ .

(٤) الشيخ علاء الدين علي المتقي الهندي : **كنز العمال من سنن الأقوال والأفعـال** ـ ط ٢ ـ حيدر أباد ـ مطبعة جمعية دائـرة المعارف العثمـانية ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٥ .

(٥) المجلسي : **بحـار الأنوار** ـ مـرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩ . وأيضـا الحـراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣ الى ٥٨ .

(٦) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٦ .

ويبدو من ذلك أن مناهج التعليم في هذه المرحلة تشمل أيضا كل ما يتعلق بأمور الدين . قال رجل للصادق : « إن لي إبنا قد أحب أن يسألك عن حلال وحرام لا يسألك عما لا يعنيه ، قال : فقال : وهل يسأل الناس عن شيء أفضل من الحلال والحرام » .[1] ولهذا ذهب الشيعة إلى أنه يحسن تعليم الأطفال الوضوء والصلاة ، وقراءة بعض سور القرآن في سن مبكرة ليرتاضوا عليها.[2] بل زادوا على ذلك بأن جعل الإمام علي للطفل الذي ولد في الإسلام وقرأ القرآن نصيبا من بيت المال في كل سنة مائتي دينار يأخذها .[3] وعلى هذا فتعليم الأطفال عند الشيعة يبدأ أولا بالعلوم الإسلامية التي تتعلق بآخرته ، ثم بالعلوم الأخرى التي تتعلق بدنياه . وقد ورد ذكر الشعر والرسائل بمثابة مواد تعلم بالكتاب في حديث بين الصادق وحساب المعلم ، كما **أوصى إبن طاووس إبنه محمدا قائلا : أوصيك بتعلم الخط على التمام فإنه معونة لك على السلوك إلى الله جل جلاله ، ثم بتعلم العربية بمقدار ما يحتاج إليه مثلك من الطالبين للمراضي الإلهية ، وإحياء السنن النبوية ، ثم تتعلم من القرآن الشريف ما تحتاج إليه لإقامة الصلاة وما يتعلق بمراد الله جل جلاله من تفسير تلك الآيات بعاجل الحال . واحفظه جميعه بعد ذلك التعظيم والإجلال** » .[4] وقد جاء عن الإمام الصادق في حثه على تعلم العربية قوله : « ....**تعلموا العربية فإنها كلام الله الذي يكلم به خلقه** ...» .[5]

أما منهج التعليم عند الشيعة في المرحلة الثانية ، فهو يختلف عن مناهج التعليم في المرحلة الأولى . والعلوم التي كانت تدرس ، أشار إليها الشهيد الأول في قوله(★) : « ...**لا يخفى أن الغرض الوحيد من طلب مثل هذه العلوم الدينية الوصول إلى مرحلة العمل للفوز برضى الله تعالى والدار الآخرة ، فالعلوم الدينية غير خفية على من طلبها**

---

(١) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٦ .
(٢) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ .
(٣) المتقي الهندي : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢١٩ .
(٤) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٢ .
(٥) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢١٢ .
(★) انظر الفصل السابع من هذا البحث .

وأرادهـا ، فمنها علم التـوحيد والمعـارف الإلهية والفقـه والحـديث والتفسير ، لغاية العمل وتعليم الغـير من كل مكلف ، والـوقوف عـلى هذه العلوم وفهمها على الحقيقـة متوقف عـلى بعض العلوم الأدبيـة والعربية والمنطق ... فلهذا مست الحاجـة إلى أخذ قـدر الحاجـة من هذه العلوم مقدمة على تلك وتمهيدا للوصول إلى أغوارها ، والوقـوف عـلى مقاصـدها الحقـة ، لأنهـا هي العمـدة ، وهي الهـدف الأسمى ، ....فوجب علينا أولا الأخذ بهذه ونعني بهـا النحو والصرف وعلمي الفصاحة والبـلاغة ، والمعـاني والبيان والتفسـير ، واللغة والمنطق قدر الحاجة ، وهو أن لا يدع فنا ونوعا من أنواعها إلا ونظر فيه نظر من يطلع فيه على مقاصده وغاياته ، دراسة وفهما صحيحـا بدراسـة كتاب من الفن أو كتابين مع الإتقـان ، ثم بعد ذلـك إن ساعـده العمر ونهض به التوفيق ، طلب التبحر فيه بـالتدريس للغـير أو المطالعـة بـإمعان ، أو الكتـابـة ، وهي للـوقـوف عـلى الحقيقـة والتحصيـل الواقعي ...» .[1]

ويبـدو أن منهج تعليم العلـوم عند الشيعـة في الفتـرة المبكـرة من تاريخهم ، لم يكن مقسما إلى مواضيع معينة مستقلة ، كـالفقه والحـديث وغيرهما من العلوم الشرعية وإنما كان الطلبـة يدرسـون هذه العلـوم على أئمتهم أو على شيوخ الشيعة من كتب توارثها الأئمة صاغرا عن كابر ، أو ألفها هؤلاء الشيوخ في العلوم الشرعية التي تلقوها مبـاشرة أو بالـواسطة من أئمتهم . وأن طائفة من الكتب التي ألفها الشيوخ واعتمـدوها بمثـابة أصول يدرسـون منها . وكـانت تشمل عـلى مواضيـع شتى لا تمت للعلوم الشرعية بصلة . أما الأصول التي تبحث في العلوم الشرعية فكـان عددهـا حتى أواخر عصر الأئمة أربعمـائة أصـل : **قال الشيـخ المفيد** : « **صنف الإمـامية من عهـد أمير المؤمـين علي عليـه السلام إلى عهـد أبي محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه أربعمائـة كتاب تسمى الأصـول وهذا معنى قولهم أصل** » .[2]

أما تعليم الصناعات مثل الكتابة والحسـاب والتجارة وغـيرها من العلوم المهنية فهي داخله في منهج التعليم عنـد الشيعة . وقـد مر الكـلام

(١) عبد الصاحب الحسني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٢) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٣ .

عنها في مبحث التعليم المهني . بالاضافة إلى العلوم الطبيعية والعلوم العقلية .[1] وتبدو الغاية الدنيوية فيها واضحة في قول الإمام الصادق التالي : « **من الله عز وجل على الناس برهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ، ولولا ذلك لتغالطوا** » . ويظهر من ذلك أن الخط والحساب من العلوم الضرورية لتنظيم حياة الناس مع قطع النظر عن تقواهم أو عدمها .[2]

وقد أخذ شيوخ الشيعة في عهد مبكر يؤلفون الكتب التي أصبحت موضع درس لطلبة الشيعة في مختلف العلوم ، خصوصا الشرعية منها . وقد وردت إشارات يستدل منها على وجود تلك الكتب ، وعلى ضرورة العناية بها ، **روى عبيد الله بن زرارة أن الصادق (ع) قال** : « **احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها** » ، وقال أيضا للمفضل بن عمر : « **اكتب وبث علمك في إخوانك ... فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم** » .[3] ومن أهم الكتب التي كانت موضع درس الشيعة في العصر المبكر من الإسلام **صحف الإمام علي بن أبي طالب** ، فيها أحاديث دونها عن النبي (ص) وكانت تلك الصحف من بين الأصول التي اعتمدها الأئمة لتدريس شيعتهم منها .[4] « وكانت كتب علي جامعة للعلوم الإلهية كما يعتقد الإمامية ...» .[5]

أما مناهج البحث العلمي عند علماء الفقه الشيعي ، فقد اختصت بخواص طبعته بطابعها وانفرد بها ، ولعل أول ما يلفت النظر في هذه المناهج ويكون الظاهرة البارزة للفقه الشيعي ، عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، حيث تتميز عن غيرها بأنها ديناميكية دائبة الحركة لا تتوقف عند حد ، بفضل فتح باب الإجتهاد واستمراريته داخل إطار العناصر المشتركة لأدلة الأحكام الشرعية ، وهي تبعا لذلك تدرجت

---

(١) أنظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٢) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٥ . وأيضا الكليني ـ **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٤) عبدالله فياض : المصدر السابق ـ ص ٢٤٣ . وانظر أمر الصحيفة من الفصل السابع من هذا البحث .

(٥) عبدالله فياض : المصدر السابق ـ ص ٢٤٤ .

وتطورت لتشمل المواقف السلوكية للمكلفين كافة في متطلبات الحياة وحاجاتها كلها . ومن طبيعة مناهج البحث عند علماء الفقه الشيعي ألا يأخذوا بحجية الخبر الذي لايكون في سنده واحد من أئمتهم . ومن خواص مناهج الفقه الشيعي أنها مقسمة إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : يضم العبادات : وهي معاملات خاصة يشترط فيها نية القربة ، وأول كتب هذا القسم الطهارة وتنتهي بكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتشمل الصلاة والزكاة والحج والخمس والصوم وغيرها من العبادات .

اما القسم الثاني : فهو العقود ، ويسمى المعاملات أيضا ، وهي تشريعات ذات صيغ توجب الإلتزام بين طرفين من المكلفين ، وأول كتب هذا القسم التجارة وتنتهي بكتاب النكاح .

والقسم الثالث : الإيقاعات : وهي تشريعات ذات صيغ توجب الإلتزام من طرف واحد بعد تحقيق الإيجاب دون القبول ، وأول كتب هذا القسم كتاب الطلاق والعتق وينتهي بكتاب النذور .

والقسم الرابع :الأحكام : وهي تشريعات توجب الإلتزام بتحقيق موضوعها دون تحقق الإيجاب والقبول . وأول كتب هذا القسم كتاب الصيد وينتهي بانتهاء كتب الفقه وهو كتاب الديات .

ومن طبيعة مناهج البحث العلمي في أساليب تأليف الفقه الشيعي ، وكنتيجة للتطور الحياتي الذي ضمت أغلب العلوم ، فإنها تنحصر بالتخطيط المنهجي التالي :

١ ــ مجاميع الحديث الفقهية .
٢ ــ مجاميع فقهية إستدلالية .
٣ ــ مجاميع فقهية محضة .
٤ ــ مجاميع فقهية مقارنة .
٥ ــ رسائل عملية .[١]

---

(١) أنظر صالح مهدي الهاشم : **الإجتهاد** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

ويمكن اعتبار هذه المناهج للمرحلة العليا من سلم التعليم عند الشيعة ، وهي مرحلة الإجتهاد .

ثانيا ـ « مراحل التعليم عند الشيعة » :

إهتم الشيعة بالجوانب المؤدية إلى إزدهار التربية والتعليم ، وكان من بينها تحديدهم لسن التعليم ، فقد حددوها بما يتفق والنمو العقلي للطفل ، **فقد جاء عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال** : « **يرخى الصبي سبعاً ، ويؤدب سبعا ، ويستخدم سبعا ، وينتهي طوله في ثلاث وعشرين ، وعقله في خمس وثلاثين وما كان بعد ذلك فبالتجارب** » .[1] **وجاء عن الإمام جعفر الصادق** : « **دع ابنك يلعب سبع سنين ، ويؤدبسبعا، والزمه نفسك سبع سنين ، فإن فلح وإلا فلا خير فيه** » .[2]

وعلى ضوء هذه النصوص ، فقد قسم الشيعة مراحل التعليم إلى :

المرحلة الأولى : مرحلة الطفولة ـ من سن الميلاد حتى سن السابعة :

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في التربية . حيث أن عملية التربية تستمد منذ لحظة الولادة الأولى لتنتهي بانتهاء حياة الإنسان . فإن كل إنسان مهما كان عمره ، يعد متعلما ، غير أن ذلك لا يعني أن دور الطفولة لا يمتاز بكونه المرحلة المهمة في عملية التربية أكثر من غيره ، وذلك لإعداد الناشيء للحياة وتكيفه لها .[3] فمنذ الأسابيع الأولى ، ومن حين الرضاع ، حيث الطفل يعيش في المهد ، تبدأ مشاعره بالعمل ، فهو يتأثر بالحدة والغلظة ، أو اللين والحنان ، وتنعكس في روحه النتائج الطيبة أو السيئة لأفعال الآخرين . وقد أخذ الشيعة تعاليمهم عن الرسول الأعظم في تربية الأطفال في هذه المرحلة ، حيث كان النبي (ص) يؤتى

---

(١) الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .

(٢) المصدر السابق ـ ص ٢٢٣ . وأيضا الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ٤٧ .

(٣) علي محمد الحسين الأديب : **منهج التربية عند الإمام علي** ـ المطبعة الحيدرية ـ في النجف الأشرف ـ ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م ـ ص ٣٥ .

بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسميه فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله ، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال ، فيقول (ص) : « لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله ، ثم يفرغ من دعائه وتسميته ، فيبلغ ذلك سرور أهله فيه ، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم ، فإذا انصرفوا غسل بوله .[1] وذلك لأن الإضطرابات الانفعالية والإجتماعية لها تأثير سيء على نمو الطفل خصوصا النمو اللغوي ، بينما يساعد جو الحب والحنان على النمو السوي .[2] ولهذا جاء عن النبي (ص) ، قوله : « **أحبوا الصبيان وارحموهم** ...» وجاء عن أئمة الشيعة قولهم : **وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه ... والرفق به ... والمبالغة في تأديبه** ... إلى غير ذلك من الوصايا التي كانوا يوصون بها والتي تملأ نفس الطفل شعورا بالعطف والحنان والرحمة ، وهذا غاية ما تدعو إليه التربية . وفي ذلك جاء عن أئمة الشيعة : « **أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم** » .[3]

وتمتاز هذه المرحلة من التعليم عند الشيعة بأهمية اللعب للطفل ، حيث أن اللعب يبعث القوة في عضلاته ، والمتانة في عظامه ، كما أنه ينمي فيه القدرة على الابتكار ، ويخرج قابلياته الكامنة إلى حيز الفعل ، وهكذا فاللعب يشغل شطرا كبيرا من حياة الأطفال ، ولم يفت أئمة الشيعة أمر التنبيه على هذه النقطة ، فهي أساس تكامل جسد الطفل وروحه . **فعن الإمام الصادق** : « **الغلام يلعب سبع سنين**... » وعنه أيضا : « **دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعا** ...» وعنه أيضا : « **احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ، ثم أدبه في الكتاب ست سنين** ...» .[4]

ولقد اهتم أئمة الشيعة بهذا الأمر التربوي وأوصوا المسلمين بإرشادات مهمة في هذا الصدد . إن اللعب مع الأطفال من الأمور

---

(١) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٢ . وأيضا محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ١٥٣ .

(٢) حامد عبد السلام زهران : **علم النفس** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨١ .

(٣) الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .

(٤) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٧ . وأيضا الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

المستحبة في الشريعة الإسلامية ، وقد أورد علماء الحديث نصوصا في كتبهم تحت عنوان « **استحباب التصابي مع الولد وملاعبته** » منها قول النبي (ص) : « **من كان عنده صبي فليتصاب له** » . وقول الإمام علي : « **من كان له ولد صبا** » .[١]

ولم تقتصر هذه المرحلة من مراحل التعليم عند الشيعة على اللعب فقط ، بل تناولت بعض الإرشادات التعليمية للأطفال ، ففي هذه المرحلة نصح أئمة الشيعة الآباء أن يعلموا أطفالهم بعض المفردات اللغوية حسب التدرج في السن ـ كما سبق ذكره ـ فبالاضافة إلى إعطاء الطفل الحرية الكاملة في هذه المرحلة ولكن إلى جانبها التوجيه السليم لكي تنمي فيه القدرات العقلية واللغوية مع نموه الجسمي ، ولهذا يقوم الأب بتعليمه الوضوء وبعض أفعال الصلاة وتوجيهه إلى القبلة .

وتلتقي هذه النظرة في التعليم عند الشيعة أيضا مع النظرة الحديثة في التربية . فقد اعتبر « روسو » أن المرحلة الأولى للتعليم هي التي تبدأ من الميلاد إلى سن الخامسة ، وفي هذه المرحلة نصح روسو بأن يترك الطفل على سجيته وأن تتاح له الحرية التامة لكي تتفتح مواهبه كما تتفتح الزهرة ، والأب هو المعلم الطبيعي في هذه المرحلة . كما أشار إلى أن طريقة التربية في هذه المرحلة يجب أن تخالف الطرق الشائعة في تربية الطفل مثل التحكم في حريته[٢] . كما أن من المبادىء التربوية في هذه المرحلة أيضا عدم محاولة تلقين الطفل مفردات لغوية كثيرة حتى يمكن أن يتمشى نموه اللغوي مع نموه الفكري .[٣] كل ذلك دعا إليه أئمة الشيعة قبل ثلاثة عشر قرناً . كما مر .

---

(١) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) سيد إبراهيم الجيار : **دراسات في تاريخ الفكر التربوي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٨ .

المرحلة الثانية : مرحلة الصبا :

تعتبر مرحلة الصبا ـ التي تبدأ من سن السابعة ـ المرحلة الثانية من مراحل التعليم عند الشيعة ، فقد عنوا بهذه المرحلة عناية كبيرة ، وحثوا المسلمين على أن يعلموا أبناءهم أساسيات الثقافة الإسلامية ، من قرآن كريم ، وقراءة وكتابة وحساب وخط . وهذه المرحلة من التعليم عام للجميع . فقد جاء عن معاوية بن وهب قال : « **سألت أبا عبدالله عليه السلام : في كم يؤخذ الصبي بالصلاة ؟ فقال : بين سبع سنين وست سنين** » .[1] وجاء عن الإمام محمد الباقر : « ...**فإذا تم له سبع سنين قيل له : إغسل وجهك وكفيك ، فإذا غسلهما قيل له صل** »[2] وفي ذلك **يقول الإمام علي** : « ...**علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا ثمان سنين** » .[3] والتعليم في هذه المرحلة يكون عن طريق الكتاب . ولهذا جاء عن الإمام الصادق : « ..**ثم أدبه في الكتاب ست سنين** » .[4]

والتعليم في هذه المرحلة حق لجميع الناس على السواء ، ولهذا يجب على أولياء الأمور أن يهيئوا الفرص الكافية لتعليم رعاياهم عل اختلاف مللهم ، ماداموا يتصفون بالمواطنة الإسلامية . **فقد جاء في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة قوله : « ...وأما حق رعيتك بالعلم ، فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم قيما ، أتاك من العلم وفتح لك من خزانة الحكمة ، فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده ، الصابر المحتسب الذي إذا رأى حاجة أخرج له من الأموال التي في يده كنت راشدا وكنت لذلك آملا معتقدا ، وإلا كنت له خائنا ولخلقه ظالما ولسلبه وعزه متعرضا** » .[5]

---

(١) محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٨ .

(٢) ورام : تنبيه الخواطر ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ . وأيضا الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .

(٣) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٦ .

(٤) الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .

(٥) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ص ١٨٨ .

ويظهر من هذا النص أن أئمة الشيعة إهتموا بالتربية والتعليم إهتماما كبيرا حيث بين الإمام أن التعليم حق لكل فرد من أفراد المجتمع ، كما بين أن الدولة ملزمة بالإنفاق على التعليم . فقد بين أن المتعلم إذا كان محتاجا إلى النفقة على التعليم وجب عليه أن يبذل له الأموال التي تكون في يده ، فمتى حقق ذلك كان ولي الأمر راشدا .. وإلا كان الحاكم ظالما جائرا مستخفا في خلق الله . ولهذا جاء عنه أيضا : « ...**فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله عز وجل من فضله ، وإن أنت منعت الناس من علمك أو خرقت بهم عند طلبهم منك كان حقا على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك** » .[1] وبهذا المعنى جاء عن **الإمام علي بن أبي طالب** في بيان ما للرعية على الحاكم : « ...**أما بعد : فإن لي عليكم حقا ، ولكم علي حقا ، أما حقكم علي فالنصيحة في ذات الله ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا** » .[2] وجاء عنه أيضا : « **من دخل في الإسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ..** » .[3] وقوله : « ...**من ولد في الإسلام فقرأ القرآن فله في بيت المال كل سنة مائتا دينار إن أخذها في الدنيا وإلا أخذها في الآخرة** » .[4] وهذا نوع من التعزيز في عملية التعليم في هذه المرحلة .

وإذا كان القابسي قد إعتبر أن التعليم حق لكل صبي وواجب على الدولة[5] ، فإن الشيعة توسعوا في ذلك حتى اعتبروا التعليم حقا لكل إنسان منذ الصدر الأول من الإسلام ، **ولهذا جاء عن الإمام علي بن الحسين** ـ إضافة لما تقدم ـ قوله : « **وأما حق أهل ملتك عامة ... وتألفهم واستصلاحهم ... فعمهم جميعا بدعوتك** » .[6] ولا شك أن استصلاح الرعية بالتربية والتعليم من أهم الحقوق التي تقع على عاتق

---

(١) الشهيد الثاني : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ .
(٢) ابن قتيبة : **الإمامة والسياسة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٥٠ .
(٣) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٦٠٢ .
(٤) المتقي الهندي : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩ .
(٥) الأهواني : **التربية في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١١ .
(٦) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٥ .

الدولة ، بالاضافة إلى ذلك أن من شروط الإمام أو الفقيه عند الشيعة ـ وهو الحاكم ـ أن يقوم بعملية التعليم لكل فرد من أفراد رعيته ، إما مباشرة أو بالواسطة . كما يستفاد من النصوص المتقدمة وغيرها أن التعليم في هذه المرحلة ملزم لكل طفل . ومن ذلك قولهم : « **..ويؤدب سبعا** » وأيضا « **احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ، ثم أدبه في الكتاب ست سنين ..**» إلى غير ذلك.

المرحلة الثالثة : مرحلة التكليف :

أما المرحلة الثالثة من مراحل التعليم عند الشيعة ، فتبدأ من سن الخامسة عشر ، أي عندما يكون الإنسان مكلفاً . وفي ذلك **يقول الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ** « **..وجعلهم جل ذكره صنفين : صنفا منهم أهل الصحة والسلامة ، وصنفا منهم أهل الضرر والزمانة ، فخص أهل الصحة والسلامة بالأمر والنهي بعدما أكمل لهم آلة التكليف ، ووضع التكليف عن أهل الزمانة والضرر إذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للأدب والتعليم ، وجعل عز وجل سبب بقائهم أهل الصحة والسلامة.. بالأدب والتعليم ، فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم ..**» .[(١)]

ويظهر من ذلك أن التعليم عند الشيعة في هذه المرحلة واجب على كل مكلف قادر على التعليم . وفي ذلك **يقول الكليني أيضا** : «**..فلما لم يجز بقاؤهم إلا بالأدب والتعليم وجب أنه لابد لكل صحيح الخلقة كامل الآلة ، من مؤدب ودليل ومشير و آمر وناه و أدب وتعليم وسؤال ومسألة** » .[(٢)] **ولهذا ورد عن الإمام الصادق قوله** : « **لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا** » .[(٣)] وقوله : « **أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم** » .[(٤)] **وقال الإمام محمد الباقر : ليت السياط على رؤوس**

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ٤١ .

أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام » .[1] **وقول الإمام الصادق** : « **لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته** » . وفي رواية عن محمد الباقر : « **لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأوجعته** » .[2]

والذي يبدو من ذلك أن التعليم في هذه المرحلة يشمل كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا ، لأن التفقه هو التعلم ، ولهذا **جاء عن الإمام الصادق قوله** : « **لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غاديا في حالين : إما عالما أو متعلما ، فإن لم يفعل فرط فان فرط ضيع ، فإن ضيع أثم ، وإن أثم سكن النار** » .[3]

ويظهر مما تقدم أن التعليم في مراحله المختلفة عند الشيعة تعليم الزامي فهو حق لكل طفل في مراحله الأولى ، وواجب شرعي على الآباء أن يعلموا أبناءهم أما المرحلة الثالثة فهي تشمل جميع المكلفين ، فما دام الإنسان مكلفا كان التعليم واجبا .

وقد يستنتج من الحديث التالي أن الشيعة ذهبوا إلى القول بأن تربية الأولاد من الأمور الملزمة شرعا . روى الكليني أن الفضل بن شاذان قال : **إن الصادق (ع) قال** : « **لو أن رجلا ضرب إبنه غير مسرف في ذلك يريد تأديبه فقتل الابن من ذلك الضرب ورثه الأب ولم تلزمه الكفارة لأن ذلك للأب ، لأنه مأمور بتأديب ولده . لأنه في ذلك بمنزلة الإمام يقيم حدا على رجل فمات فلا دية عليه ولا يسمى الإمام قاتلا** » .[4]

ولم يقف التعليم عند الشيعة على هذه المراحل ، وإنما يستمر طول حياة الفرد ، وعلى هذا فلا يمكن أن يقال بأن هناك سنا تنتهي عنده هذه العملية التربوية ، وقد أخذ الشيعة ذلك عن رسول الله (ص) حيث قال : « ...**واعلم أن قليل العلم يحتاج إلى كثير العمل لأن علم الساعة يلزم**

---

(١) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٢١٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢١٤ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٠ .
(٤) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٨ . نقلا عن الكافي للكليني ـ جـ ٢ ص ١٤٢ .

صاحبه طول عمره »[1] وقال الإمام محمد الباقر : في حديث طويل عن رسول الله (ص) : « ..ولا يسأم من طلب العلم طول عمره » .[2]
بالاضافة إلى ذلك أنه مكلف وكل مكلف يجب عليه معرفة الأحكام الشرعية ، وتعلمها إما إجتهادا ، أو تقليدا للمجتهد . فالمجتهد هو الذي يبذل وسعه لاستنباط الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية والمقلد كل من لم يصل إلى هذه المرتبة ، يجب عليه الرجوع إلى المجتهد في معرفة الحكم الشرعي عن طريق التعليم ، إما مباشرة ، أو بالواسطة ، سواء كان بتعليم الغير ، أو مما كتبه المجتهد . ولهذا تستمر العملية التعليمية مدى الحياة . وقد جاء عن أئمة الشيعة وأمرهم لشيعتهم قولهم : « **تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعرابا ، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزك له عملا** » .[3] والمراد بالنظر هنا الرحمة .

المرحلة الرابعة : مرحلة الاجتهاد :

يعتبر الاجتهاد مرحلة عليا من مراحل التعليم عند الشيعة ، والاجتهاد من الواجبات الكفائية عندهم ، والواجب الكفائي هو : أن الأمر يتعلق بكل مكلف فإذا قام به البعض ، وحصل الغرض الذي من أجله شرع الواجب الكفائي ، سقط الأمر عن الآخرين ، وإذا لم يحصل الغرض كان المكلفون جميعا محاسبين عن ذلك حتى يتحقق الغرض . فإذا أكمل المتعلم مقدماته العلمية التي يتوقف عليها الاجتهاد ، مثل العربية والمنطق والفلسفة والأصول والمعاني والبيان والحديث وعلم الرجال ، وغيرها من العلوم ، ورغب في مواصلة تحصيله العلمي في استنباط الأحكام الشرعية ، فإنه ـ والحالة هذه ـ يواصل دراسته ، وذلك عن طريق حضور حلقات المجتهدين . وهذه المرحلة لا تقف عند حد ، وإنما تستمر طول حياة الإنسان .

كما أن هذه المرحلة تتوقف أيضا على خبرات أخرى ، أهمها مراجعة

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢ .
(٢) المصدر السابق : جـ ١ ص ١٠٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢١٤ .

الكتب الاستدلالية المطولة في الفقه وأصوله ، ودراستها دراسة متقنة إضافة لما يتعلمه من المجتهدين في حلقات دروسهم ، كي تحصل له ملكة الاستنباط . والملاحظ أن هذه المرحلة يدخلها كثير من رواد العلم ، والراغبين في تحصيل الاجتهاد ، إلا أن الذين يقطعون هذا الشوط الطويل والمعاناة الجادة في تحصيلهم هذه المرتبة قليل جدا[1] .

ثالثاً ـ طرق التعليم :

عنى المربون المسلمون بطرائق التعليم ، وكانت لهم أنظارهم ومذاهبهم في ذلك . هذه الطرق والأساليب التي انتهجها المربون في التعليم ليست منفصلة عن ثقافة العصر ونظمه الاجتماعية ، لأن التعليم نشاط اجتماعي تنعكس عليه كافة الأنشطة الاجتماعية ، وما فيها من قيم ومعايير ونظم ، كما تعكس وجهة نظر الفيلسوف والأهداف التي ترمي إليها في العملية التعليمية . ولهذا عنى الشيعة بطرق التعليم ، واعتبروها من الأسباب التي يوصلون بها المعارف والعلوم الإسلامية إلى المتعلمين . وأهم هذه الطرق هي :

١ ـ المناظرة وتطبيقها التربوي :

من أظهر طرق التعليم عند الشيعة ، طريقة المناظرة ، وقد كانت هذه الطريقة من أهم الطرق التربوية في ذلك العصر ، لما لها من الأثر الكبير في شحذ الذهن وتقوية الحجة ، والتمرن على سرعة التعبير ، وترتيب الأفكار ، وتجديد نشاطها كما تساعد التلاميذ على تنمية قدراتهم العقلية[2] . ولهذا أولاها المسلمون عناية كبرى في طرق تعليمهم . ويبدو أن الشيعة أول من فتق الكلام في المناظرة وجعلوها طريقا لايصال المعارف والعلوم إلى الناشئة ، وتتلمذ عليهم عدد كبير من متكلمي الفرق الإسلامية وتأثروا بمنحاهم في هذا

---

(١) انظر مبحث الاجتهاد من الفصل الأول من هذا البحث .

(٢) سعيد اسماعيل علي : **ديمقراطية التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .
وأيضا عبدالله عبدالدائم : **التربية عبر التاريخ** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧٣ ـ ص ١٧٨ .

الاتجاه . ولهذا يمكن أن يقال بأن هذه الطريقة من طرق التعليم من محض انتاجهم[١] .

ويعتبر الشيعة أن من الشروط التي يجب أن تتوفر لدى المناظر سعة الصدر ، والسماح مع الخلق الحسن في مقام المناظرة ، وافساح المجال لمن يتناظر معه ، كما أن المناظر لابد أن يبتغي من وراء مناظرته طلب الحق الواقعي ، وأن يكون مستقلا بالعلم ذا قوة واقتدار ومعرفة تامة ودراية صادقة كي يستفيد منه[٢] . أي أن يكون معدا اعدادا علميا لهذه الطريقة ، ولهذا كان أئمة الشيعة يجيزون لأصحابهم في المناظرة إذا كانوا مهيئين لها مع العلم وقوة الاحتجاج . ومن هذا قول الإمام الصادق للكابلي حين رأى مؤمن الطاق يناظر المخالفين : « **يا أبا خالد أن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض ، وأنت اذا قصوت لن تطير** »[٣] .

ولا ريب أن هذه الطريقة من أبرز المؤثرات التي تعمل على شحذ القرائح ، ودفع الإنسان إلى بذل جهد عقلي مضاعف لكي يستنبط أساليب من الاستدلال والنظر جديدة ، ليبني معتقده ، وهذا يجعل من المناظرة والمجادلة سببا من أسباب ازدهار الفكر لا خموده[٤] ولهذا يعزو ابن خلدون الركود الفكري الذي شاع في البلاد بعد ذلك إلى رداءة طرق التدريس التي أهملت فيها المناقشة والمذاكرة ، فيقول : « وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها ... »[٥] .

ومن شرائط المناظرة عند الشيعة ، أن يكون المناظر عالما مطلقا ذا قوة وملكة على رد الفروع إلى الأصول ، عارفا بقواعد وأدلة الأحكام ، صاحب نظر واجتهاد حتى اذا ظهر الحق على يد خصمه وعرفه تراجع وسلم وانتقل إليه وتبعه وترك ما عنده[٦] .

---

(١) انظر مبحث علم الكلام من الفصل السابع من هذا البحث .
(٢) عبدالصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١٤ .
(٣) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٨ .
(٤) محمد جعفر شمس الدين : **دراسات في العقيدة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣ .
(٥) ابن خلدون : **المقدمة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥٨ . وأيضا عبدالله عبد الدائم : **التربية عبر التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ .
(٦) عبدالصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١٢ .

والتطبيق التربوي لهذه الطريقة ، ما كان يعقده الإمام الصادق من مناظرات ، وكان يناظر فيها أهل الفرق المختلفة ، وكان كثير من الناس يحضرون هذه المناظرات ، حتى صار مقصد طلاب العلم العلوي[1] .

استأذن عبدالله الديصاني الإمام الصادق بالدخول عليه ، فأذن له ، فلما قعد قال له : « يا جعفر بن محمد ، دلني على معبودي ؟ فقال له أبو عبدالله (ع) ما اسمك ؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه ، فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ فقال : لو كنت قلت له : عبدالله كان يقول : من هذا الذي أنت له عبد ، فقالوا له : عد إليه وقل له : دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي ؟ **فقال له أبو عبدالله (ع) : اجلس وإذا غلام له صغير في كفهِ بيضة يلعب بها ، فقال له أبو عبدالله : ناولني يا غلام البيضة ، فناوله إياها ، فقال له أبو عبدالله : يا ديصاني : هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتجت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها ، ولا يدرىٰ للذكر خلقت أم للأنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبراً ؟** قال : **فأطرق مليا ثم قال** : **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه** .. »[2] .

ويبدو أن المناظرة عند الشيعة من الطرق التعليمية التي تحتاج إلى قوة فكرية ناضجة ، وإلى تدريب عقلي مستمر ، ولهذا عنى أئمة الشيعة بتدريسها إلى شيعتهم وتلاميذهم ، والمناظرة التي وقعت بين هشام بن الحكم أحد متكلمي الشيعة وبين عمرو بن عبيد ثاني شخصية اعتزالية تدل على مدى استخدام الشيعة للحجج العقلية بالاضافة إلى الحواس في هذه الطريقة ، حتى قيل في هشام أنه ما ناظر أحدا من الفرق المختلفة إلا وكان

---

(١) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٢) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ . وايضا **امالي الصادق** : مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١ . وايضا حسون الدلفي : **فضائل آل الرسول في المعقول والمنقول** ـ بيروت مؤسسة الأعلمي ـ ١٩٧٣ ـ ص ٦٥ .

النجاح بجانبه[١] . كما ناظر أصحاب الأديان الأخرى[٢] . ولهذا كان يلزم المعتزلة في مناظراته وحجاجه[٣] . كل ذلك من أجل الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتعليم الغير حسب اعتقادهم .

٢ ـ طريقة الدعاء :

ومن الطرق التي استخدمها الشيعة في التربية والتعليم الدعاء ، وهذه الطريقة مما انفرد بها الشيعة . يقول المظفر : « **وفي الحقيقة أن الأدعية الواردة عن النبي وآل بيته عليهم السلام خير منهج للمسلم ، إذا تدبرها تبعث في نفسه قوة الإيمان ، والعقيدة وروح التضحية في سبيل الحق وتعرفه سر العبادة ، ولذة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه ، وتلقنه ما يجب على الإنسان أن يعمله لدينه وما يقربه إلى الله تعالى زلفى . ويبعده عن المفاسد والأهواء والبدع الباطلة . وبالاختصار أن هذه الأدعية قد أودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس ، ومن ناحية العقيدة الاسلامية ، بل هي من أهم مصادر الآراء الفلسفية والمباحث العلمية في الإلهيات والأخلاقيات** »[٤] .

وأول من استخدم هذه الطريقة في التعليم الإمام علي بن الحسين ، حيث جعل يداوي النفوس المريضة بالصرخات الأخلاقية والآيات السامية وكان في عصر لم تسمح له السلطة القائمة أن يرتقي المنابر ويرشد الناس ، ولم يتسن له أن يبث ما طمسه بنو أمية من أحكام الدين الإسلامي ، فجعل يوضح ذلك بطريق الدعاء ، فبعث بالصحيفة السجادية ، وهي حاوية على أربعة وخمسين دعاء في الصلاة والصيام والحج ، وأدعية تذكر العباد بما عليهم من واجبات ، إذ تذكرهم بحق الله وحق النفس وحق الجوارح وحق

---

(١) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٣ .

(٢) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٤ . وأيضا أحد كمال زكي : **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثالث الهجري** ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧١ ـ ص ٩٩ .

(٣) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ . وأيضا المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٤ .

(٤) محمد رضا المظفر : **عقائد الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٤ .

السلطان ، وحق العلم ، وحق الرعية وحق الأب والابن وحق المستشير وحق المستشار إلى غير ذلك من الحقوق التي تقتضيها المعاملات[1] ومن هنا تنوعت أشكال الدعاء وألوانه ومضامينه وأساليبه فيما لدى الشيعة من أدعية الأنبياء والأئمة المعصومين كعلاج نفسي أو روحي أو تربوي[2] .

فالإمام علي بن الحسين اضطر أن يتخذ من أسلوب الدعاء ذريعة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام ، وتلقين الناس روحية الدين والزهد ، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق ، وهذه طريقة مبتكرة في التلقين والتعليم لا تحوم حولها شبهة المطاردين له ، فلذلك أكثر من الأدعية فجمعت بعضها الصحيفة السجادية وجاءت في أسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأدب العربي ، وأصبح طريقة لتعليم الأخلاق الإسلامية ، وكانت في مختلف الموضوعات التربوية ، فهي تعليم للدين والأخلاق في أسلوب الدعاء ، أو دعاء في أسلوب تعليم للدين والأخلاق[3] . « بل يكاد يكون أسلوب الدعاء عند بعضهم (ع) الأسلوب الوحيد للقيام بأعباء رسالتهم في شد الأمة بقيمها وتراثها .. فقد تضمنت في كل فصل منها توجيهات اجتماعية وأخلاقية واقتصادية وتربوية ونفسية وعقائدية »[4] .

يقول محمد جواد مغنية : « وقد توسع أهل البيت (ع) في المناجات والدعاء وأدخلوا فيه فلسفة العقيدة وصفات الجلال والكمال للذات القدسية ... وأيضا استوعبت أدعية أهل البيت الأخلاق النظرية والعملية الكثير من الحكم الخالدة وتحديد الدين والمتدين الحق ... وأيضا اتخذوا من المناجاة وسيلة للتربية الفاضلة والتوجيه إلى العمل من أجل حياة أفضل والتحرر من كل ما يوجب التخلف ويعاني منه الفرد والمجتمع »[5] . وقد أكثر الشيعة من حفظ هذه الأدعية وتعلمها وتعليمها للناشئة على مر العصور ، واستنسخ الناس منها نسخا كثيرة ، كما طبعت في عصر

---

(١) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** - مرجع سابق - ص ٣٥٠ .

(٢) محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الإسلام** - مرجع سابق - ص ٣٢٣ .

(٣) محمد رضا المظفر : **عقائد الإمامية** - مرجع سابق - ص ٨١ .

(٤) انظر مقدمة **الصحيفة العلوية المباركة** لعلي بن أبي طالب - ط ٣ - بيروت - دار التعارف للمطبوعات - بدون تاريخ - ص ٨ - ٩ - ١٠ .

(٥) محمد جواد مغنية : **في ظلال الصحيفة السجادية** - مرجع سابق - ص ١٠ - ١١ .

الطباعة[١] .

والتطبيق التربوي للدعاء ما جاء في دعاء الافتتاح عن أئمة الشيعة يذكر الباحث نصا منه :

« ... اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله ، وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة ، اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه ، اللهم المم به شعثنا ، وأشعب به صدعنا ، وارتق به فتقنا وكثر به قلتنا وأعزز به ذلتنا وأغن به عائلنا وأقض به عن مغرمنا ، وأجبر به فقرنا وسد به خلتنا ويسر به عسرنا ... وبلغنا به من الدنيا والآخرة آمالنا ... »[٢] .

والتطبيق التربوي الثاني للدعاء **ما جاء عن الإمام علي بن الحسين** :

« ... اللهم صلي على محمد وآله ، وحلني بحلية الصالحين وألبسني رتبة المتقين في بسط العدل وكظم الغيظ وإطفاء الثائرة وضم أهل الفرقة واصلاح ذات البين وافشاء العارفة وستر العائبة ولين العريكة وخفض الجناح وحسن السيرة ... وطيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة وإيثار التفضل وترك التعيير والإفضال على غير المستحق والقول بالحق وإن عز ، والصمت عن الباطل وإن نفع واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي ... »[٣] .

٣ ـ طريقة الإملاء :

وهذه الطريقة في التدريس كانت مشهورة بين العلماء والمربين حتى سميت بعض الكتب في ذلك بالامالي . وعندما تطورت الحركة العلمية وبلغت ذروتها واستخدم الورق ، أصبح الإملاء من أعلى مراتب التعليم[٤] . حيث كان المستملي يجلس على مرتفع ، وينصت له الحاضرون من التلاميذ

---

(١) محمد باقر الصدر : **علي بن الحسين زين العابدين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) السيد محمد حسن الطالقاني : **مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والاذكار ـ النجف الأشرف** ـ مكتبة دار المعارف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ص ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٤) آدم متز : **الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٣١٦ .

ويبتدىء المدرس درسه بذكر الله والصلاة على النبي (ص) . ثم يملي ما يريد تعليمه ، ويكتب الطلاب خلف المدرس ، وبعد الانتهاء يعرج على الشرح والايضاح والتفسير للفقرات الغامضة ، ويدون الطلاب هذه الشروح على هامش الأوراق التي كتب عليها الأصول[١] .

وقد استعمل أئمة الشيعة وشيوخهم هذه الطريقةفي التعليم . وكان لهم كتب عدة في الأمالي ، وهي عبارة عن محاضرات يمليها الشيخ على تلاميذه في مجلس أو في مجالس ، وفي أيام معينة ؛ أو في مواسم خاصة[٢] . فقد أملى الإمام الصادق على تلاميذه في مختلف العلوم . وله كتاب يسمى « أمالي الصادق » يقع في أربعة أجزاء مطبوع[٣] . كما أملى الإمام الرضا على تلاميذه أيضا . يقول محمد بن زيد ، جئت إلى الرضا أسأله عن التوحيد فأملى علي ... »[٤] .

وقد ألف علماء الشيعة طائفة من كتب الأمالي ، منها كتاب الأمالي للشيخ الصدوق القمي ، وأمالي الشيخ المفيد ويحتوي على اثنتين وأربعين مجلسا تحتوي على مائتي مطلب في شتى البحوث مع إسنادها الموثوق بصدورها عن النبي (ص) وآل بيته . ومن كتب الحسن بن خالد البرقي « تفسير العسكري من إملاء الإمام عليه السلام ماية وعشرون مجلدة »[٥] . كما أملى الشيخ الطوسي دروسه على تلاميذه بانتظام ، وما كتابه الأمالي إلا محاضرات ألقاها في النجف[٦] .

---

(١) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٣٧٤ .

(٢) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة في التاريخ الإسلامي في جامعة بغداد ـ النجف الاشرف ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٧٥ ـ ص ٤٧٨ .

(٣) **انظر أمالي الصادق** ـ مرجع سابق .

(٤) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٠ .

(٥) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ . وأيضا اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ ط ٢ ـ طهران ـ ١٩٦٨ ـ جـ ٢ ـ ص ٣١٣ .

(٦) محمد بحر العلوم : **موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم النجف** ـ مقالة بعنوان « **الدراسة وتاريخها في النجف** » ـ بيروت ـ مطابع دار الكتب ـ ١٩٦٥ ـ جـ ٢ ـ ص ١٨ .

أما أمالي السيد المرتضى ، فهي عبارة عن مجالس أملاها في أزمان متعاقبة ، وترجع قيمة ما عرض له الشريف في هذه المجالس من تأويل الآيات كما اختار أيضا طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تأويلها ، ويبدو التعارض فيما بينها ، وحاول تفسيرها وتأويلها بالمنهج الذي عالج به تأويل آي القرآن ، وقد أملى الشريف هذه المجالس في داره على تلاميذه ومريديه ، في أزمنة مختلفة ، لم يصل العلماء إلى التاريخ الذي بدأها فيه ، ولكن الثابت فيه أنه فرغ من املائها يوم الخميس الثامن من جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة[١] . كما أن ابن الجعابي أحد شيوخ الشيعة في بغداد ، كان يملي على تلاميذه[٢] . قال الخطيب البغدادي : كان ابن الجعابي يملي الأحاديث فتمتلىء السكة التي يملي فيها والطريق ... ولم يكن إبن الجعابي يملي الأحاديث إلا من حفظه »[٣] وقعد الصاحب بن عباد للإملاء ، وحضر كثير من طلاب العلم عنده بحيث كان له ستة مستملين[٤] .

٤ ـ طريقة الوعظ :

ولطريقة الوعظ أهمية عظيمة في التربية الإسلامية ، حيث تقوم بتنشئة المسلم العابد الصالح . فالموعظة من الأساليب التربوية الرائعة ، لأنها تؤدي إلى كمال الإنسان وتنمية خلقه ، ولهذا ينبغي أن يتمثلها المعلم والمتعلم[٥] .

والموعظة المؤثرة هي التي تفتح طريقها إلى النفس عن طريق الوجدان وتثير عواطفه لحظة من الوقت ، وتهز مشاعره ، لذلك لا تكتفي الموعظة وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة . ولهذا تكون الموعظة من

---

(١) محمد أبو الفيض ابراهيم : **مقدمة كتاب « أمالي المرتضى »** للشريف المرتضى ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٥٤ ـ ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

(٢) انظر مراكز العلم عند الشيعة ـ بغداد ـ من الفصل الخامس من هذا البحث .

(٣) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٢٨ .

(٤) الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٩٦٥ ـ جـ ١ ـ ص ٤٤٩ . وأيضا آدم متز : **الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٧ .

(٥) علي خليل أبو العينين : **فلسفة التربية في القرآن الكريم** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

الضرورات اللازمة في توجيه الدوافع الفطرية لدى الإنسان(١) . وهذه الطريقة تقوم على توضيح الأمور النافعة والضارة للمتعلمين ، وتعظهم وترشدهم إلى الخير ، وتحثهم على التحلي بمكارم الأخلاق(٢) .

يقول الكرماني أحد شيوخ الشيعة : « **وإن المواعظ أكبر الأسباب في صلاح النفس وتهيئها ونهوضها ، لتلقي أوامر الله تعالى بالامتثال ، فهي التي تنجمع في القلوب ، وتحدث فيها رغبة ورهبة ، فتقبل على الطاعات والاخلاص في العبادات ... وتبعث النفس على ترك ما تهواه من ذاتها وبذل ما لها للفوت والموت جملة في رضاء الله ... وإذا كان الأمر في امتناع النفس عن اتباع هواها متعلقا بالمواعظ التي فعلها فيها ، مثل هذا الفعل ، انبعاثا من ذاتها للقيام بالوقوف عند الأوامر والنواهي ، فقد ظهر مصداق قولنا ، فيما سبق ، نقضا لقول ابن زكريا ، في تفويض الأمر إلى النفس ، في إصلاح ذاتها ، بمجردها ، وأنه لا يصلح إلا بما قلنا** »(٣) . حيث ذهب ابن زكريا إلى أن اصلاح النفس يكون بذاتها ومن غير مصلح ولهذا نقض عليه الكرماني قوله هذا ، بأن صلاح النفس لابد له من موعظة تحرك الوجدان النفسي والمشاعر الفطرية نحو الكمال .

إن تأكيد الشيعة على هذا الأسلوب ينطلق من واقع الحقيقة الدينية التي تحاول أن تعمق في نفس الإنسان مسئوليته العملية في الدنيا ، وتربطه بالدار الآخرة من حيث تجسيدها لنتائج المسئولية ، فلم تنطلق القضية من خطة عملية لربط العمل بالآخرة ، من حيث سلامة العمل واستقامته ، بل من خلال تكامل التصور الإسلامي للإيمان بالله وبالدار الآخرة ، مما يجعلنا في حاجة إلى تقوية هذا الإيمان واستعادته في كل فترة ، ليبقى حيا في الأعماق(٤) . وفي نفس الوقت يثير أسلوب الوعظ أمام الإنسان قصة الدنيا والآخرة ، لكي يجعل من الدنيا دار عمل ، بكل ما للعمل من معنى فردي

---

(١) محمد قطب : **منهج التربية الإسلامية** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٨٠ جـ ١ ـ ص ١٨٧ .

(٢) محمد عطية الأبراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٢ .

(٣) الكرماني : **الأقوال الذهبية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٤) محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٩ .

وجسمي ، يعني حياة الناس بالفكر والعمل . فالأساليب الوعظية تحدث في نفس الإنسان تغييرا كبيرا في نظرته إلى العمل من خلال قضية المصير ، لأن طبيعة الموت الذي يعتبر بداية الحياة الأخرى هي التي يواجهها الإنسان لتحديد مسئوليته[1] .

ومن أمثلة التطبيق التربوي للموعظة ما جاء عن سفيان الثوري ، أنه طلب من الصادق بن الصادق جعفر بن محمد (ع) أن يعظه ، فقال له الصادق : « **يا سفيان لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لملوك ، ولا راحة لحسود ولا سؤدد لسيء الخلق » فطلب أن يزيده ، فقال له** : **يا سفيان ثق بالله تكن مؤمنا ، وأرض بما قسم لك تكن غنيا ، وأحسن مجاورة من جاورته تكن مسلما ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل » . فقال سفيان زدني ، فقال له الصادق** : « **يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان ، فلينقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته** .. »[2] .

والتطبيق التربوي الثاني للموعظة ، ما وعظ به الإمام الصادق تلميذه المفضل قال : « **فكر يا مفضل فيما أعطى الإنسان علمه وما منع ، فإنه أعطى جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه . فمما فيه صلاح دينه ، معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ، ومعرفة الواجب من العدل على الناس كافة ، وبر الوالدين ، وأداء الأمانة ، ومؤاساة أهل الخلة وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة . وكذلك أعطى ما فيه صلاح دنياه ، كالزراعة والغراس واستخراج الأرضين ... ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الاسقام ... والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب** .. »[3] .

ويبدو من هذه المواعظ التي كان يعظ بها أئمة الشيعة ، أنها تعد مناهج عامة لسلوكيات الإنسان ، تحرك فيه الإحساس في حالة الفكر وفي

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٢) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٦٩ .

(٣) آمالي الصادق : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

حالة العمل ، مما يجعل الإنسان يعيش الاحساس بالله في موقع المسئولية وبالتالي تحرك الإنسان نحو العمل وكذلك الانضباط في السلوك إلى جانب تعميق الاعتقاد والإيمان بالله في فهم الحياة .

٥ ـ طريقـة الرســائل :

كانت الرسائل إحدى طرق التدريس ، وكان الطالب يرسل مسائله إلى أستاذه ويتلقى منه الأجوبة عليها مكتوبة ، فإذا اشتهر أحد العلماء بعلم من العلوم أتته الرسائل من طلاب العلم تحمل إليه مسائلهم واستفساراتهم فيجيب عليها ، ثم يبعثها على هيئة أجوبة للسائلين[١] .

وهذه الطريقة في التدريس كانت شائعة في ذلك العصر عند الشيعة ، فقد استعملها الطلاب مع أئمتهم وشيوخهم . **قال سهل : كتبت إلى أبي محمد (ع) سنة خمس وخمسين ومائتين : قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد ... فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولا على عبدك ، فوقع بخطه (ع) : سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول ، الله واحد أحد .. »**[٢] .

وقد كان يطلق على هذه الرسائل بكتب « **المسائل** » وهي عبارة عن أجوبة لمسائل أرسلها أو وجهها مباشرة طلبة للأئمة أو لمشاهير الشيوخ ، كالمرتضى والطوسي وغيرهما . ويدل اقتران تلك المسائل ببلدان مختلفة ، أحياناً ، كما يظهر من النصوص المذكورة، أنها ترسل ، على الأغلب ، للأئمة أو الشيوخ عند تعذر لقائهم كما أن كثرة الكتب التي تحمل عنوان « **المسائل** » يدل على أن الشيخ بعد أن يجيب على تلك المسائل يجمع أجوبته أو يجمعها أحد طلبته ، خاصة عند صدورها عن الأئمة في كتاب يطلق عليه اسم المسائل مقرونا أحيانا باسم المكان الذي أرسلت منه أو الإمام الذي أجاب عنها[٣] .

---

(١) حسن عبد العال : **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري** رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٥٥ .
(٢) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٣٨ .
(٣) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٣ .

ومن الأمثلة على طريقة المراسلة ما رواه ابن شهر آشوب من أن داود الصرفي كان ممن لقي زين العابدين عليه السلام ، له كتاب المسائل ، كما كان للحلبي كتاب المسائل عن الامام الصادق . وكذلك زكريا بن آدم القمي من أصحاب الإمام موسى بن جعفر له مسائل . ولصفوان بن يحيى مسائل عن أبي الحسن موسى بن جعفر ، ولعلي بن يقطين « مسائل عن أبي الحسن » . بالاضافة إلى المسائل التي كانت ترسل إلى شيوخ الشيعة مثل المسائل الموصلية وغيرها للشريف المرتضى ، وللشيخ الطوسي مجموعة من كتب المسائل منها « مسألة في الأحوال ».. ومسألة في تحريم الفقاع[1] . وكتاب « المسائل في الفرق بين النبي والإمام » ، وكتاب « مسائل الرازية في الوعيد » وهو عبارة عن عشرة مسائل وردت من مدينة الري إلى الشريف المرتضى ، وقد أجاب عنها الشيخ الطوسي . وكتاب « مسألة في الحسن والقبح » وكتاب « ثلاثون مسألة كلامية »[2] .

٦ ـ التعليم عن طريق الكتب :

تعتبر الكتب من أهم أساليب التربية ، بل أصبحت مادة أساسية للمعرفة ، حيث تسجل فيها أمهات العلم وأصوله ، ولعل ذلك ما يفضل تلقينه وأخذه عن العلماء . يقول كاريل : « ...كذلك المكتبات والمعامل والكتب والمجلات وسائل مناسبة لتنمية العقل ... وحتى إذا لم يوجد الأساتذة ، فإن بالامكان الاكتفاء بالكتب لتحقيق هذه الغاية .. »[3] .

وكان للكتب لدى المسلمين منزلة عظيمة وتقدير كبير ، ولهذا حث أئمة الشيعة على التعلم منها والاحتفاظ بها . **يقول الإمام الصادق** : « **القلب يتكل على الكتابة** » . وقال : « **اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا** »[4] . وجاء عنه أيضا : « **احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها**» وقال للمفضل بن عمر : « **اكتب وبث علمك في اخوانك**

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٢) اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ٥ ـ ص ٢٢١ وأيضا حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٦ .

(٣) كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٥ .

(٤) الكليني : **الكافي ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٦٦** .

فإن مت فأورث كتبك بنيك ، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم »[1] وبهذا المعنى جاء عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب في وصيته لأبنائه وأبناء أخيه بأن يحتفظوا بكتبهم ويضعوها في بيوتهم[2] .

إن التعلم من الكتب يحقق أعظم النتائج ، إذا ماارتبط بخبرات مباشرة وسط علاقات اجتماعية . ولهذا فإن الكتب تفتح أمام التلاميذ آفاقا واسعة ، كما تكون وسيلة لتفسير مواقف الحياة ، إذ أن الكتب توفر للتلاميذ العلوم التي توصل إليها العلماء والمفكرون ، وتساعد على تغذية العقل[3] . ومن هنا كانت الكتب من أعظم الوسائل التربوية ، لأن الكتاب يقرأ في كل مكان بخلاف العلماء . كما يبدو أن هذه الطريقة في التعليم أول من نادى بها واستخدمها في التربية الإسلامية أئمة الشيعة ، وذلك لأن النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت ، تعتبر من أقدم النصوص في هذا المجال . ولهذا كان أقدم كتاب يتعلم منه الشيعة هو الصحيفة التي كتبها الإمام علي من املاء رسول الله (ص) . حتى روى عنه أنه قال : « **ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا ما في القرآن وما في هذه الصحيفة** »[4] .

ويرسم لنا الإمام الصادق في أوائل القرن الثاني الهجري ما للكتب من قيمة علمية وأدبية في قوله : « وكذلك الكتابة التي بها أخبار الماضين للباقين ، وأخبار الباقين للآتين ، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الإنسان ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ، ولولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ، ودرست العلوم وضاعت الآداب ، وعظم ما يدخل على الإنسان من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما

---

(١) **المصدر السابق** : ص ٦٧ . وأيضا المجلسي : بحار الأنوار مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص١٥٠ .

(٢) المجلسي : المصدر السابق ـ ص ١٥٢ . وأيضا الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص٣٩٩ .

(٣) محمد الهادي عفيفي : **الأصول الفلسفية للتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٤) المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص ١٧١ . وأيضا كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ـ ط٢ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ـ جـ١ ـ ص ١٨٣ . وانظر عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٣ . وانظر امر الصحيفة من الفصل السابع من هذا البحث .

يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم ، وما روى لهم مما لايسعهم جهله ، ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه .. »[1] .

٧ ـ التعليم عن طريق الأسئلة والمذاكرة :

ومن طرق التدريس عند الشيعة السؤال . وقد قررت التربية الحديثة هذه الطريقة واعتبرت أن التدريس السليم لا يتحقق أبدا بغير قدر كاف من المناقشات الحرة ، كما أنها ترى أن الأسئلة ضرورة واجبة ، لأنها وسيلة الاتصال بين المعلم والمتعلم ، ويعرف بواسطتها استعداد تلاميذه ومبلغ تحصيلهم ، ويستطيع قيادتهم وتوجيههم ، كما أنها تقدر أهمية المناقشة بالأسلوب الذي اتبعته التربية العربية لأنها تكون عملية تبادل حر للآراء ، لايقصد منه انتصار أحد أو هزيمته ، وإنما تهدف إلى الوصول بالمناقش إلى إدراك أفضل لكل ما يحيط بالقضايا المعروضة من ظروف وملابسات وأسباب ومسببات[2] .

إن طريقة أئمة الشيعة وعلمائهم في التعليم ، تنطوي على كثير من القواعد الحديثة في التربية ، هذه الطريقة التي حددوها بالتكرارات ، ودعوا فيها المعلم إلى القاء المسائل على المتعلم ، كما دعوا المتعلم بأن يكثر مسائله على معلمه . وفي ذلك جاء عن الإمام الصادق قوله لحمران بن أعين في شيء سأله : « **إنما يهلك الناس لأنهم لايسألون ..** » وقال أيضا : « **إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة** » . **وقال : لايسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم ويسعهم أن يأخذوا بما يقول ..** »[3] .

وقد نادت بهذه الطريقة أو الأسلوب في التعليم مدرسة التساؤل ، ففلسفة التربية عندها جزء من فلسفة السؤال المستمر ، والتساؤل الذي

---

(١) آمالي الصادق : مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٢) محمد فوزي العنتيل : **التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها** دار الفكر العربي ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٤٩ ـ ٥٠ .

لايفتر .. وعلى هذا الأساس تتحول فلسفة التربية إلى طاقة للسؤال ، ومنبع للاستفهام لا يتوقف عن مناقشة العملية التعليمية ، والكشف عن معانيها ، وبذلك لايبدأ التعليم أو يستمر من غير أسئلة تناقش أسسه ومسلماته ، ولهذا فإن نجاح العملية التربوية يكون على مدى قدرة الطلاب على السؤال[1] .

والذي يبدو هو أن التربية الإسلامية قد أكدت على أهمية التساؤل منذ أربعة عشر قرنا ، فقد ورد عن أهل البيت عن رسول الله (ص) قوله : « **تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فإن الحديث جلاء القلوب ، إن القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤه الحديث** »[2] . **وعن الإمام محمد الباقر قال** : « **العلم خزائن والمفاتيح السؤال ، فاسألوا رحمكم الله . فإنه يؤجر أربعة : السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهم** »[3] . وبهذا المعنى جاء عن أئمة الشيعة أيضا ، **يقول الإمام جعفر الصادق** : « **تلاقوا وتحادثوا العلم ، فإن بالحديث تجلى القلوب الرائنة** »[4] . **ويقول أيضا** « **رحم الله عبدا أحيا العلم ، قال : قلت : وما احياؤه ؟ قال : أن يذاكر أهل الدين وأهل الورع** »[5] . **وقال الإمام محمد الباقر** : « **تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة** »[6] . ولهذا كان الشيعة يكثرون من الأسئلة على أئمتهم لأجل التعلم منهم . **مثال ذلك عن زرارة بن أعين قال** : **سألت أبا جعفر (ع) ـ يعني محمد الباقر ـ ما حق الله على العباد ؟ قال** : **أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لايعلمون** »[7] . **قال الشهيد الثاني** : « ... **أن يتأمل ـ أي الطالب ـ ويهذب ما يريد أن يورده ، أو يسأل عنه قبل ايراده والتفوه به ، ليأمن من صدور هفوة أو زلة أو وهم وانعكاس فهم ، فيصير له بذلك ملكة صالحة ، وخلاف**

---

(١) حسان محمد حسان : **فلسفة التربية** ـ دراسات في فلسفة التربية ـ مرجع سابق ص ٤٢ .

(٢) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ١٥٢ . وأيضا الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ص٥٠ .

(٣) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢٤٥ .

(٤) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢٠٢ .

(٥) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٠ .

(٦) المصدر السابق : ص ٥١ .

(٧) المصدر السابق : ص ٥٣ .

ذلك إذا اعتاد الاسراع في السؤال والجواب ، فيكثر سقطه ، ويعظم نقصه ، ويظهر خطؤه ...»[1] .

هذه أهم الطرق التي استعملها الشيعة في التعليم منذ القرن الأول للهجرة وما بعده ، بالاضافة إلى الحلقات العلمية التي كان يعقدها أئمة الشيعة وشيوخهم في المساجد وغيرها من أماكن التعليم .

رابعا ـ المعلمون والتلاميذ :

يعد المعلم في جميع مراحل الدراسة من العوامل المهمة في عملية التعليم ، وما العملية المذكورة في الواقع إلا نتيجة اتصال المعلم بالتلميذ ، فالعلاقة بين المعلم والتلميذ تلعب دورا كبيرا في بناء شخصياتهم لدرجة يمكن اعتبارها المفتاح الموصل إلى نجاح العملية التعليمية أو فشلها ، حتى أن سمات الشخصية لدى المعلم لها تأثير كبير على التلاميذ ، فإن منظره وطريقته في التعليم تثير انتباه التلاميذ ، ومن هنا يأتي تقليده أو رفضه للمعلم . وعلى هذا يمكن اعتبار التلميذ كالمريض ، فإنه يحتاج إلى رعاية وعناية تختلف عن رعاية الآخرين ، وقد يكون التلاميذ انعكاسا لشخصية المعلم[2] . فهم يتأثرون بحالة المعلم النفسية واستعداداته الانفعالية ، فإذا هو أظهر روح الاستبشار والتفتح للحياة ، كان جديرا بتلاميذه أن يظهروا الابتهاج وروح الود والتحاب والتجاوب معه[3] .

ومن هنا تكون الحاجة إلى شخصية المعلم الواعي البصير بشئون المجتمع الذي يعالج شخصية التلميذ ويبنيها من جميع جوانبها ويوجهها في طريق الجماعة ويستطلع الاتجاهات قبل أن تتحقق ، سواء أكانت مرغوبا فيها أو غير مرغوب ، ويعالج التلميذ على أساسها ، فهو إما يعرضه لها أو يكسبه المناعة ضدها[4] . **وبهذا المعنى ورد عن الإمام الصادق :**

---

(١) عبد الصاحب الحسيني العاملي : **الأخلاق عند الرسول واصحابه** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٥ .

(٢) Ramyont. T., "**The Principles of Education.**" Longmans, green and Co. London. 1922, PP. 351-352.

(٣) سعيد اسماعيل علي : **أوضاع المربين العرب** ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٣ .

« ... واعلم أن المتلبس بالعلم منظور إليه ومتأس بفعله وقوله وهيئته ، فإذا أحسن سمته وصلحت أحواله وتواضعت نفسه وأخلص لله تعالى عمله ، انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعية ونشأ الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم .. »[1] .

وقد أدرك المسلمون أهمية المعلم بالنسبة للعملية التعليمية ، كما تنبهوا إلىٰ أن العلم وحده لايكفي ليكون سلاح المعلم ، بل لابد أن يضاف إلى المعلم فن التربية ليتمكن المدرس من معرفة نفسية التلميذ ، والنزول إلى مستواه ، والاتصال العاطفي به ليكون جسرا يوصل خلاله العلم إلى عقله[2] . وعلى هذا فشخصية المعلم في الإسلام لها أثر عظيم في عقول التلاميذ ونفوسهم ، إذ يتأثرون وهم في تلك السن الصغيرة بمظهره وشكله وحركاته وسكناته ، واشاراته وألفاظه التي تصدر عنه ، وسلوكه الذي يبدو منه ، وهكذا سادت في المعلمين شخصية علمية وخلقية نابعة من روح الإسلام ، عرفت عنهم واشتهروا بها ، وسرت منهم إلى الصبيان بطريق الايحاء والتقليد والمحاكاة ، مما هو فطري في النفس الإنسانية ، بالاضافة إلى أن شخصية المعلم بارزة في العلم بحيث تسمو إلى مرتبة الأدباء أو الشعراء أو النحاة أو الفقهاء ، فهو يحفظ القرآن وما يتصل به من العلوم الضرورية لفهمه وحسن نطقه[3] .

إن نظرة الشيعة إلى المعلمين لا تختلف في جوهرها عن نظرة الإسلام ، بل هي نابعة من صميم تعاليمه وارشاداته ، لاسيما إذا لاحظنا أنهم مارسوا عملية التعليم بمختلف أساليبها ، وفي مختلف الأماكن ، وهذا لايتم عادة إلا عن طريق الاحتكاك والاتصال بين العالم والمتعلم ، أو بين المعلم والتلميذ ، ومن هنا تعرض الشيعة إلى المعلم ومدى علاقته بالتلاميذ ، وما الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل منهما لكي تستمر العملية التعليمية على خير وجه .

وقد اعتبر الشيعة أن حاجة غير العالم للعالم من الضرورات التي

---

(١) عبدالصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول وأصحابه** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ .
(٢) احمد شلبي : التربية الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٠ .
(٣) أحمد فؤاد الأهواني : **التربية في الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

تتوقف عليها العملية التربوية ، ولهذا قالوا ـ كما مر ـ : « **فلما لم يجز بقاؤهم إلا بالأدب والتعليم وجب أنه لابد لكل صحيح الخلقة ... من مؤدب ..... وأدب وتعليم** .. »[1] . ومن هنا كان العلم والتعليم عندهم ثمرة اتصال المعلم بالتلميذ . **يقول العيناثي** : « ... **واعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها** .. »[2] .

وقد أشار أئمة الشيعة إلى أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه في عملية التعليم ، وأنها ينبغي أن تقوم على أساس من الارتباط بين العالم والمتعلم لنجاح العملية التعليمية ، منذ أوائل القرن الأول للهجرة . **من ذلك قول الإمام علي بن أبي طالب** : « **إذا جلس المتعلم بين يدي العالم فتح الله له سبعين بابا من الرحمة** .. »[3] . **وبهذا جاء عن الإمام محمد الباقر** : « **إن الذي يعلم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلم وله الفضل عليه ، فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه إخوانكم كما علمكموه العلماء** »[4] .

وقد تكلم أئمة الشيعة وشيوخهم عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم . ولهذا فإن للعالم المعلم آدابا في نفسه ، وآدابا مع طلبته ، كما أن للمتعلم آدابا مع معلمه .

أولا ـ آداب العالم في نفسه :

١ ـ **أن لاينصب نفسه للتدريس حتى يكون مؤهلا لذلك** ، ويشهد له به صلحاء شيوخه . **قال الإمام علي** : « **إنما هلك الذين قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم ، أن يتكلم في دين الله بما لايعرف ، فإن الله عز وجل يعذر على الخطأ إن أجهدت رأيك** »[5] . وعن عبدالرحمن بن الحجاج قال : **قال لي أبو عبدالله (ع) ـ يعني الصادق ـ** : « **إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك : إياك أن تفتي الناس برأيك أو**

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٦ .
(٢) العيناثي : **آداب النفس** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ١٤٦ .
(٣) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢ .
(٤) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٤٢ .
(٥) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٩ .

تدين بما لا تعلم »[1] . وبهذا يقول الشهيد الثاني : « كما وأنه إذا تصدى للتدريس من ليس بأهل لذلك قبل اتقانه للمطالب ونضوجه ، وعلم من له الأمر والحل والنفوذ من الأساتذة ، وأنه قاصر وغير صالح للتدريس نصحه وردعه سرا وخفية وشدد عليه النكير ، فإن لم ينجح ولم يرتدع ، أنبه علانية وهدده وخوفه بطرق يرتدع بها ويقنع ويرجع إلى الاشتغال ويتأهل للكمال »[2] .

٢ ـ **صيانة العلم** . وعلى العالم أن يصون العلم ، كما صانه علماء السلف ، وأن لايذله فيبذله لغير أهله ، وألا يذهب إلى مكان المتعلم مهما كبر قدره إلا أن تدعوه إليه ضرورة ، أو تكون هناك مرجحات دينية تلزمه بذلك . **قال الإمام علي : « كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالانسان أن يسعى إلى أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا »**[3] .

٣ ـ **أن يكون العالم عاملا بعلمه . قال الإمام علي : « تعلموا العلم تعرفوا ، واعملوا به تكونوا من أهله »**[4] . **وقال الإمام الصادق : « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا »**[5] .

٤ ـ **بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به** ، وذلك أن الله أخذ على العلماء من العهود ما أخذه على الأنبياء ليبينوه للناس ولايكتمونه . **قال الإمام علي : « إن الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال »**[6] . **وقال الإمام الحسن بن علي : « علم الناس علمك ، وتعلم علم غيرك فيكون قد**

---

(١) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٢ . وأيضا الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٢ .
(٢) عبدالصاحب الحسيني العاملي : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٤ .
(٣) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٩ . وأيضا عبد الصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٥ .
(٤) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٣٥٢ .
(٥) الكليني : **الكافي ـ مرجع سابق** ـ جـ١ ـ ص ٥٦ .
(٦) المصدر السابق : ص ٥١ .

أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم »[1] . **وقال الإمام محمد الباقر : « زكاة العلم أن تعلمه عباد الله »** [2]

٥ ـ **أن يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه** ، ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مالي ، أو جاه ورئاسة أو شهرة بين الناس ، بل يكون الباعث مجرد التقرب إلى الله تعالى والوصول إلى المثوبات . **قال الإمام الصادق** : « **من تعلم لله عز وجل وعمل لله وعلم لله دعى في ملكوت السموات عظيما** »[3] . وقوله : « **إذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم فإن كل محب للشيء يحوط ما أحب** »[4] **وقال الإمام موسى بن جعفر** : « ... **وما أوتي عبد علما فازداد للدنيا حبا إلا ازداد من الله بعدا** »[5] .

٦ ـ **أن يقول ما يعلم ويسكت عما لايعلم حتى يرجع إليه ويعلمه ، ولايخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع** ، وهذا الشرط لايختص بالمعلمين فقط ، بل يعم كل من تصدر عنه المسائل العلمية ، كالمفتي والقاضي وغيرهما . **قال الإمام الباقر** : « **حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عندما لايعلمون** »[6] . **وقال أيضا** : « **ما علمتم فقولوا : وما لم تعلموا فقولوا : الله أعلم** » . **وقال الصادق** : « **للعالم إذا سئل عن شيء وهو لايعلمه أن يقول : الله أعلم وليس لغير العالم أن يقول ذلك** »[7] . **وقال الإمام علي بن أبي طالب** : « **خذوا عني كلمات لو ركبتم المطى فانضيتموها لم تصيبوا مثلهن : ألا يرجو أحد إلا ربه ، ولايخافن إلا ذنبه ، ولايستحي العالم إذا لم يعلم أن يتعلم ، ولايستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم** »[8] .

---

(١) عبدالصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٨ .
(٢) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٥١ .
(٣) عبدالصاحب المظفر ـ **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٣٢ .
(٤) عبدالصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٢ .
(٥) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٥٦ .
(٦) محمد مهدي النراقي : **جامع السعادات** ـ ط٤ ـ العراق ـ مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف ـ ١٩٦٧ ـ جـ١ ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٧) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٢ ـ ٥٣ .
(٨) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢١٥ . وأيضاً ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٩ .

كما وينبغي عليه أن يبدأ أولا بتهذيب نفسه حتى يقتدىٰ به ، **يقول الامام علي بن أبي طـالب : « من نصب نفسه للنـاس امامـا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسـانـه ، ومعلم نفسـه ومؤدبهـا أحق بـالاجـلال من معلم النــاس ومؤدبهم »**[1] .

٧ ـ **ومن صفات العالم عـدم اتباع السلطان : قـال الشهيد في منيـة المريد : « واعلم أن القدر المذموم من ذلك ليس هو مجـرد اتباع السلطان كيف اتفق ، بل اتباعه ليكون توطئة ووسيلة إلى ارتفاع الشأن والترفع على الأقـران وعظم الجـاه والمقدار وحب الدنيـا والرياسة ونحو ذلك ، ولو اتبعه ليجعله وصلة إلى إقامة نـظام النوع واعلاء كلمة الدين وترويج الحق وقمع أهل البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك ، لكان هو من أفضل الأعمال فضلا عن كونه مرخصا »**[2] وبهذا جاء عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : **قال رسول الله (ص) : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا .. قيل : يا رسول الله ما دخولهم في الدنيا ؟ قـال : اتبـاع السلطان ، فـإذا فعلوا ذلك فـاحـذروهـم عـلى أديانكم »**[3] .

ثانيا ـ آداب المعلم مع تلاميذه :

ـ **الشفقة على المتعلمـين . قال الامـام على بن الحسـين : « .. وحق الصغـير رحمته في تعليمـه والعفو عنـه والسـتـر عليـه والـرفق به »**[4] . وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها . **قال ابن عباس : أكرم النـاس على جليسي الـذي يتخطى الناس حتى يجلس اليَّ ، لو استطعت الا يقع عليه الذباب لفعلت**[5] .

٢ ـ **التواضع في تعليم العلم** : ومن الواجب على العالم المعلم التواضـع

---

(١) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦ .
(٢) عبد الصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٣) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٦ .
(٤) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٧ .
(٥) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الأمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ .

للمتعلمين وأن يبين لهم ولسائر الناس ، أن التواضع من السنن الأكيدة ، وان كان لازما لكل من الناس ، خصوصا المؤمنين ، لكن للمتعلمين أوجب ، لأنهم بمنزلة الأولاد ، مع ما هم عليه من ملازمته واعتمادهم عليه في طلب العلوم النافعة ولمكان حق الصحبة وشرف المحبة ، وعليه التلطف بهم والبشاشة وطلاقة الوجه ، واظهار الشفقة والاحسان اليهم ، وأن يخاطبهم بأحسن اسمائهم من الكنى والألقاب الموجبة للتعظيم والتوقير ، كما كان يفعله النبي (ص) وأهل بيته وأصحابه ، وهي موجبة للمحبة وانشراح الصدر والسرور ، ولقوله (ص) : « **ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الأرض لكي يتفقهوا في الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا** »[1] . **وقال الامام الصادق** : « **اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم** »[2] .

٣ ـ **ومن الحقوق اللازمة على العالم للطلبة وكل من يستفيد منه ، أن يراعي احوالهم وتصرفاتهم في المعاشرة والمعاملة وطرق الاستفادة والتحصيل** ، وأن يكون همته تهذيبهم واستقامتهم ، ويبعدهم عن مساوىء الأخلاق ، وكل ما ينافي الكمال والمروءة والأدب ، والاشتغال في تحصيل العلم واقتناء معالي الصفات ، ويوصي تلامذته ببذل السلام وحسن التخاطب في الكلام والتجاوب والتعاون على البر والتقوى[3] . وأن يتفقد الغائب بعد أن كان ملازما للحضور معه وفي مجلسه ، فان كان مريضا عاده ، وان كان مشغولا بما هو أهم وتمكن من الاعانة له أعانه ، ولا أقل من أن يتفقد أحواله بالسؤال أو الارسال اليه[4] .

---

(١) عبد الصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .
(٢) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٤ . وأيضا الشهيد الثاني : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .
(٣) عبد الصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ١٤٢ ـ ١٤٣ . وأيضا عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ص ١٥١ .
(٤) عبد الصاحب الحسيني : المصدر السابق ـ ص ١٥٠ .

٤ ـ **وينبغي أن لا يفضل الأستاذ أحدا على أحـد مع التساوى بينهم فضلا وسنا ودينا ، الا أن يكون هناك جهة تقتضي ذلك ،، كالجـد في** التحصيل والورع والأدب وما شابه ذلك ، ويلاحظ هذه الجهة فيكبره ويشجعه ويكرمه ولا بأس بذلك ، والا فخلاف الحكمة والعـدالة وهـو سـوء في المعاملـة ، لأنـه يؤدي إلى وغـر الصـدور وايحـاش القلـوب ونفرتها[1] .

٥ ـ **أن يكون المعلم حريصا على تعليم طلابه بـاذلا وسعه في تفهيمهم وتقـريب الفائـدة الى أذهانهم وافهـامهم** ، ويفهم كـل واحـد منهم بحسب فهمـه وحفظه ، ولا يعطيـه مـا لا يحتملـه ذهنـه ، ولا يبسط الكلام بسطا ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وحسب فهمه[2] .

٦ ـ **اذا تكمـل الطالب وتـأهـل لـلاستقـلال بـالتعليم واستغنى عن التعليم ، فينبغي أن يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك ويأمر الناس بالاشتغال عليه والأخذ عنه** . فقد أذن الامام الباقر لابان بن تغلب أن يفتي ويجلس في مسجـد المدينـة ، وكانت الاجـازات التي يمنحها شيوخ الشيعة لمن درسوا عليهم من الوسـائل التي يعبـر فيها أولئـك الشيوخ عن رأيهم في مقدرة طلبتهم العلمية[3] .

وقد ظهرت طائفة من مشاهير المعلمين عند الشيعـة ،، أمثال **أبـان إبن تغلب** الذي كان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الحلق وأخليت له سارية النبي (ص) ، **ومحمد بن مسلم الثقفي** الذي سمع من الامامـين محمد الباقر وجعفر الصادق (ع) ثلاثين ألف حديث . **وهشام بن الحكم** (ت ١٩٩ هـ) الذي فتق الكلام في الامـامة . **وأبى عـلى النحوي المعـروف بقطرب** (ت ٢٠٦ هـ) **والعياشي** من علماء القرن الثالث ، صاحب الدار التي كـانت كالمـدرسة عـلى قول ابن داود الحـلي ، أو كالمسجـد على قـول

---

(١) المصدر السابق ؛ ص ١٥٠ .

(٢) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجـع سابق ـ ص ١٥١ . وأيضـا عبد الصاحب المظفر : **الأخـلاق في حديث واحـد** ـ مرجـع سابق ـ جـ ١ ـ ص . ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٣) عبد الله فياض : المصدر السابق ـ ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، وأيضا عبد الصـاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٤ .

النجـاشي ، **وابن الجنـدي وأحمـد بن محمـد بن عمـران** من شيـوخ النجـاشي ، **والشيخ الصـدوق القمي** صـاحب الأمـالي الـذي كـان من المعلمين الكفاة . **والشيـخ المفيد** (ت ٤١٣ هـ) شيـخ الشريف المرتضىٰ والطوسي ، **والشريفين المرتضى والرضى** ، **وشيخ الطائفـة الطوسي**[١] .
« ... وقد كان لـه تلاميـذ كثيرون ، وقـد ولد .. سنـة ٣٨٥ في طوس »[٢]
وأبى زيد البلخي حيث كان معلمـا للصبيان ، ثم رفعـه العلم الى مرتبـة عليـة ، وكان قـائمـا بجميـع العلـوم (ت ٣٢٢ هـ)[٣] . **ويعقـوب بن السكيت** وكـان يؤدب مع أبيـه بمدينـة السلام في درب القنطـرة صبيـان العـامة ، وقـد ألزمـه المتـوكـل العبـاسي تـأديب ولـده المعتـز ، ثم قتلـه لتشيعـه[٤] . **وابن الجعابي** الـذي كان يمـلي مجلسـه فتمتـلىء السكـة والطـريق الـذي يمـلي فيـه[٥] . **وأبي الأسـود الـدؤلي** (ت ٦٩ هـ) **والخليل بن أحمد** ، **وأبي زيد النحوي** ، وكانت له أعظم حلقـة تدريس في البصرة ، **والفراء** ، حيث كان من كبار المعلمين ، وغير هؤلاء[٦] .

ثالثا ـ آداب الطالب مع معلمه :

وردت توصيات عامة عن أئمة الشيعة ، يوصون بها المتعلمين ، وما ينبغي أن يتصفوا به تجاه المعلمين ، يشير الباحث الى بعض منها :

عن أبي عبـد الله الصادق (ع) قـال : **كان أمـير المؤمنين (ع) يقول** : **ان من حق العـالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تـأخذ بثـوبه ، واذا دخلت عليـه وعنده قـوم فسلم عليهم جميعا وخصـه بالتحيـة دونهم ، واجلس بين يديـه ولا تجلس خلفه ولا تغمـز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القـول** : **قال فـلان وقال فـلان ، خلافـا لقولـه ، ولا**

---

(١) عبد الله فياض : المصدر السابق ـ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٢) خوليان ريبيرا : **التربية الاسلامية في الأندلس** ـ ترجمة الطاهر أحمد مكي ـ القاهـرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ـ ص ٥٥ .
(٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ .
(٤) المصدر السابق : جـ ٢٠ ـ ص ٥٠ ـ ٥١ . وأيضا ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٤١ ـ ٤٤٣ . وانظر بـروكلمان : **تـاريخ الأدب العـربي مرجـع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٥** .
(٥) انظر الفصل الخامس : **مراكز العلم ـ بغداد ـ من هذا البحث** .
(٦) انظر المدارس النحوية من الفصل السابع من هذا البحث .

تضجر بطول صحبته ..»[1] . **وجاء في رسالة الحقوق للامام علي بن الحسين قوله : « وحق سائسك بالعلم : التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع اليه ، والأقبال عليه ، وأن لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه أحدا و لا تغتاب عنده أحدا ، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء .. وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدوا ، ولا تعادي له وليا ، فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس»[2]** .. ولهذا وردت مجموعة من التوصيات والارشادات لطلبة العلم تعكس وجهة نظر الشيعة فيما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من صفات وأهمها ما يأتي :

١ ـ **اختيار المعلم** : ينبغي للمتعلم أن يختار « الأعلم والأورع والأسن ، وينبغي أن يشاور في طلب العلم لا يتعجل في الاختلاف الى العلماء ، وأن يصبر شهرين حتى كان اختياره للاستاذ لم يؤد الى تركه والرجوع الى الآخر فلا يبارك له ، فينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذ وكتاب حتى لا يتركه .. »[3] **قال العيناثي : « ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخي معلم رشيد عارف بحقائق الأمور مؤمن بيوم الحساب ، عالم بأحكام الدين .. فاسأل يا أخي أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا قد أخذ علمه من العلماء الاخيار ، عن الأئمة الأطهار عليهم السلام »[4]** .

٢ ـ **يجب على طالب العلم التحلي بمكارم الأخلاق** . فقد جاء عن الامام الصادق : قال : **كان أمير المؤمنين (ع) يقول : يا طالب العلم ، إن العلم ذو فضائل كثيرة ، فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الأشياء والأمور ، ويده الرحمة ،**

---

(١) الكليني : **الكافي** مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٦ . وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٠٤ .

(٢) المجلسي : **بحار الانوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٢ . وايضا الشهيد الثاني : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ .

(٣) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٩ . نقلا عن آداب المتعلمين .

(٤) العيناثي : **آداب النفس** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

ورجله زيارة العلماء ، وهمته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقرهُ النجاة ، وعافيته العافية .. وجيشه محاورة العلماء ، وماله الأدب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، وماؤه الموادعة ، ودليله الهدى ، ورفيقه محبة الأخيار »[1] . ويبدو من هذا النص أنه يشمل معظم الصفات التي يجب أن يتصف بها المتعلم .

٣ ـ **ينبغي على طالب العلم الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم دراسة وتفهما وسؤالا** ، قاصدا الاسترشاد والحفظ والضبط ، ويعتمد بعد التوكل على الله سبحانه على المطالعة بتوجيه وشوق واقبال لا يفوته معها الا ما كان معقدا ومجملا يتوقف فهمه على مقدمات مطوية ، أو كان من قبيل الرموز والألغاز ، أو الألفاظ المشتركة ، مما تحتاج الى سؤال ومسألة ، فعليه المبادرة الى تفهمها والسؤال عنها وحل غوامضها[2] .

٤ ـ **يجب على المتعلم تعظيم العالم زيادة على تعظيم الوالد**، لأن العالم بيده سعادته . يقول النراقي : « أن يحافظ شرائط الخضوع والأدب للمعلم ،ولا يرد عليه شيئا بالمواجهة ، ويكون محبا له بقلبه ، ولا ينسى حقوقه ، لأنه والده المعنوي الروحاني ، وهو أعظم الآباء الثلاثة[3] . **قال الامام الباقر : « اذا جلست الى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه »**[4] . ولهذا أوجب أئمة الشيعة على طالب العلم تعظيم المعلم وتوقيره والاقبال على مجلسه والتعلم منه[5] .

٥ ـ **أن يجتهد الطالب في أن يسبق غيره من الطلاب للحضور الى مجلس المعلم قبل حضوره** ، وكان أبو على النحوي المعروف بقطرب

---

(١) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦٠ .
(٢) عبد الصاحب الحسيني : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ .
(٣) محمد مهدي النراقي : **جامع السعادات** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٤ .
(٤) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٢ . .
(٥) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٧ .

(ت ٢٠٦ هـ) من أشهر تلامذة سيبويه ، وكان حريصا على الاشتغال والتعلم ، وكان يبكر الى سيبويه قبل حضور أحد من التلاميذ ، فقال له يوما ما أنت الا قطرب ليل ، فبقي عليه هذا اللقب . وكان قطرب ممن رووا عن الامام جعفر الصادق(١) .

٦ ـ **أن يكون تعلمه لمجرد التقرب إلى الله والفوز بالسعادات الأخروية** ، وأن لا يكون فيه شيء من المراء والمباهاة والمفاخرة ، والوصول إلى جاه أو مال أو لمجرد التفوق على الاقران . **قال الامام الباقر** : « **من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس فليتبؤ مقعده من النار ، إن الرئاسة لا تصلح الا لأهلها** »(٢) . **وقال الامام الصادق** : « **طلبة العلم ثلاثة ، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ، صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل . فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار ، متعرض للمقال في أندية الرجال يتذاكر العلم ، وصفه الحلم ، وقد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع ، فدق الله خيشومه وقطع منه حيزومه . وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق ، يستطيل على مثله من أشباهه ، ويتواضع للاغنياء من دونه ، فهو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره . وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى ، وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه ، مستوحشا من أوثق اخوانه ، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانهُ** »(٣) .

٧ ـ **وينبغي لطالب العلم أن يحمل معه أدوات الكتابة** ، روى عباد البصري أنه جاء لأبي عبدالله (ع) ومعه أناس من أصحابه فسأله

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٣ .
(٢) محمد مهدي النراقي : **جامع السعادات** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤١ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ .

حديثا فأخبره به « فكتب القوم الحضور عنه ذلك الحديث »[1] . كما أن أصحـاب الامام الكـاظم كانـوا يحضرون مجلسـه ومعهم ألـواح أبنوس لطاف وأميال يثبتون فيها ما يسمعونه عن الامام[2] .

٨ ـ الا يـدع طالب العلم فنـا من العلـوم المحمـودة ، ولا نـوعـا من أنواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايتـه . قال الامام علي : « العلم كثير فخذوا من كل أحسنه » . وقـال الإمام موسى بن جعفر : « ... فلا تشغلن بعلم لا يضرك جهله ، ولا تغفلن عن علم ما يزيدك في جهلك تركه »[3] .

٩ ـ ومن آداب المتعلم متـابعة العـالم ، ومـلازمتـه في طلب العلم .. وأخـذ العهد من المتعلم أولا ، وعـدم معصيته للمعلم ، والصبـر على مـالم يحط علمه بـه من ذلك ، وعـدم المبادرة إلى إنكـار مـا يـراه من المعلم[4] .

هذه جملة من الصفـات التي أوردها الشيعـة ، والتي ينبغي لطالب العلم التحلي بها لكي ينجح في دراسته وحياته العلميـة ، فالشيعـة عرفـوا الحيـاة وما يحتـاجه الانســان ، ولذا عنـوا بناحيته الـروحيـة عنـايتهم بالناحية الجسمية ، فأعطوا الروح غذاءهـا من العلم والدين والفضيلـة ، كمـا أعطوا الجسم مـا يحتاج إليـه من غذاء صحي وحثـوا الطالب عـلى صيانة روحه وجسمه وعقله . لأن العلم فيه صلاح القلب .

« الحالة الإجتماعية للمعلمين

(أ) الحالة المالية :

لم أقف على أدلة تفيـد أن أئمة الشيعـة وشيوخهم الـذين تصدروا للتدريس كانوا يأخذون أجرا على التعليم . بل ذهب أكثـر فقهاء المسلمـين على عدم جواز أخذ الأجرة على العلوم الدينية ، لأنها من فروض الكفاية ،

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التـربية عنـد الامامية** ـ مرجـع سابق ـ ص ١٩٣ . نقـلا عن الكليني : **الكافي** ـ جـ ٧ ـ ص ١٨٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٩٣ .
(٣) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤ .
(٤) محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٠ ـ ٤١ .

وأن تعلمها وتعليمها لابد أن يكون الباعث فيه رضىٰ الله سبحانه . ويمكن أن يقال عن النظام التربوي الاسلامي عامة في هذه الناحية، فهو أكثر انطباقا على النظام التربوي عند الشيعة لأنهم نظرا للظروف السياسية السيئة التي عاشوا فيها خلال معظم فترات تاريخهم كانوا لا يجنون في الغالب ، مكاسب دنيوية عندما يقومون بتعليم علوم آل البيت (ع) وتعلمها . ولهذا كان الأئمة من أهل البيت يعلمون ـ كما يعتقد الشيعة ـ على سبيل التبليغ لرسالة أوكل إليهم النبي (ص) تبليغها بأمر من الله . ويترتب على ذلك أنه لا مجال للبحث عن أخذ الأئمة أجرة على التعليم ، ولم ترد أية إشارة في المصادر عن أخذ أحد الأئمة أجرة على تعليم علم من العلوم . أما حالة الأئمة المالية فيظهر أنها كانت جيدة ، لأنهم كانوا يمثلون السلطة الشرعية في نظر الشيعة ، ولهذا كانوا يستوفون الحقوق الشرعية من شيعتهم ، ويستوفون فضلا عن ذلك ، مبالغ من موارد مختلفة كالوقف والايصاء[1] .

أما شيوخ الشيعة فليس هناك دليل على أنهم كانوا يأخذون أجرة على تعليم العلوم الدينية . ويؤيد ذلك أن عددا كبيرا من شيوخ الشيعة قد امتهن مهنا مختلفة بالاضافة إلى اشتغالهم بالعلم والتعليم ، فكان **ميثم التمار** أحد تلامذة الامام علي يبيع التمر في الكوفة ، وكان الفقيه **علي بن الحسين الطاطري** يبيع ثيابا يقال لها الطاطرية ، وأن **نصر بن مزاحم** مؤلف كتاب صفين كان عطارا ، وكذلك **داود بن يزيد الكوفي**[2] . وكان **لأبي عبدالله الجلاب** دكان يبيع فيه ، وقد قتل على باب دكانه ، وهو من كبار علماء الشيعة[3] . ولهذا كان شيوخ الشيعة يسدون معظم نفقاتهم من المهن الحرة التي يمتهنونها ، وربما تلقى بعض الشيوخ من الأئمة أو من وكلائهم بعد نهاية عصرهم معونات مالية من الحقوق الشرعية التي كان يستوفيها الأئمة في حياتهم . كما أن الأئمة كانوا يساعدون بعض طلبة علوم آل البيت . وهذه تعد سنة واجبة الاتباع من قبل الوكلاء الذين تعد رعاية المشتغلين بتلك العلوم من أهم واجباتهم[4] .

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦١ ـ ١٦٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨.
(٤) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٥ .

وقد يعتمد علماء الشيعة وطلابهم ـ بعد عصر الأئمة ـ على الحقوق الشرعية أيضا التي يدفعها المسلمون إلى مراجع التقليد وعلى بعض الموقوفات الأهلية (١) وهؤلاء بدورهم يقومون بتوزيعها على طلبة العلم . فكان السيد المرتضى يجري على تلامذته رزقا ، فكان للشيخ أبي جعفر الطوسي كل شهر اثنا عشر دينارا ، وللقاضي بن البراج كل شهر ثمانية دنانير ، كما وقف قرية على كاغد الفقهاء (٢) بالاضافة الى ما يحتاجه الطالب من الأمور المادية (٣) . كما كان يجري على تلاميذه حقوقا تختلف حسب مكانة الطالب ومؤهلاته(٤) . يضاف إلى ذلك أن بعض المتمكنين اقتصاديا كانوا يقدمون مبالغ محترمة لتمويل التعليم عند الشيعة ، أمثال العياشي الذي أنفق أمواله على العلماء ، وكانت ثلاثمائة ألف دينار (٥)

ويبدو أن الحالة المالية كانت جيدة بالنسبة للعلماء وطلبة العلم ، فقد أهدى الوزير المهلبي لطلبة الشريف الرضي هدية على كره من الشريف ، فلم يمد أحد من طلبته يدا إلى شيء منها، لأنه كان مكفى المئونة غنى النفس (٦)

هذا وقد قام بعض الأمراء والوزراء بجعل الصلات والأرزاق إلى العلماء والفقهاء الذين مارسوا عملية التعليم . فقد أجرى سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب على أبي نصر الفارابي الفيلسوف أربعة دراهم كل يوم فاقتصر عليها (٧) كما كان يعطي عطاء لكل عمل ، فكان عيسى

---

(١) عبدالهادي الفضلي : **دليل النجف الاشرف** ـ مطبعة الآداب في النجف ـ بدون تاريخ ـ ص ٧٥ .

(٢) المجلسي : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٢٠ . وأيضا محمد أبو الفضل ابراهيم : **مقدمة أمالي المرتضى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨ .

(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(٤) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية** ـ لمحمد بن جمال الدين العاملي ـ النجف ـ ١٣٨٦ هـ ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٥) عبدالله فياض : **دور الكاظم والرضا في التربية والتعليم** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٩ .

(٦) انظر ترجمة الشريف الرضي من **كتاب حقائق التأويل للشريف الرضي** ـ قم ـ ايران ـ دار الكتب الاسلامية ـ بدون تاريخ ـ جـ ٥ ـ ص ٨٥ .

(٧) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٢١ .

الرقي يأخذ أربعة أرزاق ، رزقا بسبب الطب ورزقا بسبب ترجمة الكتب ورزقين بسبب علمين آخرين [١]

أما البويهيون ، فكانوا يقدمون الهبات السخية للمشتغلين بعلوم آل البيت . فكانوا يكرمون العلماء والأدباء ، ويغدقون عليهم . فكان عضد الدولة يدر الأموال على الأئمة والعلماء والقراء ، كما أجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاه وغيرهم من أهل العلم[٢]

وفي العهد الفاطمي كان العلماء ، وطلبة العلم في حالة مالية جيدة ، حيث أجرى الفاطميون الجرايات ، ورتبوا الأرزاق للأساتذة ، كما أوقفوا عليهم الأوقاف[٣] . فقد سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق وأمر لهم بشراء دار وبنائها [٤] . كما جعل الحاكم رواتب للفقهاء وغيرهم من أهل العلم [٥] . وجعل ابن كلس للعلماء والقراء أرزاقا وعين لهم الرواتب [٦] .

أما من حيث سكنى أئمة الشيعة وشيوخهم ، فيبدو أنهم كانوا يتمتعون بمنازل خاصة بهم . فكان للامام علي بن الحسين منزل يزدحم فيه طلاب العلم والعلماء [٧] كما كان للامام محمد الباقر أيضا دار يجتمع فيها رواد المعرفة [٨] بالاضافة إلى دار الامام الصادق . ويحكى

---

(١) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٠ ، ١٠١ . وأيضاً أحمد الحوفي : **أبو حيان التوحيدي** ـ ط ٢ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) سعد مرسي أحمد : **تطور الفكر التربوي** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٥ ـ ص ٢١٠ .

(٤) **خطط المقريزي** : مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٥٧ .

(٥) المصدر السابق : ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ . وأيضا حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ .

(٧) محمد باقر الصدر : **علي بن الحسين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٦ .

(٨) أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ .

لنا المفضل الجعفي أحد تلامذته عن هذه الدار ، أن الإمام الصادق كان يلقى دروسه على تلامذته وشيعته في داره[١٩٦] . وهكذا كان يتمتع أئمة الشيعة بمنازل خاصة بهم ، فالامام علي الهادي حينما هجم عليه الترك ليحضروه الى المتوكل ، وجدوه في بيت مغلق وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن [٢]

وكان لشيوخ الشيعة منازل خاصة بهم يسكنون فيها ، وذلك لما يتمتع به هؤلاء الشيوخ من مكانة كبيرة عند الشيعة . فكان منزل الشيخ المفيد ندوة عامرة بالدرس والتدريس[٣] . وكان السيد المرتضى فيه نعمة سابغة وخير كثير وثروة واسعة ، وقد تمكن بفضل هذه الثروة أن يعيش في داره مكفول الرزق منصرفا الى العلم والتعليم[٤] . كما أن للشيخ الطوسي داراً خاصةبه يقوم فيها بتدريس تلاميذه ، كما يوجد فيها كرسي يجلس عليه للتدريس[٥] . بالاضافة إلى دار محمد بن مسعود العياشي التي كانت مملوءة بالناس مابين عالم ومتعلم[٦] . إلى غير ذلك من المنازل التي كان يسكنها أئمة الشيعة وشيوخهم ، وهذا يدل على ما يتمتع به هؤلاء الأئمة من مكانة اجتماعية مرموقة عند شيعتهم .

أما طلبة العلم ، فكانت لهم مدارس خاصة يسكنون فيها ، وتجري عليهم الجرايات ، قد أنشأها لهم مراجع التقليد عند الشيعة . فقد أنشأ الشريف المرتضى مثلا دارا للعلم جعلها مكانا يسكن فيها الطلبة ، وقد وفر لهم فيها كل ما يحتاجون اليه [٧] كما كانت دار الحكمة التي أنشأها الحاكم مكانا لسكنى طلاب العلم [٨]

---

(١) أمالي الصادق : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٨ .

(٢) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٥ ـ جـ ٥ ـ ص ٢٨٧ .

(٣) مقدمة : **بحار الأنوار** للمجلسي : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٧١ .

(٤) محمد أبو الفضل ابراهيم ، **مقدمة كتاب أمالي المرتضى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٨ .

(٥) الاصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٩ . وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ .

(٦) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧ .

(٧) باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣١ . وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ .

(٨) **خطط المقريزي** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢١٨ .

هذا وقد استمر مراجع التقليد عند الشيعة ، وبعض الموسرين ، من عهد الشيخ الطوسي حتى الوقت الحاضر ، في انشاء المدارس الخاصة لسكنى طلبة العلم الوافدين من أماكن بعيدة ، مثل المدارس الموجودة في مراكز العلم عند الشيعة . كالنجف الأشرف ، وكربلاء في العراق ومدينتي قم وخراسان في ايران وما زالت هذه المدارس عامرة بالطلاب ، وهي أماكن خاصة لسكناهم .

(ب) لباس المعلمين :

قد وردت اشارات متفرقة عن لباس الأئمة وشيوخ الشيعة ، ربما أعانت على التعرف على لباس المعلمين ، ولكن يصعب علينا استنتاج قاعدة عامة منها ، وذلك نتيجة التطورات الاجتماعية التي صاحبت التشيع منذ نشأتهم حتى وقت متأخر من حياتهم ، ولهذا اختلف لباس العلماء من عصر إلى آخر . فهناك اشارات تدل على أن الشيعة اتخذوا البياض شعارا لهم في الفترة المبكرة من حياتهم ، واعتبروا ذلك سنة ، لأن النبي (ص) قال : « **البسوا البياض فانه أطيب وأطهر** » . وعندما التقى الامام الصادق مع المنصور في « الهاشمية » لبس ثيابا بيضاء ، فلما دخل عليه **قال له المنصور** : « **لقد تشبهت بالأنبياء ، فقال الصادق : وأنّى يبعدني عن أبناء الأنبياء**[1] .

أما اللون الأخضر الذي يتميز به العلويون فلم يكن شعارا لهم إلا في أواخر القرن الثامن الهجري[2] . ومع ذلك فقد وردت اشارات تدل على أن الأئمة لبسوا الطيلسان والدراعة ، فقد روى الكليني أن سلمان بن راشد روى عن أبيه قال : « رأيت علي بن الحسين (ع) وعليه دراعة سوداء وطيلسان أزرق »[3] ولبس الامام الصادق ملحفة وردية . دخل أحد تلامذته عليه ، فوجده في بيت منجد وعليه ملحفة وردية .. وكان الامام الصادق يلبس جبة[4] .

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٨ .
(٢) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ .
(٣) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ٤٤٩ .
(٤) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

ومـع هذه الاشـارات ، لايمكن أن يكون ذلـك قاعـدة عـامـة يمكن الـركون إليهـا ، وذلك لأن الأئمـة من آل البيت عـرف عنهم العـزوف عن مباهج الدنيا ، ومع ذلك ، فإنهم كانوا يراعون تطورات الزمن في لباسهم . فذات مرة سأل أحدهم الامـام الصادق فقـال : « **ذكرت أن عـلي بن أبي طالب كان يلبس الخشن ، فقـال له إن عـلي بن أبي طالب كـان يلبس ذلك في زمان لا ينكر ولو لبس ذلك اليوم شهر به ، فخير لباس كل زمان لبـاس أهله** »[1] . وذات مـرة هجم الترك عـلى دار الامـام عـلى الهـادي فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة شعر[2] .

وقد وردت اشارات الى أن شيوخ الشيعة كـانوا يلبسـون القميص والرداء . قال المفضل بن شاذان ، كنت مع أبي رحمه الله « إذ جـاء شيخ حلو الوجه حسن الشمائل عليه قميص نرسى ورداء نرسى .. قلت من هـذا الشيخ ، فقال هـذا الحسن بن علي بن فضـال .. »[3] ولما عـزم الصاحب ابن عباد على املاء الحديث وهو وزير « خرج يومـا متطلسا متحنكـاً بزي أهـل العلم .. ثم خـرج وقعـد لـلامـلاء وحضر الخلق الكثـير »[4] وهـذا الاختلاف في لباس أهل العلم يجعلنا لا نطمئن بوجود لباس موحد لهم .

أما الفاطميون ، فقد أوجدوا خزانة الكسـوة التي كان يخـرج منها أكسية لجميع الأمراء وكبار الدولة ، وقـد تنوعت هـذه الأكسيات بتنـوع طبقات الناس ، وكانت كسوة رجال التعليم مذهبـة ، تتكون من ست قطـع أهمها القلنسوة والطيلسـان ، وأصبحت الخضرة شعار الفـاطميين ، ومن هنا لبس رجال العلم في هذا العهد عمامة خضراء[5]

ومما تقدم يمكن لنا أن نستنتج أن القلنسوة والطيلسان كان شعارا عند أكثر العلمـاء من الشيعة ، أمـا بقية لبـاسهم فكان يختلف من مكـان

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦٩ .

(٢) ابن خلكان : **وفيات الأعيـان** ـ مرجـع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٥ ، جـ ٥ ـ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٣) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٠ .

(٤) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ـ ص ٣٢١ .

(٥) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٧ .

لآخـر ، ومن عصر الى عصر ، حتى استقر أخـيرا عـلى العمـامـة والجبـة والعباءة . فالذي ينتسب الى أهل البيت يكون شعارهم العمامة السوداء ، أما الذين لا ينتسبون الى أهل البيت ، فيكون شعارهم العمامة البيضـاء ، وهذا ما عليه العلماء حتى الوقت الحاضر .

الفصل الخامس
أهم المراكز العلمية عند الشيعة

ويشمل :

المقدمة :

أولا ـ المدينة المنورة :

ـ الحركة العلمية عند الشيعة في المدينة بعد عهد الامام علي .
مدرسة المدينة ودور الامام الباقر والصادق في تأسيسها .
ـ نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت في المدينة .
المحتوى الفكري لمدرسة أهل البيت .

ثانيا ـ العراق :

١ ـ الكوفة .
٢ ـ بغداد .
الشيخ الطوسي ومدرسة النجف .
ـ الدراسة في مدرسة النجف .
ـ جماعة اخوان الصفاء الشيعية .

ثالثا ـ بنو حمدان في حلب والموصل .ـ

رابعا ـ قم والري في ايران .

خامسا ـ الادارسة في المغرب والاندلس .

سادسا ـ الدولة الفاطمية في مصر .

مقدمة :

إن الـدراسـة العلميـة كظـاهـرة لا يمكن فصلهـا عن الحيـاة الاجتمـاعيـة والمحيط والعـوامـل المحيطيـة ، ولا يمكن عـزل العلـوم عن المؤثرات التي تتدخـل في تكوين التـاريخ البشري . وإنمـا يجب ربط هذه الظاهرة بغيرها من الظـواهر والعـوامل المحيطيـة والزمنيـة ليتاح لنـا أن نتعـرف على العـوامل التي أدت إلى انتشـار التشيـع ، واذاعـة العقيـدة الشيعية في المجال التعليمي .

والعوامل التي يجب أن تلحظ في تطوير المراكز العلمية عند الشيعـة لنشر مـذهبهم والتي تتدخـل في تكوين الـدراسة العلميـة والبحث العلمي ثلاثة :

١ ـ **الزمان** : ولا يقصد بالزمان عادة ، مرور الدقائق والسـاعات ، فـذاك شيء لا يهم الباحث ، وإنما يقصد به العمل الذي أنجـز الى حد زمني معين .

٢ ـ **المحيط** : ولا شك في تأثر البحوث والدراسات بـ « المراكز الثقـافية » التي كان ينتقل إليها ، فكل واحد من المراكز العلمية التي ينقـل فيها ويحول إليها «العلوم الشيعية» كان له طابع الثقـافة الخـاص ، وكان له تأثير بالغ في تكوين الدراسات العلمية وتطويرها . فحينمـا انتقلت الدراسة العلمية الشيعية من المدينة الى الكوفة أصبحت الكوفة مركز الاشعاع في البحث العلمي الشيعي ، فتأثر البحث العلمي كثيرا بهذا المحيط الجـديد المـزدحم بعلماء الشيعـة ـ كما تـأثر حينمـا وجـدت المدارس الشيعية في البصرة ثم بغداد وايران والنجف وغيرها ، وكون هذا الاطار الحضاري والفكري الجديد الـذي كانت تـزدحم جوانبـه بمختلف المـدارس الثقافيـة والعلماء والفقهـاء ، من مختلف المذاهب الاسلامية .

٣ ـ **شخصية العلماء** : وهذا عامل ثالث في تطوير العلوم ومراكزها عند الشيعة لا نستطيع أن نغضي عنه ، فلمؤهلات العالم أو الفقيه أو الامام عند الشيعة الفكرية وبعد نظره وعمق تفكيره وطموحه الفكري للتجديد أثر كبير في تطوير العلوم الانسانية والاسلامية ، فما جدده العلماء الشيعة مثلا في مختلف العلوم لا يرتبط كليا بتأثير المحيط والعصر ، وإنما كان يرتبط أيضا بمؤهلات علماء الشيعة الشخصية وقابليتهم ونبوغهم(١).

وعلى ضوء هذه العوامل الثلاثة يحاول الباحث القيام بدراسة لأهم المراكز العلمية عند الشيعة والكشف عن مدى تأثير العقيدة الشيعية في تطويرها .

أولا ـ المدينة المنورة :

تعتبر المدينة المنورة المنطلق الأول للرسالة الاسلامية ، فلا غرو اذا كانت المدرسة الأولى للاشعاع العلمي عند أئمة الشيعة . ولهذا كانت المدينة المنورة الوطن الأول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم . فكان من فقهاء الصحابة بعد الامام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، الذين تولى رسول الله (ص) تربيتهم وتعليمهم ، ابن عباس حبر الأمة وفقيهها ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري وأبو رافع ابراهيم مولى رسول الله . بالاضافة إلى وجود جمع كثير من التابعين من شيعة علي إبن أبي طالب حفظوا السنة النبوية وتداولوها فيما بينهم ونقلوها الى الأجيال التي تليهم بأمانة وصدق حتى **قال : الذهبي في ميزان الاعتدال** : « **فهذا ـ أي التشيع ـ كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلورد حديث هؤلاء ـ أي الشيعة ـ لذهبت جملة الآثار النبوية وهذه مفسدة** »(٢) .

---

(١) انظر محمد مهدي الاصفي في تقديمه **لكتاب اللمعة الدمشقية** لمحمد بن جمال الدين العاملي ـ مرجع سابق . وأيضا الفصل السابع من هذا البحث .

(٢) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤ . وأيضا محمد مهدي الاصفي : **مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ .

وليس غريبا من الامام على أن يتجه إلى العلم والمعرفة بكل ألـوانها وأشكالها ، ويكون الرائد الأول بعد النبي (ص) في الدراسات الاسلامية ، وهو الذي غذاه الرسول (ص) فنون العلم والحكمة : حتى قال فيه (ص) : « **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب** »[١] . فـلا غرو اذن أن يتجه إليه الكل ليأخذوا العلم والعرفان من باب مدينة العلم . **ولهذا كان الامام علي يقول للمسلمين : سلوني فوالله لا تسـألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به ، سلوني عن كتاب الله فوالله مـا من آية الا أنـا أعلم أبليل نـزلت أم بنهار ام في سهـل نـزلت أم في جبل** .. »[٢] قال سعيد بن المسيب « **لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) يقولها الا علي بن أبي طالب (ع)** »[٣] .

وقد حلق الإمام علي في العلم حتى تناول ما في الكون من عجائب خلق الله بحثـا وتعليما وتـدريسـا ، ولهـذا كـان يقـول : « **سلوني عن طرق السموات فإني أعرف بها من طرق الأرضين ، ولو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا** »[٤] . فكان عليه السلام وعاء مليء علما ، ولهذا كان يقول لتلميذه كميل : « **... ها ، إن ههنا لعلما جما (وأشار إلـى صـدره ، لو أصبت له حمله** ... »[٥] . وفي ذلك **يقول ابن عباس** : « **قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلي منها أربعة ، ولسائر الناس جزء شاركهم عليه فيه فكان أعلمهم به** ... »[٦] . هذه المؤهلات جعلته يؤم مدرسة المـدينة

---

(١) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٤٨ . وأيضا السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٠ . وأيضا المحب الطبري : **الرياض النضرة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) المتقي الهندي : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٧ . وأيضا المحب الطبري : **الريـاض النضرة** ـ مـرجع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٨ . وايضـا ابن حجـر الهيتمي : **الصواعق المحرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٧ ، ١٢٨ . والقندوزي : **ينابيـع المودة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦٨ . وأيضا السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٨٥ ـ وكذلك سبط بن الجوزي : **تذكرة الخواص** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧ . وأيضا العسقلاني : **الاصابة** ـ مرجع سابق ! جـ ٤ ـ ص ٥٦٨ . وأيضا القاضي النعمـان بن محمد : **اختلاف أصول المذاهب** ـ تحقيق مصـطفى غالب ـ بيـروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٧٣ ـ ص ٣٢ .

(٣) سبط بن الجوزي : **تذكرة الخواص** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٧ .

(٥) محمد عبده : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٦ .

(٦) ابن الأثير : **الكامل في التاريخ ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٠** .

الكبرى مدة أربع وعشرين سنة ، وهي مدة خلافة الخلفاء الثلاثة ، وقد أبعد في حينه هو وجميع بني هاشم عن مباشرة المسئولية السياسية ، ولكن مدرسته التوجيهية والتربوية بقيت قائمة لتضم آلافا من النـاس مسلمين وحتى غير مسلمين . هذه السنوات اذا أضيفت إلى سنوات خلافته الفعلية ألفت لدينا منهاجا ضخما ، ودستوراً دقيقاً لكل الأمور التربوية . فكان يقف على الناس خطيبا في أغلب الأحيان ليوجههم في أمور حياتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وروابطهم الروحية ، ولهذا يحق لنا أن نتخذه معلما في التربية الخلقية والروحية والاجتماعية ، وحين كان يوجه ارشاداته للناس على اختلاف مللهم ونحلهم ثم يأمر ولاته أن يأخذوا جانب الإنصاف والعدل مع الناس دون تفريق وتمييز ، إنمـا كان يمثل لنا شعارا حيا من شعارات التربية الانسانية الوطنية[1] .

« وساعة كان يختلي في ضيعة له ليزرعهـا ويحصدهـا ليعيش على محصولها دون أن يكون إتكاليا أو كسولا ، إنما كان يـرسم لنا مخـططا شاملا للتربية المهنية وساعة كان يختلي بأولاده وعياله ليلقنهم ارشاداته وأحكامه أراد لنا أن يكون مثالا في تربية عياله . ويوم برز للناس يعلمهم ويبصرهم بشئون نفوسهم وحقائق خلقتهم إنما كان يوضح طبيعة الإنسان القادرة على التغيير والتبدل والتكيف »[2] .

يقول عمر أبو النصر : « كان علي بن أبي طالب يصرف جهوده في المدينة ، لتوجيه نشاط العنصر الناشىء إلى الناحية العلمية ، فشرع مع ابن عمه عبدالله بن العباس ، في القاء محاضرات أسبوعية في المسجد الجامع ، في الفلسفة والمنطق ، والحديث والبلاغة والفقه ، بينما تفرغ غيـرهما إلى إلقاء محاضرات في شئون أخرى . وهكذا تألفت نواة الحركة العلمية ، التي ترعرعت وزهت بعد حين في (بغداد) عاصمة العباسيين »[3] . ولهذا « كان علي في أيام عزلته منقطعا لدراسة تعاليم الدين في ضوء العقل ، ويقول أحد المؤرخين الفرنسيين « لولا اغتيال علي ، لكان من المحتمل أن يشهد العالم

---

(١) علي محمد الحسين الأديب : **منهج التربية عند الإمام علي** ـ المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) عبدالغني عبود : **في التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠١ .

الإسلامي تحقيق التعاليم النبوية ، وذلك بالتوفيق بين العقل والشرع ووضع المبادىء الأولى للفلسفة الحقة موضع التنفيذ »[1] .

يقول أبو زهرة : « ثم أن هناك علي بن أبي طالب الذي مكث نحوا من ثلاثين سنة بعد أن قبض الله تعالى رسوله إليه يفتي ويرشد ، ويوجه ، وقد كان غواصا طالبا للحقائق ، وقد أقام في الكوفة نحو خمس سنوات ، ولابد أنه ترك فيها فتاو وأقضية ، وكان فيها المنفرد بالتوجيه والإرشاد ، وأنه قد عرف بغزارة في العلم كرم الله وجهه وعمق وانصراف إلى الإفتاء في مدة الخلفاء قبله ، والمشاركة في كل الأمور العميقة التي تحتاج إلى فحص وتقليب للأمور من كل وجوهها ، مع تمحيص وقوة استنباط »[2] . وفي ذلك يقول العسقلاني : « ... ولم يزل بعد النبي (ص) متصديا لنصر العلم والفتيا »[3] .

وقد نفذت تعاليم الإمام علي وارشاداته في نفوس جميع المسلمين ، فكان الملجأ وقت الشدة والحيرة ، فيما إذا عجزت العقول الإنسانية المحيطة به ، فيتداركها بعقلية الإمام الخبير حتى قال فيه **عمر بن الخطاب** : « **عجزت النساء أن يلدن عليا ، ولولا علي لهلك عمر . وقال : اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها علي حيا** .... »[4] . **وهكذا كان الإمام علي مؤسس مدرسة المدينة والمعلم الأول بعد النبي (ص) ، وواضع أسس العملية التربوية في الإسلام بعد رسوله الكريم** ، وسار من بعده أبناؤه وشيعته في تغذية هذه المدرسة ونشر العلوم الإنسانية والدفاع عن العقيدة الإسلامية .

الإمام علي وجمع القرآن :

إن نظرة الإمام علي الفكرية الشاملة في قضايا الشريعة وحكومة العقل ، لم تدع مجالا من مجالات الحياة إلا وكان له القدم الراسخ في

(١) السيد أمير علي : **روح الإسلام** - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
(٢) أبو زهرة : **الإمام الصادق** - مرجع سابق - ص ١٦١ .
(٣) العسقلاني : **الاصابة** - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٥٦٦ .
(٤) القندوزي : **ينابيع المودة** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧٤ . وأيضا ابن حجر الهيتمي : **الصواعق المحرقة** - مرجع سابق - ص ١٢٦ - ١٢٧ . والسيوطي : **تاريخ الخلفاء** - مرجع سابق - ص ١٧٠ - ١٧١ . والمحب الطبري : **الرياض النضرة** - مرجع سابق - جـ ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤ . والعسقلاني : **الاصابة** - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٥٦٨ .

تأصيله والكشف عن خباياه . ومن هذا المنطلق سارع إلى جمع القرآن بعد أن انتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى ، ليحفظ هذا التراث الإسلامي من التغيير والتبديل على حسب ما أنزله الله . **يقول السيوطي** : « **وعلي ـ رضي الله عنه ـ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد العلماء الربانيين ... وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي عليه الصلاة والسلام** ... »[1] . وعن أبي داود عن محمد بن سيرين قال : « **لما توفي النبي (ص) أبطأ علي عن بيعة أبي بكر ، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت امارتي ؟ فقال** : **لا ، ولكن اليت أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه على تنزيله ، فقال محمد : لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه العلم** »[2] . والمراد من قوله كان فيه العلم ، أي أن الإمام قد فسر القرآن مع جمعه حسب ما جاء عن النبي (ص) من حيث التنزيل والمعنى ـ وهذا مصداق ما أخرجه ابن سعدون وغيره عن أبي الطفيل قال : **قال علي** : **سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، وفي سهل أم في جبل** » . وقوله : « **والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلبا عقولا ، ولسانا صادقاً ناطقاً** »[3] .

يقول ابن أبي الحديد : « **وأما قراءته القرآن والاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب ، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه ، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر .. تشاغل بجمع القرآن ، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن** ... »[4] .

---

(١) السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٦ . وأيضا المتقي الهندي : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٧٣ . وابن حجر الهيتمي : **الصواعق المحرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٨

(٢) السيوطي : المصدر السابق : ص ١٨٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٨٥ . وأيضا المتقي الهندي : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٧ . وأيضا المحب الطبري : **الرياض النضرة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٨ .

(٤) ابن أبي الحديد : **شرح النهج** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٩ . وأيضا القندوزي : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٩ . وأيضا أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري : **أنساب الأشراف** ـ تحقيق د . محمد حميد الله ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٩ ـ جـ ١ ـ ص ٥٨٦ ـ ٥٨٧ . وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ـ بدون تاريخ ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

يقول أبو رية في موضوع كتابة القرآن الكريم ، وعما جاء في هذا الأمر الخطير الذي تشعبت فيه الرواية . « ومن شاء أن يقف على كل ما قيل في هذا الأمر فليرجع إلى كتاب « الاتقان » للسيوطي ، وكتاب « البيان » للجزائري ، والجزء الأول من « البيان في تفسير القرآن » للعلامة المحقق الكبير السيد أبو القاسم الخوئي ، وهذا الكتاب وحده كاف في بيان هذا الأمر ، لأن مؤلفه الجليل قد درسه درسا وافيا ، وفصل فيه القول تفصيلا بحيث لا تجد مثله في كتاب آخر حتى ليجب على كل مسلم أن يقرأه ليستفيد منه علما ومعرفة . ثم يستطرد في القول : من أغرب الأمور ، ومما يدعو إلى الحيرة أنهم لم يذكروا اسم علي (رض) فيمن عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته ، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان ، ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة في العلم والفقه ، فهل كان عليّ لا يحسن شيئاً من هذا الأمر ؟ أو كان من غير الموثوق بهم ؟ أو ممن لا يصح إستشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر ؟. اللهم إن العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون علي أول من يعهد إليه بهذا الأمر ، وأعظم من يشارك فيه وذلك بما أتيح له من صفات ومزايا لم تتهيأ لغيره من بين الصحابة جميعا ... فإذا لم يدع إلى هذا الأمر الخطير فإلى أي شيء يدعى ؟ واذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوغوا بها تخطيهم إياه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها ، فبأي شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن ، فبماذا نعلل ذلك ؟ وبماذا يحكم القاضي العادل فيه ؟ حقا إن الأمر لعجيب ... »[١] . ولهذا يقول جرجي زيدان : « ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف علي »[٢] . وفي ذلك يقول دونلدسن : « وتؤكد بعض الروايات أنه كان عند علي نسخة من القرآن جمعها بنفسه وعلق عليها بعض الحواشي حسب ما كلم الرسول (ص) به .. »[٣] .

---

(١) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٢) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٦ .
(٣) دوايت م. دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ تعريب ع.م ـ مصر ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٤٦ ـ ص ٦٣ .

« الحركة العلمية عند الشيعة في المدينة بعد عهد الإمام علي » :

إن أول ما يواجهنا من شيعة علي الذين قاموا بدور كبير في الحياة الدينية والفكرية عبدالله بن عباس . « .. فقد كان واسع الاطلاع في نواح مختلفة ، يعرف الشعر والأنساب وأيام العرب ، ويجتهد في تعرف ما عند الصحابة من حديث وعلم »(١) . كما كان من أخص تلاميذ الإمام علي ، وفي ذلك يقول : « إنه ما انتفع بكلام بعد كلام رسول الله (ص) كما إنتفع بكلام علي بن أبي طالب ... »(٢) .

استمر عبدالله بن عباس في حياة الإمام علي وبعد وفاته في تشجيع الحركة العلمية ، فكان هو بنفسه مع أبناء علي وشيعتهم يقودون الحركة العلمية ، حتى بلغت الذروة في عهد الإمام الصادق ، حيث فتح هو وأبوه الإمام محمد الباقر مدرسة المدينة الكبرى . ولهذا فقد اشتهر عدد قليل من الصحابة بالقول في تفسير القرآن ، وأكثر من روى عنه منهم علي بن ابي طالب ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود ، وأبي بن كعب . يقول أحمد أمين : : « ولنقصر قولنا على الأربعة الأولين لأنهم أكثر من غذى التفسير في مدارس الامصار المختلفة والصفات العامة التي مكنت هؤلاء الأربعة الأولين من التبحر في التفسير قولهم في اللغة العربية وإحاطتهم بمناحيها وأساليبها . ومخالطتهم للنبي (ص) مخالطة مكنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن »(٣) . ولهذا قام ابن عباس بعملية التعليم في المدينة ومكة . بما أوتي من علم في التفسير والحديث والفقه والأدب وحساب الفرائض وأسباب النزول ، والمغازي ، كما كان على علم ببعض الكتب الأخرى كالتوراة والأنجيل . وكان أكثر حياته حياة علمية يتعلم ويعلم ، وإلى عبدالله بن عباس وأصحابه يرجع الفضل كذلك لما لمدرسة مكة من شهرة علمية(٤) .

وقد ترأس مدرسة المدينة بعد ذلك **الإمام علي بن الحسين ومحمد بن**

---

(١) أحمد امين : **فجر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ .

(٢) محمد ابو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٣ . .

(٣) أحمد امين : **فجر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

الحنفية ، يقول أبو زهرة : « .. إن عليا (رض) قد استشهد وقد ترك وراءه من ذريته أبراراً أطهارا كانوا أئمة علم الإسلام ، وكانوا ممن يقتدىٰ بهم .. وترك رواد الفكر محمد بن الحنفية ، فأودعهم (رض) ذلك العلم »[1] . وقد « أدت نكبة كربلاء كما أدى نهب المدينة إلى انقطاع حلقة الدروس التي كان يلقيها أئمة أهل البيت ، ثم عادت الحياة إلى هذه الحلقة بظهور جعفر الصادق الذي كان ميالا إلى حرية الرأي والفكر كما كان عالما .. وحكيما وملما فيما يظهر ببعض اللغات الأجنبية ... »[2] .

فعلي بن الحسين يعتبر المؤسس الثاني للمدرسة الإسلامية الشيعية ، حيث أن جده علي بن أبي طالب هو المؤسس الأول ، ولهذا « كان عميد آل البيت بعد استشهاد الإمام الحسين ... وقد اختار علي زين العابدين أن يعلم الناس وأن يفقههم بأمور دينهم ، وأخذ أولاده بالنظر في علوم الدين ، وأعدهم ليكونوا من بعده أئمة صالحين »[3] .

وقد التزم الإمام علي بن الحسين بأسلوب بليغ في توعية الناس وارشادهم ، ذلك هو الدعاء ، حيث كان السلاح الوحيد الذي يملكه في نشر العلم والعرفان وبث الدعوة الإسلامية ، والتغلغل في صفوف الناس وتوجيههم الوجهة الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ، مما جعله يكسب أهمية بالغة من هذه النواحي[4] . حتى ألف رسالة الحقوق وهي من الأعمال الفكرية السامية في الإسلام تحتوي على توجيهات وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص من أدق ما يعرفه الفكر الإنساني[5] .. يقول السيد محمد باقر الصدر : « وكما اتخذ جده من المسجد ومن بيته مكانا يلتف حوله فيه طلاب العلم الوافدون من كل مكان ، وكما كانت مجالس جده درسا في شتى المعارف

---

(١) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٣ .
(٢) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٠ .
(٣) عبدالرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .
(٤) نافع الخفاجي : **في رحاب الإمام زين العابدين** ـ بغداد ـ دار الأنوار ـ ١٩٧٨ ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ .
(٥) محمد باقر الصدر : **علي بن الحسين زين العابدين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

الإسلامية ، فكان بذلك المؤسس الأول للدراسات الإسلامية كذلك كان حفيده زين العابدين علي بن الحسين ، فمنذ سنة ٦١ إلى سنة ٩٥ ، أي طيلة خمس وثلاثين سنة كان منزله وكان المسجد مدرسته يزدحم فيها الطلاب عليه ، فبينما كانت الدولة مشغولة باستبدادها واستنزاف دماء الشعب وسلب أمواله واضطهاد أحراره ، كان علي بن الحسين مشغولا بنشر العلم وبعث الثقافة وإنارة الأفكار ، وتهذيب الأخلاق فكثر تلاميذه والأخذون عنه في أنواع العلم ، وأصبح أولئك التلاميذ وتلاميذهم بناة الحضارة الإسلامية ورجال الفكر الإسلامي والتشريع الإسلامي والأدب الإسلامي »[١] .

« **فعلي زين العابدين كان إمام المدينة** »[٢] . وقد كان للمسلمين عموما تعلق عاطفي شديد بهذا الإمام وولاء روحي عميق له ، وكانت قواعده الشعبية ممتدة في كل مكان من العالم الإسلامي ، وقد قدر للإمام زين العابدين أن يستلم مسئولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه ، فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وكان الخطر يحيط بالأمة الإسلامية نتيجة الفتوحات وما نجم عنها من انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة ، وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجا ، وكان لابد من عمل على الصعيد العلمي يؤكد في المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنة ، وكان لابد من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الاطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير والممارس الذكي الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده في كل ما يستجد له من حالات ، كان لابد اذن من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد[٣] . وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، فقد بدأ حلقة من البحث والدرس ، يحدث الناس بفنون المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه ، ويفيض عليهم من علوم آبائه ، ويمرن النابهين منهم على التفقه والاستنباط ، وقد

---

(١) المصدر السابق : ص ٦٦ .

(٢) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ .

(٣) محمد باقر الصدر : **الصحيفة السجادية** ـ دار التبليغ الإسلامية ـ بدون تاريخ ـ ص ١١ ـ ١٢ .

تخرج من مدرسته عدد مهم من فقهاء المسلمين ، وكانت هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه والأساس لحركته الناشطة . وقد استقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القراء وحملة الكتاب والسنة حتى **قال سعيد بن المسيب : « إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين فخرج وخرجنا معه ألف راكب »**[1] وفي ذلك يقول ابن شهاب الزهري الذي تتلمذ لزين العابدين « **ما رأيت أفقه من علي بن الحسين (رض) وكان ابن شهاب لمحبته وكثرة استفادته من مجالسه يكثر الجلوس إليه ، وكان يقول : « كانت أكثر مجالستي لعلي بن الحسين »**[2] .

يقول الدكتور أحمد صبحي : « .. ولكن زين العابدين قد أقدم على ما زعزع التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الذي أراد له الأمويون أن يقوم على العصبية وذلك لأنه زوج جارية سندية أرضعته وكفلته وأصبحت في مكانة أمه المتوفاة ، زوجها من مولاه واعتق جارية له وتزوجها ، وليس هذه الحادثة من إمام عملا شخصيا ، وليس أدل على خطورتها من أن عبدالملك بن مروان إنزعج لذلك وأرسل إليه يعيره ، كان رده عليه : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لقد اعتق رسول الله جاريته صفية وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش »[3] . « وهذا هو علي بن الحسين ورث إمامته من إنتسابه إلى فاطمة الزهراء ، ورسم للشيعة طريق الإمامة الروحية »[4] .

وهكذا كانت العملية التربوية والتعليمية تتجسد في كيان الأئمة ، وهكذا تتحول من الناحية النظرية إلى سلوك عملي ، لتتضح أمام شيعتهم ومريديهم، حتى يكونوا القدوة في السلوك العملي ، حفاظا على روح العقيدة الإسلامية .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢ ـ ١٣ . وايضا عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٠ .

(٢) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٧ . وايضا سبط بن الجوزي : **تذكرة الخواص** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣١ .

(٣) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٥٧ .

« مدرسة المدينة ودور الإمام الباقر والصادق في تأسيسها » :

تأسست مدرسة أهل البيت في عهد الإمام محمد الباقر في وقت كانت الدولة الأموية تحيط بها الأخطار من جميع جهاتها ، **واتسعت لأكثر من أربعة آلاف طالب** . يقول الدكتور صبحي الصالح : « **وبلغ عدد الرواة الثقات من أصحابه ـ أي الصادق ـ أربعة آلاف رجل . ولسنا نستغرب هذا ، بل قد كان ممكنا أن نستغرب عكسه لو وقع ونقل ، لأن النزاع حول الإمامة والعصمة كان قد بلغ في عصر الصادق أشده ... وأهل البيت .. أعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه ، فلا عجب إذا اتجهوا إلى التعليم والمناظرة والتدريس** .. »[1] .

فعلي زين العابدين كان إمام المدينة ، وكان ابنه محمد الباقر وريثه في إمامة العلم ، ولهذا كان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي ، وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ منه ، كما أن أئمة الفقه كانوا يقصدونه **كسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، وأبي حنيفة شيخ فقهاء العراق** ، وكان يرشد كل من يجيء إليه ، ويحاسبهم على ما يبدر منهم ليحملهم على الجادة وهم يقبلون منه طائعين ، ولهذا ثبتت إمامته للعلماء ، يأخذون منه ويتعلمون مختلف العلوم والفنون الإسلامية في مدرسته[2] . « نطق بالحكمة الرائعة ورويت عنه عبارات في الأخلاق الشخصية والاجتماعية ، ما لو نظم في سلك لتكون منه مذهب خلقي سام يعلو بمن يأخذ به إلى مدارج السمو الإنساني »[3] .

يقول ابن حجر : « ... **أبو جعفر محمد الباقر ـ سمي بذلك : من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها : فلذلك هو أشهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ... ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه . صفا قلبه وزكا علمه وعمله** »[4] . ولهذا شمر عن ساعدي الجد لاستكمال ما بدأه أبوه علي بن الحسين في عمله التغييري من خلال تبنيه السياسة التعليمية ومارس

---

(١) صبحي الصالح : **معالم الشريعة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠ ـ ٥١ .
(٢) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ ـ ٦٨٩ .
(٣) المصدر السابق : ص ٦٩٠ .
(٤) ابن حجر الهيتمي : **الصواعق المحرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠١ .

نشاطا تثقيفيا على أعلى المستويات من أجل دفع الحركة العلمية والتغييرية بمزيد من الكوادر الرسالية العالية ، وعلى هذا استقطب نشاط الإمام الباقر الكثير من رواد المعرفة الإسلامية وشدت إليه الرحال من جميع أطراف الدولة الإسلامية المترامية ، تلامذة ومحاورين وطالبي علم ، وقصده أغلب رجالات الفكر للاصابة من فيض علمه المتدفق[١] .

ولقد امتازت مدرسة أهل البيت في عصر الباقر بمعارفها وسعتها وذلك لما يقتضيه المستوى الفكري الذي يحظى به الإمام الباقر (ع) تتجلى بعمق خلال تصريح عبدالله بن عطاء حيث يقول : « **ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما منهم عند أبي جعفر ، لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ، ويعني بالحكم ، الحكم بن عيينه وكان عالما ..** »[٢] . ولهذا بلغت المدينة في عهد الباقر الذروة في العلم والافتاء ، حتى أن الحاكم عمر بن عبدالعزيز كان ينشر علم أهل المدينة بين الناس[٣] . بالإضافة إلى ذلك فإن مدرسة المدينة التي ازدهرت في عهد محمد الباقر وجعفر الصادق ، من الأسباب التي أدت إلى ظهور الاتجاهات الفلسفية بين العرب ، ولهذا نبغ في أواخر عهد الأمويين عدد كبير من المفكرين المسلمين ، مما أدى إلى إقبال الناس على سماع محاضراتهم التي كانت تعالج من المسائل ما يشغل بال الناس ، كما أثرت أفكارهم وآراؤهم تأثيرا واضحا في أفكار الأجيال المتعاقبة[٤] . ولهذا اجتمع حول الإمام جعفر الصادق نجوم لامعة من العلماء الموهوبين ، وكان اجتماع هذا العدد الكبير من العلماء ذوي الثقافات المختلفة مما شجع الحركة العلمية والأدبية فسرى منها تيار إلى دمشق[٥] .

وكما تعددت المضامين والحقول المعرفية عند الإمام الباقر ، كذلك تعددت أساليب عرضه للفكر الإسلامي ، فتارة بطريقة الحلقات العلمية ، كما في التدريس لتلاميذه ورواد فكره وتارة أخرى من خلال المناظرات ، وتارة في اللقاءات العامة كمراسم الحج ، وأخرى في المحاورات والأحاديث

---

(١) لجنة التأليف في دار التوحيد : **الإمام الباقر** ـ الكويت ـ دار التوحيد ـ ١٩٨٢ ـ ص ٣٠ .
(٢) سبط بن الجوزي : **تذكرة الخواص** ـ مرجع سابق ـ ص٣٣٦ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٩ .
(٤) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥١ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٥٠ .

والوصايا والوعظ وسوى ذلك من أساليب وطرق التدريس[1] . ومن هنا أعطيت لتلك الحلقات المختلفة التي كانت تجتمع في مسجد المدينة إلى الإمام الباقر بالذات إسم « **الجامعة** » لأنها كانت تجمع بين الحين والآخر المئات من مختلف الأقطار لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم ، وتخرج منها منذ أسسها الإمام محمد الباقر حتى آخر مرحلة من نموها وتكاملها في عهد ولده الإمام الصادق آلاف العلماء في مختلف العلوم[2] .

في هذه المدرسة تعلم جل علماء المسلمين ورواد الحركات العلمية من الشيعة وغيرهم ، حتى « كان عددهم أربعة آلاف من مشهوري أهل العلم »[3] . وإن أئمة الشيعة « كان لهم أصحاب لازموهم وأخذوا العلم عنهم فأودعوهم بطون الكتب وصدور الرجال »[4] . كما تخرج منها كثير من العلماء من غير الشيعة ، **فهذا الحسن البصري كان يعيش في ذلك الوقت ، « وقد ولد بالمدينة وتلقى العلم على يد حكماء آل البيت ، فتشبع بآرائهم الحرة .. »**[5] **. « وسار واصل على نهج علماء العلويين واحتضن المبادىء التي وضعوها والآراء التي نادوا بها »**[6] . وهكذا كانت هذه المدرسة العلوية في آخر القرن الأول ونصف القرن الثاني للهجرة أكبر مصادر النور والعرفان بالمدينة المنورة ، وكانت تضم علماء من الذين يتشيعون لآل البيت ، وعلماء من أهل السنة .. وكان يقصدها من أئمة الفقه والحديث كثيرون ، منهم سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينه ، ومنهم أبو حنيفة فقيه العراق[7] .

---

(١) لجنة التأليف في دار التوحيد : **الإمام الباقر** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢ . وانظر دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٢) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢١٠ .

(٣) رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ ـ هامش ٤٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦١ .

(٥) السيد امير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٣٠٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٠٤ .

(٧) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢ . وايضا عبد الرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ص ٤٠ .

يقول السيد أمير علي : « **ولكن أئمة آل البيت كان لهم ـ على الرغم من انصراف الحكام عن العلم والفلسفة ـ تأثير غير يسير في تنشيط الحياة العقلية عند العرب والشعوب الخاضعة لسلطانهم ، فبينما كان الأمويون يثبطون الهمم عن طلب العلم كان أبناء فاطمة يشجعون على تحصيله ، ولم يتعلقوا بالماضي ، وتقليد السلف ، بل اهتدوا بنبراس الرسول ، ووضعوا نصب أعينهم تطور الإنسانية وعكفوا على دراسة سائر فروع المعرفة والعلم** »[1] .

ففي هذا العصر الذي أسست فيه المدرسة العلمية ، والتي كانت امتدادا لمدرسة علي بن الحسين المؤسس الثاني لمدرسة المدينة بعد جده الإمام علي كان يقود الحركة العلمية في هذه المدرسة محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأخوه زيد بن علي ، وكان مع هؤلاء في المدينة أيضا عبدالله بن الحسن ، وكل هؤلاء أئمة أخذ عنهم فقهاء العصر ، وأئمة الفقه[2] . وهكذا كان أساس الحركة العلمية في الإسلام هم أئمة الشيعة . ولهذا « أثرت أفكارهم وآراؤهم تأثيرا واضحا في أفكار الأجيال المتعاقبة »[3] .

امتدت هذه المدرسة واتسعت اتساعا كبيرا في عهد الإمام الصادق ، فقد عاش الصادق مع أبيه محمد الباقر مؤسس المدرسة نحوا من خمسة وثلاثين عاما ، أدرك منها في مطلع شبابه بوادر الانحلال الذي كان يهدد دولة الأمويين بالانهيار ، وفي تلك الفترة وما تلاها من الفترات رافق تلك الحلقات العلمية التي كانت في مسجد المدينة وخارجه باشراف أبيه الباقر ، وتتألف كما تؤكد المصادر الموثوقة من مئات الطلاب والعلماء من مختلف البلاد الإسلامية . وهو إلى جانب أبيه يلقنه من علوم الدين وأسرار الكون وغير ذلك مما ورثه عن آبائه عن النبي (ص) . وظل إلى جانب أبيه الباقر إلى آخر حياته ، ومدرسة الفقه والحديث والعلوم الإسلامية توالي نشاطها في مختلف المواضيع فيما يخدم مصلحة الإسلام إلى أن وافت المنية الإمام

---

(١) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٥٠ .
(٢) محمد ابوزهرة : **الإمام زيد ، حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٤ ـ ص ٣١ .
(٣) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ص ٢٥١ .

محمد الباقر سنة ١١٤هـ[١] .

وقد بلغت تلك المدرسة في عهد الصادق ـ وكان هو نفسه من نتاجها الغني بالبذل والعطاء ـ بفضل جهوده ، ذروة نشاطها في شتى فنون العلم ، فقد أخذ على عاتقه بعد وفاة أبيه أن يتابع المسيرة من حيث انتهى والده الباقر ، فحارب الجهل والفساد والظلم ، وفرض على دعاة الخير من أصحابه أن يكونوا القدوة الصالحة بأعمالهم قبل أقوالهم ، لأن الناس إنما ينظرون إلى القادة من خلال سلوكياتهم ، أما الأقوال التي تصدر من الوعاظ والدعاة إلى الخير فليس بأشد تأثيرا منها ، وهي مسطورة في الكتب أو منقوشة على الجدران ، وحتى تحقق دعوته الغاية المنشودة كان يقول لأصحابه : **أوصيكم بتقوى الله وأداء الأمانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وأن تكونوا لنا دعاة صامتين .**

وقد وقع هذا القول عندهم موقع الاستغراب ، وكيف يكونون صامتين وهم يدعون إلى الخير ، **فقالوا : يا ابن رسول الله كيف ندعو إلى الله ونحن صامتون ، فقال (ع) : تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولايطلع الناس منكم إلا على خير ، فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا إليه ..»**[٢] .

يقول السيد محمد باقر الصدر : إن مدرسة الصادق (ع) كانت امتدادا لمدرسة أبيه وجده . وهذه المدرسة كانت من الأحداث الخطيرة ، فهي لم تكن بأي حال من الأحوال مدرسة خاصة فيها لون خاص من المعارف والعلوم ، وإنما كانت تبني عقولا وتنشىء أجيالا ، وتؤسس صروحا من الثقافة ، ودنيا من التوجيه ، وتضع دستورا شاملا لاصلاح الحياة وتطويرها وتقدمها في جميع الميادين »[٣] . **« وهداه هذا التفكير إلى الاهتمام بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك**

---

(١) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٥٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ . وأيضا ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص١١ .
(٣) محمد باقر الصدر : **الامام الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٧٦ .

والطب والنبات والأدوية لأنها علوم تحقق مصالح النـاس ، وتحرر الفكر ، وتهديه إلى الإيمان العميق الحق الراسخ »[1] . ولهذا كان الإمام الصادق ، « ...أكثر أئمة المذهب ـ كما يراه الدكتور أحمد صبحي ـ آراء في كل لون من ألوان المعرفة آنذاك ، ولا تقف معرفته عند علوم الدين فحسب ، بل تجاوز ذلك إلى الكيمياء والطب وغير ذلك من العلوم التي تبـدو بعيدة الصلة عن الإمامة الدينية » [2] . وهكذا درس الصادق كل العلوم التي كانت شائعة في عصره ، كما قام بتدريسهـا وتعليمها لطلاب العلم[3] . **ولهـذا « أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم .. »**[4] .

ولد الإمام جعفر الصادق سنة ثمانين للهجرة ، وتوفي سنة مائة وثمان وأربعين ، ومن مميزات هذا العصر انتشار العلوم الإسلامية فيه من تفسير وفقه وحديث وعلم الكلام والجدل والانساب واللغة والشعر والأدب والكتابة والتاريخ وغيرها . وكان الصادق أشهر أهل زمانه علما وفضلا ، **قال مالك بـن أنس إمام المذهب : « ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد فضلا وعلما وعبادة وورعا ، وكان كثير الحديث طيب المجالسـة كثير الفـوائد »**[5] . **ويقـول فيه الشهرستاني : « وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات »**[6] .

وقد اختار الصادق المدينة دار الهجرة ، ومهبـط الوحي ، فجعلها معهده الكبير ومدرسته العظمى وقد ازدهرت المدينة بهذه المدرسة العلمية واستعادت نشاطها في توجيه الركب الإسلامي نحو الخير والسعادة [7] .

---

(١) عبدالرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ .
(٢) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦٢ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ .
(٤) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص ١١٥ .
(٥) محمد باقر الصدر : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٧١ . وأيضاً محمد ابو زهرة ـ **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧ .
(٦) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص ١١٥ .
(٧) القندوزي : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٧٦ ـ ٧٧ .

« ... ونقل الناس عنه من العلوم ماسارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وأيوب السختياني ... » . كما يقول ابن حجر الهيتمي[1] .

وقد فتح الإمام جعفر الصادق معهده ومدرسته لجميع المسلمين ، والتحق بها جمع غفير من رواد العلوم على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، فكان عددهم من أضخم ما ضمته المدارس العلمية في ذلك العهد ، وفيهم من كبار العلماء والمحدثين الذين أصبحوا فيما بعد أئمة ورؤساء لبعض المذاهب الإسلامية[2] .

وكان الإمام الصادق يحث تلاميذه ومريديه على دراسة علوم الحياة المختلفة ، وكان يزود بعض تلاميذه لما يحتاجون إليه من أدوات في بحوثهم العلمية ، فقد زود تلميذه جابر بن حيان بمعمل وأمره أن ييسر كتاباته لينتفع بها الناس ، كما خصص له وقتا في كل يوم يدرسه فيه علوم الطبيعة والكيمياء والطب ، وكشف له من تبصره بالفقه كثيرا من المعارف العلمية ، وهداه بالمعارف العلمية إلى التمكن من الفقه[3] .

وسارع للانتماء لمدرسة أهل البيت في المدينة جميع عشاق الفضيلة والعلم من شتى الأقطار الإسلامية ، عربا وغير عرب ، ويحدثنا الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل عن مدى ذلك النشاط في الالتحاق بمدرسة الإمام أو جامعة أهل البيت بقوله : **« وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها من كل قبيلة من بني أسد ومن غنى ومخارق ، وسليم ، وغطفان ، وغفار ، والأزد ، وبني ضبه ، ومن قريش ، ولاسيما بني الحارث بن عبدالمطلب ، وبني الحسن بن علي »**[4] .

---

(١) ابن حجر الهيتمي : **الصواعق المحرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠١ .

(٢) محمد باقر الصدر : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٧٧ . وأيضا صبحي الصالح : **معالم الشريعة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠ ـ ٥١ وأيضا السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٣٢٥ .

(٣) عبدالرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ . وانظر المنهج التجريبي من الفصل السابع من هذا البحث .

(٤) محمد باقر الصدر : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٧٧ . وأيضا هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٠١** .

وقد حاول المنصور أن يحرج الإمام الصادق ، فاستدعى أبا حنيفة النعمان وقال له : **فتن الناس جعفر بن محمد فهيىء له من المسائل الشداد .. ثم استدعى الإمام الصادق وأبا حنيفة وجلس الناس ، ما انفك أبو حنيفة يسأل الإمام في الأربعين مسألة ، والإمام يجيبه عن كل مسألة ، فيقول فيها رأي فقهاء الحجاز ، ورأى فقهاء العراق ، ورأي فقهاء آل البيت ورأيه هو . وطرب أبو حنيفة وقال عن الإمام جعفر** : « **إنه أعلم الناس فهو أعلمهم باختلاف الفقهاء** » وصحبه أبو حنيفة النعمان بعد ذلك مدة سنتين يتلقى عنه العلم[1] . ولهذا قال الخليفة المنصور فيه يوم علم بوفاته : « **إن جعفرا كان ممن قال الله فيه** : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » . **وكان ممن اصطفى الله ومن السابقين بالخيرات** »[2] .

التقى الإمام الصادق مرة بابن العوجاء ، وهو داعية من دعاة الزندقة بالعراق ، فلما رأى الصادق واسترعاه ما عليه من سمت ، وأخذ الصادق يتكلم لم يحر جوابا ، حتى تعجب الصادق والحاضرون ، فقال له ما يمنعك من الكلام ؟ ويقول الزنديق : « **بدا جلال لك ومهابة ، وما ينطق لساني بين يديك ، فإني شاهدت العلماء ، وناظرت المتكلمين ، فما داخلني هيبة مثل ما داخلني في هيبتك** »[3] . بالاضافة إلى ذلك ، فقد كان الصادق « **على علم دقيق بالفلسفة وعلى علم بمواضع التهافت عندهم ، وأنه كان مرجع عصره في رد الشبهات ، وقد كان بهذا جديرا ، وذلك لانصرافه المطلق إلى العلم ، ولأنه كان ذا أفق واسع في المعرفة ، لم يتسن لغيره من علماء عصره ، فقد كانوا محدثين أو فقهاء أو علماء في الكلام أو علماء في الكون ، وكان هو كل ذلك ..** »[4] كل ذلك مما ساعده كثيراً على املاء العلوم ، وتوضيح الغوامض وتربية

---

(١) عبدالرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٩ . وأيضا محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٥ .

(٢) صبحي الصالح : **معالم الشريعة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠ ـ ٥١ .

(٣) محمد أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩٩ . وانظر السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٥٠ .

العلماء القادرين على حمل هذه الأفكار بأمانة ، وتطويرها بعمق ، ومن ثم جعلها المنطلق نحو بناء الحضارة الإسلامية المنشودة[١] .

« نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت في المدينة » :

لابد لنا ونحن نتحدث عن الإمام محمد الباقر وجعفر الصادق ودورهما في تأسيس هذه المدرسة ، أن نشير إلى بعض من تخرج منها وحمل آثارها إلى مختلف الأقطار ، سواء أكانوا من شيعتهم أم من غير الشيعة على السواء .

أما الذين تخرجوا من هذه المدرسة من غير الشيعة ، وأصبحوا رؤساء مذاهب **منهم الإمام مالك وأبو حنيفة والشافعي** . فقد « أفاد الإمام مالك من صحبة الإمام جعفر وأخذ عنه كثيرا من طرق استنباط الحكم ووجوه الرأي وأخذ عنه الأحكام في المعاملات .. وكما أخذ من الإمام الصادق جعفر بن محمد أخذ من أبيه الإمام الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب . لزم مالك مجلس الإمام محمد الباقر وابنه الإمام جعفر وتعلم منهما على الرغم من أن رأيه في الإمام علي بن أبي طالب (رض) لم يرض آل البيت وشيعتهم .. »[٢] . بالإضافة إلى هؤلاء فقد تتلمذ مالك على تلاميذهم أيضا ، يقول بروكلمان : « وأخذ مالك بن أنس عن نافع القارىء ، وكان يتشيع »[٣] . يقول السيد أمير علي : « كانت حلقة الإمام جعفر الصادق يشهدها رجلان أصبحا فيما بعد من أركان المذهب السني أحدهما أبو حنيفة ، والآخر مالك بن أنس .. »[٤] .

أما الشافعي فيقول أبو زهرة : « وإذا كان الشافعي لم يمكنه الزمان من الاتصال بأولئك الأئمة ، فقد اتصل (رض) بالصفوة من تلاميذهم .. وأنه قد صرح بأنه أخذ عن مقاتل بن سليمان الشيعي ... واعتبره إماما في

---

(١) محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٧٤ .
(٢) الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٧ . وايضا أبو زهـرة : **الإمام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .
(٣) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٢٧٤ .
(٤) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٣٢٥ .

التفسير »[1] . كما التقى الشافعي بغيره من تلاميذ الإمام الصادق ، « وتعلم منهم بعض فقه الإمام الصادق ... وتعلم من مذهب الإمام الصادق أن العقل هو أقوى أدوات الاستنباط ـ حين لا يكون نص ـ العقل وحده هو أداة فهم النصوص لا الاتباع ولا التقليد ... وتعلم من تلاميذ الإمام الصادق رأي الإمام في حقيقة العلم . فليس حفظ القرآن والحديث ومعرفة الآثار فحسب ، ولكنه يشمل كل العلوم الطبيعية والرياضية التي تفسر ظواهر الكون وتكشف عن قدرة الخالق .. »[2] . « وجلس إلى بعض شيوخ الشيعة باليمن فتلقى منهم »[3] . أيضا . كما « وجد في اليمن كثيرا من الطالبيين ، وحضر مجالس العلم معهم ولكنه كان يستمع ولايتكلم فإذا سئل في ذلك قال : لا أتكلم في مجلس يحضره أحدهم وهم أحق بالكلام مني ولهم الرياسة والفضل »[4] . كما أن حمادا أستاذ أبي حنيفة تلقى العلم على تلاميذ الأئمة[5] . وغير هؤلاء من علماء السنة الذين تخرجوا من مدرسة أهل البيت وتتلمذوا للإمام الصادق[6] .

أما من تخرج من الشيعة من هذه المدرسة فعدد كبير جدا ـ كما مر ـ يقتصر الباحث على ذكر اثنين ممن كان له الأثر الكبير في الحركة العلمية والعقلية في الفكر الشيعي ، **أحدهما محمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق . والآخر هشام بن الحكم أكبر متكلمي الشيعة الإمامية في ذلك العصر** .

أما مؤمن الطاق : فقد نص أبو العباس النجاشي : أنه أخذ العلم عن ثلاثة من الأئمة ، علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، وجاء عن أبي خالد الكابلي أنه قال : رأيت أبا جعفر صاحب الطاق في الروضة وقد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه ، فدنوت منه وقلت له

---

(١) محمد أبوزهرة : **الإمام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .
(٢) عبدالرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٤ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٣٧ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٨ .
(٥) أحمد محمد الحوفي : **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** ـ ط٣ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٤٤ .
(٦) انظر محمد أبو زهرة : **مالك ـ حياته وعصره ، آراؤه وفقهه** ـ ط٢ ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٥٢ ـ ص ٣٨ ـ ٣٩ .

إن أبا عبدالله نهانا عن الكلام ، فقال : لقد أمرك أن تقول لي ، فقال لا والله ، ولكنه أمرني أن لا أكلم أحدا ، قال : فاذهب وأطعه فيما أمرك . قال الكابلي : فدخلت على أبي عبدالله الصادق (ع) فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وما أجابني به ، فتبسم أبو عبدالله (ع) وقال : **يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض ، وأنت إذا قصوت لن تطير**[1] .

ويبدو من ذلك أن مؤمن الطاق كان قوي الحجة كثير الجدل ينهزم أمامه الخصم مهما بلغ من العلم ، لذلك فإن الإمام الصادق لم يمنعه من الجدل والمناظرة[2] . وفي ذلك يقول الشهرستاني : « **وهو ـ أي مؤمن الطاق ـ تلميذ الباقر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، وأفضى إليه أسرارا من أحواله وعلومه ، وما يحكىٰ عنه من التشبيه فهو غير صحيح** »[3] .

يقول ابن النديم : « **وهو ـ أي مؤمن الطاق ـ من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع) .. ولقي علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ، وكان حسن الاعتقاد والهوى ، حاذقا في صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب . وله مع أبي حنيفة مناظرات ..** »[4] .

أما هشام بن الحكم : فيقول فيه ابن النديم : « ... **من جلة أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع) . وهو من متكلمي الشيعة الإمامية .. وممن دعا له الصادق (ع) فقال : أقول لك ماقال رسول الله (ص) التحيات : لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، وهو الذي فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج . وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب** »[5] . **فهو**

---

(١) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٠٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٠٨ .
(٣) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٨٦ .
(٤) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٨ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .

« **شيخ الإمامية في وقته وكبير الصنعة في عصره** »[1] . وكان فقيها وروى حديثا كثيرا .. وبلغ من مرتبته وعلوه عند الإمام الصادق (ع) أنه دخل عليه بمنى وهو غلام وكان في مجلس الإمام الصادق شيوخ الشيعة كحمران بن أعين ، وقيس الماصر ، ويونس بن يعقوب وأبو جعفر الأحول وغيرهم ، فرفعه على جماعتهم وليس فيهم إلا من هو أكبر منه سنا ، فلما رأى الصادق أن ذلك الفعل كبر على أصحابه قال : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده[2] .

يقول الدكتور أحمد صبحي : « **وأهم تلاميذ الصادق في علم الكلام عامة والإمامة خاصة هشام بن الحكم وزرارة بن أعين . أما الأول فهو أول من فتق الكلام في الإمامة .. بالنظر . وصفه الرشيد بقوله : أن صارم مقوله في الدفاع عن الإمامة أمضى من مائة ألف سيف ، وقد حاور الزنادقة وأصحاب الديانات ، كما حاور المعتزلة وخصوم المذهب ... إذ كان يحظى برضى الصادق ، إذ قال له لا تزال يا هشام مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ودعا له الصادق فما قهره أحد بعد في التوحيد** »[3] .

وكان هشام بن الحكم يناظر أهل الملل والأهواء وينتصر عليهم ، ففي عيون الأخبار : **دخل الموبذ فقيه الفرس وحاكم المجوس على هشام بن الحكم : فقال : هما في القوة سواء ؟ قال نعم ، قال : فجوهرهما واحد : قال الموبذ لنفسه ـ ومن حضر يسمع ـ ان قلت : إن جوهرهما واحد عادا في نعت واحد ، وان قلت : مختلف اختلفا أيضا في الهمم والارادات ولم يتفقا في الخلق ، فإن أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ، قال هشام : فكيف لا تسلم ، قال هيهات** »[4] وفي ذلك يقول الدكتور أحمد كمال زكي : « ... فإذا انتقلنا إلى القصة التالية وجدنا فيها نوعا من الارتقاء الفكري ، فقد دخل أحد المجوس من الفرس على هشام بن الحكم ـ وهو رافضي لزم البصرة وتعمق الفلسفة .. »[5] .

---

(١) المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٣٨٠ .

(٢) عبدالصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٦ .

(٣) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٣ .

(٤) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ١٥٣ .

(٥) أحمد كمال زكي: **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثالث الهجري** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧١ ـ ص ٩٩ .

وجـاء رجل ملحـد فقال لهشـام : **أنا أقـول بالاثنـين وقد عـرفت انصـافك فلست أخـاف مشاغبتـك ، فقال هشـام وهو مشغـول بثوب ينشره ولم يقبل عليه : حفظك الله ، هل يقدر أحدهمـا أن يخلق شيئا لا يستعين بصاحبـه ؟ قال نعم . قـال هشام : فمـا ترجـو من اثنين ، واحـد خلق كـل شيء أصلـح لـك ، فقـال : لم يكلمني بهـذا أحـد قبلك** »[1] .

وكـان هشام بن الحكم استـاذ متكلمي المعتـزلـة ، منهم ابـراهيم النظام [2] . كما كان يلزم المعتـزلة في منـاظراتـه وحجاجـه ، فقد ألـزم العـلاف فيما يعتقـده [3] . كذلـك ألزم عمـرو بن عبيد[4] . كمـا أن ابا الحسين البصري كان تلميذا لهشام وهو أحد رجالات المعتزلة[5] .

ولهشام بن الحكم من الكتب ، الدلالات على حدوث الأشياء ، كتاب الرد على الزنادقـة ، كتاب الـرد على أصحـاب الاثنين ، كتـاب التوحيـد ، كتاب الألفاظ ومباحثها [6] ، كتاب في نقد أرسطاليس ، وهو أول كتـاب ظهر في زمن مبكر من الاسلام [7]

وقد أحصيت مؤلفات المتخرجين من تلك المدرسـة فبلغت ستة الاف كتاب ، منها أربعمائة كانت تعرف بالأصول عـلى لسان محـدثي الشيعة ، ولعـل أكثر محتـويات الكتب الأربعـة ، الكافي ، ومن لا يحضره الفقيـه ،

---

(١) ابن قتيبة: **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٤ .

(٢) أحمد محمود صبحي: **نظرية الامامة** ـ مـرجع سـابق ـ ص ٢٣٥ . وأيضا عـلى سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام** ـ مرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٨٥ . وأيضا أبو محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري : **الفصل في الملـل والاهواء والنحـل** ـ بغداد مكتبة مثنى ـ بدون تاريخ ـ جـ ٥ ـ ص ٦٦ .

(٣) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مـرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ . وأيضا المسعـودي: **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٤ .

(٤) المسعودي : المصدر السابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٥ ـ وأيضا دونلدسن : **عقيدة الشيعـة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٥) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٥ .

(٦) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ .

(٧) علي سامي النشار : نشأة الفكـر الفلسفي ـ مرجـع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ . وأيضـا ابن النديم : الفهرست ـ ص ٢٦٤ .

والـوافي ، والاستبصار مـأخـوذة منهـا[1] . وقـد ذكـر ابن النـديم في الفهرست جملة منها عند حديثه عن مصنفي الشيعة وعلمائهم [2] . وفي ذلك يقول الدكتور رشدي عرسان عليان : « وقـد أثر عن أصحـاب الأئمة كتب كثيرة في السنن سميت بالأصـول عرف منهـا أربعمائـة أصل جمعت ونقحت بعد ذلك في أربع كتب » [3]

المحتوى الفكري لمدرسة أهل البيت :

إن المحتوى الفكري لمـدرسة أهـل البيت يمتاز بـالتماسـك الفكري الوثيق ، والترابط فيما بين أفكارها واتجاهاتها . ومثل هذا التماسـك يشد اتجاهات المدرسة بعضهـا إلى بعض ، ويؤدي الالتزام بـأي جزء منـه إلى الالتزام بالجزء الآخر ، فهذه المدرسة مثلا فتحت باب الاجتهاد للعلمـاء ، وقد كان لهذا العامل تأثير كبير على نمو المدرسة فيما بعد عصر الصـادق ، وإقبال الناس عليها لمسايرتها للأوضاع الاجتماعية المتجددة ، ولذلك فإن هـذه الميزة في المـذهب الشيعي تعتبر ضمـانا من الـداخل لحيـاة المذهب وبقائه .

وتناولت هذه المدرسة بالبحث والتدريس جميع الفنون العلمية التي لها الأثر التام في التقدم الاجتماعي ، والرقي الفكـري ، ومن أبرز العلـوم التي تنـاولتها بـالتبسيط والتحليل الفقـه الاسلامي بجميـع أبـوابـه من العبادات والمعاملات ، ولم تقتصر على الناحية العلمية ، فقد توسعت حتى شملت أصـول الآداب والقيم الاجتماعيـة من مكارم الأخـلاق والاصلاح الشامل في جميع المجالات .

ومدرسة أهل البيت التي أسسها الامام الباقر والصادق لهـا طابـع خاص انفردت به عن بقية المدارس والمؤسسات العلمية . فقد كان طابعها هو الاستقلال وعدم خضوعها للدولة ، فلم يكن لولاة الأمور بأي حـال من الأحـوال مجال للتـدخل فيهـا ، فهي منفصلة عن الهيئـة الحاكمـة ، لأن

---

(١) هاشم الحسني : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٢ .
(٢) انظر ابن النديم : **الفهرست** ـ عند كلامه عن مصنفي الشيعة .
(٣) رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة الامامية** ـ مـرجع سـابق ـ ص ٦١ ـ هامش ٤٦ .

الامتزاج بها معناه تدخل السلطة في شئـونها . وقـد استمر هـذا الطابـع حتى شمل جميع الجامعات الشيعية والمؤسسات العلمية ومدارس الدرس والتعليم . وهـذا ما عليـه جامعـة النجف الأشرف حتى اليوم فـإنها منـذ تـأسيسها لم تـرتبط بالـدولة ، وعـلى هـذا المنهـاج تسـير جـامعـة قم في ايران [1]

فالمحتوى الفكري لهذه المدرسة هو المحافظة على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الاسلامي ، لهذا حرص الأئمة من أهل البيت على أن لا يهبط إلى درجة تشكل خطرا ماحقا ، وهذا يعني ممارستهم جميعا دورا ايجابيا فعالا في حماية العقيدة وتبين مصالـح الرسـالة والأمـة[2] . ولهذا كان الامام الصادق يحث على الجدية في الحياة ، والكفاح من أجل العيش الكـريم ، فكان من أقـواله : « **إن الله يحب الجمـال والتجمل ويبغض البؤس والتبـاؤس ، فـإن الله اذا أنعم عـلى عبـده نعمـة أحب أن ـ يرى ـ أثرها عليه . فقيـل له كيف ذلـك ؟ قال : ينظف ثـوبه ويطيب ريحـه ويجصص داره ويكنس أفنيتـه** » . **وكـان يقـول لاصحـابـه** وتلاميذه : **كونوا زينا لنا ولا تكونوا شينا علينا ليقول الناس** : **رحم الله جعفر بن محمد لنعم ما أدب أصحابه** »[3] .

ثانيا ـ « العراق » :ـ

١ ـ الكوفة :

تعـد الكوفـة أحد المـراكز الأسـاسية للثقـافة الاسـلامية في ذلـك العصر ، وكـانت هي وأختها البصرة أهم مـركزين لهـذه الثقافـة في اقليم العراق ، أعني الأقاليم الاسلامية في هـذه الفترة من النـاحية الثقـافية . والباحث سيرجيء الكلام عن البصرة إلى الفصل السابع عنـد حديثـه عن المدارس النحوية التي أسسها الشيعة .

---

(١) محمد باقر الصدر : **الامام جعفر الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٠ .

(٢) محمد باقـر الصدر: **دور الأئمـة في الحياة الاسـلامية** ـ دائـرة المعارف الشيعيـة ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٩٥ .

(٣) محمد باقر الصدر: **الامام جعفر الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٠ .

إن أول من بذر الثقافة الاسلاميـة بصورتهـا الواسعـة هو الامـام علي ، وذلك بعد خروجه من المدينة أيام خلافته متوجها إلى العراق ، وهناك بنى عاصمته الاسلامية في الكوفة . **يقول أبو زهرة** : « **وكذلك كان الأمر في عهد علي رضي الله عنه ، وهو نفسـه خرج من المـدينة إلى الكـوفة ، وكان ملازموه الأصل العلمي لمدرسة الكوفة ، بما تلقوه عليه من فتاو وأقضية ، وما رووه عنه من أحاديث نبوية** »[1] .

قام الامام علي في الكوفة بتعليم سائر فروع المعـرفة التي تتنـاسب مع مطالب الدولة الاسلامية الناشئة ، ومما يؤثر عنـه قولـه « **رتبة العلم أعلى الرتب** » ، « **ما مات من أحيا علما** » « **عليـه بالحكمـة فإنهـا حلة فاخرة**» ومن الطبيعي أن تؤدي مثل هـذه الروح إلى تشجيـع روح البحث وبعث الرغبة في طلب العلم[2] . بالاضافة الى موقف الامام علي من شيعته من غير العرب ، وكان فيهم العلماء « أن ينهضـوا بالعلم نهضـة واسعة ، وأن يسجلوا فيه تفوقا رائعـا ، ونبغ منهم علمـاء كبار تـدين لهم الثقافـة الاسلامية بكثير مما بلغته من نهضة وتقـدم ، كسعيد بن جبـير مولى بني والبة الذي يعـد من أشهر علمـاء الكوفـة ، والذي قـال فيه أستـاذه ابن عباس عندما أتاه أهل الكوفة يسألونه : تســألوني وفيكم ابن أم دهمـاء ؟ يعني سعيد بن جبير »[3] .

هذه حالة الكوفة قبل أن ينتقل إليها الامـام الصادق ، فهي مسرح لعلمـاء الشيعة وفقهـائهم ، كما كـانت منطلق الحركـات العقلية في العصر الثـاني من عصور تـاريخ الفقـه الشيعي ومبعث هـذه الحـركـة ومـركـز الاشعاع ، وظلت مع ذلك من أهم مراكـز الفقه الشيعي ، وظلت البعثـات الفقهية الشيعية تقصد هذه المـدينة بـالذات ولهـذا احتل فقهـاء الشيعة مركز الصدارة في التدريس والبحث الفقهي رغم كل العقبات التي اصطدم بهـا أئمـة الشيعـة من أهـل البيت وفقهـاؤهم . ورواة الحـديث من ضغط الجهاز الحاكم حتى كـان بعضهم اذا رأى الامام في الطـريق يعرض عنـه

---

(١) محمد أبو زهرة : **مالك** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٩ .
(٢) السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
(٣) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٦ .

لئلا يتهم بالتشيع ، وبعضهم يلتقي بالامام ليلا خـوفا من عيـون الرقـابة المسلطة على بيوت أئمة أهل البيت[١] .

في مثـل هذا الـوقت انتقل الامـام الصـادق إلى الكـوفـة أيـام أبي العباس السفاح ، واستمر بقاء الامـام الصادق في الكـوفة مـدة سنتين ، اشتغـل فيها بـالخصوص في نشر المـذهب الشيعي لعدم وجـود معارضـة سيـاسية قـوية في البـين ، فقد سقطت في هـذه الفترة الحكـومة الأمـوية وظهرت الحكومة العباسية وبين هذا السقوط وهذا الظهور اغتنم الصادق الفرصة للدعوة الى المذهب ونشر أصول هذه المدرسة فازدلفت إليه الشيعة من كـل فج زرافـات تستقي منه العلم وتـروي عنـه الأحـاديث في مختلف العلوم ، وكان منزله في بني عبدالقيس من الكوفة[٢] .

« وقد عقد ـ الامام الصادق ـ وهـو في العراق عـدة مناظـرات كان ينـاظر فيهـا أهل الفـرق المختلفة ، وكـان كثير من النـاس يحضرون هـذه المناظرات .. وقد آلت إليه رياسة البيت الحسيني ، وصـار مقصد طـلاب العلم العلوي ... وفي العراق التقى باصحاب المذاهب العقلية كـالمعتزلـة ، وقد جرت مناظرات بينه وبين بعضهم ممـا يدل عـلى أنه التقى بهم » كمـا يراه أبو زهرة[٣] .

والظاهر أن الامام الصادق لم يلتق بالمعتزلة على أساس المناظـرة ، وإنما تلاميذه الذين أعدهم اعدادا خاصا للوقوف في وجه المعتزلة وغيرهم من الفرق ، هم الذين كانوا يلتقون بهم . فهشام بن الحكم أحـد تلاميـذه تصدى مثلا لآراء المعتزلة بالرد والتفنيـد . ومن أمثلة ذلـك المناظـرة التي وقعت بين هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد المعتزلي تبين مدى عمق التفكير عند تلاميذ الامام الصادق : **سأل الامام الصادق هشام بن الحكم وكان دون العشرين من عمـره ما وقـع بينـه وبـين عمـرو بن عبيـد ثـاني متكلمي المعتزلة بعد واصل بن عطاء : قال هشام : بلغني ما كـان فيه**

---

(١) محمد مهدي الاصفي : **مقدمة اللمعـة** ـ مرجـع سابق جـ ١ ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ . وايضـا هاشم الحسني : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٢ .
(٢) محمد مهدي الاصفي: المصدر السابق ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(٣) محمد أبو زهرة: **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ ـ ٦٢ .

عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة ، فعظم ذلك علي ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزرا بها من صوف ... والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت : أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة ، فقال لي : نعم : فقلت له ألك عين ؟ فقال يا بني أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه ؟ فقلت هكذا مسألتي ، فقال : يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء ، قلت : أجبني فيها ، قال لي : سل ، قلت : ألك عين: قال : نعم ، قلت فما تصنع بها ؟ قال : أرىٰ بها الألوان والأشخاص ، قلت : ألك أنف ، قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشم به الرائحة ، قلت ألك فم ؟ قال : نعم، قلت فما تصنع به ؟ قال : أذق به الطعم ، قلت : الك اذن ؟ قال : نعم ، قلت فما تصنع بها ؟قال: اسمع بها الصوت ، قلت ألك قلب؟ قال: نعم ، قلت : فما تصنع به؟ قال : أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس ، قلت : أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ فقال : لا ، قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة وسليمة ؟ قال : يا بني ، إن الجوارح اذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك ، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك الخلق كله في حيرتهم وشكهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم اماما يردون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك ؟ قال : فسكت ولم يقل شيئا ، ثم التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم ، فقلت : لا ، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال فمن أين أنت، قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت اذن هو ، ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت(١) .

---

(١) الكليني : الكافي ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص . ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ . وأيضا المسعودي : مروج الذهب ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٥ . وأيضا أحمد محمود صبحي : نظرية الامامة ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٤ . وأيضا حسون ملارجي الدلفي : فضائل آل =

من هذا الموقف يظهر لنا مدى قوة احتجاج الشيعة ، ومدى اثر العقيدة عندهم على فكرهم التربوي ، ويتجلى ذلك في هذه المناظرة التي تعتبر احدى طرق التعليم ، ولهذا اصبح مفكرو الشيعة أساتذة العلماء والمحدثين من بقية الفرق الاسلامية .. **فمثلا عبد الله بن موسى العبسي الفقيه وكان شيعيا وهو من مشايخ البخاري في صحيحه**[1]. **وعلي بن الجعد ابو الحسن الجوهري البغدادي وهو احد شيوخ البخاري أيضا وقد عده ابن قتيبة من رجال الشيعة في كتاب المعارف**[2] **واسماعيل بن أبان الأزدي الكوفي الوراق ، شيخ البخاري حدث عنه يحيى وأحمد ، وقال البخاري : صدوق ، وقال غيره : كان يتشيع**[3] .

اما الامام مسلم فكان شيوخه وأساتذته كذلك من علماء الشيعة ، فقد تتلمذ على يد عبد الله بن عمر بن محمد الكوفي الملقب مشكدانه ، فهو شيخ مسلم وأبي داود ،، والبغوي ، وخلق من طبقتهم أخذوا عنه[4] . يقول الذهبي : « عبد الله بن عمر بن أبان القرشي الكوفي مشكدانه . صدوق صاحب حديث .. قال أبو حاتم صدوق ، ويروى عنه انه شيعي ، فقال بكر بن محمد الصيرفي الذي ذكره الحاكم ، فقال : محدث خراسان في عصره سمعت صالح بن محمد جزرة يقول : كان عبد الله بن عمر بن أبان يمتحن أصحاب الحديث ، وكان غاليا في التشيع »[5].

ومن علماء الشيعة الذين أثروا الفكر الاسلامي بمختلف المعارف ،، كما كان لهم الفضل في نمو مدرسة الكوفة الفقهية ،، بالاضافة الى البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بانتسابها الى الامام الصادق

= **الرسول في المعقول والمنقول** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ١٤١ ـ ١٤٢ . وأيضا هاشم الحسني : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٧ . وأيضا دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(١) ابن الاثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢١٧ . وأيضا الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٦ .

(٢) عبد الحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧ .

(٣) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢١٢ .

(٤) عبد الحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٨ .

(٥) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٦٦ . وأيضاً شرف الدين : المصدر السابق ـ ص ٩٨ .

واشتهرت بالفقه والحديث ، كبيت آل أعين وبيت آل حبان التغلبي ، وبيت عطية ، وبيت بني دراج وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بالتشيع واشتهرت بالفقه والحديث[1] . يذكر الباحث منهم على سبيل المثال :

١ ـ **ابان بن تغلب بن رباح البكري**: كان مقدما في كل فن من العلوم منها الفقه والحديث والأدب واللغة والنحو ، وأنه ألف كتبا كثيرة منها كتاب في تفسير غريب القرآن[2] . وقد وثقه علماء السنة ومحدثوهم مع اعترافهم بتشيعه ، ووصفه الذهبي في ميزان الاعتدال بالصلابة في تشيعه وصدق الحديث وقال : أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد ، ولكنه صدوق ، فلنا صدقهُ وعليه بدعته[3] . وقد عد له ابن النديم في الفهرست ثلاثة كتب ، كتاب في القراءات ، وكتاب في معاني القرآن ، وكتاب في اصول الحديث على مذهب الشيعة ، توفي سنة مائة واحدى وأربعين للهجرة[4] .

٢ ـ **عبدالرحمن بن خراش الحافظ** : قال ابن عدي : كان يتشيع ، وقال أبو زرعة كان رافضيا . قال الذهبي :.. فانه كان حافظ زمانه ، وله الرحلة الواسعة ، والاطلاع الكثير والاحاطة ، وبعد هذا فما انتفع بعلمه ، فلا عتب على حمير الرافضة . وقد سافر في طلب العلم الى العراق والمدينة وخراسان والشام ومصر .. وكان احفظ أهل زمانه ، لا يذكر له شيء من الشيوخ والأبواب الا مر فيه .. مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين[5] .

٣ ـ **عبدالرازق بن همام بن نافع الامام** : أبو بكر الحميري : أحد الاعلام الثقات ، ولد سنة ست وعشرين ومائة ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وكتب شيئا كثيرا وصنف الجامع الكبير ، وهو خزانة علم ، ورحل الناس إليه : أحمد واسحاق ويحيى ، والذهلي والرمادي ، وقال ابن عدي ... ونسبوه إلى التشيع وسأل عبدالله بن أحمد أباه : عبدالرازق يفرط

---

(١) محمد مهدي الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ص ٢٠٥ .
(٣) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤
(٤) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٢ .
(٥) الذهبى : **ميزان الاعتدال** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ .

في التشيع ، وقد اعتبروا تشيعه من المناكير [١] . وقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل :رأيت أحسن حديث من عبدالرازق : قال : لا . مات سنة احدى عشرة ومائتين[٢] .

٤ ـ شريك بن عبدالله النخعي : أبو عبدالله الكوفي ، القاضي ، الحافظ الصادق ، أحد الأئمة . وقال سعدويه : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : شريك اعلم بحديث الكوفيين من سفيان . وقال الحلبي : كنا بالرملة فقالوا : من رجل الأمة ؟ فقال قوم : ابن لهيعة . وقال قوم : مالك : فسألنا عيسى بن يونس ، وكان قدم علينا ، فقال : رجل الأمة شريك ، وكان يومئذ حيا[٣] . وقد ولد شريك سنة خمس وتسعين ، فقال عبد الله بن ادريس لما بلغه هذا : الحمد لله الذي نطق به لسان حفص ، فوالله انه لشيعي ، وان شريكا لشيعي . قال الذهبي : قد كان شريك من أوعية العلم حمل عنه اسحاق الأزرق تسعة آلاف حديث ـ وقال النسائي ـ ليس به بأس .. ومات سنة سبع وسبعين ومائة[٤] .

٢ ـ بغداد :

انتقلت الحركة العلمية في العراق من الكوفة الى بغداد بعد أن اسسها العباسيون ، فأصبحت حاضرة العالم الاسلامي ، وانتقل اليها أكثر العلماء من جميع الأقطار الاسلامية ، وانتقل معهم الامام موسى الكاظم بن الامام الصادق ، وابنه علي بن موسى الرضا . وكان دور الامامين المذكورين ، رغم أهميته وخطره ، لا يقارن من حيث الأهمية ، بدور الامامين الباقر وابنه الصادق في تاريخ الفكر عند الشيعة وذلك لأن دور الباقر والصادق كان دور تأسيس وانتشار للفكر الاسلامي ، كما إنه لا يقارن أيضا بدور التوسع والانتعاش الذي بدأ بعد نهاية عصر الأئمة ، قبل نهاية القرن الثالث للهجرة ، والذي قام به شيوخ الشيعة ، أمثال

---

(١) المصدر السابق : ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ ـ ٦١١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦١٤
(٣) المصدر السابق : ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

محمد بن مسعود العياشي من علماء القرن الثالث الهجري ، والذي يقول فيه ابن النديم : « **العياشي أبو النضر محمد بن مسعود العياشي من أهل سمرقند .. من فقهاء الشيعة الامامية أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم ، ولكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن** »[1] . وله أكثر من مائتي مصنف أوردها النجاشي وابن النديم في فهارسهم وابن شهر اشوب في معالمه أسماءها[2] . والذي يهمنا منها في هذا البحث كما في الفهرست : **كتاب العالم والمتعلم .. كتاب القضايا و آداب الحكام .. كتاب فرض طاعة العلماء .. كتاب البر والصلة ، كتاب محاسن الأخلاق ، كتاب حقوق الاخوان ،، كتاب عشرة النساء ... كتاب معرفة البيان .. الى قوله : وذكر حيدر أن كتبه مائتان وثمانية كتب ، وأنه ظل عنه من جميعها سبعة وعشرون كتابا**[3] . وقد أنفق العياشي على العلم والحديث تركة أبيه كلها ، وكانت ثلثمائة ألف دينار وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارىء معلق مملوءة من الناس[4] . وأمثال الشيخ الصدوق القمي (ت ٣٨١ هـ) والشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ (والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وغيرهم . ويمكن أن نجمل الأسباب التي دعت الى ذلك كما ذكرها الدكتور عبد الله فياض هي :

١ ـ كانت رقابة خلفاء بني العباس المعاصرين للامام موسى الكاظم (ع) شديدة على الشيعة عامة وإمامهم موسى الكاظم خاصة فضلا عن المدة الطويلة التي قضاها موسى الكاظم في السجن . قال هشام بن سالم : « كنا بالمدينة بعد وفاة جعفر الصادق ، فقعدنا في بعض أروقة المدينة .. فنحن كذلك اذ رأيت شيخا يومىء إليَّ بيده فخفت أن يكون عينا من عيون أبي جعفر المنصور ، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع اليه الناس بعد الصادق فيؤخذ فيضرب عنقه ، وذات مرة جاء أحدهم يسأل

---

(١) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٨

(٢) انظر ترجمة العياشي في كتاب **بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٩٧ الى ٩٩ .

(٣) ابن النديم : **الفهرست مرجع سابق ـ ص ٢٨٨ الى ٢٩١** .

(٤) عبد الله فياض : **دور الكاظم والرضا في التربية والتعليم** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٩ .

الامام موسى الكاظم كما كان يسأل أباه قال له الامام : « سل تخبر ولا تذع فان أذعت فهو الذبح » وسأل أحدهم الامام موسى الكاظم عن مسألة فقال : « اذا هدأت الرجل وانقطع الطريق فأقبل » وذات مرة عاتب أحد الشيعة عليّ الرضا لأنه فتح باب بيته للافتاء ، خلافا لخطة أبيه موسى الكاظم ، فقال انه ليس عليه من هارون الرشيد بأس ، كما كان علىٰ أبيه .

٢ ـ انشغال الامام علي الرضا لفترة من حياته بسياسة أمور الأمة وذلك حين ولاه المأمون ولاية العهد واستقدمه لخراسان حيث توفي هناك .

٣ ـ تجديد رقابة الخلفاء العباسيين ، وخاصة المتوكل على أئمة الشيعة المتأخرين ، وحمل المتوكل الامام العاشر من المدينة الى سامراء ، وكان هدفه أن يمنع اتصال الشيعة به . وبالرغم من كل ذلك ، فان الامامين الكاظم والرضا قاما بدور فعال في التعليم والتربية [١] . واشتغل الامام عليّ الرضا مدة بقائه في بغداد ، وهي ثمان سنوات ، بالتدريس [٢]

ومن هنا كانت مسئولية الامام الكاظم والرضا تنحصر في التمهيد لوجدان القاعدة الشعبية الموجهة والواعية وذلك لا يتم الا بامتلاكهم لحرية التوجيه والتوعية بين مختلف طبقات الأمة[٣] . وللأسباب المتقدمة كانت حركاتهم العلمية وتحركاتهم تحصى عليهم من قبل السلطات . ومع ذلك فقد تخرج من مدرستهم علماء كانوا اساس الحركة العلمية في بغداد . لأن بغداد مركز ثقافي كبير من مراكز الحركة العقلية في العالم الاسلامي ، يقطنها الآلاف من الفقهاء والمحدثين ، وتنتشر فيها كثير من المدارس والمكاتب والمساجد التي كان يحتشد فيها جماهير الطلاب والمدرسين والعلماء كل يوم للدرس والمطالعة والبحث والمناقشة . فكان لانتقال المدرسة الى هذا الجو الفكري على يد علماء كبار أمثال المديني والجعابي وابن عقده والمفيد والمرتضى والطوسي أثر كبير في الحركة الفكرية القائمة في ذلك العصر . والباحث سيقتصر على ذكر هؤلاء للمثال ، وما قاموا به من دور هام في استمرار وتنمية الحركة العلمية من الشيعة .

---

(١) المصدر السابق : ص ٨٩ .
(٢) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠١ .
(٣) محمد جواد فضل الله : **الامام الرضا تاريخ ودراسة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨١ .

١ ـ **علي بن عبدالله بن جعفر**: أبو الحسن الحافظ، أحد الاعلام الاثبات وحافظ العصر .. قال ابو حاتم ، كان ابن المديني علما في الناس في معرفة الحديث والعلل ، وكان أحمد لا يسميه ، انما يكنيه تبجيلا له . وكان يتصدر للتدريس في بغداد ، وجاء يحيى وأحمد بن حنبل والمعيطي والناس يتناظرون فاذا اختلفوا في شيء تكلم فيه علي ، يقول يحيى بن معين ، كان علي بن المديني اذا قدم علينا اظهر السنة ، واذا ورد البصرة اظهر التشيع[1] . وهذا نتيجة الاضطهاد الذي كان يلاقيه علماء الشيعة في ذلك العهد .

يقول الخطيب البغدادي : « علي بن عبد الله .. ويعرف بابن المديني ، وهو أحد أئمة الحديث في عصره ، والمقدم على حفاظ وقته ..»[2] . ولهذا **يقول عباس العنبري** : « **لعله كان تقدم على الحسن البصري ، كان الناس يكتبون قيامه ، وقعوده وكل شيء يقول ويفعل** »[3] . **ويقول البخاري** ؛ « **ما استصغرت نفسي عند أحد الا عند علي بن المديني** »[4] . ولهذا كان أعلم الناس في وقته بالحديث وعلله[5] . « مع كمال المعرفة بنقد الرجال ، وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن لعله فرد زمانه في معناه وصنف التصانيف ، ويقال : « **لابن المديني نحو مائتي مصنف**»[6] كما يقول الذهبي ، ومع ذلك فقد أعرض بعض المحدثين من علماء السنة عن الأخذ بروايته[7] لتشيعه . مات سنة اربع وثلاثين ومائتين بسامراء[8] .

٢ ـ **محمد بن عمر ، أبو بكر الجعابي الحافظ** : من أئمة هذا الشأن ببغداد على رأس الخمسين وثلثمائة . ولي القضاء بالموصل .. وكان أحد الحفاظ المجودين ... وله مصنفات كثيرة .. وهو شيعي .. وكان

---

(١) الذهبي ؛ **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ . وأيضا الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١١ ـ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ .

(٢) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ـ ص ٤٥٨ .

(٣ ، ٤) المصدر السابق : ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

(٥ ، ٦) الذهبي : ميزان الاعتدال ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٩ ـ ٢٤١ .

(٧) المصدر السابق : ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٨) المصدر السابق : ص ١٤١ . وأيضا الخطيب البغدادي ـ **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ١١ ـ ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

أحفظ أهل زمانه . روى التنوخي عن أبيه ، قال : ما شاهدنا أحفظ من أبي بكر بن الجعابي ، وكان يفضل الحفاظ بأنه يسوق المتون بألفاظها ، ولم يبق في زمانه من يتقدمه في الدنيا .. وقال الدارقطني : شيعي .. مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة [(١)]

يقول ابن الأثير : « وفيها ـ أي سنة ٣٥٥ ـ توفي أبو بكر محمد بن عمر ... المعروف بالجعابي الحافظ البغدادي بها وكان يتشيع » [(٢)] وكان حافظا مكثرا يقال أنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها .. ويحفظ المراسيل والمقاطيع والحكايات قريبا من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقات وفياتهم ومذاهبهم حتى تقدم على أهل زمانه وفاق سائر أقرانه ، صنف الأبواب والشيوخ والتاريخ . كما يقول شارح الكامل [(٣)] . ومهما يكن من المبالغة في هذا العدد الضخم ، فإنما يدل على سعة علم الجعابي وكثرة ما يحفظ من الأحاديث ولهذا كان إماما في معرفة علل الحديث ، وثقات الرجال من معتليهم وضعافهم وأسمائهم وأنسابهم ، وكناهم ومواليدهم ، وأوقات وفاتهم ، ومذاهبهم ، وما يطعن به على كل واحد . وما يوصف به من السداد [(٤)] . « وكان ابن الجعابي يملي مجلسه فتمتلىء السكة التي يملي فيها والطريق ، ويحضره ابن المظفر ، والدارقطني ، ولم يكن الجعابي يملي الأحاديث كلها بطريقها إلا من حفظه »[(٥)] . وقد نص على تشيعه أيضا الخطيب البغدادي[(٦)] .

والذي يدل على سعة علم ابن الجعابي وكثرة ما يحفظه من الأحاديث ،ما رواه الخطيب البغدادي عن الأزهري قال : وعد ابن الجعابي أصحاب الحديث يوما يملي فيه ، فتعمد ابن المظفر الاملاء في ذلك اليوم وألزمني الحضور عنده ففعلت ، ثم انصرفت من المجلس ، فلقيني ابن الجعابي وقال لي ذهبت إلى ابن المظفر وتنكبت الطريق التي تؤديك إليَّ

---

(١) الذهبي : المصدر السابق : جـ٣ ـ ص ٦٧٠ ـ ٦٧١ .
(٢) ابن الأثير ـ **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ٧ ـ ص ٢٠ـ٢١ .
(٣) انظر هامش : **الكامل لابن الأثير** ـ المصدر السابق ـ ص ٢٠ ـ ٢١
(٤) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٢٨ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٨ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٦ .

للاستحياء مني ؟ فقلت : قد كان ذاك .. فقال : كم عـدد الأحاديث التي أملاها ؟ فقلت : كذا وكذا . فقال : أيما أحب إليك ؟ تذكر اسناد كل حديث، وأذكر لك متنه ، أو تذكر لي متنه وأذكر لك اسناده . قلت : بل أذكر المتون . فقال : إفعل ذاك فجعلت أقول له روى حديثا متنه كذا ، فيقول : هو عنده عن فلان عن فلان ، وأقول أملىٰ حديثا متنه كذا ، فيقول : حدثكم به عن فلان حتى ذكرت له متون جميع الأحاديث وأخبرني بأسانيدها كلها . فلم يخطىء في شيء منها أو كما قال[1] .

ويقـول الخطيب البغـدادي : « سألت أبـا بكر البـرقاني عن ابن الجعابي ، فقال حدثنا عنه الدارقطني وكـان صاحب غـرائب ، ومذهبـه معروف في التشيـع قلت قد طعن عليه في حديثه وسماعه ؟ فقال : ما سمعت فيه إلا خيراً »[2] .

٣ ـ الشيخ المفيد ، أبـو عبدالله محمـد بن محمد بن النعمـان المفيد البغدادي :

ولد الشيخ المفيد في عكبرا وانتقل منهـا في أيام صبـاه إلى بغداد بصحبة والده ، ونشأ في بغداد وتفرغ منذ صغره لطلب العلم ، فعرف وهو بعد صغير يرتاد حلقات الدراسة ـ بالفضل والنبوغ ، وقد لقبه « الشيخ أبو ياسر » من مشايخ علماء السنة بالمفيد لظهوره عليه في مجلس بحثه وعرف من ذلك الوقت بالمفيد[3] .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظهـر « الشيخ المفيـد » في مدة قليلة عـلى أقرانه ، وحفه شيوخه وأساتذته كالشيخ الصـدوق وغيره ، بعنـايتهم لما لمسوا فيه من مؤهلات وقابليات تندر وجودها في غيره .

واستقل الشيخ « المفيد » بالتدريس في بغداد وهو بعد لم يتجاوز سن الشباب ، وتفرغ للفقه والكلام ، وكان يحضر مجلس درسه آلاف الطلاب

---

(١) المصدر السابق : جـ٣ ـ ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٣) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٣ . وأيضا **مقدمة كتاب البحار للمجلسي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٨٠ .

من الشيعة والسنة ، وبرز من تلاميذه رجال كبار : أمثال السيد المرتضى ، والشيخ الطوسي ، وقد تابعوا أستاذهم « المفيد » في توسعة المدرسة ، وتطويرها وادخال تغييرات جديدة عليها ، ولهذا قدر للشيخ المفيد أن يكون رائدا فكريا لهذا العصر من عصور الفقه الإسلامي ، وأن يدخل تغييرات وتحسينات كثيرة على الفقه ، ويطور من مناهجه وقواعده . ومن بعده كان تلاميذه وتلاميذ تلاميذه يعترفون له بهذا الحق . يقول العلامة الحلي في شأنه : « **من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية** »[1] .

يقول ابن النديم : « **أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان ، في زماننا ، إليه انتهت رياسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ، ومولده سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وله من الكتب** .. »[2] . ويقول فيه أبو حيان التوحيدي : « **وأما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل ، صبور على الخصم ، كثير الحيلة ، ظنين السر ، جميل العلانية** »[3] .

وقد أجمع المسلمون في عصره على فضله وثقافته وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والأدب وقوة العارضة في الظهور على الخصم أثناء المناظرة ، قال اليافعي في مرآة الجنان في وقائع سنة ٤١٣ : **وفيها توفي عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة ، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم البارع في الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية** .. »[4] . قال الذهبي : « **محمد بن محمد ... الشيخ المفيد ، عالم الرافضة .. صاحب التصانيف البديعة ، وهي مائتا مصنف ...**

---

(١) الأصفي : المصدر السابق ـ ص ٥٣ ـ ٥٤ ـ . وأيضا **مقدمة كتاب البحار** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٠ .

(٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٣ .

(٣) أبوحيان التوحيدي : **الامتاع والمؤانسة** ـ بيروت ـ مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ ـ جـ١ ـ ص ١٤١ .

(٤) **مقدمة كتاب البحار للمجلسي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٧١ ـ ٧٢ . وأيضا الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٥ .

وله صولة عظيمة بسبب عضد الدولة شيعته ثمانون ألف رافضي . مات سنة ثلاث عشرة وأربعمائة » [1] . وقد ذكرت مؤلفاته في كتب التراجم وقد طبع كثير منها .. وقد قال فيه ابن حجر : **عالم الرافضة صاحب التصانيف البديعة . وهي مائتا تصنيف .. وكان كثير التقشف والتخشع والاكباب على العلم ، تخرج به جماعة وبرع في المقالة الإمامية حتى يقال : له على كل إمام منه ، وكان أبوه معلما بواسط ..** [2] .

أما الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ المفيد فعلماء كثيرون كان لهم صولة في تطوير الفكر الإسلامي ، **منهم السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي . والشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي . وشيخ الطائفة الشيعية محمد بن الحسن الطوسي . والشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي ، والشيخ الفقيه أبو يعلي سلار بن عبدالعزيز الديلمي . والشيخ أبو الفرج المظفر بن علي بن الحسين الحمداني وغير هؤلاء كثيرون. وكل واحد منهم له مدرسة خاصة تتلمذ عليهم كثير من طلاب العلم والمعرفة** [3] .

وكان الشيخ المفيد يحاضر وفق المذاهب الإسلامية المختلفة المتعبد بها في زمنه ، وكان له مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافة العلماء [4] .

٤ ـ الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن . ومدرسة النجف :

ولد الشيخ الطوسي سنة ٣٨٥هـ . بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق ، وهاجر إلى العراق ، فهبط بغداد سنة ٤٠٨هـ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت زعامة المذهب الشيعي يومذاك لمحمد بن محمد

---

(١) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص ٣٠ .
(٢) **مقدمة البحار للمجلسي** : مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٧٢ . نقلا عن ابن حجر : **ميزان الاعتدال** ـ جـ٥ ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٣) انظر ترجمة الشيخ المفيد من **كتاب بحار الأنوار للمجلسي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٧٨ .
(٤) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٤ .

النعمان الشهير بالمفيد ، فلازمه ملازمة التلميذ لأستاذه ، وعكف على الاستفادة منه ، وبقي على اتصاله بشيخه حتى وفاته ، فانتقلت زعامة المذهب الشيعي إلى أكبر تلاميذ الشيخ المفيد ، وهو علم الهدى السيد المرتضى ، فانحاز شيخ الطائفة الطوسي إليه ولازم الحضور تحت منبره ، وعني به المرتضى ، وبالغ في توجيهه وتلقينه ، واهتم به أكثر من سائر تلاميذه ، وعين له كل شهر اثنى عشر دينارا ، واستمر في ملازمته طيلة ثلاث وعشرين سنة ، حتى توفي السيد المرتضى عام ٤٣٦ ، فاستقل شيخ الطائفة بالإمامة ، وظهر على منصة الزعامة ، وكانت داره في الكرخ مأوى الشيعة ومقصد الوفاد بأنواعها لحل المشاكل وايفاء المسائل ، وقد تقاطر إليه العلماء والفضلاء للتلمذة عليه ، وقد قصده من كل بلد ومكان ، وبلغت عدة تلاميذه ثلثمائة من مجتهدي الشيعة ، ومن غيرهم عدد كبير ، وهكذا استمر بعد أستاذيه الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، في تطوير المدرسة بعد أن بلغت في حياة المرتضى دور المراهقة[١] . وأوصلها إلى قمة مجدها وازدهارها بعد وفاته ، حتى أن الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، يمنح الشيخ الطوسي كرسي الكلام ، وهذا له دلالته على بلوغ هذه المدرسة الفكرية مرتبة عالية حتى اعترف بها رسميا ،ولهذا كان له الفضل في وضع مناهج البحث والاستنباط الأصولي في الفقه ، ووضع كتابا في أصول الفقه المقارن[٢] .

وكانت حياة الشيخ الطوسي في مرحلتي التلمذة والتدريس ، سلسلة طويلة من المحاولات التجديدية لتطوير علم الفقه وصياغته من جديد ، وتحديد أصول الصناعة والصياغة الاستدلالية فيه ، وقد كانت في متناول الشيخ الطوسي مكتبتان كبيرتان يستعين بهما في التأليف والمطالعة والالمام بأمهات الكتب الفقهية **إحداهما** : **مكتبة الشيعة التي أنشأها أبونصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي ، وثانيهما** : **مكتبة أستاذه السيد المرتضى التي كانت تحتوي على ثمانين ألف كتاب** ، والتي لازمها ثماني وعشرين سنة . كل ذلك أدى إلى نشوء الشيخ الطوسي وتكوين ذهنيته

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٠ ـ ٩١ . وأيضا رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٠ .

وثقافته الواسعة[١] . مما جعله ولأول مرة يفتح باب الاجتهاد المطلق والنظر والرأي على مصراعيه واسعا ، وأن ينظم مناهج الاستنباط والاجتهاد ، ويؤصل الأصول ، ويضع مناهج البحث للأصول ويفرع المسائل ، ويضع أصول الدراسة المقارنة والخلافية في الفقه ، وعشرات من أمثالها ، مما أسدى الشيخ الطوسي إلى المدرسة الفقهية من خدمات . وقد ذكر الشيخ اغابزرك في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة اسم سبعة وأربعين مؤلفا للطوسي مما وصل إليه من أسماء مؤلفاته[٢] .

وقد انتقل الشيخ الطوسي إلى النجف سنة ٤٤٨ ، بعد أن استمرت الفتن المذهبية ، مما أدى إلى الهجوم على داره وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للتدريس والكلام[٣] . وفي ذلك يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨ : وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره . ثم قال في حوادث ٤٤٩ : وفي صفر من هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام وأخرج إلى الكرخ ..[٤] . وظل بالنجف يمارس مهمته في زعامة الشيعة والتدريس والتأليف وتطوير مناهج الدراسة الفقهية اثنتي عشرة سنة ، حتى توفي سنة ٤٦٠هـ [٥] .

والظاهر أنه كان في مدينة النجف قبل وصول الشيخ الطوسي إليها ، نواة حركة علمية ، فرأى الشيخ الطوسي أن ينميها ، ويجعل من النجف مدرسة علمية جديدة متخصصة في دراسة الفقه والحديث والعلوم الإسلامية الأخرى بوجه عام، **ولهذا أصبحت النجف بعد فترة قصيرة**

---

(١) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٥٩ . وأيضا حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٩ .

(٢) الأصفي : المصدر السابق : ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٩ ـ ٦٠ . وأيضا حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ . وأيضا حسن الأمين : **دائرة المعارف الشيعية** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢٢ .

(٤) حسن الأمين : المصدر السابق ـ ص ٢٢ . وأيضا الأصفي : المصدر السابق ـ ص ٦٠ .

(٥) الأصفي : المصدر السابق ـ ص ٦٠ . وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

من وصول الشيخ الطوسي إليها ، حاضرة العلم والفكر الشيعي، أخذ الناس يهاجرون إليها من مختلف المناطق ، وباشر الشيخ الطوسي بعد إقامته بها بالتدريس ، فكان يملي دروسه على تلاميذه بانتظام ، وما كتابه الآمالي إلا محاضرات ألقاها هناك[١] . وربما كان هذا الوجود للحركة العلمية ، والتي تعهد اصلاحها ورعايتها الشيخ الطوسي البذرة الأولى لهذه الحركة وعليه فقد عرف بأنه مؤسس مدرسة النجف ، حيث أعطى للحركة العلمية المذكورة مركزها العلمي وطابعها الجامعي الذي حولها إلى معهد للدراسات الإسلامية يؤم إليها طلاب العلم من مختلف البلاد الإسلامية[٢] .

يقول الدكتور غانم سعيد العبيدي : « .. وكانت النجف دارا للعلم ومركزا هاما للتدريس على المذهب الجعفري ، عام ٤٤٨هـ . وظلت تؤدي واجبها العلمي والديني رغم انتقال مركز الدراسة إلى غيرها كالحلة وكربلاء في فترات متعددة .. ولقد اعتبر النجف منذ عهد يناهز الألف عام معهدا للدراسات الإسلامية العالية في حقول الفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإسلامية إلى غير ذلك من العلوم العقلية والنقلية . وفي الوقت نفسه أصبحت نواة للجامعة العلمية التى عاشت الأجيال ،وقطعت شوطاً بعيدا في مسيرتها الجامعية »[٣] . ولهذا « أصبحت محط أنظار الراغبين في تحصيل العلم والاجتهاد من شتى أقطار العالم الإسلامي »[٤] . حتى تخرج منها عدد كبير من العلماء والمجتهدين في مختلف العصور[٥] ، وذلك لأن هذه المدرسة فتحت باب الاجتهاد ولم تغلقه في وجه رواد العلم والمعرفة ، ولم تحجر عليهم نعمة الله في التفكير . وقد « تجاوز تلاميذه فيها ثلثمائة من مختلف المذاهب الإسلامية »[٦]

---

(١) محمد بحر العلوم : **موسوعة العتبات المقدسة** ـ قسم النجف ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ١٧ ـ ١٨ .

(٢) عبدالهادي الفضلي : **دليل النجف الأشرف** ـ مطبعة الآداب في النجف ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) غانم سعيد العبيدي : **التعليم الأهلي في العراق ـ تطوره ، ومشكلاته** ـ بغداد ـ مطبعة الجمهورية ـ ١٩٧٠ ـ ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٩ .

(٥) عبدالهادي الفضلي : **دليل النجف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧ . وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٢ .

(٦) حسن الحكيم : المصدر السابق ـ ص ١٧٢ . وأيضا دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٥ .

وقد بقي تلاميذ الشيخ الطوسي وتلاميذ تلاميذه يتناقلون مدرسة الشيخ في الفقه والحديث والتفسير قرونا متطاولة ، حتى كثر فيها التجديد والتغيير ، ومن ألمع العلماء الذين تعهدوا رعاية الحركة العلمية في مدرسة النجف بعد الشيخ الطوسي خلال الفترة المذكورة ، هم آل الشيخ الطوسي ، وآل شهريار ، ومن أشهر من قام بذلك من آل الشيخ الطوسي : أبو علي الحسن بن الشيخ الطوسي . أما آل شهريار فمن أشهرهم أحمد بن شهريار ، من معاصري الشيخ الطوسي ، ومحمد بن أحمد بن شهريار ، صهر الشيخ الطوسي وتلميذه(١) . وقد صنف الشيخ الطوسي في جميع علوم الإسلام (٢) .

الدراسة في مدرسة النجف :

أما دراسة مدرسة النجف فهي لا تختلف في مناهجها وطابعها العام ومختلف أنماطها عن الدراسات الدينية وغيرها ، وأهم العلوم التي كانت تدرس هي :

١ ـ العلوم : أما العلوم المقررة التي تعارفت دراستها وتعلمها في هذه المدرسة منذ نشأتها هي :

أ ـ علوم الشريعة الإسلامية وهي : الفقه ـ أصول الفقه ـ التفسير ـ الحديث ـ علم الرجال ـ الفلسفة والكلام .

ب ـ علوم اللغة العربية : والذي يدرس منها : النحو ، الصرف ، البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، متن اللغة ، العروض والقوافي .

جـ ـ الأدب العربي والذي يتعلم منه : الشعر ، الكتابة ، الخطابة .

د ـ ما يلابس العلوم المذكورة وهي : المنطق اليوناني ـ الهيئة القديمة « الفلك العام » الرياضيات القديمة ، الحساب والهندسة ، ولازالت هذه العلوم تدرس في النجف حتى اليوم (٣) .

---

(١) عبدالهادي الفضلي : **دليل النجف** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ . وأيضا جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : **ماضي النجف وحاضرها** ـ ط٢ ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٥٨ ـ جـ١ ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٢) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٥ .

(٣) عبدالهادي الفضلي : **دليل النجف** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ ـ ٥٤ .

٢ ـ مراحــل الدراسة :

وهي على مرحلتــين : **الأولى** وتسمى بالمقـدمات والســطوح . وهي دراسة المواد السابقة تمهيدا للمرحلة الثانية وهي مرحلة الاجتهاد . أما طريقة السطوح فهي أن يتكلم الأستاذ والتلميذ على سطح كتاب مفتوح ، إذ يبدأ الأستاذ بقراءة عبارة الكتاب ويفسرها للتلميذ ، وتقتصر هذه المرحلة على دراسة اللغة والأدب والمنطق وبعض الكتب الفقهيـة المبسطة ـ غـير الاستدلالية ـ فإذا أتقن التلميذ هذه المقدمـات أو السطوح ، ينتقـل إلى **المرحلة الثانية**،وهي مرحلة دراسة علم الأصول والفقه الاستدلالي والكلام والفلسفة لتؤهله من حضور حلقة المجتهدين وهي مرحلة التخصص التي تؤهله للاجتهاد . يقول الشيخ عبدالهادي الفضلي : « ويتخصص الطالب في جامعة النجف بدراسة الفقــه ،ومرحلة التخصص بـالفقه تسمى مـرحلة الاجتهـاد . ويعني بالاجتهـاد ـ هنا ـ حصــول القدرة لدى الفقيـه عـلى استنباط أحكام التشريع الإسلامي من أدلتها . وطبيعة التخصص بالفقه تستدعي التخصص بأصول الفقه ، وذلك لأن الفقيه لايبلغ درجة الاجتهاد في الفقه مالم يكن مجتهدا في أصول الفقه . والفقه الذي يتخصص به في جامعةالنجف هو « فقه أهل البيت (ع) » . وهناك تخصصات أخرى يتوفر عليهـا الطالب حسب رغبته وهــوايتــه وهي في العلوم التـاليـة : المنـطق والفلسفة ، الكلام والعرفان ، التفســير ، الحديث ، الرجـال ، متن اللغة العربية ، النحو ، الصرف ، البلاغة[١] .

وتعتمد مدرسة النجف في ماليتها التي تنفقها على الطلاب وفي شئونها الأخرى على الحقوق الشرعية التي يدفعها المسلمون إلى مراجع التقليـد وعلى بعض الموقوفات الأهلية . وليس لمدرسة النجف أي مورد مالي حكومي من أية حكومة منذ أسسها الشيخ الطوسي حتى اليوم[٢] .

وقد أخذت مدرسة النجف منذ عام ٤٤٨هـ « في التقدم والتوســع حتى أصبحت أوسع وأهم جامعات العالم الدينية »[٣] .

---

(١) المصدر السابق : ص ٦٩ . وأيضا غانم سعيد العبيدي : **التعليم الأهلي في العراق ـ** مرجع سابق ـ ص ٤٠ .

(٢) عبدالهادي الفضلي : المصدر السابق ـ ص ٧٥ .

(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي ـ** مرجع سابق ـ ص ١٠٣ .

ومن خصائص مدرسة النجف العلمية أنها أحادية المذهب تقوم بتدريس علوم آل البيت عليهم السلام . ولم يكن ما ينافس المذهب الجعفري من المذاهب الاسلامية الأخرى في النجف ، ولذا اختلفت هذه المدرسة عن مدارس بغداد المعاصرة لها إذ كان بعضها ثنائي المذهب أو أكثر من ذلك ، ولكن هذا لايعني أن مدرسة النجف لا تتعرض لآراء المذاهب الإسلامية الأخرى ، فالشيخ الطوسي ألف « كتاب الخلاف » الذي يعتبر في حقيقته موسوعة فقهية عظيمة في الفقه المقارن ، وقد ناقش فيه آراء المذاهب الإسلامية كافة [١] . وهكذا انفصل الشيخ الطوسي عن تلامذته ، وحوزته العلمية في بغداد ، نتيجة مطاردته ، مبتعدا عن الفتن والاضطرابات ، متجها إلى النجف ، حيث تجددت حوزته فيها وأسس مدرسته العلمية بها [٢]

« جماعة اخوان الصفاء الشيعية » :

نشأت جماعة اخوان الصفاء في البصرة في القرن الرابع الهجري ، وكان لها فرع في بغداد ، وقد نشأت هذه الجماعة نتيجة الأوضاع الاجتماعية وما قام به الحكام العباسيون من تنكيل واضطهاد بالشيعة مما أدى بجماعة منهم أن يستتروا تقية من السلطان ورجال الدين ، وأخذوا يتبادلون الرسائل العلمية التي عرفت باسم رسائل اخوان الصفاء . وقد اشتهر أعضاؤها بالآراء العلمية الحرة شأنهم شأن كل الشيعة في ذلك العصر . وقد دعوا إلى تثقيف العقول والنفوس ونشر العلم والعرفان ، بمذهب يجمع بين الفلسفة والدين ، ولهذا فقد تقول عليهم الناس كما تقولوا على أسلافهم من الشيعة ، ولكن هذا لم يمنعهم من مواصلة المسيرة العلمية لنشر عقيدتهم والدفاع عنها ، وكانت وسيلتهم في ذلك عن طريق العلم والمعرفة بكل أشكالها وفنونها ، و « من حسن حظهم أن الأمراء كانوا يتنافسون في تقريب العلماء والاغداق عليهم ... وكان من مبادىء أعضاء هذه الجماعة أن لا يعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا

---

(١) المصدر السابق : ص ١٠٢ .

(٢) محمد باقر الصدر : **المعالم الجديدة للاصول** ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٥ هـ ـ ص ٦٢ ـ ٦٤ .

كتابا من الكتب ، وأن لا يتعصبوا لمذهب من المذاهب ، وأن يجمعوا العلوم جميعا وينظروا في الموجودات بأسرها »[1] كما كانت عليه مدرسة الباقر والصادق من قبل ، ومدرسة المفيد والطوسي التي جمعت مختلف العلوم وحضر فيها من مختلف المذاهب .

وكان اخوان الصفاء جماعة سرية ، لم يفصحوا عن أسمائهم ، أو عن حقيقة اتجاههم واكتفوا بأن سموا أنفسهم اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، وقد عاشوا خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . والغالب أنهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣ هـ ـ ٩٨٣ م ـ كما ويظهر من رسائلهم أنهم كانوا شيعة ، وأن هدفهم من تحرير هذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هذا عن طريق العلم والفلسفة ، ولهذا تعتبر هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية لا تزال إلى الآن مشكلة من مشاكل تاريخ الفلسفة ، فهي أول دائرة معارف فلسفية ظهرت في التاريخ ... ولأجل هذا تعتبر مظهرا من مظاهر الموسوعية في ثقافتنا[2] . يقول موسى السبتي : « إن هذه العصابة الطاهرة التي حاولت نشر الثقافة باسلوبها السائغ العذب وتيسير سبل التفكير للطبقات المتعلمة هي التشييع والعمل على بث هذه الفكرة بمختلف الوسائل والسبل »[3] . ولهذا يقول أحمد أمين : « كما نرى بوضوح في رسائل اخوان الصفاء وهم شيعيون ... »[4] .

وقد بلور اخوان الصفاء عقيدتهم وتطلعهم الاجتماعي والثقافي ، وبنوا نظامهم التعليمي الذي طمعوا أن يكون وسيلتهم إلى عالمهم الأمثل ، ومارسوا نفوذهم كقوة اجتماعية لها خطرها ولها ثقلها في تقرير الأحداث وتوجيه مسيرة التاريخ ، ولهذا الغرض ألفوا رسائلهم المشهورة ، وعددها احدى وخمسون ، أو ثلاث وخمسون رسالة ، تناولوا فيها كل نواحي المعرفة التي يحتاجها الفرد المثقف في القرن الرابع الهجري ، وأن الرسائل لها لون « شيعي علوي واضح » . كما أن من أهم ما يجلب

---

(١) عبدالحليم منتصر : (اخوان الصفاء) ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٢) حسين مؤنس : **اخوان الصفاء** ـ المصدر السابق ـ ص ١١٢ .
(٣) موسى السبتي : **اخوان الصفاء** ـ المصدر السابق ـ ص ١١٢ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٠

الانتباه فيها هو عناية دفعتهم إلى رفض النسب الدموي مقياسا اجتماعيا في تصنيف طبقـات المجتمع والاستعـاضة عنـه بالتصنيف المـادي للناس حسب أعمالهم ودخولهم [١] .

وتعتبـر جماعـة اخوان الصفـاء من أشهر فـلاسفة هـذا العصر ، وكانت ذات نزعة شيعية متطـرفة ـ كمـا يقول الـدكتور حسن ابـراهيم ـ ولهذا اشتهروا بآرائهم وأفكارهم الحرة . وتدل رسائل اخوان الصفاء على أن مؤلفيها نالوا حظا موفورا من الرقي العقلي . وتبدأ فلسفتهم بالنظـر في الـريـاضيـات ، وبـالتـلاعب بـالاعـداد والحـروف ثم تنتقـل إلى المنطق والطبيعيات ، فترد كل شيء إلى النفس ومالها من قوى ، وتنتهي أخيرا إلى الاقتراب من معرفة الله سبحانه [٢] . « وهكذا استطاع اخوان الصفـاء ، أن يقدموا أبرع تحليل فلسفي يدعمون بـه القضية الـرئيسية التي يقـوم عليها البنيان الشيعي كلـه ، ألا وهي حلقة الاتصـال بين النبـوة وخلافـة الله » [٣] . ومـع هـذا ، فهنـاك من يشكـك في كـون اخـوان الصفـاء من الشيعة [٤] .

وقـد أصبحت هـذه الجمـاعـة من أشهـر المـدارس الفكـريـة في الاســلام [٥] . ويكفي أن تكون في عصرهـا لسانـا معبرا عن أشيـاء كثيرة حولها . فـأولا : قد لخصت لنـا ـ كما يقـول الدكتـور زكي نجيب ـ أجود تلخيص حياة العلم والعلماء في عصرهـا . وثانيـا : يمكن اعتبارهـا طليعة تقدمية إذا قسناها بتيارات كثيرة حولها أرادت أن تشد الناس شـدا إلى الوراء [٦] . وقد تأثر بمنحاهم الفكري أكثـر مفكري الاسـلام . فالمعتـزلة مثلا ومن جرى مجراهم كانوا يتناقلون رسائلهم ويتدارسونها ويحملونهـا

---

(١) محمـد جواد رضـا : **اخوان الصفـاء** ـ دائـرة المعـارف الشيعيـة ـ مـرجـع سـابق ـ ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريـخ الاسلام السيـاسي** ـ مرجـع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
(٣) أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨٠ .
(٤) نادية جمال الدين : **فلسفة التربية عند اخوان الصفاء** ـ طبعة ١٩٨٣ ـ ص ١١١ .
(٥) عبد الغني عبود : **في التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٥ .
(٦) زكي نجيب محمود : **المعقول واللامعقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٥ .

معهم سرا إلى بلاد الاسلام ، ولم تمض على كتابتها مائـة سنة حتى دخلت الأندلس على يد أبي الحكم عمرو بن عبدالرحمن الكرماني ، وهـو من أهل قرطبة ، رحـل إلى المشرق للتبحر في العلم عـلى جاري عـادة الأندلسيـين ، فلما عاد إلى بـلاده حمل معـه الرسـائل المـذكورة ، وهـو أول من أدخلها الأنـدلس ، فما لبثت أن انتشرت هنـاك حتى تنـاقلهـا أصحـاب العقـول الباحثة وأخذوا في درسها وتدبرهـا [١] . بالاضـافة إلى ذلـك ، فقد وضـع اخوان الصفاء دستورا متكامـلا للبحث العلمي والفلسفي . وقد انعكست هـذه النزعـة العقلية الخـالصة عـلى فكرهم التـربوي ، ولهـذا نظروا الى التعليم والتربية نظرا عقليا ، معتمدين في ذلك على الحواس بالاضافـة الى العقل[٢] .

وقد دفع اخوان الصفاء إلى كتـابة رسـائلهم أمران : أحـدهما هـو تأكيد روابط الاخاء التي رأوا أنها سر الحياة الانسانية . والأمر الثـاني : يعـود إلى ما رأوا أنـه يتهددهم من اضطهـاد الأمـراء لهم وسفـك دمـاء بعضـهم في سبيل تلك الدعوة ، ولهذا كانوا يعملون لتغيـير الواقـع والنظام القائم ، وكانت وسيلتهم إلى ذلك هي تغيير النظام العقلي المسيطر على حياة المسلمين[٣] . وهذه الوسيلة هي امتداد لمدرسة أهل البيت منذ أن أنشأها الامام الباقر والصادق[٤] .

وصفـوة القول في آرائهم كمـا يقول الـدكتور حسن ابـراهيم ، أنها مذهب جماعة مضطهدة ، تبـدو النزعـات السياسيـة في جميع أجـزائه ، وترى من خلاله بعض ما عاناه أصحاب هذه الرسائـل من آلام وما قـاموا به من كفاح ، وما استهدفوا له هم وأسلافهم من ظلم ، ونتبين منه ما كان يختلج في نفوسهم من أمل ، وما تواصوا به من الصبر . وهم يلتمسـون في هذه الفلسفة الروحية سلوى لنفوسهم أو تطهيرا لها ، وهـذه الفلسفة هي دينهم ، وشعـارهم المذكـور أن يكون الـواحد منهم مخلصـا حتى الموت ،

---

(١) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مـرجع سـابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .
وأيضا محمد لطفي جمعه : **تاريخ فلاسفة الاسلام** ـ بدون معلومات ـ ص ٢٥٤ .

(٢) عبدالغني عبود : **في التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٦ .

(٣) محمد فوزي العنتيل : **التربية عند العرب** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٤ .

(٤) انظر مدرسة وجامعة أهل البيت من هذا الفصل .

لاعتقادهم أن ملاقاة الموت في سبيل صلاح الاخوان هي الجهاد الصحيح . فأوجبوا على الانسان أن يساعد أخاه في هذه الحياة بكل ما يتسع له جهده ، فيجب على ذي المال أن يجعل للفقير حظا من ماله ، وعلى ذي العلم أن يعلم أخاه الجاهل ..(١) .

وهكذا اتخذ الشيعة مختلف الوسائل والطرق العلمية لتغيير الواقع الذي عاشه المسلمون في ذلك العصر ، حتى لاقوا من التنكيل والاضطهاد في سبيل اعلاء كلمة الحق وتخليص الانسانية من الاستبداد والحرمان ، مما حدى بهم أن يخفوا أنفسهم عن السلطات ورجال الدين الذين ساروا في ركابهم طمعا في الدنيا ، وحب الحياة . وهكذا كانت حياة الشيعة سلسلة كفاح وجهاد من أجل المحرومين والمضطهدين ، حتى أثروا العقل الانساني بتراثهم العلمي الضخم وبأفكارهم الحرة .

ثالثاً : بنو حمدان في حلب والموصل :

امتدت الحركة العلمية لدى الشيعة إلى مراكز عديدة ، كانت كعبة العلماء والفقهاء والفلاسفة والمتكلمين والشعراء والأدباء ، فشملت الموصل وحلب أيام الدولة الحمدانية ، وسرى نفوذهم إلى بغداد . يقول آدم متز : « وكان الحمدانيون أول أسرة شيعية تدخلت في أمور بغداد »(٢) . ومهما يكن ، فقد كان الحمدانيون عربا خلصا ، وكانوا شعراء ، وحسبنا أن سيف الدولة كان أمل الأدباء والعلماء في عصره ، وقد زان قصره بمختلف العلماء والأدباء والشعراء(٣) .

يقول الدكتور حسن ابراهيم : « بلاد الحمدانيين في الموصل وفي حلب خاصة : فقد كانت حضرة سيف الدولة مقصد الوفود وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال أنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء

---

(١) حسن ابراهيم حسن **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص.ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .
(٢) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١١٨
(٣) أحمد محمد الحوفي : **أبو حيان التوحيدي** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ نهضة مصر بدون تاريخ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر . وكان أديبا شاعـرا محبا لجيد الشعر شديد الاعتزاز لما يمدح »[١] .

وينقل الدكتور أحمد شلبي عن Gibb قـوله : « وانتقـل تيار الأدب العربي لمدة بضـع سنين إلى شمـالي سوريـا واتخذ مقـرا له مـدينة حلب عاصمة الدولة الحمدانية الشيعية المذهب ، وقد استطاع سيف الدولة أن يجمع حوله في مملكته الصغيرة ، جماعة قل أن تضارع ، إذ كانت متعددة النواحي في العبقرية ، وقد كان كرمه الفائق سببا في أن يجذب نحوه ذوي الرياسـة من أدباء العصر وعلمـائه فـأحاطـوا اسمه بـاطار من السمعـة الخالدة »[٢] . ولهذا يقول بروكلمان : « ... استطاع الأمير العربي سيف الدولة الحمداني ، والذي كـان يتشيع للعلـويين ، أن يؤسس مـرة أخرى دولة عربية استرعت الاهتمام ، ونالت الاجلال والاعظام . وقد أقام سيف الـدولة دولتـه في شمال الشـام ... فقد أمكنـه أن يبعث في عاصمـة ملكه نهضـة عقلية ، وكـانت قصيرة الأجـل ... في دائـرة مجمـوعـة من كبـار الرجال »[٣] .

وتعتبر الحركة العلمية والعقلية التي قامت في بلاط الحمدانيـين من أكبر الحركات العلمية وأعظمهـا كما يقـول أحمد أمـين ، في الأدب واللغة وعلومها ، حتى تخرج من المدرسة الحلبية التي أسسهـا سيف الدولـة ، أبو بكر الخوارزمي ، والقاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجـاني ، مؤلف الوساطـة بين المتنبي وخصـومه . والـذي أدى إلى نهوض الحـركة العلمية هذه ، المميزات التي اتصف بها سيف الدولة ، والتي شجعت على النهوض بالشعر والأدب والعلم إلى غاية بعيدة[٤] .

ثم كـان في بـلاط سيـف الدولة الفيـلسـوف الشيـعي الكـبـير الفـارابي[٥] . درس فـي بغداد ، ثم عاد إلى دمشق وأقام بهـا في حضرة سيف الدولة بن حمدان فأحسن إليه ، يقول ابن خلكان : « ورأيت في بعض

(١) حسن ابراهيم : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٣ .
(٢) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص.ص ٩١ ـ ٩٢ .
(٣) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨١ .
(٤) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص.ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٥) أغـابزرك الطهـراني : **الذريعة إلى تصـانيف الشيعة** ـ مـرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٣ .

المجاميع أن أبا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف ، فأدخل عليه وهو بـزي الأتـراك ..»[1] وكان يعلم طلابه في الحدائق التي حول حلب ، ويكتب كتبه في المنطق والإلهيات والسياسة والرياضة والكيمياء والموسيقى . وقد بقي في بلاط سيف الدولة في الشام إلى أن مات سنة ٣٣٩ هـ [2]

وكان حول سيف الدولة أطباء يعنون بـالطب والفلسفة ، إذ كـان الطب فرعا من فروعها . ويذكر إبن أبى أصيبعة في طبقات الأطباء ، أن سيف الدولة كان له أربعة وعشرون طبيباً منهم عيسى الرقى ، وكان سيف الدولة يعطي عطاء لكل عمل ، وكان عيسى الرقي يأخذ أربعـة أرزاق ، رزقا بسبب الطب ، ورزقـا بسبب ترجمـة الكتب من السريـاني إلى العربي ، ورزقين بسبب علمين آخرين [3] .

وهكذا كان بلاط سيف الدولة يزخر بالشعر والشعراء والمنـاظرات اللغـوية والنحوية ، ويزينه الفارابي بفلسفته ، ويشع هذا النتاج في المملكة الإسلامية كلها وخاصة الشام ، ومنه يستنشق أبو العلاء المعري أول عهده بـالدراسة ، فقـد ولد سنـة ٣٦٣ هـ بـالمعرة ، وأخـذ علومـه من بـلاط الحمدانيين ، ولئن كان سيف الدولة قد مات قبل ولادته بثمان سنين ، إلا أن الحركة العلمية والأدبية لم تمت ، فشعر الشعراء يـروى ، وتلاميـذ ابن خالويه وابن جنى يروون علمهما باللغة والأدب والنحو والصرف ، وتلاميذ الفارابي يروون فلسفته ، وقد أقام أبو العلاء في حلب نحو عشر سنوات ينهل من موارد العلم ، فحركة الأدب واللغة والفلسفة التي أحياها سيف الدولة لها فضل على أبي العلاء وغيره من العلماء والأدباء[4] .

وهكذا كانت هذه الدولة الشيعية[5] ، مـركزاً من مـراكز الحـركة

---

(١) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٧ .
(٢) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٦ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٤) المصدر السابق : ص.ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
(٥) المصدر السابق : ص.ص ٧٤ ـ ٧٥ .

العلمية عند الشيعة حيث زخرت بالعلم والعلماء نتيجة تشجيع الشيعة وأمرائهم وعلمائهم أمثال سيف الدولة ، حتى بلغت القمة في الثقافة الإسلامية والمعارف الإنسانية ، وأصبحت حلب مركزا علميا يتوافد إليه طلاب العلم والمعرفة .

رابعاً : قم والري في ايران :

انتقلت الحركة العلمية لدى الشيعة إلى ايران ، وقد بدأت هذه الحركة في مطلع القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ، وفي هذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة والبحث إلى مدينتي (قم) و (الري) . وظهر في هذه الفترة شيوخ كبار من أساتذة الفقه الشيعي ، في مدينتي (قم) و (الرى) كان لهم أكبر الأثر في تطوير الفقه الشيعي ، فقد كانت قم منذ أيام أئمة الشيعة بلدة شيعية ومدينة كبيرة من أمهات المدن الشيعية ، وكان الرى في هذا التاريخ بلدة عامرة بالدرس والمكاتب وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدثين ، وكان أحد أسباب انتقال « مدرسة أهل البيت من العراق إلى إيران » هو الضغط الشديد الذي كان يلاقيه (فقهاء الشيعة) وعلماؤهم من العباسيين ، فقد كانوا يطاردون من يظهر باسم الشيعة بمختلف ألوان الأذىٰ والتهم ، فالتجأ فقهاء الشيعة وعلماؤهم إلى (قم) و (الرى) ووجدوا في هاتين البلدتين ركنا آمنا يطمئنون إليه لنشر فقه أهل البيت عليهم السلام وحديثهم(١) .

وكانت قم والرى تحت حكومة سلاطين آل بويه(٢) . وقد عرف آل بويه في التاريخ بنزعتهم الشيعية وولائهم لأهل البيت ، على أن مدرسة قم كانت في هذه الفترة من أوسع المدارس الشيعية في الفقه والحديث وأضخمها ، وكانت تضم مئات المدارس والمساجد والمكاتب وندوات البحث والمناقشة ومجالس الدرس والمذاكرة(٣) .

---

(١) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص.ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) علي ابراهيم حسن : **التاريخ الإسلامي العام** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥٠ . وأيضا أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢١٧ . وأيضا أحمد الحوفي : **ابو حيان التوحيدي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢ .

(٣) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤ .

ومهما يكن من أمر فقد حفلت قم والري في هذه الفترة ، القرن الرابع الهجري ، بشيوخ كبار في الفقه والحديث : أمثال الشيخ الكليني المقتول سنة ٣٢٨ . يقول ابن الأثير في حوادث هذه السنة : « وقتل محمد بن علي أبو جعفر الكليني وهو من أئمة الإمامية وعلمائهم »[١] . وابن بابويه والد الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٢٩ هـ . وابن قولويه أستاذ الشيخ المفيد المتوفى سنة ٣٦٩ هـ ، وابن الجنيد المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، وغيرهم من كبار مشايخ الشيعة في الفقه والحديث كالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ . ولهذا نشطت في هذه الفترة حركة التأليف والبحث الفقهي وتدوين المجاميع الحديثية الموسعة ، كالكافي ، ومن لا يحضره الفقيه ، وغيرهما من المجاميع والكتب الفقهية[٢] .

يقول أحمد أمين : « إن دولة بني بويه كانت دولة شيعية تتظاهر بشعار الشيعة جهارا وتحتفل بالأعياد الشيعية ... وكان أهم أمرائهم وألمعهم عضد الدولة . وقد كان يقيم في شيراز ولكن لم يمنعه ذلك من اصلاح بغداد وانشاء عدد كبير فيها من المساجد والمستشفيات .. وقد كان يرعى العلم والأدب ... »[٣] . ولهذا نبغ في عهده جماعة من الفلكيين وعلماء الطبيعة والرياضة ، منهم : الكوهي وأبو الوفاء . أما الكوهي فدرس حركات الكواكب السيارة ، وألف فيها وأضافت اكتشافاته بشأن الانقلاب الصيفى والاعتدال الخريفى جديدا إلى المعرفة البشرية [٤] ، بالإضافة إلى أن عضد الدولة نفسه كان عالما ورياضيا ، ولهذا أكرم العلماء الذين وفدوا على بغداد من كل مكان ، كما ساهم في مجالسهم العلمية [٥] . وكان يشاركهم في علومهم ، كما شارك الشعراء في شعرهم وأدبهم [٦] .

وقد اشتهر آل بويه بالعلم والأدب ، فكان عز الدولة بن المعز شاعرا ، وكان عضد الدولة وابنه تاج الدولة أديبين ، وكذلك كان أبو العباس بن ركن

---

(١) ابن الأثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ٢٧٤ .
(٢) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥ .
(٣) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٤٣ .
(٤) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٢ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٦١ .
(٦) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٤٢ .

الدولة ، على أن عضد الدولة كان نابغا في عدة علوم ، لذلك ظهر ميلهم في اختيارهم وزراءهم والمقربين إليهم ، فكان أكثر وزرائهم كتابا أو شعراء أو علماء ، فمعز الدولة استوزر الحسن المهلبي ، وركن الدولة استوزر ابن العميد ، ومؤيد الدولة وأخوه استوزرا ابن عباد ، وصمصام الدولة استوزر ابن سعدان ، وهو صاحب المجلس الذي كان يضم كثيرا من الأدباء والعلماء مثل أبي حيان وابن مسكويه وابن زرعة ، وكان نشاطهم في تشجيع العلماء والأدباء محمودا ، وكان هؤلاء يغمرون العلماء والأدباء بعطاياهم ، وكان مجلس عضد الدولة يزخر بالمباحثات والمناقشات وقد ألف له أبو علي الفارسي كتاب « الايضاح والتكملة في النحو » . وألف له أبو إسحاق الصابي كتاب « التاجي » في تاريخ آل بويه[١] .

وكان « فناخسرو بن الحسن بن بويه عضد الدولة .. أحد العلماء بالعربية والأدب ، وكان كامل العقل غزير الفضل ، حسن السياسة ، شديد الهيبة بعيد الهمة ، ذا رأي ثاقب ، محبا للفضائل ، تاركا للرذائل ، باذلا في أماكن العطاء ، ممسكا أماكن الحزم ، له في الأدب يد متمكنة ، ويقول الشعر الجيد »[٢] .

أما وزراؤهم فقد استنوا سنتهم ، وعنوا بالعلم والعلماء ، وكان على رأسهم ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والوزير المهلبي ، وابن سعدان ، وقد كان كل عظيم الجاه ، يقصد إليه الأدباء والعلماء ، وكان لكل واحد منهم ميزة ، فكان الصاحب بن عباد ميزته الأدب والبحث ، وهو في مجالسه يعلم الأدباء بالنقد ، ويقترح عليهم نظم الشعر في موضوعات معينة أو إجازة بعض الأبيات . وميزة ابن العميد العلم والأدب ، وقد ضم إليه طائفة من المتخصصين في هذا . وابن سعدان كان يعنى بالفلسفة وبمجالس الفلاسفة ، أمثال أبي حيان التوحيدي ، ويثير في مجالسه مسائل فلسفية ، أما الوزير المهلبي ، فكان يعنى بالأدب الصرف وفي التأليف . ومن الآثار الأدبية التي كان يعنى بها أشعار الشريف الرضي وما في ديوانه مما يتعلق بالتشيع كثير ، وكان يدور في فلكه مهيار الديلمي ، فيقول الأشعار والقصائد الشيعية المتعددة[٣] .

(١) أحمد الحوفي : **ابو حيان التوحيدي** ـ مرجع سابق ـ ص.ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٧ .
(٣) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٤٢ .

أما الصاحب بن عباد يقول فيه بروكلمان : « كافي الكفاة أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس ، الصاحب .. ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان أبوه كاتب ركن الدولة وعضد الدولة بـن بويه ، كما كان يشتغل بالأدب ويؤلف التـآليف ، ويميل إلى مـذهب الشيعة غـير الغـلاة ... »[١] . وقـد ذكـر آغابزرك الطهراني بعض مصنفاته في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة منها : « الإبانة عن مذهب أهل العدل بحجج من القرآن والعقـل » لكافي الكفاة الصاحب بن عباد ، المتوفى سنـة ٣٨٥ . أولـه : « الحمد لله الواحد القديم العدل الكريم الرؤوف الرحيم » . إلى قوله : هذا مختصر في الإبانة عن مذهب العدل[٢] ، وفي ذلك يقول الصاحب :

تعـرفت بـالعـدل في مـذهـبي ودان بحسن جـدالي العـراق[٣]

وقد اجتمع عند الصاحب من العلماء والشعراء مالم يجتمع عند غيره، وكان حسن الأجوبة ، وقد صنف في اللغة كتابا سماه « المحيط » . وهو في سبعة مجلدات وكتاب « الكافي » في الرسائـل ، وكتاب الأعيـاد وفضائـل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب[٤] . وكان شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فيهـا ، كالهنـدسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد[٥] « **وكان الناس على ثقة في علمه وأدبه ، ولذا تزاحموا على درسه .. وكانت فواضله تغمر من في بغداد ومكة والمدينة من أهـل الشـرق والكتـاب والشعـراء وأولاد الأدبـاء والزهـاد والفقهاء** »[٦] .

أما ابن العميد فهو : « أبو الفضل محمد بن العميـد أبى عبدالله الحسـين الكاتب ، كـان وزيرا لركن الدولة أبي عـلي بن بـويـه الديلمي

---

(١) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٨ .

(٢) اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٣) أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري : **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٢٧ .

(٤) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٥) أبو حيان التوحيدي : **الامتاع والمؤانسة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٤ .

(٦) أحمد الحوفي : **أبو حيان التوحيدي** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ .

« ٣٢٠ ـ ٣٦٦ هـ » وكان يتشيع على مذهب الإمامية .. »[١] . وقد وصفه ابن الأثير في قوله : « .. **وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من التدبير ، وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع ، وكان عالما في عدة فنون منها الأدب فإنه كان من العلماء به ، ومنها حفظ أشعار العرب ، فإنه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله ، ومنها علوم الأوائل ، فإنه كان ماهرا فيها مع سلامة اعتقاد إلى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق ... وبه تخرج عضد الدولة ، ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء »[٢] . « وكان كامل الرياسة ، جليل القدر ، من بعض اتباعه الصاحب بن عباد ، وكان له في الرسائل اليد البيضاء حتى قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد »**[٣] .

وهكذا أنجبت بلاد فارس في عهد الدولة البويهية ، بتشجيع ـ عضد الدولة البويهي والصاحب بن عباد وابن العميد ، وأمثالهم ـ نوابغ من العلماء والأدباء ففي الفلسفة كان على رأسهم أبو بكر بن محمد بن زكريا الرازي ، ثم ابن العميد وابن عباد ، كما أوجد هؤلاء في هذا الأقليم حركة أدبية رائعة ، فكان ابن العميد كما يقول أحمد أمين : مولعا بالأدب ، وله مذهب في الكتابة أخذ عنه وقلد فيه .... ولهذه العظمة المزدوجة قالوا : بدئت الكتابة بعبدالحميد .... والناس بعد قد قلدوا هذا الأسلوب ، وعدوه المثل الذي يحتذى »[٤] . وهكذا كان هؤلاء الأعلام الثلاثة عضد الدولة وابن العميد ، وابن عباد ، مصدر الحركة العلمية في هذا القسم من بلاد فارس ، إذ كان كل منهم على إمارته أو وزارته عالما أديبا يرى أنه أول ما يجب عليه أن يزين بلاطه ومجلسه بالعلماء والأدباء[٥] . ولهذا كان لابن العميد والصاحب بن عباد أثر عظيم في تشجيع الأدباء ، وازدهار الشعر والنثر ،

---

(١) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٩ .
(٢) ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٣٨ .
(٣) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٨٩ .
(٤) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٢ . وأيضا حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٣ .
(٥) أحمد أمين : المصدر السابق ـ ص ٢٤٧ .

لأنهما جمعا إلى جاه الوزارة الأدب والشغف به والتأليف فيه ، فكان ابن العميد يكرم العلماء والأدباء ، ويغدق عليهم ويعقد مسابقات بينهم ، وأنشأ مكتبة كبيرة عين ابن مسكويه مديرا لها ، وسار على نهجه الصاحب بن عباد[١] .

يقول أحمد أمين : « وابن العميد تفوق في علوم كثيرة منها الهندسة والمنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات والطبيعة والتصوير ، وكان أديبا واسع الرواية لاشعار العرب ... كان هذا الرجل ـ ابن العميد ـ أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب ، وتوسعا في النحو والعروض ، واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية فالإسلام . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله وتشابهه ، والمعرفة باختلاف فقهاء الأمصار ، فكان منه في أرفع درجة ، وأعلى رتبة ، ثم إذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم لم يكن يدانيه فيها أحد ، فأما المنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات فيها خاصة ، فما جسر أحد في زمانه أن يدعيها بحضرته .. ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة كعلوم الحيل (الميكانيكا) التي يحتاج إليها في أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجر الأثقال ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع »[٢] .

ويعزو مصطفى جواد ، التقدم الشامل في العهد البويهي إلى الحرية التي كان العلماء يتمتعون بها في ذلك العهد قائلا : « آخذت العلوم تزدهر أزدهارا سريعا ، حتى صارت أيامها من أزهر العصور العلمية الإسلامية ، وذلك لتوفر الحرية الفكرية ، والحرية العلمية ، وكانت هذه الحريات قبلهم مزمومة مكتومة وقد عوقب عليها قبلهم بالموت ... »[٣] .

والذي مكن البويهيين من بعث الاستقرار والأمن في البلاد ، سياستهم الحكيمة المتسامحة تجاه جميع السكان[٤] . وكان من نتائج هذه السياسة أن هدأت الأحوال ، واستقرت الأمور في أغلب الأوقات ،

---

(١) أحمد الحوفي : **أبو حيان التوحيدي** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(٢) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٤٨ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ .
(٤) Mafizullah, Kabir: **"The Buwayhid dynasty of Baghdad"** (Calcutta, 1964). P. 212.

وانصرف الناس إلى العمل من أجل ترقية الحياة المادية والروحية ، وعادت بغداد كعبة العلم والثقافة على النحو الذي كانت عليه في العصر العباسي الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ)[١] . وهذا هو السر في كثرة من نبغ في العلوم والآداب في تلك الفترة من مختلف المذاهب الإسلامية أمثال الكليني ، وابن قولويه ، والصدوق ، والشيخ المفيد ، والشريف الرضي ، والشريف المرتضى ، والشيخ الطوسي ، والكثير من علماء المذاهب الإسلامية ، والفرق الكلامية أمثال : الماوردي ، والشيرازي الفيروزابادي ، والجويني إمام الحرمين ، والباقلاني ، والبصري ، وابن الصباغ ، والدامغاني ، والبغدادي ، وغيرهم من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين ازدهر بهم القرن الخامس الهجري ، وإن رجال الفكر والعلم كان الكثير منهم في عهد الدولة البويهية في مأمن من الفوضىٰ والإضطراب[٢] .

« **وعلى الجملة فقد خدمت الدولة البويهية العلم والأدب خدمة كبرى ، ومع أنهم فرس الأصل وأكثر وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس ، فقد كانوا يتعصبون في العلم والأدب للسان العربي ... وكل من هؤلاء كان عمادا عظيما للأدب والأدباء والعلماء ، وكانت لهم مجالس تموج بالعلم والأدب** »[٣] . واستمروا على ذلك إلى سنة ٤٤٧ هـ . وامتد سلطانهم على جزء كبير من الوطن الإسلامي في فارس وأهوازوكرمان وبغداد وغيرها ، وقد خدم البويهيون التشيع أيام حكمهم ونشروا المذهب في ايران والعراق ، وخلفوا تراثا فكريا قيما من بعدهم[٤] .

خامساً ـ الادارسة في المغرب والأندلس :

قامت دولة الادارسة على يد المولى ادريس بن عبدالله العلوي ، بعد أن نجا من مجزرة (فخ) ، حيث سار إلى بلاد المغرب الأقصى مع مولاه راشد بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوي في موقعة فخ ، وقد استقبلته قبيلة ـ أوربة البربرية ـ التي لقى منها العون والتأييد في تأسيس دولة

---

(١) William. Muir, **"The Caliphatt" its rise decline and fall,** (Beirut, 1963) P. 504.

(٢) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ .

(٣) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٥ .

(٤) الأصفي : **مقدمة اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٢٣ .

الادارسة التي كانت أول دولة مستقلة عملت على نشر الإسلام في ربوع هذه البلاد (١) .

يقول جرجي زيدان : « **قد علمت حال الشيعة في أيام بني أمية بالشام وما قاسوه من القتل والصلب ، ثم ما كان حالهم في الدولة العباسية ، وخصوصا في أيام المنصور والرشيد والمتوكل ، من الاضطهاد والقتل ، فحملهم ذلك على الفرار إلى أطراف المملكة الإسلامية ، فهاموا على وجوههم شرقا وغربا ... وكان فيمن جاء نحو الغرب ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى** »(٢) .

وقد حاول العباسيون القضاء على كل دعوة شيعية بمختلف الأساليب ، ولكن دون جدوى . ومن هنا فقد حاولوا التوهين منهم ،حتى طعنوا في نسبهم كما طعنوا في نسب الفاطميين ليبعدوا الناس عنهم . وفي ذلك يقول ابن خلدون : « .. ولتعلم أن أكثر الطاعنين في نسبهم إنما هم الحسدة لأعقاب إدريس هذا من منتم إلى أهل البيت أو دخيل فيهم ، فإن ادعاء هذا النسب الكريم دعوى شرف عريضة على الأمم والأجيال من أهل الآفاق ... ولما كان نسب بني ادريس هؤلاء بمواطنهم من فارس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق »(٣) ..

هذا وقد استطاع إدريس خلال خمس سنوات وهي مدة ولايته أن يوصل الإسلام إلى الأماكن التي لم يكن قد وصل إليها ، وقد أقام ملكا وطيدا دعامته العدل وانصاف الناس ، وهكذا ازدادت الدولة تمكنا يوما بعد يوم ، واستقام أمر المغرب لأدريس الثاني وعظم سلطانه ، فبنى مدينته فاس (٤) .

وقد قامت دولة الادارسة بدور هام في نشر الإسلام وتعاليمه ، وفي ربوع المغرب ، وكان لانتسابهم إلى الرسول الكريم (ص) أثر كبير في توحيد القبائل المتعادية وتأييدهم لهم بعد أن كادت الفتن التي قام بها الخوارج أن تمزق شملهم ، وهكذا استطاع المولى ادريس ولأول مرة أن

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٤ .
(٢) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٠ .
(٣) ابن خلدون : **المقدمة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ ـ ٢٦ .
(٤) محمد رضا الشبيبي : **الادارسة** ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٤ .

يوحد بين اقليم السهول الساحلية المغرب الأقصى ، وإقليم المراعي ـ أي بين اقليم الحضارات القديمة واقليم البداوة ـ كما استطاع الادارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس بقصد اتمام نشر الإسلام في البلاد ومحاربة العقائد الشاذة والقضاء على بقايا اليهودية والنصرانية التي كانت بين قبائل المغرب [١] .

« وتنافس الادارسة في فاس وخلفاء الأندلس في نشر الفنون والعلوم ودوىٰ صوت الفلسفة والعلم من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهندي ، بل المحيط الهادي ، كذلك بفضل توجيه المسلمين وارشادهم »[٢] .

وقد أنتجت المغرب ابن هانيء الاندلسي ، المولود سنة ٣٢٠ هـ ، وقد عده بعضهم أشعر شعراء الاندلس من المتقدمين والمتأخرين ، ولكن الناس غضبوا عليه لاتهامهم اياه بالفلسفة ، ويظهر ذلك من مزجه الدعوة الشيعية في شعره بشيء من الفلسفة ، وكانت الفلسفة في تلك الفترة مكروهة[٣] . « والظاهر أنهم نقموا عليه دعوته الفاطمية ، وهم ذو نزعة أموية ، وتعدت نقمتهم عليه »[٤] . ومن هنا يظهر مدى حقيقة اتهامه في بعض أشعاره من الغلو ، فالذين لا يتحرجون من الطعن في نسب آل الرسول ـ كما تقدم ـ كذلك لا يتحرجون من وضع بعض الأشعار ونسبتها إلى ابن هانيء ... ولهذا يضع الباحثُ هذه الظاهرة أمام الباحثين . هذا وقد وصف لنا الرحالة حالة الشيعة في المغرب وما كان يلاقونه قبل تأسيس الدولة الادريسية حيث يقول : « .. **وقد اذكرني حال العلويين في المغرب أيام علي وأبي بكر وعمر بن الخطاب (رض) من الصلاح والخير والبركة ، يتبعون الرسوم التي حفظوها عن النبي (ص) ولا يقيمون أبهة الملك الا ما تدعوهم إليه حاجة الخلافة ، وكذلك أهل الشيعة في التزام الخير واتباع السنن العادلة ، والمحافظة على القراءة التي قرأها عليّ عليه السلام الا أن الاغلبي ... ينقم منهم أمر**

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٦ .
(٢) السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٧ .
(٣) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٥ .

الدين والدنيا ، ولا ذنب لهم إلا أنهم يحرصون على الخير والصلاح ، ويميلون مع أهل بيت السلالة الشريفة الطاهرة »[1] . وفي ذلك يقول أحمد أمين : « ويظهر أن دعاة الأمويين خافوا من دعوته الشيعية الفاطمية ، وكرهوا ذلك منه فقتلوه ـ اي ابن هانيء ـ وذلك سنة ٣٦٢ هـ »[2] .

كما أنتجت المغرب أبا حنيفة النعمان المغربي قاضي القضاة : « وقد ترك .. في مؤلفاته الرائعة الكثيرة ثروة ثمينة .. ولا غرو فإن النعمان ضرب بسهم في جميع النشاط العلمي »[3] وأيضا انتجت الشريف الادريسي واضع أقدم وأوضح خريطة جغرافية للدنيا القديمة ، ولم يكن كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الا شرحا لهذه الخريطة وتعليقا عليها ، وقد شرحت شروحا كثيرة قديما وحديثا . يقول الاستاذ ميللر في آخر بحث أجراه لشرح الخريطة ما معناه : « إن رجار الثاني والادريسي بوصفهما لهذه الخريطة قد وضعا أهم حجر أساسي في تاريخ انتشار العلم الانساني »[4] .

وهكذا كانت دولة الادارسة في المغرب مركزا من مراكز العلم عند الشيعة ، حيث قامت بنصيب وافر في اذكاء الحركة العلمية هناك ، فبهم انتشر الاسلام حتى بلغ أقاصي البلاد ، وازدهرت العلوم والحضارة ، وتحضر أهل البوادي والجبال ، فلقد أنشأوا المدن الواسعة ، وبنوا المساجد ، وأقاموا الجامعات والكليات . وعم في عهدهم العدل والأمن والرخاء[5] . قال المستشرق « سيديوا » في كتاب « تاريخ العرب العام : « ظل الادارسة قابضين على ما ملكوه من سنة ٨٠٣ إلى سنة ٩٤٩ م ـ مقيمين في البلاد التي هي مدينة لهم بجليل الأعمال ، فأسسوا مدينة فاس

---

(١) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٢ .
(٢) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧٦ .
(٤) عبدالله ماضي : **الادارسة** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(٥) محمد جواد مغنية : **دول الشيعة في التاريخ** ـ ط ٢ ـ النجف ـ مطابع النعمان ـ ١٩٦٥ ـ ص ٢٢ .

التي اضحى مسجدها مقدسا لدى جميع الأهالي المجاورين ، ونـال شهرة عظيمة في زمن قليل ، واشتملت مدينة فاس على مدارس ومكتبات تساوقت هي والحـركة العلميـة التي حمل لـواءها بنـو العباس في المشرق ، وغـدت مستودعا تجاريا واسعا بين عرب أسبانيا وعرب افريقيا »[1] .

سادسا ـ الدولة الفاطمية في مصر :

لم يكن التشيـع شيئا غـريبا في مصر ، بـل وجد منـذ الصدر الأول للاسلام ، وخاصة في خلافة علي بن أبي طالب . وكان حال الشيعة العلوية بمصر يتقلب بين الشدة والـرخاء ، بتقلب أحـوال الخلفاء في بغـداد ، فإن تـولى خليفـة يكـره العلـويـين ضيق عـلى الشيعـة واضطهـدهم والعكس بالعكس ، فلما تولى المتوكل واضطهد الشيعة العلوية كتب إلى عامله بمصر باخراج آل أبي طالب الى العراق فأخرجهم سنة ٢٣٦ هـ ، ولما قـدموا إلى العـراق ارسلوهم الى المـدينـة ، واستتـر من بقى منهم في مصر عـلى رأي العلوية ، لأن عمال المتوكل كانـوا يبالغـون في اظهار الكـره للشيعة تقـربا للخليفة حتى وصلت الحالة بهم أن تتبعوا آثار العلويين ، فإذا علم بـأحد منهم أن له دعاة وأنصاراً قبض عليه ، وأرسل إلى العراق مع أهله وضرب الذين بايعوه ، وإذا كان بينهم وبين أحد الناس خصومة قبل قـول خصمه فيه بغير أن يطالب ببينة ، فقاسى العلويون عذابا شديدا بسبب ذلك[2] .

ولمـا استقل أحمـد بن طولـون بامـرة مصر سنة ٢٥٤ هـ اضطهـد الشيعة ، لأنه كان من الأتراك عـلى رأي الخليفة العبـاسي ، فاقتص آثـار العلويين وحاربهم مرارا حتى اذا ضعف أمـر بني طولـون بمصر واختلت أحوال الدولة العباسية في بغداد وتغلب بنـو بويـه عليها في القـرن الرابـع للهجرة أخذ الشيعة يتنفسون ويقوون ، فلما جـاءهم جند المعـز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٨ هجرية بقيادة جوهـر الصقلي كـانت الأذهان متـأهبة لقبول دعوته[3] .

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٣. نقلا عن تاريخ العرب العام لسيديوا : ص ٢٧٨ ـ ١٩٤٨ .
(٢) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣١ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٢ .

هذه هي حالة مصر قبل أن يدخلها الفاطميون . أما نسبة الفاطميين إلى الاسماعيلية ، فالباحث يقف منها موقف المتشكك ، وإنه يترك للباحثين في التاريخ تمحيص هذه الحقيقة ، حيث أن الباحث مسك بخيط ولو ضعيف . لكنه يجلب الانتباه الى أن **الدولة الفاطمية دولة شيعية إثنا عشرية . وذلك أن مؤسس هذه الدولة كما يقول المؤرخون هو** : « **أبو عبداالله الشيعي .. وكان أبو عبدالله يعتنق أول الامر عقائد الاثنا عشرية ، كما كان يعرف بالمعلم ، لأنه كان يقوم بتعليم هذا المذهب قبل أن يعتنق مذهب الاسماعيلية** .. »[1] . فالثابت اذن أن أبا عبدالله الشيعي كان اماميا اثنا عشريا ، وكان يعلم هذا المذهب ، فاعتناقه لمذهب الاسماعيلية يحتاج الى دليل أو سند يدل عليه . ومما يؤيد هذا القول أن قاضي القضاة النعمان ، الذي كان مقدما في الدولة الفاطمية وفي نشر المذهب الشيعي ، وتدريس الفقه ، قد ألف فيه كتابا كان يقرأه في مجالس الفاطميين ، كما جعل هذا الكتاب مرجع القضاة في الفتوى ، كما أفتى الناس به ودرسوه في الجامع العتيق[2] . هو من الشيعة الامامية الاثني عشرية . وفي ذلك يقول بروكلمان : « محمد بن النعمان بن منصور بن أحمد بن حيان التميمي القاضي ، الذي اشتهر بأبي حنيفة الشيعة التحق بالامامية الاثني عشرية[3] .

أما نسب الفاطميين ، فقد طعن فيه بعض الباحثين كما طعنوا في الادارسة وقد رد هذا الطعن كثير من الباحثين . يقول ابن خلدون : « ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم إلى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا إليهم بالقدح .. »[4] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ .

(٢) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .
وأيضا أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٥ .

(٣) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٤١ .

(٤) ابن خلدون : **المقدمة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١ .

يقـول القلقشندي في الـرد على من ادعى أن أصـل الفاطميـين من اليهود : « .. وهذه أقوال إن انصفت تبين لـك أنها مـوضوعـة ، فإن بني علي بن أبي طالب (رض) قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدل وجلالة القدر عند الشيعـة ، فما الحـامل لشيعتهم عـلى الاعراض عنهم والـدعاء لابن مجوسي ، أو لابن يهودي ، فهذا مما لا يفعله أحد ولـو بلغ الغـاية في الجهل والسخف . وإنما جاء ذلك من قبل ضعفه خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين ، فإنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحـوا من مائتي وسبعـين سنة ، وملكـوا من بني العباس بـلاد المغـرب ومصر والشـام .. وعجزت عساكـر بني العباس عن مقـاومتهم فلاذت حينئـذ بتنفير الكـافة عنهم باشاعة الطعن في نسبهم ، وبث ذلك عنهم خلفـاؤهم »[1] . وفي ذلك يقول الدكتور حسن ابراهيم : « ولـدينا من الحقـائق التاريخيـة ما يؤيـد قبول المذهب القائل بصحة نسب الفاطميين إلى النبي . فقد ساعد اعتقـاد الناس في صحة هذا النسب على نشر سلطة الفاطميين الروحية والزمنية أو كليهمـا ، في كثير من البـلاد الاسلاميـة الى حد أن نجـح الفـاطميـون في الحصول على اعتراف الناس بهذه السلطة في أكثر بلاد الدولة العباسية ، دون أن يجدوا معارضة في الرأي العام في ذلك الوقت »[2] .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأعمال التي قام بها الفاطميون تنبىء عن عراقة نسبهم العلوي ، مع ما أوتوا من علم ومعرفـة واصلاح . فمـا أن استقروا بالقاهرة واتخذوها عاصمة لدولتهم الكبيـرة ، جعلوا ينافســون بغداد في مظاهر الخلافة والأبهة ، وفي الحفاوة بالعلمـاء والأدبـاء[3] . وهذا ما سار عليه الشيعة في مختلف العصور منذ ميلادهم مقتدين بأئمتهم من أهل البيت ، الذين أذكوا الروح العلمية في نفوس الناس . ففي « عهد المعز لدين الله .. أذكى لهيب المنافسة في نشر العلم بين العباسيين والفاطميين ، وكان مأمون الغرب الإسلامي وميسيناس أفريقية الإسلامية ـ كما يقول السيد أمير علي ... وفي عهد المعز وخلفائه الثلاثة الأولين ازدهرت العلوم والفنون بفضل ما أولوها من عناية خاصة ، وكانت جامعة القاهرة الحرة ..

---

(١) **خطط المقريزي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٣) أحمد محمد الحوفي : **أبو حيان** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ .

دار الحكمة .. التي أسسها المعز صورة حقيقية للمثل الأعلى الذي تخيله بيكون فيما بعد »[١] .

ويصف ابن الأثير المعز لدين الله بقوله : « **وكان المعز عالما فاضلا جواداً شجاعا جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة و إنصاف الرعية وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة ثم أظهره و أمر الدعاة باظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به** »[٢] .

وقد اهتم الفاطميون بنشر المذهب الشيعي اهتماما كبيرا ، وأنه لابد للوصول إلى هذا الهدف من بذل جهود كبيرة ، وكان من أهم هذه الجهود انشاء معاهد للعلم وتعيين الشيوخ ليجلسوا للناس ليعلموهم ويرشدوهم ، **وهكذا بكر الفاطميون بانشاء الأزهر أقدم جامعة إسلامية ، بل أقدم جامعة عالمية ذات شأن** وجاء بعد الأزهر عدد من المساجد التي ضمت حلقات التعليم ، وضن الحاكم بالجهود أن توزع في المساجد بين العبادة والعلم فأنشأ دار العلم حيث يخلو العلماء للطلاب ، وحيث لا يأوى إلا الراغبين في الثقافة وتحصيل العلم ، ثم أعد الفاطميون ووزراؤهم قصورهم لتقوم بها مجالس منتظمة للثقافة الرفيعة ، وفي هذه أو تلك كان يجلس داعي الدعاة أو الوزراء للدعاية الصريحة أو المستترة للمذهب الجديد ، وكان القاضي النعمان يجلس بالمسجد ليقرأ للناس ، ثم كان قاضي القضاة علي بن النعمان يجلس بالجامع الأزهر ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت[٣] .

يقول ابن خلكان : « وقد ذكر القاضي النعمان بن محمد الإمامي الأمير المختار المسبحي في تاريخه فقال : كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على مالا مزيد عليه وله عدة تصانيف .. وقال ابن زولاق .. وكان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس ، مع عقل وإنصاف ، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف ... وله ردود على المخالفين ، له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلى ابن سريج ، وكتاب « اختلاف الفقهاء » وينتصر فيه لأهل

---

(١) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٧ .
(٢) ابن الأثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٣) أحمد شلبي : **التربية الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

البيت رضى الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة »[1]

ويقول ابن زولاق أيضا : « **ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحقاقا ، لما فيه من العلم والصيانة ، والتحفظ ، وإقامة الحق ، والهيبة** »[2] .

هذا وقد اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بالشعراء والكتاب وغيرهم من رجال الأدب لنشر المذهب الشيعي واذاعة ما بلغته خلافتهم من أبهة وسلطان ، وكان من بين هؤلاء عدد كبير من الكتاب ومن طبقة الموظفين المتعلمين بديوان سر الخليفة ، أو بدار العلم ، وكان الخلفاء يبذلون لهم الأموال الكثيرة ، ويجودون عليهم بالخلع وعلى رأسهم صاحب الانشاء ، ثم يليه صاحب القلم الذي كان يوقع على المظالم ويجالس الخليفة في خلوته ، فيذاكره بما يحتاج إليه من كتاب الله أو سير الأنبياء والخلفاء وعظماء الرجال ، كما كان يحدثه في مكارم الأخلاق ويعلمه تجويد الخط . وكان الكتاب يختارون عادة ممن اشتهر بسعة الاطلاع في الأدب ، ويمتازون بالمقدرة في فن الانشاء كما كانوا من كبار رجال الدولة [3]

وكانت مجالس العلماء تموج بالحركة العلمية والثقافية من أول عهد النعمان داعي الدعاة ، حيث كان يجلس للدرس والمحاضرة إلى عهد يعقوب ابن كلس ، فقد كان يعقد درسا في بيته كل أسبوع يقرأ عليهم مؤلفاته ، وخصص ديوانا من بيته لكل طائفة من الأدباء والعلماء [4] . بالاضافة إلى ذلك ، كان الجامع الأزهر أيام المعز والعزيز والحاكم ، مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية ، التي كانت تتخذ صورة الدعوة إلى قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها ، وكانت الدعوة تنظم طبقا لمستوى الطبقات والأذهان ، فلا يتلقى الكافة سوى مبادئها وأصولها العامة ، ويرتفع الدعاة بالخاصة والمستنيرين إلى مراتبها العليا[5] .

---

(١) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥٣ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
(٤) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٤١ .
(٥) حسن الأمين : **الأزهر** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٧٤ .

يقول السيد أمير علي : « وفي عهد الفاطميين أصبحت القاهرة مركزا جديدا من مراكز العلم والفكر ، وتألق في عهد العزيز بالله والحاكم بأمر الله علم من أعلام الفكر في عصره وهو ابن يونس الذي اخترع البندول ، وقاس الزمن بذبذبته ، على أن شهرته تستند إلى عمله الجليل المنسوب إلى مليكه ووليه وهو « الزيج الحاكمي » الذي قام مقام كتاب كلوديوس بطليموس »[١] . ولهذا كان للشيعة في زمن الفاطميين بمصر أعظم الأثر في التعليم ، حيث اهتم الخلفاء الفاطميون بنشره ، وأقاموا المساجد وأجزلوا العطاء للعلماء والمعلمين ، كما أنشأوا مجالس الدرس في القصور الزاهرة ، وأنشأ الحاكم بأمر الله دار العلم ونمى الجامع الأزهر ليكون جامعة عالمية يؤمها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها[٢] .

وكان ليعقوب بن كلس جانب علمي ، بالإضافة إلى الجانب السياسي والإداري ، فشجع العلماء ، ورتب المجالس ، وبذل العطاء لكل فروع العلم والمعرفة وربط بين العلم والتشيع ، وبين التشيع والفلسفة ، وله مجالس لعامة العلماء ومجالس لخاصة من العلماء ، وهؤلاء هم الذين يفلسفون هذه الأمور ، ولهذا كان لابن كلس دور كبير في تأسيس الحركة العلمية ، على هذا الشكل وإدماج الفلسفة فيها وتوجيهها الوجهة التي توجهتها . ولهذا كان الاشتغال بالفلسفة من شواغل الشيعة[٣] . « **كما نرى ذلك بوضوح في رسائل اخوان الصفاء وهم شيعيون باطنيون ـ حسب رأي أحمد أمين ـ ولذلك كانت الفلسفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن ، نرى ذلك في العهد الفاطمي والعهد البويهي ، وحتى في العصور الأخيرة كانت فارس أكثر الأقطار عناية بدراسة الفلسفة الاسلامية ونشر كتبها** »[٤] .

يقول جوستاف : « **وعلى حين يصعب أن يقال أن الفاطميين جلبوا لمصر « العصر الذهبي السعيد » . فقد كان العيش في ذلك القطر أبان القرن الحادي عشر أرغد وأسعد منه في أية بلاد إسلامية بالمشرق ، حتى لقد بلغ من قوة تأثير رخائه وازدهاره على السني الفارسي ناصر**

---

(١) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٢ .
(٢) سعد مرسى أحمد : **تطور الفكر التربوي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٠ .
(٣) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٩٠ .

خسرو « المتوفى ١٠٨٨ » أن تحول إلى المذهب الاسماعيلي لاعتقاده أنه الصدق والحق الذي يعود إليه الفضل المباشر فيما تنعم به مصر من رخاء »[١] .

وكان الخلفاء الفاطميون قادرين على بلوغ أغراضهم بالسياسة ، وبما اشتهروا به من مظاهر الكرم والأبهة والعظمة في كل العهد الفاطمي . من ذلك الهدايا النفيسة التي كانوا يبذلونها للشعراء والعلماء ، وكذلك الاحسان إلى الفقراء ... وكل ذلك كان جديرا بأن يستميل كثيرا من الناس إلى اعتناق مذهبهم[٢] « ولقد أدت هذه الأعمال إلى تحول كثير من المصريين إلى المذهب الفاطمي ... ومعنى هذا دخولهم في المذهب الشيعي »[٣] .

إذن فالحركة العلمية التي أنشأها الشيعة في مصر قد تضاءلت أمامها جميع الحركات العلمية غير الشيعية ، وهذه الحركة هي امتداد للحركات العلمية التي أقامها أئمة أهل البيت . يقول الدكتور أحمد شلبي : « **وعلى كل حال فإن مجالس الطولونيين والأخشيديين لتذبل وتتضاءل بالقياس إلى صالونات الفاطميين الباهرة فلقد سار الفاطميون . كما يقول سيد أمير علي ، أن يعقدوا مجالس علمية صاخبة من حين إلى آخر ، وقوام هذه المجالس أساتذة دار الحكمة الذين كانوا ينقسمون إلى جماعات تبعا لمواد دراستهم وتخصصهم ، فكان يجتمع هنا أساتذة المنطق والجدل . وهناك الفقهاء ، والمحدثون ، وفي مكان ثالث علماء الرياضة ، ويشغل الأطباء مكانا رابعا ، وهكذا كل واحد من هؤلاء يرتدي الخلعة الجامعية التي تشبه الروب الذي يرتديه حملة الدرجات العلمية العليا في العهد الحاضر »[٤] .**

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور طه أحمد في كتابهما : « المعز لدين الله » : « **أبلى الفاطميون بلاء حسنا في اصلاح حال رعيتهم وفي النهوض بدولتهم ، ليس فقط في بلاد المغرب بل في مصر أيضا ، فقد**

---

(١) جوستاف : **الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٥ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٢٤ .
(٤) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ .

كانوا يتوخون الاصلاح ويهدفون إلى توحيد كلمة العالم الإسلامي بوجه عام وكلمة العالم العربي بوجه خاص ، الأمر الذي يجعلنا نقطع بأن المعز لدين الله يعتبر من أكبر المصلحين ، ومن أكبر أنصار ـ الوحدة العربية الإسلامية ـ وفي الحق أن فكرة جمع العالم الإسلامي وتوحيده تحت راية العلويين فكرة متأصلة في نفوس هؤلاء منذ أيام علي بن أبي طالب نفسه . فقد اعتقد علي وأبناؤه ثم أحفاده من بعدهم وأنصارهم من الشيعيين بأن عليهم رسالة تحتم عليهم جمع كلمة المسلمين ولم شملهم تحت لواء واحد ، لا سيما بعد أن بدأ التفرق يسود هذا العالم الكبير في العصر العباسي الثاني .. لأنهم لو استطاعوا توحيد العالم العربي لأمكنهم توحيد سائر العالم الإسلامي ولأعادوا للعروبة مجدها وللإسلام عزته »[1] . ولهذا أنشأ الحاكم سنة ٣٧٠ هـ مدرسة لتعليم المذهب السني ، وأهدى هذه المدرسة دار كتب ، وعين أبا بكر الأنطاكي ناظرا لها ، وخلع عليه وعلى مدرسي هذه المدرسة وأجلسهم في مجلسه [2] .

وخلاصة ما تقدم ، أن التعليم في الدولة الفاطمية لم يكن مقتصرا على المذهب الشيعي ، وإنما كان عاما لجميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم . ولهذا رتب الحافظ لدين الله أربعة قضاة ، اثنان منهم من الشيعة ، احدهما إمامي والآخر اسماعيلي ، وإثنان منهم من السنة ، أحدهما مالكي والآخر شافعي ، فحكم كل منهم بمذهبه [3] . ولهذا أخذ العرب كما يقول « سيديوا » يلقون أسطع الأنوار في القاهرة لا من بغداد حيث ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة والأدب والفنون والعلوم في عهد الفاطميين بمصر ، كما ازدهرت في عهد خلفاء بني العباس الأولين وكانت عاصمة الفاطميين تنافس أجمل مدن آسيا ، وسلك ابن يونس المصري سبيل فلكي العراق ، فكان له مرصد ، ولم يقتصر الفاطميون في صنع ما ينسى الناس به بغداد ، ولم يلبثوا أن صار لهم مثل دخل هارون الرشيد تقريبا [4]

---

(١) حسن الأمين : **الأزهر** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٦٢ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .

(٣) **خطط المقريزي** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٧٩ .

(٤) محمد جواد مغنية : **دول الشيعة في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٦ .

وصفوة القول : أن المراكز العلمية التي أقامها الشيعة منذ فجر الإسلام ، قد أثرت الفكر والثقافة الإسلامية ، كما أدت إلى نشاط الحركة العلمية في تلك الفترة .

الفصل السادس

مؤسسات التعليم عند الشيعة

ويتضمن :

أولا : المكتب أو الكتاب

ثانيا : المسجد

ثالثا : منازل العلماء والأمراء

رابعا : مجالس العلم والعلماء

خامسا : دور العلم

سادسا : دور الكتب

سابعا : المدارس

احدث الاسلام ثورة على الجهل ، ولهذا حث المسلمين على العلم والتعليم ولا شك أن عملية التعليم تحتاج الى أماكن خاصة تقوم بها .. ففي أول ظهور الاسلام كانت الدور والبيوت مكانا للتعليم ، فقد اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانا يعلم فيه أصحابه والتابعين له من المسلمين قواعد الدين الجديد .

ولما انتشر الاسلام ، وقويت شوكته ، أصبحت البيوت لا تصلح للتعليم ، فسارع المسلمون باتخاذ أماكن خاصة لهذه العملية ، فشيدت المساجد ، واتخذت مكانا للعبادة وتعليم الاسلام ،، ولهذا كان المسجد أول مؤسسة تعليمية اسلامية اتخذها الرسول للتعليم وادارة شئون المسلمين من الناحية الفكرية والثقافية والاجتماعية .

هذا وقد شارك المسلمون جميعا في ايجاد اماكن التعليم على السواء ، فأهل السنة كانت لهم أماكن للتعليم والتدريس كما هي موجودة عند الشيعة ، لا فرق فيما بينها ،، وكل منهم قام بجهود تربوية في هذه الأماكن وتخرج منها كبار العلماء والمفكرين . بالاضافة الى وجود أماكن أعدت للتعليم يشترك فيها المسلمون جميعا توجد أماكن أخرى خاصة بالشيعة لتعليم علوم آل البيت ، وذلك للظروف السياسية التي مروا بها ، وعلى هذا فالعملية التعليمية كانت تقوم عند جميع المسلمين عادة في الكتاتيب والمساجد ومنازل العلماء ودور العلم ودور الكتب . كما كانت تعقد مجالس خاصة للعلم والعلماء . ولما اتسعت الحركة العلمية وازداد طلاب العلم فتحت المدارس لهذا الغرض . وهذا الفصل يتناول أهم الأماكن التي كانت تقام فيها الجهود التربوية العملية عند الشيعة .

أولا ـ المكتب أو الكتاب :

وجد هذا النوع من الكتاتيب قبل ظهور الاسلام ، وكان يعلم فيها القراءة والكتابة ، وبعد ظهور الاسلام زيد عليهما تحفيظ الأطفال القرآن الكريم ، وتعليمهم أساسيات الدين الاسلامي والخط والحساب ومبادىء اللغة ، ولهذا يعتبر الكتاب أو المكتب المعهد الأول الذي يتعلم فيه المبتدئون القرآن الكريم ،، والقراءة والكتابة ومبادىء الدين واللغة والحساب والخط[١] . وعلى هذا فقد كان هذا النوع من الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التي كان يتعلم فيها الصبيان في العالم الاسلامي[٢] . وظلت تمارس دورها في التعليم منذ أنشئت قديما مع ظهور الاسلام ، وكان نظامها حرا غير مقيد بالدولة ، وانما يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم[٣] .

وقد أسهم بعض المسلمين في انشاء الكتاتيب لتعليم الاطفال ، وتنافسوا في بنائها للتقرب الى الله ،، ونشر التعليم بين الأغنياء والفقراء على السواء ، وربما كانت الكتاتيب تلحق بالمساجد ، وربما فصلت عنها[٤] . ولهذا وردت اشارات الى أن المساجد قد تتخذ بمثابة أمكنة لتعليم الأطفال . وذات مرة رأى خلف الأحمر « الكميت بن زيد يعلم الصبيان في مسجد الكوفة » . وبالرغم من هذه الاشارة وغيرها يبدو أن المسجد لم يتخذ بمثابة موضع اعتيادي لتعليم الأطفال ،. فقد ورد عن الامام الصادق النهي عن اتخاذ المسجد لهذا الغرض . قال (ع) : « **جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم** » ، وقال الشيخ الصدوق ينبغي « أن تجنب المساجد انشاد الشعر فيها ، وجلوس المعلم للتأديب فيها ..» ومن هذا يظهر أن منع تعليم الأطفال في المساجد كان موضع رعاية من الشيعة ، وذلك لعدم تحرز الصبيان من القيام بأعمال تنافي قدسية المسجد[٥] .

---

(١) محمد عطية الابراشي : **التربية الاسلامية وفلاسفتها** ـ مرجع سابق ـ ص ٧١ .
(٢) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨ .
(٣) أحمد فؤاد الأهواني : **التربية في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ .
(٤) الابراشي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ .
(٥) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ .

وليس من السهولة الجزم بوجود كتاتيب خاصة متميزة للشيعة ، في الفترة موضوع البحث ،، وذلك للظروف التي كانت تحيط بهم . ولهذا كانت الكتاتيب موحدة ، لأبناء الطائفتين من السنة والشيعة ، وذلك لتقارب المواد الدراسية فيها ، وانما الفارق يظهر في القضايا ذات الصلة بالعقائد ، كاهتمام الشيعة مثلا بذكر فضائل أئمتهم في الكتاتيب الشيعية ، بينما لا يحدث هذا في كتاتيب أهل السنة[1] .

« أما القضايا ذات الصبغة الفنية ، وتلك التي لها علاقة بالمعلومات التي يتعلمها الطفل كي تساعده على اكمال المرحلة الأولية للتعليم ،، فالفروق فيها قليلة عند الطائفتين »[2] . وذلك لأن المسلمين على اختلاف طوائفهم لا يختلفون في نظرتهم على أن القرآن الكريم ، وخاصة فيما يتعلق بتعلمه وحفظه ، بصورة تلقينية هو أول ما يطلب من الصبيان أن يقوموا به في مرحلة التعليم الأولى . أما الاختلاف في تفسير القرآن الكريم ، فيترك في الغالب لمرحلة تعليم العلوم . ثم إن اللغة العربية وما يتصل بها من خط ونحو ، بحكم كونها لغة الدين الحنيف ، وبحكم كونها أهم لغة للثقافة الاسلامية ، هي أول ما يتعلمها الصبي ، نظرا لاحتلال العلوم الدينية مركز الصدارة في مناهج التربية الاسلامية منذ العصور الاولى ، بغض النظر عن معتقده والطائفة التي ينتمي إليها[3] .

وقد وردت اشارات الى وجود كتاتيب كان معلموها من الشيعة . يقول الدكتور النشار : « ويهمنا الآن أنه كان في مكتب محمد بن الحنفية (المتوفى عام ٩٨ هـ) والحسن بن محمد بن الحنفية (المتوفى عام ١٠١ هـ) .. وصورته لنا المعتزلة ـ أي ابو هاشم ـ على أنه منشىء الاعتزال في المدينة ، وفي مكتب أبيه فيها يقول الكعبي : وكان واصل بن عطاء من أهل المدينة .. وكان مع ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد في الكتاب »[4] . وإن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين تعلم « في

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الاسلامي** ـ القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ ١٩٧٨ ـ ص ٨٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٨ .

(٤) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٠ .

كتاب يقع في بعض طرق المدينة »[1] .

وكـان كثير من معلمي الصبيـان من الشيعة يعلمـون في الكتاتيب ، منهم عمير بن عامر الهمداني الذي كان معلم كتـاب في الكوفـة ، والكميت ابن زيد الشاعر الشيعي يمتهن تعليم الصبيان في الكوفة أيضا[2] . وكان أحمد بن سهل وأبوه يعلمان الصبيان ببلخ[3] . كما أن ابن السكيت وأباه كانا يؤدبان الصبيان بمدينة السلام[4] وقد ورد عن الامام الصادق : « .. ثم أدبه في الكتاب ست سنين .. »[5] وهذه اشارة على وجود الكتاتيب عند الشيعة . ومما يؤيد ذلك مـا عهد بـه المطيع لله البـويهي الى أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي نقيب الطالبيين في بغداد ، وقد جاء فيه :

« وأمـره ـ أي المطيع لله ـ بمـراعـاة متبتـلي أهلـه ... وأن يـزوج الأيـامىٰ ويربي اليتـامى ، ويلزمهم المكـاتب ليتلقوا القـرآن ، ويعـرفـوا فرائض الاسلام والايمان ،، ويتأدبوا بالآداب اللائقة بـذوي الأحساب ، فـان شرف الأعراق محتـاج الى شرف الأخلاق ولا حمـد لمن شرف نسبه ، وسخف أدبه .. »[6] . ويظهر من هذا العهد ، أنه يشتمل كذلك على بعض المواد التي تعلم في الكتاب . كما يبدو أن هذه الكتاتيب خاصة قد أنشأهـا الشيعة ، لما عرف عن الدولة البويهيـة من تشيعها ومحـاولة نشر المـذهب بكل الوسائل الممكنة .

ثانيا : المسجد :

يعتبر المسجد أهم مؤسسة تعليمية في الاسلام ، وأن تاريخ التربية الاسلامية يرتبط ارتباطـا وثيقا بـالمسجد ، ودراسـة هذه المؤسسـة تعني دراسة المكان الرئيسي لأهم منابع الحياة العلميـة والثقافيـة في الاسلام ، ولهذا يعتبر المسجد اقدم مؤسسة تعليمية اسـلامية ، فلقـد قام الـرسول

---

(١) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦٤ .
(٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٦٩ .
(٤) ابن خلكان : **وفيات الأعيان مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٤١** .
(٥) الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .
(٦) القلقشندي : **مآثر الأناقة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٥٧ الى ص ١٦٥ .

(ص) بعد هجرته مباشرة بتأسيس المساجد ، وتابعه بعد ذلك المسلمون ، ولعل السبب الرئيسي في اتخاذ المسجد مركزا هاما لتعليم العلوم يرجع الى أن الدراسات الاسلامية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام كانت دراسات دينية تتضمن تعليم الدين الجديد وتفسيره وشرحه وتوضيح أسسه وأحكامه ، وكانت تلك العلوم مرتبطة بالمساجد بل ربما كانت جزءا من العبادة ، ولذا كان من السهل على المسلم التوجه الى المسجد للتفقه وأداء الفروض الدينية[1] .

ولم يكن المسجد في أصل بنائه وتأسيسه مقتصرا على العبادة وأداء الشعائر الاسلامية ، وانما كان المنطلق الأول لتثقيف المسلمين وتعليمهم الأحكام الشرعية وما يتعلق بشئون الحياة والمجتمع الاسلامي الناشىء ـ يقول جوستاف لوبون : « وكما أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للغرباء ، ومرجع للمرضى ، هي كذلك موئل للتعليم وفي أصغر المساجد يعلم الأولاد ، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التي لا تقل أحيانا عن جامعات اوروبا أهمية »[2] . وكان أئمة الشيعة يحثون المسلمين على الذهاب الى المساجد ، لأنه مكان للتعليم والتفقه . **قال الامام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) : « من ادام الاختلاف الى المسجد أصاب احدى ثمان : آية محكمة ، واخا مستفادا ، وعلما مستطرفا ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى ، وترك الذنوب حياء أو خشية »[3] . ولهذا كان المسجد « .. مركزا للحياة الروحية والاجتماعية والسياسية »[4]** .

وازداد اهتمام الشيعة بالمساجد ، خصوصا في الفترات التي يأمنون فيها من الاضطهاد ، كما حدث في عهد الدولة البويهية ،، حيث عهد المطيع لله لنقيب الطالبيين في بغداد ، أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأن يوقف عليها الأوقاف ويتعهدها

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم في الأندلس** ـ ط ١ ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٨٢ ـ ص ٢٢٦ .

(٢) عبد الوهاب حمودة : **فضل المسجد على الثقافة الاسلامية** ـ دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٣ .

(٣) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٦ .

(٤) الابراشي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ .

بالاصلاح »[1] . كما اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بالمساجد ، وجعلوها مراكز لنشر الدعوة الشيعية ، حتى أصبحت أهم الأماكن التعليمية في ذلك العصر لما أعطوها من المكانة الرفيعة . واذا وضعنا في الاعتبار أن المساجد كان يدرس بها اكثر من معلم واحد ، بدليل أن عدد المجالس وحلقات الدرس كانت تعقد فيه مقسمة بين الفقهاء وغيرهم من معلمي العلوم ، وبالتالي فان حلقات المعلمين قد زادت كثيرا عن عدد المساجد التي كانت قائمة في ذلك العصر . وحيث انه من الصعب حصر كل المعلمين الذين تولوا التدريس في هذه المساجد ، فالباحث يقدم هنا بعض الأمثلة على الجهود التربوية العملية في المساجد التي كان يؤمها علماء الشيعة وتلاميذهم على سبيل المثال :

اتخذ الشيعة وأئمتهم المسجد مكانا لتعليم العلوم ، وكان على بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس ، يلقيان محاضرات في المسجد الجامع في المدينة ، في علوم كثيرة ، في الفقه ، والحديث ، والفلسفة ، والمنطق ، والبلاغة وكان الامام على أيام عزلته بعد وفاة النبي (ص) منقطعا لدراسة تعاليم الدين في ضوء العقل ، ولهذا كان يلقي دروسا في مسجد المدينة في شتى العلوم[2] وكان عبد الله بن عباس يجلس في البيت الحرام ، ويعلم الناس التفسير والحديث والفقه والأدب[3] . كما كان الامام علي بن الحسين « يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ، ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله (ص) وحفظ عنه وكتب »[4] . قال ابن فاختة « سمعت علي بن الحسين (ع) يحدث في مسجد رسول الله (ص) »[5] . فقد بدأ حلقته من البحث والدرس في مسجد الرسول (ص) يحدث الناس بصنوف المعرفة الاسلامية من تفسير وحديث وفقه ، وقد تخرج من هذه الحلقة التي كان يعقدها في

---

(١) القلقشندي ؛ **مآثر الأناقة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٦٧ .
(٢) السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ . وأيضا عبد الغني عبود : **في التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠١ .
(٣) أحمد أمين : **فجر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٤) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ص ٤٤ .
(٥) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ .

مسجد المدينة عدد كبير من فقهاء المسلمين[1] . وكان ابن شهاب يكثر الجلوس في حلقة الامام علي بن الحسين ، وكان يقول : « كانت أكثر مجالستي لعلي بن الحسين »[2] .

وكان الامام محمد الباقر (ت ١١٤ هـ) من بين الأئمة الذين علموا في المسجد النبوي فجلس اليه أبو حنيفة ليسأله عن مسائل[3] . ولم يكن تدريسه مقتصرا على الفقه والحديث ، بل كان هو وأصحابه يناظرون في اصول الاسلام ، ويحاولون تركيزها في النفوس حتى لا تتعرض لما اثير في ذلك العصر من الجدل والنزاع في أصول العقائد ،، ولهذا كان الامام محمد الباقر يجلس في مسجد المدينة ومن حوله طلابه يسألونه عن مختلف العلوم ويجيبهم عن أسئلتهم[4] . يقول أبو زهرة : « محمد الباقر (رض) . فقد كان اماما في عصره تلقى عنه ابو حنيفة وأخوه زيد وغيرهم .. وانه كان على اتصال بكل علماء المدينة يجيئون اليه ، وان مسجد رسول الله (ص) كانت حلقات التابعين فيه تملؤه علما ورواية عن صاحب الروضة الشريفة ، فكان فيه مع بهاء النبوة ، علم النبوة ، ومع الحديث الطاهر آثار النبي (ص) تذاكر وتدرس »[5] .

وكان الامام جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) من بين الأئمة الذين علموا بالمسجد . وكان محل تدريسه والقاء محاضراته هو الجامع النبوي ، ففيه كان حملة الحديث ورواد العلم يزدحمون لاستماع دروس الامام وتسجيل أبحاثه[6] . روى المفيد « ان ابن العوجاء وابن طالوت .. في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم الحرام وأبو عبد الله جعفر ابن محمد (ع) فيه اذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن

---

(١) محمد باقر الصدر : **مقدمة الصحيفة السجادية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢ ـ ١٣ .
(٢) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٧ .
(٣) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ .
(٤) هاشم معروف الحسني : **سيرة الائمة الاثنى عشر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢١١ ـ ٢١٢ .
(٥) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٨ .
(٦) القندوزي : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٧٦ ـ ٧٧ .

المسائل بالحجج والبينات »[1] .

استمر الائمة من أهل البيت (ع) وعلماء شيعتهم على تعليم الشيعة في المساجد . ومن شيوخ الشيعة الذين مارسوا التعليم في المسجد أبان بن تغلب الجريري ، وكان يجلس في مسجد المدينة ليعلم الناس ، وقال فيه الامام الباقر : « اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني أحب أن أرى في شيعتي مثلك »[2] . وكان الواقدي ممن تصدر للتدريس في مسجد المدينة . قال السمتي : « رأينا الواقدي جالساً الى اسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرس . فقلنا له اي شيء تدرس ؟ فقال : جزء من المغازي »[3] .

اما مسجد البصرة ، فكان يدرس فيه على بن زيد بن جدعان ، أحد علماء التابعين ،. قال منصور بن زاذان : « لما مات الحسن البصري قلنا لعلي بن زيد اجلس مجلسه .. وروي عن يزيد بن زريع قال : كان علي بن زيد رافضيا .. وقال أحمد العجلي ؛ كان يتشيع .. مات سنة احدى وثلاثين ومائة »[4] . وكان « المفجع محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب البصري .. وكان شيعيا ... وكان يجلس في جامع البصرة فيكتب الناس عنه ويقرأون الشعر .. وتوفي سنة ٣٢٧ هـ .. وعنه أخذ التبريزي »[5] .

وكان في بغداد عدة مساجد للشيعة يجتمعون فيها للدرس والتعليم ، ولكن العباسيين وضعوا عليهم العيون ، وأحصوا عليهم تحركاتهم ومنعوهم من التدريس فيها . ومن هذه المساجد مسجد براثا ، وكان في الموضع المعروف ببرثا . قال الخطيب البغدادي : « وكان في الموضع المعروف ببرثا مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينتسب الى التشيع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرفع الى المقتدر بالله أن الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد .. فأمر بكبسه يوم الجمعة وقت الصلاة فكبس

---

(١) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ . وأيضا فياض : المصدر السابق ـ ص ٦٦ .
(٣) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٧ .
(٤) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٣٦ .

وأخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبسا طويلا ، وهدم المسجد حتى سوى بالأرض وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه ، ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة »[١] .

وكان ابن عقدة يجلس في مسجد براثا ويحدث الناس ، كما أنه كان يورق بالكوفة ويعلم القرآن والأدب[٢] . وكذلك كان يعلم الناس في مسجد الرصافة ويملي على تلاميذه فيه . قال الخطيب البغدادي : « أخبرنا أبو الحسين .. حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد .. بن عقدة .. املاء في جامع الرصافة في صفر من سنة ثلاثين وثلثمائة »[٣] . قال عبد الغني بن سعيد : سمعت الدارقطني يقول : « ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده »[٤] . قال الطوسي : « حدثنا أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس الحافظ املاء في مسجد الرصافة جانب الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة احدى عشرة وأربعمائة »[٥] وكان أبو عبد الله الحسين بن أحمد البزار (ت ٤٤٧ هـ) يدرس بمسجد الشرقية بعد أن منع من تدريسه في مسجد المنصور[٦] .

وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرسون فيها طلبتهم ، لأن المساجد العامة في الفترة موضوع البحث ، لم تتخذ مكانا رئيسيا للتعليم عندهم ،، لعدم توفر الحرية التامة لهم ، في معظم فترات تاريخهم ،، لأن يعلموا علوم آل البيت في المساجد العامة خاصة تلك التي تشتد عليها الرقابة من أهل السنة[٧] . ومن الأدلة على حرمان الشيعة من حرية التعليم ما حصل لعلي بن محمد الفصيحي (ت ٥١٦ هـ) لما اتهم بالتشيع فصل من النظامية حيث كان من مشاهير مدرسيها ، ولكن افواجا

---

(١) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ . وأيضا آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ .
(٢) عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .
(٣) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ١٥ .
(٤) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣٧ .
(٥) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ .
(٦) عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .
(٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧ .

من المتعلمين راحوا يقصدونه في داره ليواصلوا القراءة عليه[١] . كما أن البزار منع من التعليم في جامع المنصور ، فلجأ الى مسجد الشرقية كما تقدم .

مسجد الكوفة :

يعتبر مسجد الكوفة من المساجد التي لعبت دورا مهما في اذكاء روح البحث ونشر الثقافة الاسلامية ، حتى تخرج منه كثير من حملة الفكر الاسلامي على اختلاف اتجاهاتهم وكونوا لهم مدارس علمية لها طوابع مختلفة ، وذلك لما أوتيه هذا المسجد من الفضل والمكانة من بين المساجد الأخرى ، مما أدى الى تزاحم العلماء للتعليم والتعلم فيه . حتى أصبح من أهم الأماكن العلمية في تلك الفترة المبكرة من الاسلام . وهو أحد المساجد الأربعة ، فعن الصادق قال : والله ان مسجدكم هذا ـ يعني مسجد الكوفة ـ لأحد المساجد الأربعة المعدودة ، المسجد الحرام ، ومسجد المدينة والمسجد الأقصى ، ومسجدكم هذا .. »[٢] . قال البراقي : يتضح لك .. أن مسجد الكوفة قديم ، وفضله عظيم[٣] .

يقول ياقوت : وأما مسجدها ـ أي الكوفة ـ فقد رويت فيه فضائل كثيرة ، روى حبة العرني قال : كنت جالسا عند علي ، عليه السلام ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه راحلتي وزادي أريد هذا البيت أعني بيت المقدس ، فقال عليه السلام : كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد ، يعني مسجد الكوفة ، فانه احد المساجد الأربعة ،، ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد والبركة منه الى اثنى عشر ميلا »[٤] .

---

(١) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٠ .
(٢) حسين أحمد البراقي النجفي : **تاريخ الكوفة** ـ النجف ـ المكتبة المرتضوية ـ ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م ـ ص ١٣ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٢ .
(٤) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : **معجم البلدان** ـ بيروت ـ دار صادر ـ ١٩٥٧ ـ جـ ٤ ص ٤٩٢ .

ولما مصرت الكوفة سنة ١٩ للهجرة ـ على خلاف في ذلك ـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، بنىٰ سعد بن أبي وقاص مسجدها[١] . فكان موضعا للعبادة وتعليم الناس الأحكام الاسلامية ،، وحينما اتخذ الامام على الكوفة عاصمة له ، كان مسجدها مدرسته الأولى في ذلك الاقليم . فكان يعلم الناس العلوم الاسلامية فيه ، وكان ملازموه الأصل العلمي لهذه المدرسة . بما تلقوه عليه من فتاو وأحكام ، وما رووه عنه من أحاديث نبوية[٢] . ولهذا كان مسجد الكوفة أساس الدراسات الفكرية والمنطلق لتعليم سائر فروع المعرفة التي تتناسب مع مطالب الدولة الاسلامية[٣] .

•

ومن هذا المنطلق ، كان مسجد الكوفة مجمع أهل العلم من الشيعة ، باعتبارها من أهم المراكز الشيعية ،، فهي حاضرة خلافة الامام علي ، ومهد شيعته وشيعة أبنائه من بعده ، كما يقول الدكتور يوسف خليف[٤] . فلا غرو اذن أن تكون موطنا لعلماء الشيعة ، وأن يكون المسجد هو المكان الذي يقومون فيه بتعليم وتدريس علوم آل البيت . ولهذا يقول الحسن بن علي الوشاء : « **اني أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد عليه السلام**[٥] . ولهذا شهد هذا المسجد الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية ، ونشطت فيه المجالس العلمية وحلقات الدرس .. « وكان الكميت الشاعر من أبرز معلمي العراق ، فكان يجلس في مسجد الكوفة لتعليم الصبيان «[٦] .

وكان الكمُيت يلتقي في هذا المسجد بحماد الراوية ، فيتذاكران اشعار العرب وأيامهم فاختلفا مرة في شيء ، فقال الكميت لحماد : أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارهم ؟ فقال حماد : هذا والله هو اليقين .

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٩١ .
(٢) محمد أبو زهرة : **مالك** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٩ .
(٣) السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
(٤) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** ـ مرجع سابق ص ٢٨٤ .
(٥) باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٩ .
(٦) علي حسني الخربوطلي : **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٩ . وأيضا أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠٥

فغضب الكميت وما زال يناقشه ويسأله حتى أفحمه[1] . ولهذا كان يشهد الجمعة بمسجد الجامع فيحيط بـه علماء الكـوفة ورواتهم ، وفيهم حمـاد والطـرماح فيـأخذون بسؤالـه ، حتى اذا فـرغـوا من سؤالهم أخـذ هـو يسـألهم[2] . وهكـذا استطـاع الكميت أن يصـل الى مستـوى من العلم بأخبار البادية ولغاتهم ، وعالمها العقلي والفني بحيث سمح له بـأن يجلس من الناس مجلس الاستاذيـة ، ولهذا يـذكر صـاحب خزانـة الأدب انه : « يقال ما جمع أحد من علم العـرب ومناقبهـا ومعرفـة أنسابهـا ما جمـع الكميت .. » اذن فالكميت شاعر عالم متصل اتصالا واسعا عميقا بأخبار البادية وأيامها وأشعارها وأنسابها ، ولهذا أباح لنفسـه أن يجلس مجلس الاستـاذية ، وأن ينـاظر راويـة متخصصا فيهـا فيفحمه ويظهـر قصوره ويتفوق عليه . ومن هنـا كان الكميت فقيـه الشيعة وشـاعرهـا ، واتجه في سبيل تحقيق هذه الغـاية الى العلم والتحصيـل ، فمضى يشارك في الحيـاة العقلية التي كانت مزدهرة في مدينته مشاركة قوية ، متعلمـا حينا ومعلمـا حيناً آخر[3] . وهكذا كان مسجد الكوفـة مكانـا للكميت يعلم فيه ، ويلقي دروسه على من يلتف حوله من تلاميذه[4] .

وحينما انتقل الامام الصادق الى الكوفة أيام أبي العباس ، واستمر بقاء الإمام فيها مدة سنتين ، اشتغل فيها بالعلم والتعليم ، وكـان المسجد مكانه الذي يلقى فيه دروسه على تـلاميذه ومـريديـه . وذات مرة شـوهد الامام الصادق في مسجـد الكوفـة بين خلق كثـير من الشيعة يعظهم[5] . وهكذا كان مسجد الكوفة مسرحاً لعلماء الشيعة وفقهائهم . فكان عبـدالله العبـدي « قارئـاً يقرىء في مسجـد الكوفـة ، له كتـاب يـرويـه عـدة من أصحابنا »[6] . وكان اسماعيل بن عبدالـرحمن السدي الكـوفي يدرس في مسجد الكوفة ، روى شريك ، عن سلم بن عبدالرحمن ، قال « مر إبراهيم

(١) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ١١١ .
(٢) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٧ .
(٣) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٠٥ ـ ٧٠٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ٦٨٤ .
(٥) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ .
(٦) المصدر السابق : ص ٦٦ .

النخعي بالسدي ، وهو يفسر لهم القرآن ، فقال : أما أنه يفسر تفسير القوم ، روىٰ عنه الشعبي مات سنة سبع وعشرين ومائة » ... ورمى السدي بالتشيع[1] . وكان برير بن خضير سيد القراء ، وكان يعلم الناس القرآن في المسجد وقد استشهد مع الامام الحسين بن علي ، ولهذا قال أحدهم عندما أراد أن يحمل عليه كعب بن جابر : « إن هذا برير بن خضير القاريء الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد »[2] . بالإضافة إلى وجود مساجد أخرى في الكوفة كان يدرس فيها علماء الشيعة . فكان عمرو بن عبدالله بن علي الكوفي الهمداني من أعيان التابعين .. وكان من ثقات علي بن الحسين (ع) ... وكان له مسجد معروف بالكوفة قرأ ابن عساكر فيه الحديث ، وكان هو وأولاده يدرسون فيه الحديث ، توفي سنة ١٢٧ هـ[3] وكان للفراء مسجد بجانب منزله يجلس فيه للناس ليعلمهم العلم[4] . إلى غير ذلك من العلماء الذين تصدروا للتدريس في مساجد الكوفة ، خصوصا المسجد الجامع ، منهم أبان بن تغلب ، وعبدالرحمن بن خراش الحافظ ، وعبدالرازق بن همام ، وشريك بن عبدالله النخعي ، وهشام بن الحكم ، وحمران بن أعين ، وغير هؤلاء من شيوخ الشيعة[5] . روى الصدوق أن علي بن العباس قال : « حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان ، وحدثنا علي بن أحمد بن عبدالله البرقي ، وعلي بن عيسى المجاور ، في مسجد الكوفة »[6] .

جامع الأزهر :

منذ أن قدم جوهر إلى مصر ، ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله ، أنشأ تلك المدينة ، وأطلق عليها « المنصورية » وذلك في عام ٣٥٨ هـ ، وعندما انتقل المعز لدين الله الفاطمي من القيروان إلى مصر ، للاقامة بها

---

(١) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
(٢) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .
(٣) عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ مرجع سابق جـ ١ ـ ص ٤ ـ ٥ .
(٤) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢٢٨ .
(٥) انظر الفصل الخامس مراكز العلم من هذا البحث .
(٦) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ .

سنة ٣٦٢ هـ غير اسم المدينة وسماها « القاهرة » المعزية نسبة إليه[١] .
ولما كان أول ما ينشأ في مدينة اسلامية إنما هو الجامع الذي يجتمع فيه المسلمون لصلاتهم وإدارة شئونهم ، وما يتعلق بشعائر دينهم ، أنشأ جوهر الأزهر في طليعة ما أنشأ ليكون مجلسا لهذا المظهر الديني[٢] .
وكان بناء الأزهر سنة ستين وثلثمائة للهجرة[٣] .

ومن خصائص الأزهر أنه بدأ كغيره من المساجد لإقامة الشعائر الدينية ، ولم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواد المعرفة من كل مكان مختلف العلوم والفنون . ففي سنة ٣٧٨ هـ أشار الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بتحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية ، وسرعان ما أصبح الأزهر جامعة علمية تضم طلاب العلم من كافة أرجاء البلاد الإسلامية . وقد عمل الخليفة العزيز ومن جاء بعده من الخلفاء على تقديم كل ما يحتاجه الطلاب ، كما وفروا لهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة من غير أجر . وقد زاد في بناء هذا الجامع كثير من الخلفاء والأمراء ، وأنشأوا فيه مساكن للطلاب تحيط بالمقصورة والصحن من الجهات الأربعة ، كما حبسوا عليه كثيرا من الأوقاف[٤] .

ويعتبر جامع الأزهر ، أكبر جامعة دينية وثقافية طوال العصور الوسطى يقول المقريزي : « هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة »[٥] .
وقد أنشأه الفاطميون لنشر وتدريس المذهب الشيعي ، حتى لا يزعجوا أهل السنة بدراسة المذهب في المساجد[٦] . ولهذا فقد كان عامرا بتلاوة القرآن الكريم وتلقينه ودراسته والاشتغال بالتفسير والحديث وعلم الفقه والنحو والبلاغة[٧] . ففي صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس قاضي القضاة أبو

---

(١) محمد كامل الفقي : **الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة** ـ القاهرة ـ المطبعة المنيرية ـ ١٩٥٦ ـ جـ ١ ـ ص ٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٨ .
(٣) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٥ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣٦ .
(٥) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٦ .
(٦) أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٦ .
(٧) الابراشي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ .

الحسن علي بن النعمان بالجامع الأزهر ، فقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت في جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس تعقد بجامع الأزهر[1] . وفي سنة ٣٧٨ هـ عين العزيز بالله بالأزهر جماعة من الفقهاء ، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ، ويعتبر هؤلاء أول فوج من الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر ، وقد باشروا مهمتهم العلمية تحت اشراف الدولة بطريقة مستقرة ومنظمة[2] .

ويبدو أن الوزير ابن كلس كان له الدور الأكبر في تحويل جامع الأزهر إلى معهد للدراسة المنظمة ، وهو فيما يظهر أول من فكر في تنفيذ هذا المشروع الجامعي العظيم . ولهذا سأل ابن كلس الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه . وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات حسنة ، كما أنشأ لهم دارا يسكنون فيها بجوار الأزهر[3] وكان ابن كلس نفسه أحد أساتذة هذه الجامعة ، ففي رمضان سنة ٣٦٩ للهجرة ، جلس أبو الفرج يعقوب ابن كلس في صحن الجامع الأزهر متصدرا حلقة العلم ، وقرأ على الناس كتابه المعروف باسم « الرسالة الوزيرية »[4] . وإلى جانب ابن كلس كان جهابذة العلماء من بني النعمان ، ومن أشهر ما قدمه هؤلاء إلى مريديهم ومحبي الاستماع إلى حلقات دراستهم بالجامع الأزهر كتاب « دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام ـ من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وقد كتبه النعمان[5] . وهكذا كان جامع الأزهر مكانا للدراسات والأبحاث العلمية ، وظل من ذلك التاريخ حتى العهد الحاضر من أكبر الجامعات في العالم الاسلامي[6] .

---

(١) المقريزي : **الخطط مرجع سابق** ـ جـ ٣ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
(٢) حسن الأمين : **الأزهر** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٦٦ .
(٣) أحمد عبدالرحمن عبداللطيف الجاحد : **الاتجاه الاسلامي عند بعض مفكري التربية في مصر وأثره في التطبيق التربوي من ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢** ـ رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية ـ رسالة غير مطبوعة ـ قسم أصول التربية ـ جامعة المنوفية ـ ١٩٨٣ ـ ص ١٠٢ .
(٤) سنية قراعة : **تاريخ الأزهر في الف عام** ـ القاهرة ـ مكتبة الصحافة الدولية ـ ١٩٦٨ ـ ص ١٠٢ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٠٣ .
(٦) احمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٥ .

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب على الدراسة بالأزهر ، ولاسيما في بداية عهدها ، وكان من الطبيعي أيضا أن تحتل علوم الشيعة الفاطمية وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الأول . بيد أنه يمكن أن يقال من جهة أخرى أن هذه الصبغة المذهبية لم تكن مطلقة ، ولم تكن لزاما على الطلاب ، بالرغم من تمسكها بصبغتها المذهبية العميقة ، لم تحاول أن تجري على سياسة الارغام في طبع الشعب بطابعها ، بل كانت تلجأ في ذلك إلى سياسة الرفق والتسامح . ولنا في ذلك دليل في المرسوم الديني الذي أصدره الحاكم بأمر الله وهو من غلاة الخلفاء الفاطميين ـ كما يقال ـ ففي سنة « ٣٩٨ هـ ـ ١٠٠٨ م » وفيه يقرر بعض الأحكام ويفسرها ، على أثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف في فهمها ، ويحاول أن يوفق في ذلك بين المذاهب المختلفة ، وقد جاء فيه كما في كتاب العبر لابن خلدون :

« .. يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، صلاة الخميس للذين بها جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحىٰ وصلاة التراويح لا مانع منها ولا هم عنها يدفعون ، يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون ، يؤذن بحي على خير العمل المؤذنون ، ولا يؤذىٰ من بها لا يؤذنون .. »[1] .

هذا وكانت الدراسة في جامع الأزهر حرة تدرس فيها علوم السنة إلى جانب علوم الشيعة ، فمن الواضح إذن أن الدراسة بالأزهر كانت حتى في الوقت الذي يشتد فيه تيار الدعوة المذهبية ، تحظى دائما بقسط من الحرية يزيد أو ينقص وفقا للظروف والأحوال . وهذه علامة مضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية حيث تبنت الدولة الفاطمية تدريس غير مذهبها ، وأطلقت الحرية لكل المذاهب ، ولم تضطهد من لا يقول بقولها ، فكان للمالكية خمس عشرة حلقة ، وللشافعية مثلها ، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث ، وهذا من أعظم مفاخر هذه الدولة كما يقول مصطفى مشرفة[2] .

---

(١) حسن الأمين : **الأزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٧٠ ـ ٧١ . نقلا عن ابن خلدون في كتاب العبر ـ جـ ٤ ـ ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧١ . وانظر المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٩ .

يقول : Stanley Lane Pool وهو يتحدث عن الأزهر : « **وفي الأزهر يجتمع جمهرة من الطلاب قدموا من البلاد المختلفة في العالم الاسلامي ، ابتداء من الساحل الذهبي حتى جزر الملايو ، وقد حدد رواق خاص لكل قطر من الأقطار ويتلقى الطلاب دروسهم من شيوخ أجلاء ورعين .. وليس التعليم بالمجان فحسب ، بل أن الطلاب يتلقون جرايات وأطعمة من أوقاف معينة تسد حاجتهم ، فالأزهر مثل نموذجي لمجانية التعليم ، تلك المجانية الممنوحة لجميع الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير أي تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب » . وهذا في العهد الفاطمي**[(1)] . ولهذا أطلق العزيز بالله للفقهاء والعلماء رزقا يكفي كل واحد منهم وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر[(2)] . كما جعل الرواتب لكل من يعمل بجامع الأزهر من الفراشين والنساخ والكتاب والفقهاء وغيرهم ممن يعمل في الجامع ، ولكل أعطياته الخاصة[(3)] . فلما جاء الحاكم عمد إلى الأوقاف يعينها للانفاق من ريعها على المساجد ، فقد أوقف على الجامع الأزهر ، أوقافا عظيمة ذكرها في سجل أشهد عليه قاضي القضاة مالك بن سعيد ، وقد أكد الحاكم أن هذه الوقفية دائمة للأبد لا يوهنها تقادم السنين[(4)] .

وهكذا استمر الجامع الأزهر يزداد شهرة في الآفاق ، يقصده طلاب العلم من جميع البلاد الإسلامية لتعلم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية على أيدي كبار العلماء والمتفرغين للدراسة والتعليم . وقد ازداد الإقبال عليه من المصريين وأهل الحجاز واليمن والشام والسودان والمغرب وبغداد ، والتحق به الطلاب من جميع المذاهب الإسلامية للتبحر في العلوم الفقهية وغيرها ، وظهر فيه طلبة بارعون ، وعلماء عاملون . فهو الجامع

---

(١) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٨ . وأيضا المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٧ .

(٣) المقريزي : المصدر السابق ـ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٥٧ . وأيضا أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦٨ .

الذي جمع الطلبة ـ كما يقول الابراشي ـ من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، وهو الأزهر ـ والجامعة الاسلامية الكبرى[1] .

ويعتبر أبو علي بن الهيثم من أكابر العلماء في مصر في الفترة موضوع البحث . وكان ابن الهيثم بصريا وأحد علماء الشيعة ، ثم انتقل إلى مصر في أيام الحاكم بأمر الله ، وأقام بها إلى آخر عمره ، وقد برع في الرياضيات والطبيعيات ، وله مشاركة في الطب . وقد أتى مصر باستدعاء الحاكم ، وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة ، وخاصة في الطبيعيات والرياضيات ، وكان لا يهمه المال أو الجاه ، بجانب ما يهمه العلم والوقوف على الحقيقة ، قال في كتبه : « إني لم أزل منذ عهد الصبا مرويا في اعتقادات هذا الناس المختلفة ، وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأي ، فكنت متشككا في جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وأن الاختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه ، فلما كملت لادراك الأمور العقلية انقطعت إلى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتي وحرصي إلى ادراك ما به تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون » . وقد ألف ابن الهيثم في مختلف العلوم الانسانية ، وبلغت كتبه التي ألفها نحو مائتي كتاب في الرياضيات والطبيعة والفلسفة . ظلت ـ كما يقول أحمد أمين ـ عماد الناس في الشرق والغرب ، وخاصة كتاب « المناظر » وما زال يؤلف ويلخص ويشرح في حركة دائبة مستمرة ، وقد مات سنة ٤٣٠ للهجرة بعدما ملأ الدنيا تآليف في الهندسة والحساب والفلك والمساحة ومنطق أرسطو ، وكتابه في الشعر والنفس وفي الطب ، وفي البصر ، ووقوع الأبصار به ، والضوء والبصريات ، والمرايا المحرقة ، يعكس على عمله هذا في قبة على باب الجامع الأزهر[2] . وبمثل ابن الهيثم وغيره كانت تزدهر جامعة الأزهر .

وهكذا لعب الأزهر دورا كبيرا في نشر العلوم والمعارف الإنسانية ، حتى « كان مركز الإشعاع الديني ، وظل الأزهر من سنة الانتهاء من بنائه «٣٦١هـ» إلى اليوم يؤدي دوره في الدعوة الاسلامية ... وكان الخلفاء

---

(١) الابراشي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

الفاطميون يزيدون في عمارته ، حتى وصلت أعمدته ٣٧٥ عمودا إلتف حولها طلاب العلم ممن جاءوا يستمعون إلى ما يدرس عن مذهب الفاطميين، وإلى الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات . ووفد إليه طلاب من المشرق والمغرب ، قسموا إلى طوائف ، وكان لكل طائفة رواق يعرف بهم »(١) .

وكان في مصر في العهد الفاطمي مساجد أخرى كثيرة تمتلىء بالشباب ورواد العلم والمتعلمين ، يفيضون حماسة للدرس ، ويقبلون على دراسة علم جديد ، يمتزج فيه تراث كل الشعوب القديمة ، وربما فسر نشأة المؤسسات التي عرفها الشرق الإسلامي(٢) .

وكان لجامع عمرو نصيب موفور من عناية الفاطميين ، فقد ظل محتفظاً بنشاطه العلمي فكانت حلقاته العلمية والأدبية تعقد بانتظام ويشهدها كثير من الأساتذة والطلاب والأدباء . بالإضافة إلى جامع الحاكم بأمر الله الذي أسسه أبوه العزيز بالله ، وكان ـ عدا هذه المساجد الجامعة الكبيرة ـ مساجد أخرى كثيرة في المدن المصرية المختلفة التي أنشأها الفاطميون ، وكان التعليم بها شاملا وإن كان يقل نشاطا عن التعليم في الجامع الأزهر أو جامع عمرو(٣) .

وكانت المساجد في العصر الفاطمي مثابة للعلماء ، وخاصة فقهاء المذهب الشيعي(٤) . وكان للمعلمين في المساجد في العصر الفاطمي مقام اجتماعي رفيع ، وكرامة واحترام كبير عند عامة القوم وخاصتهم ، فقد خرج المعز والحزن باد عليه يوم وفاة النعمان بن محمد سنة ٣٦٢ هـ ، وصلى عليه وأضجعه في قبره بنفسهُ وفر الحاكم للقاء ابن الهيثم يوم وصل الديار المصرية وأمر بانزاله وإكرامه وإحترامه(٥) ، وكان قاضي القضاة من الشيعة الأمامية الأثنى عشرية (٦) وكذلك ابن الهيثم(٧) .

---

(١) سعد مرسي أحمد : **تطور الفكر التربوي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٢) خوليان ريبيرا : **التربية الإسلامية في الأندلس** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٠ .

(٣) عبدالوهاب حمودة : **فضل المسجد على الثقافة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٢ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ .

(٥) عبدالوهاب حمودة : **فضل المسجد على الثقافة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

(٦) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٤١ . وأيضا اغابزرك الطهراني : **الذريعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٠ .

(٧) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

ثالثا ـ منازل العلماء والأمراء :

من مميزات النظام التعليمي في الإسلام، أنه لم يتقيد بمكان معين في نشر الثقافة والتعليم ، فكانت تعقد الحلقات العلمية في بيوت العلماء وقصور الخلفاء والأمراء ، ويحضرها الطلاب والراغبون في العلم للتعليم والتعلم [١] كما كانت بعض الدور تعتبر بمثابة مؤسسات علمية متخصصة يتوافد إليها طلاب العلم المتخصصون في فرع من فروع المعرفة من كل مكان [٢] .

وقد اتخذ أئمة الشيعة وشيوخهم منازلهم مكانا للدرس والتعليم ، فكان منزل الامام علي بن الحسين يزدحم فيه طلاب العلم والوافدون عليه من كل مكان حيث يلتف حوله طلاب العلم والمعرفة [٣] . وكذلك كانت دار الإمام محمد الباقر . يقول أبو زهرة : « فكان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي ، وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه » [٤] . ويحكى لنا المفضل بن عمر الجعفي أحد تلاميذ الإمام الصادق ، أن الإمام كان يلقى دروسه على تلامذته وشيعته في جميع الفنون الإسلامية في داره [٥] . حتى أصبحت تشبه الجامعة من كثرة من يؤمها من طلاب العلم ورواد الحديث من الأقطار النائية ليأخذوا عنه الفقه والتفسير والحكمة والكلام والأدب [٦] . يقول أبو زهرة : « وهناك في بيته فقه مستقى من فقه آل البيت وما عندهم من أحاديث رسول الله (ص) » [٧] . وذات مرة روى أحد تلامذة الإمام الصادق أنه زار إمامه في منزله ، فقال له الإمام : « أمعك شيء تكتب ؟ قال : نعم . قال أكتب .. » [٨] . وكان الإمام

---

(١) محمد عطية الأبراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ .
(٢) عبدالغني عبود : **في التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٣ .
(٣) محمد باقر الصدر : **علي بن الحسين زين العابدين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٦ .
(٤) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ .
(٥) **أمالي الصادق** : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٨ .
(٦) محمد الخليلي : **أمالي الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص.ص ١٦١ ـ ١٦٢ .
(٧) أبو زهرة : **الإمام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص.ب ٩٩ ـ ١٠٠ .
(٨) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ .

علي بن موسى الرضا يملي على تلاميذه في داره ، فقد جاء محمد بن زيد فأملى عليه[١] .

ولم ينفرد أئمة الشيعة بالتعليم في المنازل ، بل كان شيوخ الشيعة أيضا يعلمون في منازلهم . فكان منزل الشيخ المفيد ندوة عامرة بحديث الفقه والكلام والنقاش والأخذ والرد ، وكان الفقهاء والمتكلمون يقصدونه من أقطار بعيدة . يقول العلامة الحلي : « من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم وكل من تأخر عنه استفاد منه .. »[٢] .

وكانت دار السيد المرتضى دار علم ومناظرة[٣] . « فكان منزله دارا للضيافة ، ومدرسة للتعلم والمدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ، ويستروح في رحاله الوافدون من شتى الجهات .. بل إنه جعل للكثير من تلامذته مرتبات منظمة ، وحبوسا موقوفة عليهم .. »[٤] . وما كتابه الآمالي إلا مجالس أملاها على طلابه في داره[٥] . ولما فصل الفصيحي من النظامية فإن أفواجاً من المتعلمين راحوا يقصدونه في داره ليواصلوا القراءة عليه[٦] .

ولعل أهم دار استخدمت في التعليم عند الشيعة هي دار محمد بن مسعود العياشي ، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قار ، أو معلق مملوءة بالناس ويقول ابن داود الحلي أن محمد بن عمر الكشي من غلمان العياشي .. وصحب العياشي وأخذ عنه وتخرج عليه في داره التي كانت شريعة للشيعة وأهل العلم [٧] وقد مارس التدريس بنفسه وتخرج عليه

---

(١) الكليني : **الكافي** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٤٠ .
(٢) انظر **مقدمة كتاب بحار الأنوار للمجلسي** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧١ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** - مرجع سابق - ص ٤٨ .
(٤) محمد أبو الفضل ابراهيم : **مقدمة كتاب الآمالي للشريف المرتضى** - مرجع سابق - ص ٨ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٠ .
(٦) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** - مرجع سابق - ص ٧٠ .
(٧) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** - مرجع سابق - ص ٧٧ .

كثير من التلاميذ حيث كان له مجلسان للدرس مجلس للخاص ، ومجلس للعام[1] . بالإضافة إلى دار الشيخ الطوسي ، حيث فتح داره لتلاميذه ومريديه ، وكان يتمتع بمنزلة عالية عند الشيعة وغيرهم ، حتى أن الخليفة القائم بأمر الله جعل له كرسي الوفادة ، ولكنه انتقل إلى النجف بعد أن كبست داره وأخذت دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للتدريس[2] .

وهناك دور الأمراء من الشيعة التي كانت تموج بالعلم والعلماء ، منها قصر سيف الدولة الحمداني ، الذي كان يحظى بالعلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة و « لو لم يحظ بغير المتنبي يغرد فيه لكفى لتخليده ورفع شأنه »[3] . ولهذا كان بلاطه أزهى بلاط في عصره . يقول الخوارزمي . حنينا لأيام قضاها فيه : « قد رأيت في هذه الحضرة « حضرة أبي محمد العلوي بأصبهان » أقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ومنهل الصفا عذب ، وعود الشباب رطب ، وذكرت بهم مآرب هنالك وأياما سلبتها سلبا ، ونزعت من يدي غصبا ، ودهرا كأني كنت أقطعه وثبا »[4] .

وقد ضم بلاط سيف الدولة أكبر علماء النحو في عصرهم ، وكانوا من الشيعة[5] وهم أشهر اللغويين والنحويين في ذلك الزمان ، منهم أبو علي الفارسي ، وابن جنى ، وابن خالويه ، فأما أبو علي الفارسي فكان أكبر نحوي عالم بالعربية في زمنه ، ويعد هو وتلميذه ابن جنى مؤسسي مدرسة في النحو والصرف . وقدرحل أبو علي إلى حلب سنة ٣٤١ هـ ، ونزل في بلاط سيف الدولة وشارك في اجتماعاته الأدبية وكان بينه وبين المتنبي مناظرات في مسائل نحوية ولغوية[6] . كما كان المتنبي يلقي شعره شاديا في قصر سيف الدولة ، والظاهر أن كرم سيف الدولة ألف حوله قلوب أدباء عصره وعلمائه ، فهرعوا إليه في حلب حيث اتخذها مقرا له[7] .

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٧ .

(٢) الأصفي : **مقدمة اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٣) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩١ .

(٤) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٥) أنظر الفصل السابع ـ مدارس النحو من هذا البحث وأيضا أغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ .

(٦) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ .

(٧) سعد مرسي أحمد : **الفكر التربوي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٣ .

ثم خطا الفاطميون في هذا المجال خطوات أوسع ، وأنشأوا في قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علية القوم وسراتهم ، ويسير المؤدبون في تثقيف هؤلاء على منهج خاص يرمي إلى إعدادهم لخدمة الدولة وشغل المناصب الرئيسية فيها[١] . بالإضافة إلى المهمة الأولى التي من أجلها اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة الشيعية خاصة ، والحقوا بها مكتبات تحتوي على مئات الألوف من المصنفات[٢] .

وتعتبر دار الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس من أعظم وأشهر دور العلم في ذلك الوقت ، فقد رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين ، وأجرى لهم الأرزاق ، وألف كتابا في الفقه ، ونصب له مجلسا يجتمع فيه الفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل ، وتجري بينهم مناظرات ، وكان يجلس في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ، فإذا انقضى المجلس من القراءة ،قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه[٣] . « وإنه كان يجمع الاجتماعات الكبيرة في بيته ... وكان يحضر هذه المجتمعات القضاة والفقهاء وأساتذة القراءة والنحاة وعلماء الحديث وكبار رجال الدولة أصحاب المواهب الممتازة ... وكان يجمع في قصره عددا كبيرا من الموظفين . يشتغل بعضهم بكتابة نسخ من القرآن ، وبعضهم ينسخ شيئاً من كتب الحديث والفقه والأدب وبعض كتب العلوم حتى الطب ... وجعل ابن كلس في قصره جماعة من القراء والأئمة ، وعين لهم الرواتب ... »[٤] . « وكان يجلس عنده في كل يوم الأطباء لينظروا في حال العلماء ، ومن يحتاج منهم إلى علاج أو إعطاء دواء ... »[٥] . وكان اذا جلس لقراءة كتابه في الفقه الذي سمعه من المعز والعزيز ، لا يمنع أحدا من مجلسه ، فيجتمع عنده الخاص والعام[٦] .

---

(١) أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٤٢٣ .
(٣) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ .
(٥) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٩٦ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيعة لم يتخذوا دورهم مكانا للتعليم كيفما اتفق ، بل يوجد هناك موضع في الدار نفسها يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى هذا الموضع مسجدا . قال أحدهم « دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام في منزله فإذا هو في بيت كذا في مسجد له وهو يدعو ... فقلت له جعلني الله فداك .. فمن ولى النـاس بعـدك .. »[١] . وهكذا اتخذ الشيعة من منازلهم أماكن للتعليم ، حيث كانت هذه المنازل ذات أهمية كبيرة عند الشيعة حينذاك ، لأن التعليم كان يجري في أكثر الأحيان ، في بيوتهم خوفا من رقـابة السلطان ، مـا عدا الفتـرة البويهيـة والفترة التي حكم فيهـا الفاطميون في مصر .

رابعاً ـ مجالس العلم والعلماء :

شجع أئمة أهل البيت أصحابهم وتلامذتهم على الجدل والمناظرة ، وأمدوهم بالحجج والبراهين وأساليب الدفاع . **قال الإمام الصادق لعبد الرحمن بن الحجاج البجلي : ناظر أهل الآراء والبدع فإني أحب أن يروا في شيعتي مثلك** . وبلغ من عنايتهم بهذه الناحية أنهم كانوا يعقدون مجالس للمناظرة فيما بينهم للتدريب على مناظرة الخصوم . فقد روىٰ الكشي أن جماعة من أصحاب الإمام الصادق منهم جميل بن دراج ، وعبدالرحمن إبن‌الحجاج وجماعة يبلغون نحوا من خمسة عشر رجلا أو يزيدون ، اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سـالم في التوحيـد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين من أصحاب الإمام الصادق (ع) في الفقه والكلام والفلسفة ، فعقـدوا مجلسا لهـذه الغايـة ، وكان مجلس الإمـام الصادق من أهم مجالس الدرس التي كان يجتمع فيها التلاميـذ ، وكان مجلسه مفتوحا لكل من يريد التفقه والتعلم في شتى علوم الإسلام[٢] .

ومن خصائص مجالس العلم والعلمـاء ، أنها تقـوم على السـؤال والجواب في مختلف العلوم، ولم تكن مخصصة لعلم من العلوم ، وإمَّا كان المجلس الواحد يشتمل على علوم متعددة ، قال عطاء : « ما رأيت مجلسا

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ـ ٧٩ .
(٢) هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٨ .

أكرم من مجلس ابن عباس ، ولا أكثر فقها ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر يسألونه ، فكلهم يصدر من واد واسع »[١] .

ومن أهم المجالس العلمية وأعظمها هو مجلس محمد بن عمر بن الجعابي ، حيث كان يحضر مجلسه عشرات المئات من الطلاب والعلماء يأخذون منه العلم . قال الخطيب البغدادي : « ... وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه .. كان ابن الجعابي يملي مجلسه فتمتلىء السكة التي يملي فيها والطريق .. »[٢] .

ومن مجالس الشيعة مجلس الشيخ المفيد . يقول محقق الكامل لابن الأثير : « ... وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف »[٣] ويقول الأصفي : « .. وكان يحضر مجلس درسه آلاف الطلاب من الشيعة والسنة[٤] .

وهناك مجلس آخر كان يمتلىء بالطلاب والعلماء ، وهو مجلس السيد المرتضى الذي انتهت اليه زعامة الشيعة بعد الشيخ المفيد ، وكان مجلسه عامرا بالعلم والعرفان في كل فن من فنون العلم ، من فقه وحديث وكلام وأدب[٥] . وكان لمحمد. بن مسعود العياشي « مجلس للخاص ومجلس للعام » . وكان للإمام الرضا مجلس أيضا[٦] .

ويعتبر مجلس أبي الفتح بن العميد ، من أهم المجالس العلمية ، قال ياقوت : « .. ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوما ، وللأدباء يوما ، وللمتكلمين يوما ، وللمتفلسفين يوما ، ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالغ ووصل ووهب فجرت في هذه المجالس غرائب العلم

---

(١) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٢) المصدر السابق : جـ ٣ ـ ص ٢٨ .
(٣) ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٣١٢ .
(٤) الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(٥) أنظر ترجمة السيد المرتضى من **كتاب بحار الأنوار للمجلسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص.ص ١٢٣ ـ ١٢٥ .
(٦) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٠ .

وبدائع الحكمة ... قال أبو حيان : وحضرت المجلس يوما آخر مع أبي سعيد وقد غص بأعلام الدنيا وببرد الآفاق ... وبلغ المجلس أبا إسحاق فحضر وشكر وطوى ونشر وأورد وأصدر ... »[١] .

وكان مجلس ابن سعدان وزير صمصام الدولة يجتمع فيه ابن زرعة الفيلسوف ومسكويه صاحب تهذيب الأخلاق ، وأبو الوفاء المهندس الرياضي ، وابن حجاج الشاعر وأبو حيان التوحيدي[٢] . « وكان هذا الوزير يباهي بمجلسه ويفخر به على مجالس الأمراء المعاصرين له »[٣] .

وفي أيام الفاطميين عقدت المجالس العلمية النشطة لنشر عقائد الشيعة مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعي ، وقوام هذه المجالس أساتذة بيت الحكمة الذين كانوا ينقسمون إلى جماعات تبعا لتخصصهم ومواد دراستهم[٤] . فكانت هذه المجالس التي عقدها الفاطميون مجالس علمية صاخبة من حين إلى آخر ، وكانت تتناول مختلف العلوم الإسلامية وغيرها[٥] . منها مجلس الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس « وألف كتبا في الفقه والقراءات ، ونصب له مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء ويحضر إليه الفقهاء ، والمتكلمون ... وكان يجلس في يوم الجمعة أيضا ، ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ... »[٦] . « وكان داعي الدعاة يعقد المجالس ويقرأ على الناس مصنفاته فيحاضر الرجال في الأزهر ، بل كانوا يعقدون في بعض الأحوال مجلسا خاصا للنساء يسمى مجلس الدعوة »[٧] .

أما مجلس سيف الدولة الحمداني ، فقد كان مجلسا ممتازا ، حيث منح ذوقا وقدرة على فهم الأدب وإدارة الحديث في المجالس واستخراج

---

(١) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .
(٢) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٦ .
(٣) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ .
(٤) محمد عطية الأبراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٠ .
(٥) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ .
(٦) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ . وأنظر سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٥ .
(٧) سعيد اسماعيل علي : المصدر السابق ـ ص ١٠٣ .

أفضل ما عند العلماء والأدباء بالعطاء والتنافس[١] . وكان أحمد بن محمد النامي أحد شعراء الشيعة يزدان به مجلس سيف الدولة ، يقول ابن خلكان : « وكان من الشعراء المفلقين ومن فحولة شعراء عصره ، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان ... وكان فاضلا أديبا بارعا باللغة والأدب وله آمال أملاها بحلب »[٢] . وهكذا كانت المجالس عامرة عند الشيعة بالعلماء والمتكلمين والفلاسفة وغيرهم من الأدباء والشعراء .

خامساً ـ دور العلم :

اتسعت الحركة العلمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي اتساعا مذهلا خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، مما أدى إلى ضيق المساجد بالطلاب ورواد العلم والمعرفة ، لذا سارع المسلمون إلى إنشاء دور للعلم ومعاهد للدراسة في كثير من المناطق الإسلامية . وكان الشيعة من المساهمين في إنشاء هذه المعاهد العلمية التي تعتبر النواة الأولى للمدارس التي أنشئت بعد ذلك بفترة غير قصيرة .

وقد لعبت هذه المعاهد وبالخصوص دور العلم دورا مهما وبارزا في إنعاش الحركة العلمية والفكرية ، حيث تقوم هذه الدور بمهمة تعليمية ، لاسيما أن بعض روادها يقصدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وأن القائمين على تلك الدور وما تحتويه من خزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد[٣] .

ومن أهم معاهد العلم التي أسسها الشيعة في بغداد ـ دار العلم ـ ففي سنة ٣٨٣ للهجرة : « .. بنى أبو نصر سابور بن أردشير ببغداد دارا للعلم ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها »[٤] قال الحافظ إبن كثير في البداية والنهاية : « وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة »[٥] . وكان فيها أكثر من عشرة

(١) احمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٠ .
(٢) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٧ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .
(٤) ابن الاثير : **الكامل في التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٦٢ .
(٥) انظر الهامش من المصدر السابق ـ ص ١٦٢ .

آلاف مجلد ، وقد نقل إليها أبو نصر سابور كتبا كثيرة اشتراهـا وجمعها ، وكان بها مائة نسخة من القرآن الكـريم بأيـدي أحسن النساخ ، ولم تكن في الدنيا أحسن كتبا منها كلها بخطوط الأئمة المعتبرة ، وقد أناط أمر هذه الدار ومراعاتها والاحتيـاط عليها إلى رجلـين من العلويـين يعاونهمـا أحد الفقهاء[1] .

وكانت دار العلم هذه مركزا ثقافيا كبيرا للبحث والدراسة والاطلاع يجتمع فيهارواد العلم للمنـاظرة والمحـاورة والمجادلـة . وكان الفيلسـوف الكبير أبو العلاء المعري لا يتـركها ولا ينقطـع عنها اذا ذهب إلى بغـداد ، كما كان معظم العلمـاء والأدباء والفـلاسفة يقفـون ما عنـدهم من النسخ والكتب التي يملكونها أو يؤلفونها لدار العلم ببغداد لتخليدها[2] . « كمـا كانت الدار محط الأنظار يقصدها الأدباء والشعراء والعلماء والفـلاسفة . من كـل صوب حيث كـانوا يتبـارون في ايداع نسخـة من أصول كتبهم في الدار »[3] . وكانت هذه المؤسسة التي أنشأها سابور أول مؤسسة شيعية أطلق عليها اسم دار العلم . كما يراه الدكتور سعيد اسماعيل علي [4]

وكانت دار علم سابور ذات موارد كبـيرة لكثرة الأوقـاف التي وقفت عليها . ومن المحتمل كمـا يرى الـدكتور فيـاض أن قسما من مـوارد هذه الأوقاف يصرف لأغراض تعليمية لأن الأصل في الوقف أن يكون لأغـراض دينيـة وأن تعليم علوم آل البيت وتعلمهـا من أهم الأغـراض المـذكـورة . بالاضافة إلى أن الدار المذكورة نشأت في عصر أخذ التعليم فيـه ينتقل من المسـاجد إلى المؤسسـات الجديـدة مثـل دور الكتب ودور العلم ، فيكـون اسهامها بالتعليم من الأمور المحتملة . وللأستاذ كوركيس عواد رأي يؤيد فيه وجود الوظيفة التعليمية لدار علم سابور ، يقول فيه أن تلك الدار كانت « مـوئـلا للعلمـاء والبـاحثـين ، يتـرددون إليهـا للـدرس والمنـاظـرة

---

(١) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

(٢) محمد عطية الابـراشي : **التربيـة الاسلاميـة** ـ مرجـع سابق ـ ص ٩٩ . وأيضـا أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ .

(٣) سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١٨.

والمباحثة »[١] . يقول الدكتور شلبي : « وكانت خزانة سابور مركزا ثقافيا ممتازا يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس .. »[٢] . وهذا يؤكد على وجود التعليم في دار العلم التي أسسها سابور .

ومن دور العلم التي أنشأها الشيعة ـ دار علم الشريف الرضي ـ حيث اتخذ الشريف (المتوفى عام ٤٠٦ هـ) دارا سماها دار العلم وفتحها لطلبة العلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه[٣] . وكانت دار علم ودراسة ، كما كانت موضعا يسكن فيها طلبة العلوم . فالشريف الرضي أسكن طلبة العلم الملازمين له هذه الدار وعين لهم ما يحتاجون إليه ، وحدث أن أحد الطلبة احتاج إلى زيت للإضاءة ولم يكن الخازن حاضرا فاقترض الطالب زيتا من حانوت مجاور ، فلما سمع الرضي بذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ، ودفع إلى كل منهم مفتاحا ليأخذ منها ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازنا يعطيه . ومن هذا يظهر أن دار علم الشريف الرضي كانت أقرب مؤسسة إلى المدرسة التي كان الطلبة عادة يدرسون ويسكنون فيها . وكان في دار علم الشريف عدد من الطلبة كانت نفقتهم على صاحب الدار[٤] .

ولم تكن دار علم الشريف الرضي مدرسة فحسب ، بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الأمور المادية ، وكانت تحتوي على خزانة للكتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم ، وكانت الكتب فيها منظمة تنظيما حسنا[٥] . وأنه عندما اهدى لهم الوزير المهلبي هدية على كره من الشريف ، لم يمد أحد من طلبته يدا إلى شيء منها ، وهو مكتفي المئونة

---

(١) عبدالله فياض **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ . وايضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .

(٢) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ .

(٣) آدم متز : **الحضارةا لاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٢ .

(٤) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الأمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ ، ٩٤ وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ . وأيضا باقر شريف القرشي ـ **النظام التربوي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣١ .

(٥) حسن الحكيم : المصدر السابق ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

غني النفس صادق النية في طلب العلم[1] . كما أن الشريف الرضي مارس عملية التعليم بنفسه في هذه الدار ، حيث كان يلقى دروسه ومحاضراته يوميا على طلابه في هذه المدرسة[2] .

أما دار الحكمة أو دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٩٥ هـ فتعتبر من أعظم وأكبر دور العلم في الفترة موضوع البحث ، فقد أنشئت هذه الدار لتكون جامعة مستقلة . وكانت تعقد قبل ذلك بالقصر وأحيانا بالأزهر ، مجالس تسمى مجالس الحكمة ، وينظمها قاضي القضاة ، تقرأ فيها علوم آل البيت ويهرع الناس إلى شهودها ، وتخصص فيها مجالس للخاصة ومجالس للعامة وأخرى للنساء ، ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أوسع مدى ، وأن تنظم في سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمي واحد ، فأنشيء المعهد الجديد وأطلق عليه دار الحكمة أو دار العلم . ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفي الحر الذي أريد أن يتخذ منها ، ذلك لأن دار الحكمة كانت جامعة تضم عدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وقسمت إلى عدة أقسام أو مجالس لعلوم القرآن والفقه وعلوم اللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيرها ، وعين لها أقطاب الأساتذة في كل علم وفن ، وكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، ويمنح الطلاب والباحثون جميع أدوات الكتابة ، ولهم أن يقرأوا وينسخوا ما شاؤا من الدروس والمحاضرات[3] .

يقول المقريزي : « **وفي جمادي الآخرة من هذه السنة - ٣٩٥ - فتحت دار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها القراء ، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور ، ودخل الناس إليها ، وجلس فيها القراء والفقهاء ، والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والأطباء ، وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم مالم ير مثله مجتمعا ..** »[4] . « **فكان**

---

(١) ، (٢) أنظر ترجمة الشريف الرضي من كتاب **حقائق التأويل في متشابه التنزيل** - للسيد الشريف الرضي - ترجمة عبد الحسين العلي ، دار المهاجر - بيروت بدون تاريخ - جـ ٥ - ص ٨٥ .

(٣) حسن الأمين : **الأزهر** - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٦٦ .وانظر المقريزي : الخطط - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٢٤ .

(٤) المقريزي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٢٧٦ .

ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التي لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السني لمن رسم لــه بــالجلــوس فيهــا ، والخــدمــة لهــا من فقيــه وغيره »[1] .

وهكـذا استطاعت دار الحكمـة في ظل الـرعايـة الرسميـة أن تنمو بسرعة ولم يمض سوى قليل حتى ازدهرت ، وهرع إليها الطلاب من سائر الأماكن ، وتبوأت مركزاكبيرا في الدراسات العلمية والفقهية في هذا العصر وكـانت تقوم بنشر علـوم آل البيت إلى جانب تـدريس علـوم اللغـة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة وغيرها ، بينمـا لبث الأزهر محتفظـا بطابعـه الـديني الخالص ، أمـا دار الحكمة فقـد تغلب عليهـا الصبغـة الـدينيـة والفلسفية[2] . « وكانت تلك الدار معهدا دراسيا عظيما للدراسة والتعليم والقراءة والاطلاع ونسخ الكتب .. وأمر ـ الحـاكم بفتح أبـوابها لكـل من يشاء الانتفاع بها ، والاستمتاع بما يلقي فيها من محاضرات ومناقشـات علمية وأدبية ودينية ، واستمرت دار الحكمة بالقـاهرة مفتـوحة الأبـواب حتى أوائل القرن السادس الهجري »[3] .

ويظهر أن دور العلم التي أسسها الشيعة كانت معاهد علميـة ذات صلة بالتعليم ، كما أنها كـانت مستقلة عن المسجـد . وقد أصبحت هـذه المؤسســة تسهم بعملية التعليم . وتعتبـر هذه الـدور أصلح للتعليم عنـد الشيعة من المساجد العامة ، لوجود الكتب ووسائل المطالعـة ، بالاضـافة إلى السكن والعيش فيهـا . هذا مـع أن الشيعـة لم يكـونـوا ، في الغـالب يتمتعون بالحرية الكاملة في تعليم مـذهبهم في المساجـد ، كما وتمتـاز دار علم الشريف الرضي ، في أن مؤسسها وأخاه السيد المرتضى كانا يمارسـان تعليم العلوم بنفسيهما ، ولهذا كانا أكثر اهتماما بـأمور العلم والتعليم من الحكـام الذين أسســوا كثيرا من دور العلم عنـد الشيعة ، أمثـال عضـد الدولة ، والوزير شـاه مردان ، وسـابور ، حيث أسس هؤلاء دورا للعلم ، ولا تخلو أن تكون هذه الدور عرضة للابهة من قبل الحكام[4] .

---

(١) المصدر السابق : جـ ٢ ـ ص ٢١٨ .
(٢) حسن الأمين : **الأزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) محمد عطية الابراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٨ .
(٤) انظر عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٥ ـ ٩٦ .

سادسا : دور الكتب أو المكتبات :

إن دور الكتب عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص أحد جوانبها للمطالعة والنسخ . كما كانت هذه الدور موئلا للعلماء والباحثين يتناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع . بالاضافة الى قيامهم بمهمة التعليم في بعض الأحيان . وكان يقصدها الطلاب من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وأن القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الطلاب والوافدين عليها(١) .

ولم تكن المكتبات عند الشيعة بصورة خاصة وعند المسلمين عامة ، أقل أهمية من المساجد ودور العلم في نشر الثقافة الاسلامية بين الناس وتحرير الأفكار للنظر والمعرفة في كل ما يتصل بالحياة الدينية والعقلية ، ولهذا بذل الخلفاء البويهيون والفاطميون ووزراؤهم مجهودات كبيرة في زيادة عدد الكتب التي تتناول شتى فروع العلم . كما أن علماء الشيعة فتحوا مكتبات أخرى يؤمها رواد الفكر وطالبو المعرفة .

وكما اهتم الشيعة بالكتب واقتنائها ، اهتموا بدور الكتب وخزائنها ، وحرصوا عليها وقدروها حق قدرها ، تقديرا للعلم والعلماء ، وكتبوا كثيرا عن أثرها في تهذيب العقول ، وبث البطولة في النفوس ، وتزويد القراء بالأفكار والآراء . **قال الامام الصادق** : « **احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون إليها** » . **وقال للمفضل** . « **اكتب وبث علمك في اخوانك .. فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم** »(٢) ولهذا نجد ابن العميد عندما هجم جنود من خراسان علىٰ داره وسرقوا مافيها من آثار وخزائن لم يفكر إلا في خزانة كتبه فقد كانت ثمينة ، فيها من الكتب العلمية والأدبية ما تبلغ مائة حمل ، فلما رأى ابن العميد ابن مسكويه خازن كتبه سأله عنها ، وعندما علم بحالها وإنها لم تمسها يد ، زال عنه ذلك الهم وقال لابن مسكويه : اشهد أنك ميمون النقيبة ، أما سائر الخزائن فيوجد عنها عوض ، وأما هذه الخزانة فهي

---

(١) المصدر السابق : ص ٨٧ .

(٢) الكليني : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦٧ .

التي لا عوض لها[1] . وينقل السيوطي « أن نوح بن منصور ، أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته ، فكان من جملة اعذاره إليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة اربعمائة جمل »[2] .

ومن أهم دور الكتب عند الشيعة :

١ ـ **مكتبة سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة البويهي** ، فقد أنشأها ببغداد سنة ٣٨٣ هـ ، في محلة بين السورين في الكرخ ، وجمع فيها ما تفرق من كتب فارس والعراق ، واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم ، وقد كان هذا الوزير من أهل الفضل والأدب فأخذ العلماء يهدون اليه مؤلفاتهم فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد[3] . وكانت تحتوي على « ١٠٤٠٠ » مجلد في العلوم المختلفة[4] . ولما أخذ السلاجقة عند وصولهم الى بغداد بايقاظ الفتن المذهبية كان من بعض نتائج ذلك أن أحرقت هذه المكتبة العظيمة فيما أحرقت من محال الكرخ . كما احرقت مكتبة أخرى من مكتبات الشيعة ، وهي مكتبة الشيخ الطوسي ، التي كان يستفيد منها تلاميذه وطلابه[5] . وقد وصف ياقوت مكتبة سابور هذه بقوله « لم يكن في الدنيا احسن كتبا منها ، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولها المحررة »[6] . كما كانت « ... مركزا ثقافيا ممتازا يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرسُ ، وطالما عقدت فيها المناظرات والمناقشات »[7] .

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٥ . وأيضا محمد عطية الابراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٠ .

(٢) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٥١ .

(٣) انظر **دائرة المعارف الاسلامية الشيعية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢ .

(٤) محمد عطية الابراشي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٩ .

(٥) انظر **دائرة المعارف الاسلامية الشيعية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢ . وأيضا جعفر الشيخ باقر ـ **ماضي النجف وحاضره** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٧ .

(٦) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٧ .

(٧) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ .

٢ ـ **دار كتب عضد الدولة البويهي** : وهذه الدار أنشأها عضد الدولة في شيراز وقد وصفها المقدسي وهو شاهد عيان بقوله : « وبنىٰ عضد الدولة بشيراز دارا لم أر في شرق ولا غرب مثلها .. وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم كلها الا وجعله فيها وهو أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد ألصق الى جميع الحيطان الأزج والخزائن بيوتا طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوق . وعليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها اسامي الكتب لا يدخلها الا وجيه . وطفت في هذه الدار كلها سفلها وعلوها ..»[١] .

٣ ـ **دور الكتب ببخارى** ؛ وهناك مكتبة أخرى للسامانيين لا تقل عظمة عن المكتبة التي بناها سابور في بغداد ،، وقد كتب ابن سينا يصف هذه المكتبة التي انتفع بها في بخارى : « دخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها فوق بعض ، في بيت ، منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ». وكانت المكتبات غنية بالكتب ، مملوءة بكثير من الذخائر ، ولها فهارس منظمة ، ويحكي ابن سينا أنه رأى من الكتب في مكتبة السامانيين ما لم يقع اسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان رآه من قبل ، ولا رآه أيضا من بعد[٢] .

٤ ـ **مكتبة السيد المرتضى** : وقد كانت للشريف المرتضى ببغداد مكتبة كبيرة ، تحتوي على ثمانين ألف مجلد . وقال أبو القاسم التنوخي وهو صاحب الشريف المرتضى : « حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومخطوطاته ومفرداته » ،. حتى أصبحت مكتبته هذه ملتقى العلماء والأدباء والباحثين ، ومن النادر أن يجتمع نظيرها عند أحد[٣] . وقد استفاد منها كثيرا شيخ الطائفة الطوسي اثناء تحصيله

---

(١) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٨ .
(٢) الابراشي : **التربية الاسلامية وفلاسفتها** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٥ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨ .

العلم[1] .

٥ ـ **دار كتب ابن سوار كاتب عضد الدولة بمدينة رام هرمز والبصرة** ، وهي من المكتبات المهمة في الفترة موضوع البحث ، حيث كان التدريس فيها عنصرا هاما بجوار الكتب . قال المقدسي : «رام هرمز قصبة كبيرة ... وبها دار كتب كالتي بالبصرة والداران جميعا اتخذهما ابن سوار وفيهما اجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ ، الا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا ، وفي هذه أبدا شيخ يدرس عليه علم الكلام » . ويبدو من هذا أن هاتين الدارين تتوفر فيهما بعض مستلزمات المعهد التعليمي ، وبالأخص الدار التي فيها شيخ مقيم بصورة دائمة يدرس عليه علم الكلام . ومما يساعد المنتمين اليها على البقاء فترة طويلة فيهما ،، أن صاحبهما وفر وسائل العيش والراحة لاولئك المنتمين[2] . يقول الدكتور شلبي : « وفي المقامة الثانية من مقامات الحريري وهي المسماة المقامة الحلوانية ذكره لهذه المكتبة ، قال الحريري على لسان الحارث بن همام البصري : فلما أبت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين ، وملتقى القاطنين منهم والمتغربين ، فدخل ذو لحية كثة ، وهيئة رثة ، فسلم على الجلاس ، وجلس في أخريات الناس ، ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه »[3] .

٦ ـ **دور الكتب في القاهرة في العصر الفاطمي** :
من اشهر وأعظم دور الكتب في الفترة موضوع البحث ، مكتبة الفاطميين التي أنشأوها بالقاهرة ، ونافسوا بها خلفاء بغداد ، وجعلوها في القصر الفاطمي ، وكانت موضعا للدراسة ، ويقال انها كانت من عجائب الدنيا ، ولم يكن في جميع البلاد الاسلامية دار كتب

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٩ . وأيضا الاصفي : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٩ .
(٢) عبد الله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٨ ـ ٨٩ . وأيضا أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٧ .
(٣) أحمد شلبي : المصدر السابق ـ ص ١٨٧ .

اعظم منها . ويقال انها كانت تشمل علي « ١٦٠٠ر١٠٠٠ » كتابا ، وكان فيها الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة ، ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي ، لما انشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، وجعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد ، وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة أعوام[1] .

ولم تكن المكتبات في نظر الفاطميين أقل أهمية من المساجد في بث عقائد الشيعة بين الناس ، لهذا بذل الخلفاء الفاطميون ووزراؤهم مجهودات عظيمة في زيادة عدد الكتب التي تتناول شتى فروع العلم والمعرفة ، حتى فاقت مكتبة القصر كل المكتبات الاسلامية في العالم في ذلك الحين[2] .

وقد ساعد على عظم وازدهار هذه المكتبة ما حمله المعز عند رحيله الى مصر من الكتب الكثيرة التي كانت في مكتبته الخاصة ، وما كان من رغبة الفاطميين في منافسة الدولة العباسية وتشجيعهم العلم والتعليم وسياستهم في تقريب العلماء والأدباء والشعراء ، كل ذلك أدى الى تشجيع الدرس والتحصيل والبحث والتأليف ونسخ الكتب ومعارضتها ونقدها وكتابة الذيول لها واقتناء المؤلفات والمخطوطات فضلا عن انتشار المكتبات في ذلك العصر وادراك المسلمين فائدتها[3] .

وقد ظلت مكتبة القصر محتفظة برونقها حتى اشتعلت الحرب الداخلية في عهد المستنصر ، « **وفي هذه الأثناء قام الأتراك الغوغاء بالسلب والنهب في العاصمة واعتدوا على دار الخليفة فهدموا ما بها من نماذج الفن الرائع ، ثم عرجوا على المكتبة فاعتدوا على هذا التراث الجليل من العلم والمعرفة ، ومن المؤلم حقا ان تستعمل المخطوطات الثمينة والكتب النادرة لتشعل سجائر هؤلاء البرابرة ، وأن يقوم عبيدهم واماؤهم بأن يتخذوا من جلودها نعالا يلبسونها في أرجلهم وقد القي عدد كبير من الكتب في النيل ، وحرق عدد وافر**

---

(١) الابراشي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠ . وأيضا المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٢٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٨ .

(٣) سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٧ .

منهـا ، وحمل بعضهـا الى سائـر الأقطار ، وبقي منهـا ما سفت عليـه الرياح والتراب ، فصار تلالا تعرف بتـلال الدراسـة بجوار الأزهـر . وقد حرص البرابرة الأتراك أن يقضوا عـلى هذه الكتب لاعتقـادهم أن فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم »[١] .

يقـول الدكتـور شلبي : « ويعلم الله انه مـا كـان لهم علم بكـلام المشارقة ولا بكلام المغاربة ، ولا بأي لـون من ألوان العلـوم ، وانما هو الجهل والهمجية دفعا هؤلاء الغوغاء أن يرتكبوا هـذه الجريمـة العظمى ، وأن يطعنـوا المدنيـة الاسـلاميـة في أشرف مقـومـاتهـا .. وحينئـذ تقدم صـلاح الدين ـ الأيـوبي ـ فقضى على هـذه المكتبـة .. ولكن المنصف لا يستطيـع هنا الا أن يلـومـه متسـائـلا : لمـاذا وقف صلاح الدين من الكتب هذا الموقف وبخاصة بالنسبة لمـا لم يتعارض منها مع مذهب أهل السنة »[٢] . وفي ذلك يقول الدكتور حسن ابراهيم ، « فالأيوبيون السنيون الغلاة ، الذين كانوا أعـداء الداء للشيعـة ،، لم يحاولوا القضـاء على الشعـائر الشيعيـة فحسب ، بل عملـوا على ازالة كل معالم الحضارة الفاطمية وثقافتها »[٣] .

وبمقارنة هذا الموقف من العلم والمعـرفة ، يظهـر بوضـوح أن الشيعة بانحيازهم الى العلم وحرية الرأي ، وصلوا الى مكانـة رفيعة خدمت الاسلام ، فقـد أباحـوا العلم لكل الطبقـات ، ايمانـا منهم بأن الاسـلام يقوى وينتشر بـالعلم ، وليس العلم وحده ، وانمـا ببذلـه ونشره بين الناس ، وعلى هذا كانت مكتبة القصر تحوي على جميع الكتب الاسلامية التي تنسب الى مختلف علماء المسلمين بمختلف فـرقهم . ولكن الجهل من البعض جعلهم يقضون على هذا التـراث الضخم ، مما أدى الى تـأخر المسلـمـين قرونـا عديـدة ولا أغـالي اذا قلت ، ان أسبـاب تـأخـر المسلمين بعد ذلك كانت نتيجة لما قـام بـه أعـداء العلم وحريـة الفكر من اتلاف أهم مصادره .

---

(١) أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ٨
(٣) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٣ .

وبجانب مكتبة القصر ، كانت هناك مكتبات اخرى في مصر الفاطمية ، كمكتبة دار الحكمة ،، ومكتبة دار العلم ، وكانت مكتبة دار العلم متصلة بمكتبة دار الحكمة التي أمدت بكثير من المؤلفات للاطلاع والنسخ والبحث والدراسة . وكان يباح للناس الانتفاع بها ، فيأخذون ما يحتاجون اليه من المداد والأقلام والأوراق والمساند وكان مشهورو الأستاذة المتصلين بدار الحكمة يقيمون مناظرات يحضرها الحاكم فيصلهم لأجلها بالهبات ويخلع عليهم الخلع[1] . « وقد اشتملت هذه الكتب على مصنفات في الفقه في جميع المذاهب واللغة العربية والحديث والتاريخ والسير ، والفلك والدين والكيمياء ، هذا عدا المصاحف التي احتوتها المكتبة »[2] .

أما خزانة الكتب التي بالقصر ، فكانت تحتوي على الكتب الخطية النادرة في مختلف العلوم ، حتى أنه ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين ، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد ، كما حمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار ، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه[3] .

وكانت عدة الخزائن التي برسم الكتب ، في سائر العلوم بالقصر ، أربعين خزانة ، خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة . وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ، الفان وأربعمائة ختمة قرآن ... ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما[4] . « وتحوي هذه الخزانة على عدة رفوف وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي الف كتاب من المجلدات ، ويسير من المجردات : فمنها الفقه على سائر المذاهب[5] ..»

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٤٣٣ .
(٣) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٢٧ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٢٧ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

« **وقد أصاب هذه الخزائن من الاحن بتوالي الفتن .. فألقى بعض كتبها في النار ، والبعض الآخر في النيل وترك بعضها في الصحراء ...»**[1] . « وقد ظلت مكتبة المعز الفاطمي مفتوحة ينتفع الجمهور بما فيها من الكتب الى سنة ٥١٦ هـ »[2] .

ويخلص الباحث من كل ذلك إلى أن دور الكتب اتخذت مكانا للدرس والتعليم والبحث عند الشيعة ، إلى جانب كونها خزائن للكتب . فقد « كانت هذه المكتبات مجتمعات ثقافية يلتقي فيها العلماء للمناقشة والمجادلة في المسائل العلمية »[3] . كما كانت مرتبة ترتيبا حسنا ، وفهارسها منظمة تنظيما دقيقا ، كي يسهل الحصول على الكتب التي يحتاجها القارىء من غير مشقة . وكان في كل مكتبة أمين خاص بها يقوم على شئونها ، ويبدو أن بعضها كان مكانا لسكن الطلاب الوافدين من أماكن بعيدة[4] . **وقد تعرضت دور الكتب التي أنشأها الشيعة للتلف واحراق ما فيها من كتب قيمة في أكثر فترات حياتهم ، مما أضاع أكبر ثروة علمية عند المسلمين .**

وتوجد هناك مكتبات أخرى للشيعة ، أهمها دار الكتب الحيدرية في النجف الأشرف ، وهي موجودة حتى الآن في ضريح الامام علي بن أبي طالب . وقد جلب إليها من الكتب من سائر البلاد الإسلامية ، حيث يوجد فيها من الكتب القيمة النادرة الوجود ، كما يوجد فيها مخازن لكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة[5] . يقول الدكتور شلبي : « ... والمكتبة الحيدرية هي خزانة المشهد الشريف الذي به قبر أمير المؤمنين الامام علي إبن أبي طالب، ويرجع تاريخها إلى عهد بعيد ... وتبعية هذه المكتبة لهذا المشهد كانت السبب في أن كثيرا من الوزراء والأمراء وأعيان الشيعة اهتموا بها اهتماما كبيرا ، وأهدوا إليها كل غال وعزيز ، ومن أشهر هؤلاء عضد الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ .. وهي تحوي مجموعة من

---

(١) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٣١ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٢ .
(٣) محمد فوزي العنتيل : **التربية عند العرب** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨ .
(٤) الابراشي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٥ .
(٥) جعفر الشيخ راضي : **ماضي النجف وحاضره** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٨.

الكتب الفارسية والعربية لانظير لها ، ولا تقدر بمال ، وأكثرها بخط المؤلفين ، أو على الأقل يحوي خطوطهم ، أما المصاحف التي بها فهي تحف بديعة ... وكثير منها كتبه مشاهير الخطاطين كياقوت المستعصمي وأحمد التبريزي . أما المصحف الذي ينسب كتابته إلى الإمام علي فلا يوجد الآن في المكتبة وإنما يوجد في الضريح نفسه ... وبجانب المصاحف توجد كتب كثيرة ذات قيمة أدبية عظيمة منها نسخة من الرسائل الشيرازية لأبي علي الفارسي ... ومنها الجزء الأول من معجم الأدباء لياقوت والتقريب لأبي حيان الأندلسي ، وكل منها بخط مؤلفه ... إلى جانب نهج البردة المنسوب للإمام علي ، وإلى جانب عدد ضخم من كتب الشيعة وبخاصة التي تبحث عن الإمامة والوصاية .. »[1] .

سابعا : المدارس :

ذهب كثير ممن بحثوا في نشوء المدارس عند المسلمين على إعتبارها من منشآت القرن الخامس للهجرة . قال المقريزي : « والمدارس مما حدث في الإسلام ، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنىٰ بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنىٰ بها أخو السلطان محمد ابن سبكتكين مدرسة ، وبنىٰ بها أيضا المدرسة السعدية .. »[2] ويرى الدكتور أحمد شلبي أن نشأة المدارس كانت على يد الوزير نظام الملك ، ونسبت هذه المدارس إلى منشئها ، فعرفت باسم المدارس النظامية ، حيث كانت أول المدارس وأهمها ، وقد بدأ العمل فيها سنة ٤٥٧ هـ[3] .

ويبدو أن نظام الملك لم يكن أول من أسس المدارس ، بل كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك . وكان نظام الملك كما يقول السبكي « أول من قدر المعاليم للطلبة .. » . ولهذا يعد تنظيم المدارس من قبل نظام الملك بداية لعصر جديد ، قامت الخلافة بالاشراف

---

(١) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
(٢) المقريزي : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٤ .
(٣) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ ـ ١١٩ .

على النظام التـربوي بحيث أصبحت التـربية منـذ ذلك الـوقت من أعمال الحكومة السنية لغرض مقاومة التيار الشيعي[1] . يقول الـدكتور شلبي : « يعتبر فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد في ٢٥ محرم سنة ٤٤٧ بدء إنتصـار أهل السنـة على الشيعيـين ، فقد تـوقفت منذ ذلـك الحين سبـل النشاط التي كان البويهيون يبذلونهـا لنشر التشيع بـين الناس ... ووجـد السلاجقة أنه لا مناص من القيام بعمل مضاد ... ونشأت المـدارس لهذا الغرض »[2] .

ويظهـر أن المدارس كـانت موجـودة في النصف الثـاني من القـرن الرابع للهجرة وعلى هذا فهي من مستحدثات القرن الـرابع لا الخـامس . قال المقدسي المتوفى في حدود سنة ٣٧٨ هـ في معرض كلامه على تجواله في العالم الإسلامي : « وأممت في المساجد ، وذكرت في الجوامـع ، واختلفت إلى المـدارس » . وقال السبكي : إن محمـد بن عبـدالله خمشـاد (٣١٦ ـ ٣٨٨ هـ) « كـان إلى أن خـرج من دار الـدنيـا وهـو مـلازم لمسجـده ومدرسته »[3] . وفي ذلك يقول آدم متـز عن أبي بكر الصبغي المـتوفى عام ٣٤٤ هـ « وقد أوصى الصبغي لأحد العلماء في أمور مدرسته »[4] . وقـال الحاكم النيسابوري المؤرخ الثقة (ت ٤٠٦ هـ) صـاحب تاريـخ نيسابـور « إن أول مـدرسـة هي التي بنيت لمعـاصره أبي اسحـاق الاسفـراييني (المتوفى عام ٤١٨ هـ ـ ١٠٢٧ م) ـ بنيسابور »[5] . « أما المدرسة التي بنيت لابن فـورك (المتـوفى عـام ٤٠٦ هـ) فهي أحـدث عهـدا من تلـك المدرسة بقليل »[6] . على أنـه كان بنيسـابور رجـل من كبار الأئمـة وأولي الرياسة ، وهو أبو بكر البستي المتوفى عام ٤٢٩ هـ ، قـد بنى لأهل العلم مدرسة عـلى باب داره ، ووقف عليهـا جملة من مـاله الكثـير ، وكان هـذا الرجل من كبار المدرسين والمناظرين بنيسابور[7] .

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٧ .
(٢) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ .
(٣) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٨ .
(٤) آدم متز : **الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٣٠ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣١٨ .
(٦) المصدر السابق : ص ٣١٩ .
(٧) المصدر السابق : ٣١٩.

وقد استنتج الدكتور سعيد اسماعيل علي ، بعد عرضه للأدلة المستمدة من بعض الكتابات التاريخية ، أن نشأة المدارس كانت أسبق عهدا من المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك . وفي ذلك يقول : « ومن هنا نستطيع أن نرجع نشأة المدارس الإسلامية في الربع الأخير من القرن الرابع على أساس المؤسسة التي اختصت باسم المدرسة »[1] .

هذا وقد بنىٰ الشيعة المدارس قبل النظامية بمدة طويلة . يقول دونلدسن : « وأشهر أمراء البويهيين عضد الدولة ... وحكم مدة ٣٠ سنة من ٩٤٩ ـ ٩٨٢ ... فقد بذل أموالا طائلة لتعمير مشاهدهم ـ أي مشاهد الأئمة ـ وبناء المساجد ورعاية المدارس الدينية »[2] . ويظهر من ذلك أن المدارس كانت موجودة عند الشيعة قبل عضد الدولة ، خصوصا في مشاهد الأئمة ، وإنما قام هو برعايتها وبناء مدارس أخرى . يقول جعفر الشيخ باقر : « وآل بويه كانوا جميعا شيعة ... وبنوا جوامع ومدارس بعد أن مصروا النجف وعمروها ... »[3] . وتعتبر دار العلم التي أسسها سابور بن أردشير « أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة » . كما يقول ابن كثير . ومن المعلوم أن تأسيس دار العلم كان عام ٣٨١ هـ ، في حين أن المدرسة النظامية افتتحت عام ٤٥٩ هـ[4] . بالإضافة إلى وجود المدارس في مصر في العهد الفاطمي . يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن : « وفي سنة ٣٧٠ هـ أنشأ الحاكم مدرسة لتعليم المذهب السني ، وأهدى هذه المدرسة دار كتب ، وعين أبا بكر الأنطاكي ناظرا لها ، وخلع عليه وعلى مدرسي هذه المدرسة وأجلسهم مجلسه »[5] . ولهذا كانت نهاية القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الخامس ، وقبل أن توجد المدرسة النظامية في بغداد بستين عاما نشأت في القاهرة وعلى أيدي الشيعة مدارس لها طابع أكثر شبها بتلك المدرسة التي يبحث عن أصلها وتدرس نشأتها الآن[6] .

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٨ .
(٢) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
(٣) جعفر الشيخ باقر : **ماضي النجف وحاضره** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٩ .
(٤) حسن عيسىٰ الحكيم : الشيخ الطوسي ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣ ـ نقلاً عن ابن كثير **البداية والنهاية** ـ جـ١١ـ ص ٣١٢ .
(٥) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .
(٦) خوليان ريبيرا : **التربية الإسلامية في الأندلس** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٠ .

وقد ذكرت مصادر أخرى وجود بعض المدارس عند الشيعة . قال ابن خلكان في معرض ترجمته للشريف المرتضى : « كان هذا الشريف إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها وجامع شاردها وأنسها ، ممن سارت أخباره ..» . وقال ابن شهر آشوب : « أملا الشيخ أبو الفتوح في مدرسة الناجية أن الحسين بن علي (ع) .. » . وذكر الأميني أن محمد الروياني الطبري (٤١٥ ـ ٥٠١ هـ) أنشأ مدرسة بأمل بطبرستان »[١] .

ويبدو أيضا أن المدارس الشيعية قد اكتنفها الغموض ، في الفترة موضوع البحث ، ويمكن أن نعزو ذلك إلى الضعف العام الذي حل بحركة التشيع نتيجة للاضطهاد الذي أصابهم من السلاجقة . وقد نقل السيوطي القصة التالية عن علي بن محمد بن علي الاستراباذي المتوفى سنة عشرة وخمسمائة ببغداد : « ... ودرس النحو بالنظامية بعد الخطيب التبريزي ، ثم اتهم بالتشيع ، فقيل له في ذلك ، فقال : لا أجحد ، أنا متشيع من المفرق إلى القدم ، فأخرج ورتب مكانه أبو منصور الجواليقي فكان يقصده التلامذة للقراءة عليه .. »[٢] .

وأما مقاومة السلاجقة للتشيع على الصعيد الفكري ، فتظهر في تأييدهم وتبنيهم لسياسة الوزير نظام الملك حول إنشاء المدارس النظامية في المدن الإسلامية الكبرى ، واتخاذها وسيلة لمقاومة التشيع على الصعيد الفكري[٣] . كل ذلك أدى إلى ندرة وجود المدارس الشيعية في أكثر فتراتهم .

ويخلص الباحث إلى أن الشيعة كانت لهم جهود تربوية كبيرة ، في الفترة موضوع البحث ، من حيث التعليم والتعلم . فقد اتخذوا أماكن خاصة لتعليم علوم آل البيت ، إيمانا منهم بأن هذه العلوم لابد من تعليمها ونشرها بين الناس ، ولهذا قاموا بتعليمها في كل مكان ، في

---

(١) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠ نقلا عن ابن خلكان وفيات الأعيان ـ جـ ٣ ـ ص ٣ ـ القاهرة ـ ط ١٩٤٨ .
(٢) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ، ص ١٩٧ .
(٣) عبدالله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٢ .

المساجد والمنازل . كما أسسوا لهذا الغرض المكتبات الضخمة لتؤم كثـيرا من الطـلاب ، وإن بعض دور العلم اتخذت بمـا يشبـه المـدن الجـامعيـة لسكنى الطلبة . وقد توصل الباحث أيضا إلى أن بعض هذه الأماكن التي أسسها الشيعة ، لاسيما في العهد البويهي والفاطمي ، كـانت مباحـة لكل من يرغب في التعليم والتعلم من جميع الفرق الإسلامية ، شعورا منهم بأن العلم للجميع ، فلابـد وأن يتعلم الجميع . ولهـذا أنشأ الحـاكم بأمـر الله الفاطمي مدرسة لتعليم المذهب السني كما مر .

الفصل السابع

أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة في العالم الإسلامي

ويشمل :

المقدمة .

١ ـ دور الشيعة في علم الكلام .

٢ ـ علم النحو ومدارسه .

أولا : متى وكيف نشأ علم النحو .

ثانيا : الشيعة والمدارس النحوية .

(أ) مدرسة البصرة النحوية .

(ب) مدرسة الكوفة النحوية .

(جـ) مدرسة بغداد النحوية .

٣ ـ علم التصريف .

٤ ـ علم اللغة .

٥ ـ علم المعاني والبيان .

٦ ـ علم العروض .

٧ ـ علم التفسير .

٨ ـ علم غريب القرآن .

٩ ـ علم معاني القرآن .

١٠ ـ علم أحكام القرآن .

١١ ـ اعراب القرآن .

١٢ ـ علم القراءات .

١٣ ــ علم الحديث .
١٤ ــ علم غريب الحديث .
١٥ ــ علم الفقه .
١٦ ــ علم أصول الفقه .
١٧ ــ الفقه المقارن أو الخلافي .
١٨ ــ علم التاريخ والمغازي والسير .
١٩ ــ علم الجغرافية .
٢٠ ــ علم الأخلاق .
٢١ ــ الشعر التعليمي .
٢٢ ــ الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية .
٢٣ ــ المنهج العلمي التجريبي .
٢٤ ــ الدراسات الفلسفية عند الشيعة .
خاتمـــة .
مقترحات ببحوث أخرى قادمة .

مقدمـــــة :

إن أي ابداع في مجال العلوم الإنسانية ، سواء كان في مجال الفلسفة أو الآداب أو غيرهما من المجـالات العلمية لابـد أن يقوم عـلى الذاتية ، والتفكير الحر المستقل ، وهذا على النقيض تماما مما نجده عند الشخص المقلد الذي لا يستطيع أن يشعر بذاتيته العاقلة الخلاقة ، لأنه تنازل عنها بحيث تلاشت في خضم فكر الآخرين[١] .

إن الإبداع والتجديد ـ في أي علم من العلوم ـ يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقل ، فهو كفيل بأن يحرز تقدما نحو التجديـد ، بحيث يجعلنا نتقـدم خطوات وخطوات في سبيل ابداع المذاهب الفلسفية[٢] . ولهـذا فإن من « أكبر الموانع في سبيل العقل عبادة السلف التي تسمى بالعرف ، والاقتداء الأعمى بـأصحاب السلطة الدينيـة والخـوف المهيمن لأصحـاب السلطة الدنيوية »[٣] . وما ينطوي عليه الباحث من عصبية تبعده عن تحري الواقع والوصول إلى الحق .

ولقد توفر لدى علماء الشيعة من الوعي بهذا مـا جعلهم يتركـون ويؤلفون كتبا مفصلة . وإن من يطلع على تلك المؤلفات النفيسة ـ كما ذكرها صاحب أعيان الشيعة والذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ يجد تراثـا علميا ضخما في التشريع الإسلامي والعبادات والمعامـلات وتحديـد العلاقـات الروحية والاجتماعية والعلمية الخاصة بالإنسان : ويدل ذلك التراث على عظمة علماء الشريعة الإسلامية ، وقدرتهم النـادرة على البحث والتفكـير والاستقراء والاستنباط والحكم الفقهية التشريعيـة التي تتفق مع الدين والعقل والمنطق ، حتى كانوا السابقين في ميادين التأليف والتأسيس لهذه

---

(١) محمد عاطف العراقي : **ثورة العقل في الفلسفة العربية** ـ ط ٤ ـ القاهرة دار المعارف ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ص.ص ١٧ ـ ١٨ .

(٣) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ .

العلوم . فلم يكتف الشيعة بما ألفوه من كتب قيمة في الشريعة الإسلامية بل وضعواكثيراً من فنون الإسلام وأسسوا قوانين للغة العربية وقواعدها في النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ، والعروض ، والقوافي والتفسير ، والحديث ، وغريب القرآن وعلم الكلام ، والعلوم الطبيعية والفلسفية ، واستنبطوا تلك القواعد والقوانين بطريقة مبتكرة دقيقة ، تدل على عقل منظم ، وتفكير سديد ورأي ناضج وإلمام تام بكل ما يتعلق باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم من شعر ونثر(١) .

ولم يكتف علماء الشيعة بما ألفوه من الكتب في العلوم الدينية ، بل أسهموا في تدوين آثارهم وأعمالهم العمرانية والسياسية والاجتماعية ، وتركوا آثارا خالدة في كتب التاريخ والجغرافية ، وكان لهم أثر كبير في تأسيس علم التاريخ ودراسة الشعوب والبلدان دراسة جغرافية واسعة . وقد تأثر بهم فلاسفة الإسلام وعلماؤه وتتلمذوا عليهم وأخذوا منهم حتى كانوا تابعين لهم في كل فن من فنون الإسلام وهذا الفصل خاص بتوضيح ذلك .

يقول شرف الدين : « وإن الباحثين ليعلمون بالبداهة تقدم الشيعة في تدوين العلوم على من سواهم ، اذ لم يتصد لذلك في العصر الأول غير علي وأولي العلم من شيعته ، ولعل السر في ذلك اختلاف الصحابة في إباحة كتابة العلم وعدمها ، فكرهها ـ البعض ـ خشية أن يختلط الحديث في الكتاب ، وأباحه علي وخلفه الحسن السبط المجتبى وجماعة من الصحابة ، وبقى الأمر على هذا الحال حتى أجمع أهل القرن الثاني في آخر عصر التابعين على إباحته ... »(٢)

يقول جرجي زيدان : « ... فانقضى القرن الأول وبعض القرن الثاني للهجرة ، والمسلمون يتناقلون العلم بالتلقين ، ويعتمدون على الحفظ ، ولم يدونوا غير القرآن . أما ما خلا ذلك من التفسير والحديث والأشعار . والأخبار والأمثال فقد كانوا يتناقلونها في صدورهم ، وأكثرهم يقرأون

---

(١) أنظر السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام** ـ شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ـ بدون تاريخ .
(٢) عبدالحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٥ .

ولكنهم لا يكتبون ، وقد يكون بعضهم حافظا ومفسرا وهو لا يقرأ »[١] .

ويتناول الباحث في هذا الفصل أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة في العالم الإسلامي .

١ ـ دور الشيعة في علم الكلام :

من العلوم المستحدثة في الإسلام « علم الكلام » فهو علم إسلامي خالص ، « فما كان لليونان علم بالحكم على فاعل الكبيرة ولا بصلة ذات الله بصفاته ولا بالنبوة ، إنها موضوعات قد انبثقت عن ظروف البيئة الإسلامية ، وهي وليدة مشكلات إسلامية خالصة ، لقد أراد المسلمون أن يصوغوا معتقداتهم صياغة فكرية تمكنهم من مواجهة الأديان التي غزاها الإسلام ، ومن ثم فإن نشأة علم الكلام تلتمس من موضوعات الخلاف بين الاسلام وما واجهه من أديان في البلدان المفتوحة »[٢] .

هذه وجهة نظر بعض الباحثين ، حيث ربط نشوء علم الكلام بالظروف العقائدية التي واجهها المسلمون دفاعا عن العقيدة الإسلامية من الإنحراف ، وفي هذا يقول الغزالي : « فأنشأ الله تعالى ، طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله »[٣] . ولهذا يقول الدكتور فيصل بدير عون : « وما كان بوسع المسلمين أن يقوموا بذلك إلا بتأسيسهم لعلم الكلام وما يماثله من أبحاث أخرى كلها كانت بقصد المحافظة على الدين الجديد وتقويمه وتقديم آرائه وأفكاره بصورة واضحة وبأدلة عقلية مقنعة »[٤] .

إن موضوع علم الكلام ، يتألف من عدة قضايا وقع فيها الخلاف بين

---

(١) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٥٥ .

(٢) أحمد محمود صبحي : **في علم الكلام ـ المعتزلة ، الأشاعرة** ـ الأسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٠ .

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : **المنقذ من الضلال** ـ تحقيق عبدالحليم محمود ـ القاهرة ـ مطبعة حسان ـ بدون تاريخ ـ ص ٩٩ .

(٤) فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧ .

المسلمين والتي أدت إلى تأسيس علم الكلام بأصوله وقوانينه المميزة ، وأول هذه القضايا مسألة حرية الارادة الانسانية ثم تلتها مسألة الصفات وهكذا . وعلى هذا لابد من الرجوع إلى جذور هذه المسائل الفكرية التي طرحت على الساحة الإسلامية ، لتنكشف لنا الحقيقة عن المؤسس الأول لهذا العلم ومدى أثره في الفكر الاسلامي ، لكي يحسم النزاع بعيدا عن التكهنات اللاعلمية المخالفة لمنهجية البحث .

ان أول من تكلم في مسألة حرية الارادة أو القضاء والقدر على بن أبي طالب[١] . وأبو ذر الغفاري وعبدالله بن عباس وجميع آل البيت والتابعين لهم ، يقول محمد أبو زهرة : « وقد كان ذلك القول رائجا في آل البيت ، وفي التابعين ، فلم يكن اختيار زيد له بدعا في آل البيت رضي الله عنهم ، حتى لقد نسب صاحب المنية والأمل ذلك الرأي إلى علي زين العابدين رضي الله عنه »[٢] . « وبهذا يتبين أن ذلك النظر كان رائجا في آخر عصر الصحابة والعصر الأموي ، وينسب إلى كل آل البيت »[٣] .

فالمؤسس الأول لعلم الكلام هو علي بن أبي طالب ، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد صبحي : « وأما الحكمة فلم ينقل عن أحد من أكابر العرب أو أصاغرهم شيء من ذلك أصلا... وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام ، ولهذا نجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل في كلامه وخطبه ، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك . ولا يتعرض متكلمو أهل السنة كثيرا للرد على الشيعة في هذا المجال ويبدو أنهم لا يمانعون في التسليم لعلي بكفاءته العلمية وإمامته للتراث الإسلامي .. »[٤] . ولهذا يرى السيد أمير علي ، أن الإمام علياً أول من تكلم بالفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ، وأن كل من جاء من بعده استقى منه ولهذا كان الإمام ينكر كل معنى من معاني التشبيه في عبارات قوية اذ قال ما نصه : إن الله تعالى لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا أجل ممدود ... »[٥] .

---

(١) أنظر مبحث العدل من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٢) محمد أبو زهرة : **الإمام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٦ .

(٤) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٩ .

(٥) السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٨ ـ ٣٠٥ .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : « وأما الحكمة والبحث في الأمور الآلهية فلم يكن من فن أحد من العرب ... وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام .. ولهذا انتسب المتكلمون الذين لجوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره ، وسموه أستاذهم ورئيسهم ، واجتذبته كل فرقة من الفرق إلى نفسها ... »[١] و « كل من بزغ فيها بعده فمنه آخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الآلهي لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام أقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ ... وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر »[٢] .

وأما ما قيل : من أن أول أصحاب مذهب الإرادة الحرة في الإسلام هو معبد بن خالد الجهني ، فعلى فرض التسليم به ، وأنه هو المؤسس لهذا المذهب ، فهو أيضا من الشيعة التابعين ، وقد كان من تلامذة أبي ذر الغفاري وكان أبو ذر من المعارضين لعثمان ومعاوية ، وقد روى معبد عنه ، كما روى عن معبد مجموعة من علماء البصرة وزهادها ، وقد أجمعت كتب العقائد الإسلامية على أن معبد الجهني هو أول من تكلم في القدر من المسلمين ـ حسب رأي النشار ـ نشأ في المدينة وتتلمذ على أبي ذر الغفاري ، وأنه رحل معه إلى الشام ، فإن الأخبار تروي أنه استمع إلى أحاديث كان يرويها معاوية عن الرسول ، وهذا يدل على أنه كان في صحبة أبي ذر في رحلته المشهورة إلى الشام حين أنكر على معاوية والأموية في دمشق ثراءهم .. ولا شك أن معبدا كان يلحظ الأحداث مع أستاذه وحين نفى عثمان أبا ذر وأعاده إلى الحجاز عاد معبد وعاش في المدينة[٣] .

يقول الدكتور النشار : « وفي المدينة نفسها ظهر معبد الجهني « المتوفى عام ٨٠ هـ » . هل كان معبد الجهني صدى لهذه المدرسة

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢) ابن أبي الحديد : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦ .

(٣) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٧ ـ ٣١٨ . وأيضا الشيخ جمال الدين القاسمي : **تاريخ الجهمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٣ ـ ٧٤ .

العلوية ، وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب حينئذ . كان معبد الجهني مدنيا أولا ، وروى عن أبي ذر الغفاري ثانيا . ونحن نعلم أن أبا ذر الغفاري كان علويا ، يؤمن بأحقية علي في الخلافة ، كما كان ينادي بنظرية الكنوز ... فلا شك إذن أن معبد الجهني إنما كان تلميذا وأثرا لمدرسة محمد بن الحنفية .. »[1] .

ومما تقدم يظهر أن أول من تكلم في القدر ، هم أهل البيت وشيعتهم ، ومن المعلوم أن من أهم مباحث علم الكلام القول بحرية الإرادة أو القضاء والقدر الذي يتعلق بعدل الله . وإن هناك ثلاثة من الأعلام يعتبرون العناصر الأولى في نشأة علم الكلام كما يذكرهم الدكتور عمارة . قيل عن كل منهم : أنه أول من تكلم في القدر وأول هؤلاء الثلاثة : أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو (ت ٦٩ هـ ـ ٦٨٨ م) ، وهو أحد الموالي التابعين الذين صحبوا علي إبن أبي طالب في حروبه ضد أصحاب الجمل وصفين ، ويروى الرواة فيقولون : كان « أول متكلم في القدر أبو الأسود الدؤلي » وثاني هؤلاء معبد الجهني « المتوفى سنة ٨٠ هـ أو سنة ٩٠ هـ . وقد شارك في الثورة التي قادها عبد الرحمن بن الأشعث ضد بني أمية ، ووقع في قبضة الحجاج فقتله صبرا . وثالث الثلاثة هو أبو مروان غيلان الدمشقي المقتول بعد سنة ١٠٦ هـ[2] . وهكذا كان معبد الجهني من أكبر الشخصيات الإسلامية الأولى ، وهو يمثل امتداد مدرسة أبي ذر الغفاري ، وأن هذه المباحث القدرية الأولى ، إنما نشأت عن بنية المجتمع الإسلامي حينئذ ، مع اجتهاد عقلي في النص القرآني وفي السنة[3] .

وهكذا « أخذ الاهتمام بعلم الكلام ينمو نموا مطردا بعد أن قرت شقاشق الخمس والعشرين سنة الأولى بعد وفاة محمد (ص) » . كما يقول جوستاف[4] وإن الكلام في حرية الإرادة كان شائعا بين آل البيت وإنهم أثبتوا للإنسان قدرة[5] . فهم على هذا واضعو علم الكلام .

---

(١) علي سامي النشار : المصدر السابق ـ ص ٢٣٢ . وأنظر السيد أمير علي : **روح الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٢ .

(٢) محمد عمارة : **الإسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص.ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٣) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٩ .

(٤) جوستاف : **حضارة الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ .

(٥) محمد أبو زهرة : **الإمام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ .

وخطا علم الكلام خطوة أخرى على يد الكميت ، وذلك عن طريق المناظرة والجدال ، إذ كان شيعيا يدافع عن حق آل البيت ، فهاشميات الكميت مناظرات في حقوق الهاشميين ، لا تعتمد على الاقناع العاطفي وإنما تعتمد قبل كل شيء على الاقناع العقلي . والكميت فيها مناظر من طراز ممتاز ، ولكنه يقف وحده ولا يسمح لأحد أن يدخل معه في المناظرة ، والواقع أن الكميت إذ كان - في الظاهر - يقف وحده في مناظراته فإنه - في حقيقة الأمر - كان يفترض دائما وجود شخص آخر يجادله ويحاوره ويناظره ، ولعل هذا هو السر في حدة الأسلوب الجدلي عنده وقوة محاولاته الاقناعية[١] . وفي ذلك يقول أحمد أمين : « وهو أول من احتج في شعره على صحة المذهب الشيعي وأقام حججه وقوى براهينه ، حتى قال الجاحظ فيه : إنه أول من دل الشيعة على طريق الاحتجاج »[٢] .

ويكشف ديوان الكميت « عن مدى ما أصاب التفكير الفني في هذا العصر من تطور ، اذ نجد هذا التفكير يتحول إلى جدال وطرق استدلال لم نكن نألفها في القديم . فقد أصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة يؤمن بها ويجعلها محور شعره ، كما أصبح مثقفا بطرق الجدال والحوار المعاصرة وهو يطبقها في شعره تطبيقا ، ويخضع نفسه وفنه لأساليبها اخضاعا »[٣] . وهكذا « كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن وكان جدليا وهو أول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك »[٤] . ولهذا « تعد الشيعة من أقدم الفرق الكلامية وأهمها »[٥] . « والمتتبع لنشأة الفرق يجد أن الشيعة أقدم الفرق الإسلامية من الناحية السياسية والكلامية »[٦] .

وقد أرسى أئمة الشيعة وعلماؤهم أصول علم الكلام ، ونضجت قوانينه في عصر الإمام علي بن الحسين ومحمد الباقر ، حتى تمت جميع

---

(١) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** - مرجع سابق - ص ٧١٤ .
(٢٤) احمد أمين : **ضحى الإسلام** - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٠٤ .
(٣) شوقي ضيف : **التطور والتجديد في الشعر الأموي** - مرجع سابق - ص ٨٠ .
(٤) محمد عبدالمنعم خفاجي : **أعلام الأدب في عصر بني أمية** - دار العهد الجديد للطباعة - ١٩٥٤ - جـ ٢ - ص ٤ .
(٥) (٦) فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** - مرجع سابق - ص ٧٠ - ٧١ .

مقوماته في عهد الإمام الصادق ، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد صبحي : « وهكذا كان عصر الصادق حافلا بمتكلمي الشيعة الأثنى عشرية الذين لهم الفضل ليس فقط في صياغة العقيدة الشيعية صياغة كلامية ، وإنما في وضع أسس علم النظريات السياسية في الإسلام باعتبارهم أول من فتق الكلام في الإمامة، ثم تابعهم بعد ذلك على مدى العصور متكلمون كثيرون للشيعة أظهرهم آل نوبخت ... »[١] .

ومن مشاهير علماء الكلام من الشيعة في القرن الأول الهجري ،كميل إبن زياد نزيل الكوفة تخرج على علي بن أبي طالب في العلوم، فقتله الحجاج بالكوفة سنة ثلاث وثمانين تقريبا[٢] . وسليم بالتصغير بن قيس الهلالي التابعي طلبه الحجاج أشد الطلب وقد ذكره ابن النديم من فقهاء الشيعة وعلمائهم ومن أصحاب علي بن أبي طالب ، وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي[٣] . والحارث الأعور الهمداني صاحب المناظرات في الأصول أخذ عن علي بن أبي طالب وتخرج عليه ومات سنة خمس وستين للهجرة[٤] . ومنهم مؤمن الطاق ، وقد أخذ عن الإمام علي بن الحسين والباقر والصادق ، يقول ابن النديم : « وهو من أصحاب أبى عبدالله جعفر الصادق ولقي علي بن الحسين .. وكان .. حاذقا في صناعة الكلام ... »[٥] وهشام بن الحكم : « الذي فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج وكان حاذقا بصناعة الكلام »[٦] . ويقول المسعودي عنه : « شيخ الإمامية في وقته وكبير الصنعة في عصره »[٧] . ومن هنا يبدو أن علم الكلام كان صنعة له قوانينه وطرقه الخاصة منذ النصف الثاني من القرن الأول للهجرة . وأن هذه القوانين أوجدها الأئمة من آل البيت وشيعتهم . ومن هنا يظهر بطلان ما ذهب إليه آدم متز في قوله : « ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم »[٨] وهذا القول يدل على مدى تشويه

(١) أحمد محمود صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص.ص ٥١ ـ ٥٢ .
(٢) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ .
(٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢١ .
(٤) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ـ ٨٦ .
(٥) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٨ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .
(٧) المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٨٠ .
(٨) آدم متز : **الحضارة الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٦ .

الحقائق التاريخية من قبل بعض المستشرقين .

إذن فإذا كان للشيعة فضل السبق في مباحث علم الكلام ، فما هي آثارهم التي خلفوها في الفكر الاسلامي ، ومن الذي تأثر بهذه الآراء ، والأفكار ؟ وما القضايا التي تأثر بها مفكرو الإسلام ؟

إن أول من تأثر بآراء الشيعة الكلامية وتتلمذ على أيدي علمائهم هم المعتزلة فقد أجمعت المصادر ـ على أن واصل بن عطاء مؤسس مدرسة الاعتزال تتلمذ على أبي هاشم الحسن بن محمد بن الحنفية بن على بن أبي طالب . فواصل بن عطاء أخذ علم الكلام عن مدرسة أهل البيت[1] . يقول طاش كبرى زاده : « وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع إنما ظهر من واصل بن عطاء ، أخذ الاعتزال عن الإمام أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، قيل كان أول من أحدث مذهب الاعتزال واخترعه كان الإمام أبو هاشم المذكور وأخوه الإمام الحسن بن محمد بن الحنفية[2] .

أما أبو عثمان عمرو بن عبيد فقد أخذ علم الأصول أولا عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ثم آخراً عن واصل بن عطاء[3] .

يقول محمد أبو زهرة : « وهنا نجد من الأخبار ما يذكر أن علماء آل البيت تكلموا في العقائد ، وكانوا قريبين مما قاله واصل بن عطاء ، بل إنا نجد من يقول أن واصلا تلقى عقيدة الاعتزال عن آل البيت ، فقد كانوا على علم به .. »[4] . وهذا خلط بين التشيع والاعتزال ، فإن آل البيت لم يدعوا إلى الاعتزال ، وإنما كانوا يدعون إلى عقيدة الإسلام ، وأخذ واصل هذه العقيدة عنهم ، ولكنه خالفهم في قضايا كلامية أخرى .

---

(١) زهدي جار الله : **المعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ . وأيضا ابن أبي الحديد : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦ .

(٢) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ـ مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن الهند ـ ١٣٢٨ هـ ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٥ .

(٤) محمد أبو زهرة : **الإمام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .

وأما النظام ، فقد كان تلميذا لهشام بن الحكم ، كما أن أبا الحسين البصري المعتزلي أخذ أو مال إلى هشام بن الحكم أيضا كما يقول الشهرستاني : والرجل فلسفي المذهب ، الا أنه روج كلامه على المعتزلة في معرض الكلام فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب[1] . ويقول أيضا « وهذا هشام بن الحكم .. لا يجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة ، فإن الرجل وراء ما يلزم به على الخصم ، ودون ما يظهر من التشبيه ، وذلك إنه ألزم العلاف ... »[2] . ولهذا يقول الدكتور أحمد صبحي : « إنه قد تأثر بالشيعة الإمامية ـ أي النظام ـ وبمتكلميهم مثل هشام بن الحكم »[3] .

وأما مسألة الإمامة ، والتي تعتبر من أهم مسائل علم الكلام ، فهي من المباحث المستحدثة التي استحدثها الشيعة ، وقد تأثر أهل السنة بالشيعة في مصطلحات هذا العلم وموضوعاته ، على أن استحداث الشيعة لهذا العلم وتأثر أهل السنة بمصطلحاتهم لا يعني تماثل مفهوم الإمامة لدى الفريقين[4] . ولهذا كان « للشيعة فضل السبق إلى البحث في النظريات السياسية في الفكر الإسلامي .. »[5] . وفي ذلك يقول الدكتور عمارة : « فالذين دونوا هذه الأحاديث قد دونوها في عصر شاع فيه مصطلح « الإمام » واستخدمه الفكر الإسلامي والمفكرون المسلمون عامة لرئيس الدولة ، ورأس الأمة ، تبعا وتأثرا بمباحث الشيعة في هذا المجال ... »[6] يقول الدكتور أحمد شلبي : « ومن الموضوعات التي طرقها علم الكلام موضوع عصمة الأنبياء ، وقد اتبع علماء هذا اتجاه الشيعة »[7] . وهذا ما يراه جولد تسهير أيضاً[8] .

---

(١) الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٥ . وأيضا أحمد صبحي : **في علم الكلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥ .
(٢) الشهرستاني : **المصدر السابق** ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ .
(٣) أحمد صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٣ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٤ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٥ .
(٦) محمد عمارة : **الإسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤ .
(٧) أحمد شلبي : **تاريخ المناهج الإسلامية** ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٧٩ .
(٨) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٩ .

وهناك قضايا كثيرة من قضـايا علم الكـلام التي أسسها متكلمـو الشيعة وأخذها عنهم مفكرو الإسلام ، كنظرية الجزء والروائح والطعوم والألـوان[١] . وفي العصمة حيث يذكر دونلدسن : أن فكرة عصمة الأنبياء في الإسلام مدينة في أصلها وأهميتها التي بلغتها بعدئذ إلى تطور علم الكلام عند الشيعة ، وأنهم أول من تطرق إلى بحث هذه العقيدة[٢] .

ويبدو مما تقدم ، أن الشيعة هم أول من أسس علم الكـلام ، وقد أخذوا ذلك عن أئمتهم من أهل البيت ، وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب حتى استقر في أيام الامام الصادق في أوائل القرن الثاني الهجري . وقد تأثر كثير من مفكري الإسلام بهذا العلم وكانوا تلاميذ لهم فيه ، حتى نفذ ما عند المعتزلة لعدم صمودهم في وجـه مفكري الشيعـة فمالوا إلى التشيـع وأخذوا بآرائهم ، وذلك « بسبب تشيع معتزلة بغداد »[٣] .

٢ ـ علم النحو ومدارسه :

أولا : متى وكيف نشأ علم النحو :

أجمع الرواة والنحويون ، أن أول من وضع علم النحو أبو الأسود الدؤلي أخذه عن الإمام علي بن أبي طالب ، ونما هذا العلم وتكونت مدارسه على أيدي الشيعة . يقول ابن الأنباري : « إعلم .. أن أول من وضع علم العربية ، وأسس قواعده ، وحد حدوده ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمر بن سفيان الدؤلـي »[٤] . ولهذا يقول القفطي : « الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير

---

(١) البغدادي : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ـ ١٣١ . وأيضـا الشهرستاني : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ . وانظر ابن حزم الأندلسي : **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ص ٦٦ . وأيضا علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٨٥ . وأيضا عبدالله نعْمة : **فلاسفة الشيعة ـ حياتهم وآراؤهم ـ بيروت** ـ دار مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٢ .

(٢) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٨ . وأيضا أحمد صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٤ .

(٣) أحمد صبحي : **في علم الكلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٧ .

(٤) ابن الأنباري : **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٤ .

المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله : دخلت على أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : سمعت ببلدكم لحنا ، فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية ، فقلت له : إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية ، ثم أتيته بعد أيام ، فألقى إليَّ صحيفة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » . الكلام كله اسم وفعل وحرف .. »(١) يقول القفطي : « ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو ، يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي »(٢) .

ويقول السيوطي : « ثم كان أول من رسم للناس النحو ابو الأسود الدؤلي ، وكان أبو الأسود اخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .. »(٣) . ولهذا يقول طاش كبرى زاده : « .. ان أول من وضع النحو كان من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا شيعيا شاعرا سريعا في الجواب ثقة في حديثه ..»(٤) . قال محمد بن اسحاق : « زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي ، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ..»(٥) . ولهذا قال المبرد : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي »(٦) . وقال أيضا : « أجمعت العلماء باللغة ان أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي وأنه لقن عن علي بن أبي طالب (رض) »(٧) .

---

(١) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي : **انباه الرواة على أنباء النحاة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط ١ ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٠ ـ ص ٤ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥ .

(٣) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي : **المزهر** ـ مطبعة عيسى البابي بمصر ـ بدون تاريخ ـ جـ ٢ ـ ص ٣٩٧ .
(٤) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٢٥ .
(٥) ابن النديم : **الفهرست مرجع سابق ـ ص ٦٥** .
(٦) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٦ ـ ص ١٤٧ .
(٧) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٣٥ .

ثانيا : الشيعة والمدارس النحوية :

أما المدارس النحوية التي وجدت في الاسلام ، فهي : مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، ومدرسة بغداد التي مزجت بين المدرستين . والباحث يعرض لهذه المدارس والعلماء الذين أسسوها للكشف عن جهد الشيعة فيها .

١ ـ مدرسة البصرة النحوية :

تعتبر مدرسة البصرة من اقدم المدارس النحوية في الاسلام . « وكان أبو الأسود أول من وضع أساس مدرسة البصرة التي تعتبر أقدم من مدرسة الكوفة وأشهر منها »[١] . ولهذا « .. كان الرائد الأول في الدراسات اللغوية والنحوية باعتراف الجميع هو أبو الأسود الدؤلي »[٢] . وفي ذلك يقول السيوطي : « اختلف الناس الى ابي الأسود يتعلمون العربية ، وفرع لهم ما كان أصله ، فأخذ ذلك عنه جماعة »[٣] .

ويروىٰ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال : « اختلف الناس الى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية ، فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري ، واختلف الناس الى عنبسة ، فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن »[٤]

وهكذا بدأت المدرسة النحوية تتكون على أيدي الشيعة منذ عصر أبي الأسود الدؤلي ، المؤسس الأول لمدرسة النحو في الاسلام ، وقد تتلمذ عليه الرعيل الأول من اللغويين والنحويين ، يقول القفطي : « وهذه الطبقة حسب ما حصر الرواة ، ممن أخذ عن أبي الأسود : عنبسة بن معدان ، وميمون المعروف بالأقرن ، وعطاء بن أبي الأسود ، وأبو نوفل بن أبي عقرب ، ويحيى بن يعمر ، وقتادة بن دعامة السدوسي وعبد الرحمن بن

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣٨ .
(٢) عز الدين اسماعيل : **المصادر الادبية واللغوية في التراث العربي** ـ بيروت ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٧٦ ـ ص ٢٩٣ .
(٣) السيوطي : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٩٨ .
(٤) ابن الانباري : **نزهة الألباء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢ .

هـرمز ، ونصر بن عـاصم ، وكل هؤلاء أخـذوا عن أبي الأسود وتتفـاوت مقاديرهم في العلم بهذا النوع من العربية »[١] .

ولم يقتصر عمـل أبي الأسـود عـلى تـأسيس علم النحـو وانشـاء مدرسته ، وانما قام بعمل آخر له من الأهمية الكبـرى في تاريـخ الحضارة الاسـلامية والفكـر الاسـلامي وهـو اعـراب القـرآن ، وذلـك عن طـريق تنقيطه . يقول السيـوطي : « وهو اول من نقط المصحف . قـال الجاحظ : أبو الأسود معدود في طبقات النـاس ،، وهو في كلهـا مقدم مـأثور عنـه في جميعهـا . معـدود في التـابعـين ، والفقهـاء ، والمحـدثـين ،، والشعـراء والأشراف ، والفـرسـان والأمـراء ، والـدهـاة ، والنحـاة ، والحـاضري الجواب ، والشيعة[٢] .

قال المبرد : « أول من وضـع العربيـة ونقط المصاحف أبـو الأسود الـدؤلي ثم أخذ النحـو عن أبي الأسود عنبسـة .. ثم أخـذه عن عنبسـة ميمون الأقرن ثم أخـذه عن ميمون ابن أبي اسحـاق .. ثم أخذه عن أبي اسحاق عيسى بن عمر ، ثم اخذه عن الخليل بن أحمد سيبويـه »[٣] . أما نصر بن عاصم الليثي فقد « قرأ القرآن أيضا على أبي الأسود ، وقرأ أبـو الأسود على علي (رض) ، فكان أستاذه في القراءة والنحو »[٤] .

يقـول الدكتـور شوقي ضيف : « رأينـا البصرة تضع عـلى يـد أبي الأسـود الـدؤلي نقط الاعـراب ، وقـد مضى النـاس يـأخـذونـه عـن تلاميذه »[٥] . « وكان ذلك عمـلا خطيرا حقـا ، فقد أحـاطوا لفظ القـرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه »[٦] . وذلك بجهود الشيعة .

أما أول من صنف في النحو فهو أبو الأسـود الدؤلي أيضـا ،، يقول

---

(١) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٨٢ .
(٢) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢ .
(٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٦ ـ ص ١٤٧
(٤) إبن الانباري : **نزهة الألباء** ـ مرجع سابق ص ١٤ .
(٥) شوقي ضيف : المدارس النحوية ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٨ ـ ص ١٧ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٧ .

ابن قتيبة : « لأنه أول من عمل في النحو كتابا »[١] . وهكذا كان المؤسس الأول لعلم النحو وواضع اصوله والمصنف فيه هم الشيعة .

واخذت مدرسة البصرة تزدهر على أيدي الشيعة من تلاميذ أبي الأسود ، ويعتبر عطاء بن أبي الأسود المكمل لمدرسة أبيه النحوية . يقول ابن قتيبة : « فولد ـ أي أبو الأسود ـ عطاء ، وأبا حرب ، وكان « عطاء » و « يحيى بن يعمر العدواني » بعجا العربية بعد أبي الأسود »[٢] . الى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعتبر من أعظم مفكري الاسلام ، والتي تنتهي اليه امامة مدرسة البصرة ، فهو الذي نقح ما وضعه أبو الأسود وتلاميذه وصنف فيه المصنفات الكثيرة . و « بمثل هذه العناية والاهتمام ضبط النثر العربي وشعره وبلغت الحالة الى أن العالم الشيعي خليل بن أحمد الفراهيدي البصري ألف في اللغة كتاب العين ووضع علم العروض لمعرفة الأوزان الشعرية »[٣] .

يقول الرحالة عند قدومه البصرة : « غير اني ما اصطفيت منهم لمحادثات الأدب الا الخليل بن أحمد ، لأني وجدته أوسعهم عقلا وأحضرهم رواية ، لا يساميه في علو الخاطر الا صالح بن عبد القدوس الشاعر ، ولكني تحاميت مجلسه لما يتهم به من الانحراف عن السنة ، وان كنت لا أبخس عقله حقهُ من التعظيم »[٤] .

وللخليل كتاب في الامامة ذكر فيه جملة من الأدلة على امامة علي عليه السلام ومن المنقول عنه في الاستدلال على تقدم علي عليه السلام في الامامة قوله : استغناؤه عن الكل ، واحتياج الكل اليه دليل انه امام الكل[٥] . وقد ذكر كارل بروكلمان كتاب الامامة هذا للخليل بن أحمد [٦] .

---

(١) ابن قتيبة : **الشعر والشعراء** ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار التراث العربي ـ ١٩٧٧ ـ جـ ٢ ـ ص ٧٣٣ .

(٢) ابن قتيبة : **المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٤ .

(٣) محمد حسين الطباطبائي : **القرآن في الاسلام** ـ تعريب أحمد الحسيني ـ بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣ ـ ص ١١٦ .

(٤) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣ .

(٥) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٦) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٤ .

يقول الشيخ عباس القمي : « والخليل هو ابن احمد بن عمر بن تميم الازدي البصري اللغوي العروضي من علماء الامامية ، كان أفضل الناس في الأدب وقوله حجة فيه »[1] . وكان من أصحاب الصادق وروىٰ عنه[2] .

ويعد الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ الواضع الحقيقي لعلم النحو في صورته النهائية .. فالخليل هو المؤسس الحقيقي لصرح النحو العربي ، بل هو المقيم لقواعده والمشيد لبنيانه وأركانه ، ويظهر منه أنه كان يتقن المنطق وما يتصل به من أقيسه ، كما كان يتقن العلوم الرياضية وهو اتقان جعله يقف على ما يصنعه أصحاب الحساب والرياضيات في مسائلهم الفرضية لترسخ ملكة هذه العلوم في عقول الناشئة[3] . ولهذا يقول القفطي : « نحوي لغوي عروضي ، إستنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ، ولم يسبقه الى عمله سابق من العلماء كلهم »[4] .. « واستنبط ايضا من علم النحو ما لم يسبق اليه ، وحصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب « العين »[5] .

ويقول الزبيدي مؤلف مختصر العين : « أو ليس من العجيب ، والنادر الغريب أن يتوهم علينا من به مسكة من نظر ، أو رمق من فهم تخطئه الخليل في شيء من نظره ، والاعتراض عليه فيما دق أو جل من مذهبه ، والخليل بن أحمد اوحد العصر ، وقريع الدهر ، وجهبذة الأمة ، وأستاذ أهل الفطنة ، الذي لم ير نظيره ، ولا عرف في الدنيا عديله ، وهو الذي بسط النحو ..»[6] .

وقد عقد الخليل حلقة تدريسه في حياة أبي عمرو الذي أنفق

---

(١) الشيخ عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤١٦ . وأيضا محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ .

(٢) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ .

(٣) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي** ـ العصر العباسي الأول ط ٧ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٤ ، ٥) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٦) السيوطي : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٠ .

خمسين عاما يدرس اللغة العربية والنحو ، فاتصل به النظام وأخذ عنه ، ولما ابتكر علم العروض اتسعت حلقته ، وهكذا اتسعت حلقة الخليل لتدريس علوم العربية[1] .

وقد اختص سيبويه بالخليل بن احمد ،، وأخذ منه كل ما عنده في الدراسات النحوية والصرفية ، مستمليا ومدونا ، وقد اتبع في ذلك طريقتين : طريقة الاستملاء العادية ، وطريقة السؤال والاستفسار ، مع كتابة كل اجابة وكل رأي يدلي به وكل شاهد يرويه عن العرب ، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية[2] .

وقد انجبت البصرة فحول النحو من علماء الشيعة ، منهم على سبيل المثال : سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري ، قال أبو عثمان المازني : « كنا عند أبي زيد ، فجاء الأصمعي ، فأكب على رأسه وجلس ، وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين »[3].

يقول القفطي : « وكان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان عالما بالنحو وكان أبو زيد أعلم من الأصمعي ، وأبي عبيدة بالنحو ، وكان يقال له أبو زيد النحو ، وله كتاب في « تحقيق الهمزة » على مذهب النحويين ، وفي كتبه المصنفة في اللغة وشواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره »[4] . وكانت له أعظم حلقة تدريس في البصرة من حلق علمائها[5] .

ومن علماء الشيعة النحويين أبو عثمان المازني بكر بن محمد . قال الزبيدي ، قال الخشني : المازني مولى بني سدوس ، نزل في بني مازن بن شيبان ، فنسب اليهم ، وهو من أهل البصرة ، وهو أستاذ المبرد ... وكان اماميا يرى رأي ابن الميثم .. وكان لا يناظره أحد الا قطعه ، لقدرته على الكلام .. »[6]

---

(١) أحمد كمال زكي : **الحياة الأدبية في البصرة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢ .
(٢) شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ .
(٣) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٣ .
(٥) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** : مرجع سابق ـ ص ٣ .
(٦) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٧ ـ ١٠٨

هذه نبذة من علماء الشيعة النحويين ، على سبيل المثال لا الحصر في مدرسة البصرة النحوية ، حيث كان لهم فضل السبق في تأسيسها ووضع قواعدها ومناهجها ، حتى تخرج منها علماءالنحو على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم .

٢ ـ مدرسة الكوفة النحوية :

« في الوقت الذي كانت البصرة قد قاربت فيه نهاية الطريق عندما وضع أستاذها الأكبر الخليل بن أحمد « من سنة ١٠٠ هـ إلى سنة ١٦٠ هـ » فكرة المعجم ، وعلم العروض ، وأصول النحو ، كانت الكوفة ما تزال تحبو خلف أستاذها الأول أبي جعفر الرواسي »[١] .

وقد تأسست مدرسة الكوفة النحوية على يد كل من معاذ الهراء وأبي جعفر الرواسي ، « وقد تخرج الكسائي في أول أمره في مدرسة الكوفة ، حيث تلقى النحو عن الرواسي ، وعن معاذ الهراء المتوفىٰ سنة ١٨٧ ، وهو عم الرواسي ، وزميله في الأستاذية الأولى لمدرسة الكوفة »[٢] . وفي ذلك يقول السيوطي : « .. وأبو جعفر هذا هو أستاذ الكسائي وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو وكان رجلا صالحا ، وقيل : أن كل مافي كتاب سيبويه « وقال الكوفي كذا » إنما عنىٰ به الرواسي هذا ، وكتابه يقال له الفيصل . وكان له عم يقال معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوي مشهور ، وهو أول من وضع التصريف »[٣] . « وكانوا هم الذين أخذ الناس عنهم ... والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أئمتهم في وقتهم »[٤] .

وفي بغية الوعاة : « محمد بن سارة ، أبو جعفر بن أخ معاذ

---

(١) يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٦٣ . وانظر ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ .
(٣) السيوطي : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٠٠ .
(٤) المصدر السابق : ص ٤٠٠ .

الرواسي قيل لعظم رأسه ، وهو أول من وضـع نحو الكـوفيين ..»[1] . وفي ذلك يقول ابن النديم : « وهو ـ أي الرواسي ـ أول من وضع من الكـوفيين كتابا في النحو ، قال ثعلب : كان الرواسي أستـاذ الكسائي والفـراء »[2] . يقول بروكلمـان : « .. إن أبا جعفـر .. الرواسي هـو الذي أسس مـدرسة النحو بالكوفة ... »[3].

يقول ابن الأنباري : « أخذ ـ الكسائي ـ عن أبي جعفـر الرواسي ، ومعاذ الهراء ، وكان أحد أئمـة القراء السبعـة .. »[4] . « وكان معـاذ .. صـديقا للكميت »[5] « وكـان معاذ شيعيـا ، مـات سنـة سبـع وثمـانـين ومـائة »[6] . وفي تـذكرة البغـوي : « معـاذ بن مسلم .. روى عن جعفـر الصادق ، وله كتب في النحو .. وقد عاش مائة وخمسين سنـة »[7] . يقول ابن خلكـان : « أما أبـو مسلم معاذ... الهـراء ، النحوي الكـوفي .. وكان يتشيع »[8] .

وقد ألف الرواسي لتلاميذه كتـابا في النحـو سماه الفيصـل ، وعادة تذكر كتب التراجم أولية للنحو الكوفي مجسدة في أبي جعفر الـرواسي[9] . وهكذا كان الشيعة هم نواة مدرسة الكوفة النحوية . وقد تخرج من هـذه المـدرسـة وعـلى يـد مؤسسيهـا ـ معـاذ بن مسلم الهـراء ، وابن أخيـه الرواسي ـ أعاظم علماء النحو من الشيعة ، كانوا الأساس في استقرار علم النحو الكوفي ، يذكر الباحث نبذة منهم على سبيل المثال :

يقـول الـدكتـور يـوسف خليف : « وجـاء بعـد الـرواسي تلميـذاه المشهوران : الكسائي المتـوفى سنة ١٨٢ .. والفـراء المتوفى سنـة ٢٠٧ ،

---

(١) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ .
(٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٠٢ . وأيضا يـاقوت : **معجم الأدبـاء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ١٢٢ .
(٣) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٧ .
(٤) ابن الانباري : **نزهة الالباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧ .
(٥) القفطي : **أنباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٨ .
(٦) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩١ .
(٧) المصدر السابق : ص ٢٩٢ .
(٨) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٠٥ .
(٩) شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٣ .

وهما اللذان دعما قواعد مدرسة الكوفة النحوية ، ورفعا من بنيانها »[١] . وكل منهما كان من الشيعة[٢] والباحث سوف يتعرض للفراء لأهميته في إرساء دعائم مدرسة الكوفة ، وما قام به من تدريس واملاء على تلاميذه .

أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الأصل الأسدي بالولاء ، المعروف بالفراء . « وكان - بلا شك - أعلم الكوفيين ، جمع إلى علم الكوفيين علم البصريين ... ثم هو كبير العقل بجانب سعة الاطلاع ، فهو بحر في اللغة ، ونسيج وحده في النحو ، حتى يلقب بأمير المؤمنين في النحو ، وفقيه عالم باختلاف الفقهاء ، وماهر في علم النجوم ، وخبير بالطب ، وحاذق في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وهو إلى ذلك متكلم .. »[٣] . وحكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال : « لولا الفراء لما كانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب »[٤] .

وقد وصفه ثمامة بن أشرس فقال : « فرأيت أبهة أديب ، فجلست إليه فناقشته عن اللغة فوجدته بحرا ، وناقشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته رجلا عارفا باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهرا ، وبالطب خبيرا ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا ، فقلت له : « من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء .. »[٥] .

ومولد الفراء بالكوفة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان زياد والد الفراء أقطع ، لأنه حضر وقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقطعت يده في ذلك[٦] يقول السيوطي : « وأبوه زياد الاقطع ، قطعت يده في الحرب مع الحسين بن علي .. »[٧] .

---

(١) يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة** - مرجع سابق - ص ١٠٣ .
(٢) انظر السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** مرجع سابق - ص ٣٤٧ .
(٣) احمد أمين : **ضحى الاسلام** - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٠٧ .
(٤) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٢٥ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٥٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٧) السيوطي : **بغية الوعاة** - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٣٣ .

قال المرزباني : « وقيل إن الفراء أستاذ الكسائي ، وكان يتشيع »[1] . ويقول طاش كبرى زاده : « أما الفراء فهو يحيى بن زياد إبن عبدالله المعروف بالفراء . وكان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ... وكان يحب الكلام ولا يميل إلى الاعتزال وكان متديناً متورعا على تيه وعجب وتعظم ، وكان يتفلسف في تصانيفه ويسلك الفاظ الفلاسفة ... وأبوه زياد هو الاقطع ، قطعت يده في الحرب مع الحسين بن علي رضي الله عنهما .. »[2] . وقد ذكره اغابزرك الطهراني من مصنفي الشيعة في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة[3] .

وكان الفراء يجلس للناس في مسجده إلى جانب منزله ، وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة[4] . كما كان له أثر واسع في التفسير وفي النحو ، وكان له فضل تقريب النحو إلى الأذهان حتى يستطيع أن يفهمه الصبيان ، كما أنه جمع اللغة وضبطها ، كما كان له أثر في تفسير القرآن[5] .

ويروى ابن الانباري في طبقات الأدباء : ان المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب . فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، وكل بها جوار وخدما للقيام بما يحتاج إليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوق نفسه ، وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكانوا يكتبون حتى صنف الحدود[6] . وبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ يملي كتاب المعاني ... قال أبو بريدة : فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبط عددهم ، ولما فرغ من املائه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به .. وقال للناس إني أريد أن أملي كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذي أمليت قبلا ، وجلس يملي فأملى في الحمد مائة ورقة[7] .. ولهذا كان الفراء من كبار

---

(١) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٩٠ .
(٢) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٤ .
(٣) أغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٩ .
(٤) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢٢٨ .
(٥) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٨ .
(٦) المصدر السابق : ص ٦٥ .
(٧) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢٠ ـ ص ١٢ ، ١٣ .

المعلمين ، حيث أملىٰ الكثير وصنف عددا كبيرا من الكتب . وقد أملى كتاب معاني القرآن ، ولهذا يعد أول من قعد لدرس تفسير القرآن ، كما كان يلقي غير ذلك من دروس اللغة والنحو[1] .

٣ ـ مدرسة بغداد النحوية :

الظاهر المعروف ـ أن مدارس النحو تدور بين مدرستين ، هما مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ـ ولكن هناك رأيا يذهب إلى وجود مدرسة ثالثة جمعت مابين المدرستين ، وهي مدرسة بغداد . ويعتبر أبو علي الفارسي المؤسس لهذه المدرسة . فهو « أول من خلط بين آراء المدرستين في وضوح المدرسة الكوفية والبصرية . وهو بذلك بغدادي ينتخب من المدرستين ما يراه أولى بالاتباع »[2] .

وكان أبو علي الفارسي شيعيا ، لغلبة التشيع ـ كما يقول الدكتور شوقي ضيف ـ على أهل العراق وفارس[3] . وقد ذكره أغابزرك الطهراني من مصنفي الشيعة حيث يقول : « أبو علي الفارسي المولود سنة ٢٨٨ والمتوفىٰ سنة ٣٧٧ وكان معاصرا للمتنبي ومصاحبا لسيف الدولة بن حمدان بحلب ثم عضد الدولة بن بويه .. »[4] .

وقد أثبت الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي تشيع أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني في رسالته « الدكتوراه »[5] . كما أورد عدة أدلة تؤكد تشيعه إلى أن يقول : « هذه الأدلة متظافرة على أن أبا علي كان شيعيا ، وفيها أكثر من دليل يثبت تشيعه من غير شك أو مراء »[6] . وفي ذلك يقول السيد حسن الصدر : « أبو علي الفارسي اسمه الحسن بن علي

---

(١) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٢) شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٥٦ .
(٤) اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٠ .
(٥) عبد الفتاح اسماعيل شلبي : **أبو علي الفارسي** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ ص ٨٢ إلى ٨٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ٨٦ .

إبن أحمد ... إمام وقته في علم النحو .. »[١] . ويقول فيه ياقوت : « وصنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وبرع له غلمان حذاق مثل عثمان بن جني ، وعلي بن عيسى الربعي ،... وتقدم عند عضد الدولة ، فكان عضد الدولة يقول : أنا غلام أبي على النحوي في النحو ... »[٢] .

وقد جلس أبو علي الفارسي للتدريس والاملاء في مساجد بغداد مبكرا وكان فيه حب للرحلة ، فتنقل يملي ويدرس للطلاب في معسكر « مكرم » وبعض مدن الشام ، ويدخل حلب في سنة ٣٤١ ومعه تلميذه ابن جني الذي شغف به حبا ، ويتحول إلى بعض مدن الشام ، ويعود إلى بغداد سنة ٣٤٦ وتطير شهرته فيستدعيه إلى شيراز عضد الدولة البويهي[٣]. وكان أبو علي يتكلم في كثير من المسائل التي لا أصل لها في اللغة لرياضة العقل وشحذ الذهن على مثال الفقهاء والفرضيين وأهل الحساب[٤] . وكان له في كل بلد نزل فيها تلاميذ أخذوا عنه ، ومنهم من صحبه في أسفاره للاستفادة منه ، حتى لا يبقى له شيء يحتاج أن يسأل عنه[٥] .

وقد تتلمذ على يد أبي علي الفارسي كثير من الطلاب ، أشهرهم ابن أخته محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، وقد نزل نيسابور وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان[٦] . كما أن ابن جني كان من أبرز تلامذة أبي علي[٧] . وفي ذلك يقول ابن خلكان : « كان إماما في علم العربية ، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي ... وكان أبوه من جند سيف الدولة بن حمدان »[٨] .

---

(١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٩ .
(٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٢٣٤ .
(٣) شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٦ .
(٤) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٥ .
(٥) عبدالفتاح اساعيل شلبي : أبو علي الفارسي ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ .
(٦) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٢ .
(٧) المصدر السابق : ص ١٣٩ .
(٨) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤١ ـ ٤٢ .

يقول القفطي : « صحب ابن جنى أبا علي الفارسي وتبعه في أسفاره ، وخلا به في مقامه ، واستملى منه ، وأخذ عنه ، وصنف في زمانه ، ووقف أبو علي على تصانيفه واستجادها .. واستوطن أبو الفتح دار السلام ودرس بها العلم إلى أن مات » .[١] وقد خدم ابن جنى البيت البويهي : عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة .. وكان يلازمهم في دورهم وبيابيتهم .[٢] كما وأنه لزم أبا علي الفارسي مدة أربعين سنة يأخذ عنه ، ولما مات أبو علي تصدر ابن جنى مكانه ببغداد .[٣] ولهذا كان يكثر من ذكر آراء أستاذه في كتابه « الخصائص » وغيره حتى ليبدو وكأنه كنز سائل بمسائل اللغة والنحو وما يجري فيها من ضبط الأصول والعلل والأقيسة ..[٤] « وأتاحت له تلك الرفعة أيضا أن يحظى برعاية البويهيين وأن تعلو مكانته عندهم . وقد خلف أستاذه في التدريس ببغداد حين لبى نداء ربه وظل يوالي التصنيف والتأليف حتى توفي سنة ٣٩٢ للهجرة » .[٥] وقد صاحب ابن جنى السيد المرتضى وأخاه الرضى ، كما اهتم بقصائد الشريف الرضى فيؤلف كتابا خاصا بها سماه : تفسير العلويات » .[٦]

وقد تتلمذ على ابن جنى كثير من النحاة ، منهم الثمانيني ، وعبد السلام البصري ، وأبو الحسن السمسمي . قال في دمية القصر ، وليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المعضلات وشرح المشكلات ما لابن جنى سيما في علم الإعراب وقد صنف كتبا كثيرة في علوم مختلفة خصوصا في النحو والإعراب والتصريف ، كما وله كتاب تفسير المراثي الثلاثة والقصيدة الرائية للشريف الرضى كما ذكرها ابن النديم .[٧]

وهكذا يتضح لنا جهد الشيعة في تأسيس علم النحو وقوانينه كما

---

(١) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣٦ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٤٠ .
(٣) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١١٤ .
(٤) شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٧ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٦٦ .
(٦) عبد الفتاح اسماعيل شلبي : **أبو علي الفارسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٣ .
(٧) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

يرجع إليهم الفضل في تأسيس مدارسه ، وبهذا العمل أثروا الثقافة الإسلامية ، حتى قاموا بدرسه وتدريسه ، كما تخرج على أيديهم كبار النحاة واللغويين .

٣ ــ علم التصريف :

ومن العلوم التي ساعد الشيعة على إيجادها علم التصريف ، ويعتبر أبو مسلم معاذ بن مسلم بن أبي سارة الكوفي هو واضع هذا العلم .[١] قال السيوطي : « معاذ بن مسلم الهراء وهو نحوي مشهور ، وهو أول من وضع التصريف »[٢] وقال في بغية الوعاة : « إن أول من وضع التصريف معاذ .. وكان معاذ شيعياً . مات سنة سبع وثمانين ومائة » .[٣] وفي تذكرة البغوي : معاذ بن مسلم .. روى عن جعفر الصادق.. » .[٤]

يقول كارل بروكلمان : « ..معاذ بن مسلم الهراء ، معلم عبد الملك ابن مروان هو الذي وضع علم الصرف .. »[٥] وقد تتلمذ على يده علي بن حمزة بن عبدالله الكسائي .[٦] وفي ذلك يقول ابن خلكان : « أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوي الكوفي .. قرأ عليه الكسائي . وروى عنه .. وصنف في النحو كثيرا .. وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة ..» .[٧] ولهذا يقول السيد مهدي بحر العلوم عن آل أبي سارة ومنهم الرواسي معاذ بن أبي سارة : « وهم أهل بيت فضل وأدب من أجل بيوت الشيعة بالكوفة ..» .[٨]

ومن مشاهير علماء التصريف من الشيعة أبو عثمان المازني ،

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ .
(٢) السيوطي : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٠ .
(٣) السيوطي : بغية الوعاة ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٩٢ .
(٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٧ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٩٧ .
(٧) إبن خلكان : وفيات الأعيان ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٠٥ .
(٨) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤١ .

والشيخ أبو علي الفارسي ، وأبو عتمان بن جنى ، وابن خالويه ، وأبو جعفر بن محمد بن رستم الطبري ، وأبو القاسم الحسين الوزير المغربي ، وغير هؤلاء كثيرون .[1]

٤ ــ علم اللغة :

إن أول من أوجد علم اللغة وأسسه باعتراف الجميع هو أبو الأسود الدؤلي[2] ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي المؤسس الحقيقي لهذا العلم بعد أبي الأسود الدؤلى . قال الأزهري في أول تهذيبه ما نصه : ولم أر خلافا بين أهل المعرفة وحملة هذا العلم أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين أنه لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقينه إياه عنه ، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه . يقول السيد حسن الصدر : قلت لا خلاف في أن أول من رسم علم اللغة هو الخليل بن أحمد وأنه أول من صنف فيه ، وإنما الخلاف في المصنف الذي في أيدي الناس المسمى بكتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد فبين ناف للنسبة وبين مثبت لها .. قال شيخ الشيعة جمال الدين بن المطهر في الخلاصة الخليل بن أحمد كان أفضل الناس في الأدب ... إخترع العروض وفضله أشهر من أن يذكر وكان إمامي المذهب .[3]

٥ ــ علم البيان والمعاني :

أما علم البيان والمعاني ، فإن أول من وضعه وأسسه وصنف فيه هو الإمام المرزباني أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الخراساني البغدادي ، صنف فيه كتابه المفصل في علم البيان

---

(١) أنظر المصدر السابق من ص ١٤٠ إلى ١٤٥ .

(٢) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ . وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٩ ـ ٧٠ . وأنظر المدارس النحوية من هذا الفصل ـ مدرسة البصرة .

(٣) السيد حسن الصدر : **المصدر السابق** ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ . وأيضا ابن النديم : **المصدر السابق** ـ ص ٧٠ ـ ٧١ . وأنظر مدرسة البصرة من هذا الفصل .

والفصاحة .[١] قال ابن النديم : « المرزباني أبو عبدالله .. أصله من خراسان آخر من رأينا من الإخباريين . ومولده في جمادي الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين .. وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة رحمه الله ، وله من الكتب .. كتاب المفصل في البيان والفصاحة نحو ثلثمائة ورقة ..» .[٢] وقد ذكر اليافعي في تاريخه عند ترجمته للمرزباني المذكور أنه أخذ عن أبي دريد وابن الأنباري العلوم الأدبية .. صاحب التأليفات الكثيرة ثقة في الحديث قائل بمذهب التشيع .[٣] وقال العتيقي : « وكان مذهبه التشيع والإعتزال وكان ثقة في الحديث » .[٤]

يقول أغابزرك الطهراني : « ..وكتاب المفصل في علم البيان . وهو أول من أسس البيان ودونه ، لأن الشيخ عبد القاهر الجرجاني الذي ظنه السيوطي مؤسس هذا العلم توفي سنة ٤٤٤ » .[٥] كما تقدم على الشيخ عبد القاهر في ذلك أيضا من الشيعة محمد بن أحمد ... العميدي المتوفى سنة ٤٢٣ ثلاث وعشرين وأربعمائة صنف كتاب تنقيح البلاغة كما في كشف الظنون ، وذكره منتجب الدين بن بابويه في فهرست أسماء المصنفين من الشيعة الإمامية ، وذكره ياقوت وقال نحوي لغوي وأديب مصنف .. وصنف تنقيح البلاغة وكتاب العروض والقوافي .[٦] ومن مشاهير علماء البيان من الشيعة أبو الأسود الدؤلى ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وأبان بن تغلب التابعي ، وأبان بن عثمان ، وأبو عبدالله الحسين بن يزيد النوفلي ، وأحمد بن ابراهيم بن حمدون النديم ، وابن السكيت ، والصاحب بن عباد وغيرهم كثيرون .[٧]

---

(١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ .

(٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٦ ـ ١٩٨ .

(٣) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٤) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٦ .

(٥) اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٥ .

(٦) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٧) أنظر السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ ـ إلى ١٦٦ .

٦ ـ علم العروض :

أما علم العروض ، فالواضع له هو الخليل بن أحمد الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود ، وحصر أقسامه في خمس دوائر . قال حمزة بن الحسن الأصفهاني في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه « التنبيه على حدوث التصنيف » : وبعد ، فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وإنما إخترعه من ممر له بالصفارين من وضع مطرقة على طست ليس فيهما حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتهما » .[1]

أما أول من صنف في علم العروض بعد الخليل، «هو أبو عثمان المازني بكر بن محمد بن حبيب النحوي الإمامي الشيعي ، المتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين » .[2] ومن أئمة علم العروض عند الشيعة المصنفين فيه ، منهم كافي الكفاة الصاحب بن عباد ، صنف كتاب الإقناع في العروض ، والخالع النحوي الشاعر المشهور ، والشيخ ابن جنى ، والشريف أبو الحسن محمد بن أحمد ،، وغير هؤلاء .[3]

٧ ـ علم التفسير :

ومن العلوم النقلية التي إشتغل بها الشيعة لفهم معاني القرآن الكريم علم « التفسير » . حتى أنهم كانوا هم المؤسسين لمدرسته ، وأول

---

(١) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٦ . وأيضا شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ . وأيضا طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٩٥ . وأيضا حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٣ . وأيضا أحمد أمين : **ضحى الإسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٣ .

(٢) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٩ . وأنظر تشيع المازني من **كتاب معجم الأدباء** لياقوت ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٣) أنظر السيد حسن الصدر : المصدر السابق من ص ١٧٨ إلى ص ١٨٢ .

المصنفين فيه ، وقد « أخذ بعض كبار الصحابة ، من أمثال علي بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، يفسرون القرآن اعتمادا على ما سمعوه من الرسول أو بحسب ما وصل إليه فهمهم ، ويعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسي مدرسة التفسير في الإسلام وحذا حذوهم في ذلك التابعون مثل سعيد بن جبير وغيره » .[1] فهؤلاء كلهم كانوا من شيعة علي ، فهم أساس مدرسة التفسير في الإسلام عند الشيعة .[2]

أما غير الشيعة من المسلمين ، فلم يظهر عندهم هذا العلم إلا متأخرا عن ذلك بكثير يقول الدكتور أحمد شلبي : « فإذا جئنا إلى تاريخ ظهور علم يسمى « علم التفسير » فإننا نرى أنه ليس من علوم صدر الإسلام ، وأنه لم يظهر إلا في مطلع القرن الهجري الثالث ، ويحكي لنا إبن النديم قصة ذلك فيقول : إن عمر بن بكير كان منقطعا إلى الحسن بن سهل «٢٣٦ هـ» فكتب إلى الفراء «٢٠٨» .. فبدأ الفراء يكتب تفسيرا متصلا متكاملا للقرآن الكريم .. » .[3] وقد مر تشيع الفراء ..... « ...حتى استطاع أخيرا أبو بكر الأصم المتوفىٰ سنة ٢٣٢ أن يضع أول تفسير اعتزالي » .[4]

أما الشيعة ، فقد أسسوا هذا العلم في الصدر الأول من الإسلام ، وأول من قام بهذا العمل الجليل وصنف فيه سعيد بن جبير التابعي (رض) كان أعلم التابعين بالتفسير كما حكاه السيوطي في الإتقان عن قتادة وذكر تفسيره ، وذكر ابن النديم في الفهرست عند ذكره للكتب المصنفة في التفسير ولم ينقل تفسيرا لأحد قبله وكانت شهادته سنة أربع وتسعين من الهجرة . وكان ابن جبير من خلص الشيعة ، وما كان سبب

---

(١) حسن إبراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥١٤ .

(٢) أنظر محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ .
وأيضا أحمد صبحي : **نظرية الإمامة** ـ مرجع سابق ص ٢٦٨ . والقندوزي : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق جـ ٢ ـ ص ٧١ .

(٣) أحمد شلبي : **تاريخ المناهج الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٤) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي** ـ العصر العباسي الأول ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٩ .

قتل الحجاج لـه إلا على هـذا الأمر يعني التشيـع .[١] ثم أن جماعـة من التابعين من الشيعة صنفوا في تفسير القرآن بعـد سعيد بن جبـير منهم : سعيد بن المسيب أخذ عن علي بن أبي طالب وابن عباس ، وكان ربـاه علي إبن أبي طالب وصحبه ولم يفارقه وشهد معه حروبه .[٢]

ومن علماء التفسير عند الشيعة ومؤلفيهم أبو حمزة الثمـالي . يقول ابن النديم : « كتاب تفسير أبي حمزة الثمالي واسمه ثابت بن دينار وكنيته دينار أبو صفية وكان أبو حمزة من أصحاب علي عليه السلام من النجبـاء الثقات وصحب أبا جعفر[٣] » وفي ذلك يقول الزركلي : « أبو حمـزة الثمالي المتوفىٰ سنة مائة وخمسين هـ من رجال الحـديث الثقات عنـد الإماميـة ، ورویٰ عنه بعض السنة ، وهـو من أهل الكـوفة ... لـه كتاب في « تفسـير القرآن » وكتاب « الزهد » وكتاب « النوادر » .[٤]

ومنهم محمـد بن السائب الكلبي ـ يقـول ابن قتيبـة في المعـارف : « الكلبي صـاحب التفسـير وهـو : محمـد بن السـائب بن بشر الكلبي .. وبنـوه « السائب » و « عبيـد » و « عبد الـرحمن » شهدوا « الجمـل » و « صفين » مع علي بن أبي طالب » .[٥] وكان نسابا عالما بالتفسـير ، وتوفي بـ « الكـوفة » سنـة ست وأربعين ومـائة » .[٦] وقـد ذكر الـذهبي كتاب التفسير هذا حيث يقول : « وقال أحمـد بن زهير : قلت لأحمـد بن حنبل : يحـل النظر في تفسـير الكلبي ؟ قال : لا »[٧] ويقـول طاش كبـرى زاده : « الكلبي ـ صاحب التفسير والأنساب كان إمـاما في هـذين العلمين » .[٨] ولهذا يقول بروكلمان : « محمد بن السائب الكلبي توفي سنة ١٤٦ هـ وقد ألف حقا كتابا في تفسير القرآن » .[٩]

---

(١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسـلام** ـ مرجـع سابق ـ ص . ص ٥٩ ـ ٦٠ ـ وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ .
(٢) السيد حسن الصدر : المصدر السابق : ص ٦٣ .
(٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٦ .
(٤) خير الدين الزركلي : **الأعلام** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ ١٣٨٩ـ ١٩٦٩ ـ جـ ٢ ـ ص ٨١ .
(٥) ابن قتيبة : **المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ٥٣٦ .
(٧) الذهبي : **ميزان الإعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٥٥٦ ـ ٥٥٨ .
(٨) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .
(٩) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠ .

يقول الدكتور شوقي ضيف : « وقد أخذ الشيعة يستقلون ـ منذ هذا العصر ـ بتفاسير للقرآن خاصة بهم، لعل أهمها تفسير جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ .. »[١] مع أنه لم يكن هناك تفسير يعرف حتى منتصف القرن الثالث الهجري إلا تفاسير الشيعة . حيث اعتبر الدكتور أن أول تفسير استطاع أن يصنفه أبو بكر الأصم المتوفى سنة ٢٣٢ ، وهو تصنيف إعتزالي .

وأول مفسر جمع كل علوم القرآن وهو محمد بن عمر الواقدي الذي ذكره ابن النديم وغيره ونص على تشيعه واسم تفسيره « الرغيب » .[٢] وقد توفي سنة سبع ومائتين للهجرة .[٣] بالاضافة إلى تفسير كل من الإمام محمد بن علي بن الحسين الذي رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر ، وتفسير ابن عباس رواه مجاهد[٤] ـ وهكذا كان الشيعة واضعي علم التفسير في الإسلام . يقول الدكتور محمد عبد الحميد عيسى : « ...ابن عباس وهو أول من وضع تفسيرا للقرآن الكريم ، مرتبا حسب السور والآيات » .[٥]

٨ ـ علم غريب القرآن :

ومن العلوم التي صنفها الشيعة وكان لهم السبق فيها ، وفي إثراء الثقافة الإسلامية ، علم غريب القرآن . يقول الصدر : « فاعلم أن أول من صنف في ذلك شيخ الشيعة أبان بن تغلب ، وقد نص على تصنيفه في ذلك علماؤنا وكذلك نص عليه ياقوت الحموي في معجم الأدباء والجلال السيوطي في بغية الوعاة ونصوا على وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائة » .[٦] وقال السيوطي في كتاب الأوائل : « أول من صنف غريب

---

(١) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي** ـ العصر العباسي الأول ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٩ .

(٢) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ٢٦ ـ ٢٧ .
وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٣) ابن النديم : المصدر السابق ـ ص ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٥٦ .

(٥) محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم في الأندلس** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٤ .

(٦) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ .

القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى ونص على تاريخ وفاته هو وغيره أنها كانت سنة تسع وقيل ثمان وقيل عشرة ومائتين .. » .[١]

ويرى الباحث أن أول من صنف في غريب القرآن أبان بن تغلب الشيعي ، وكذلك صنف فيه جماعة من علماء الشيعة بعد أبان وقبل أبي عبيده معمر بن المثنى ، وذلك لما جاء في كثير من المصادر التي تؤكد ذلك . كما أن السيوطي نفسه نقل عن ياقوت قوله : « ..أبان بن تغلب بن رباح .. قال ياقوت : كان قارئا فقيها لغويا إماميا ثقة ، عظيم المنزلة ، جليل القدر ، روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبدالله عليهم السلام . وسمع من العرب ، وصنف غريب القرآن وغيره ، ومات سنة إحدى وأربعين ومائة » .[٢]

وجاء في معجم الأدباء لياقوت : « وكان ـ أي أبان بن تغلب ـ قارئا فقيها ، لغويا نبيها ثبتا .. وصنف كتاب الغريب في القرآن ـ فجاء فيما بعد ، عبد الرحمن الأزدي الكوفي ، فجمع من كتاب أبان ، ومحمد بن السائب الكلبي وابن روق عطية بن الحارث فجعله كتابا فيما اختلفوا فيه واتفقوا عليه ..» .[٣]

يقول الزركلي : أبان بن تغلب ... من كتبه « غريب القرآن » ولعله أول من صنف في هذا الموضوع .. » .[٤] وفي ذلك يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « أول كتاب ألف بعد ذلك في غريب القرآن هو كتاب أبي سعيد إبن تغلب بن رباح الكوفي (ت١٤١ هـ) » .[٥]

وممن صنف في غريب القرآن أيضا قبل أبي عبيدة على ما ذكره السيوطي وياقوت مؤرج بن عمر بن منيع .. السدوسي وهو من تلاميذ أبي زيد الأنصاري ومن أصحاب الخليل ، له تصانيف في غريب القرآن وقد

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(١) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٠٤ .
(٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ .
(٤) خير الدين الزركلي : **الأعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٠ .
(٥) عز الدين اسماعيل : **المصادر الأدبية واللغوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٦ .

ذكر أنه مات سنة خمس وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة .[١]

ومن الذين سبقوا في التصنيف من الشيعة في غريب القرآن بعد أبان أبو جعفر الرواسي وهو متقدم أيضا على أبي عبيدة ، ومنهم الفراء المتوفى سنة سبع ومائتين .[٢]

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول القفطي : « ...وله من الكتب التي صنفها .. كتاب غريب القرآن » .[٣] ومات سنة إحدى عشرة ومائتين . وقال غيره مات سنة عشر ، وقيل سنة تسع ، وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين .[٤] وكان أبو عبيدة بن المثنى من الخوارج .[٥]

٩ ـ علم معاني القرآن :

ومن العلوم التي أسسها الشيعة أيضا ، علم معاني القرآن . فأول من صنف فيه من الشيعة هو أبان بن تغلب المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائة ، واسمه كتاب معاني القرآن . نص على ذلك كل من ابن النديم في الفهرست حيث يقول : « كتاب معاني القرآن لطيف » .[٦] وخير الدين الزركلي في الأعلام .[٧]

أما ما ذهب إليه القفطي من أن أول من صنف في معاني القرآن من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ، ثم الأخفش ، وهؤلاء من البصريين ، ومن الكوفيين صنف فيه الكسائي ثم الفراء .[٨] فقد عرفنا أن أبان بن تغلب كان سابقا لهم في ذلك . مع أن الكسائي ، والفراء سابقان على أبي عبيدة ، ثم قطرب ، وكلاهما من

---

(١) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٥ . وأيضا ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٩ـ ص . ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .
(٢) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(٣) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٨٠ .
(٥) ابن الأنباري : **نزهة الألباء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٥ .
(٦) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٢ .
(٧) خير الدين الزركلي : **الأعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـص ٢٠ .
(٨) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص . ص ١٤ ـ ١٥

الشيعة .[١] وكذلك قطرب من الشيعة أيضا وهو متقدم على أبي عبيدة حيث توفي سنة ٢٠٦ هـ .[٢] بالإضافة إلى ذلك فقد سبق هؤلاء جميعا في التصنيف في معاني القرآن بعد أبان ، الرواسي . يقول ابن الأنباري : « وصنف الرواسي تصانيف كثيرة منها : كتاب معاني القرآن » .[٣] والرواسي أستاذ الكسائي والفراء ، وهو أسبق من الذين ذكرهم القفطي ، كما أن ياقوت ذكر كتاب الرواسي في معجم الأدباء حيث يقول : « وللرواسي من الكتب .. كتاب معاني القرآن »[٤] ويقول السيوطي « ومن تصانيف الرواسي .. معاني القرآن » .[٥] هذا وقد ذكر ابن النديم كتاب معاني القرآن للرواسي في قوله : « ..وتوفي ـ أي الرواسي ـ وله من الكتب .. كتاب معاني القرآن يروى إلى اليوم » .[٦]

ومن الذين سبقوا معمر بن المثنى في تصنيف معاني القرآن يونس إبن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي إمام نحاة البصرة كما يقول ياقوت ، ومن تصانيفه كتاب معاني القرآن الكبير ، كتاب معاني القرآن الصغير ، وكان مولده سنة ثمانين . ومات سنة إثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة وثنتين .[٧] مع أن معمر بن المثنى مات سنة ٢١٣ هـ على بعض الروايات ، فاعتباره أول من صنف من البصريين إغفال عما قام به يونس إبن حبيب أحد علماء البصرة . بالإضافة إلى ذلك ، فإن سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري ، المتوفى سنة ٢١٤ هـ قد صنف كتاب معاني القرآن .[٨] وكان معاصرا لمعمر ولم يذكره في طبقتهم ، مع أنه ذكر كتابه وسنة وفاته وقوله : « كان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان ثقة ، وكان عالما بالنحو ..» .[٩]

---

(١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ٦٣ ـ ٦٤ .
(٢) عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٣ .
(٣) ابن الأنباري : **نزهة الألباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٥ .
(٤) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ١٢٥ .
(٥) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٣ ـ ١٠٩ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٢ .
(٧) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢٠ ـ ص ٦٧ .
(٨) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥ .
(٩) المصدر السابق : ص ٣٣ .

١٠ ــ علم أحكام القرآن :

من العلوم التي إشتغل بها المسلمون علم أحكام القرآن ، يقول حاجي خليفة في كشف الظنون : « أحكام القرآن ، للإمام المجتهد محمد إبن إدريس الشافعي المتوفى بمصر سنة ٢٠٤ أربع ومائتين ، وهو أول من صنف فيه » .[(١)]

وقد تقدم على الإمام الشافعي في ذلك محمد بن السائب بن بشر الكلبي أحد علماء الشيعة المتوفى سنة ١٤٦هـ . يقول أغابزرك الطهراني :

« آيات الأحكام » الموسوم بكتاب أحكام القرآن لأبي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي من أصحاب أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام ، والمتوفى سنة ١٤٦ وهو والد هشام الكلبي النسابة الشهير وصاحب التفسير الكبير .. كما أذعن السيوطي في الاتقان . قال ابن النديم في الفهرست عند ذكره للكتب المؤلفة في علم أحكام القرآن ما لفظه : كتاب أحكام القرآن للكلبي رواه عن ابن عباس . يقول الطهراني : هو أول من صنف في هذا الفن كما يظهر من تاريخه لا الإمام الشافعي محمد بن ادريس المتوفى سنة ٢٠٤ كما ذكره العلامة السيوطي ، وكذا صرح به في كشف الظنون في عنوان أحكام القرآن لأنه ولد الإمام الشافعي بعد وفاة الكلبي بتسع سنين لأنه ولد سنة ١٥٥ هـ[(٢)] .

١١ ـ إعراب القرآن :

إن أول من قام بإعراب القرآن أبو الأسود الدؤلي ، حيث قام بتنقيطه ووضع علامات الاعراب على الكلمات . فابتدأ بالمصحف حتى أتى على

---

(١) حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ـ بغداد ـ مكتبة المثنى ـ ١٩٤١ ـ جـ ١ ـ ص ٢٠ .

(٢) اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٤٠ وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ٦٣ ـ وأيضا السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ص٥١ ـ ٥٢ .

آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك[1] . يقول السيد حسن الصدر : « قيل أن يحيى بن يعمر العدواني تلميذ أبي الأسود الدؤلي أول من نقط المصحف ، والأصح الأول وأيهما كان فالفضل للشيعة لأنهما من الشيعة بالاتفاق »[2] .

١٢ ـ علم القراءات :

أما أول من أوجد علم القراءات في الثقافة الإسلامية ، أبان بن تغلب ، وقد ذكر ابن النديم تصنيف أبان في القراءة حيث يقول : : وله من الكتب كتاب معاني القرآن لطيف ، كتاب القراءات ، كتاب من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة »[3] . كما نص على ذلك أيضا خير الدين الزركلي في كتاب « الأعلام »[4] .

يقول الصدر : « ولم يعهد لأحد قبل أبان وحمزة تصنيف في القراءات ، فإن الذهبي وغيره ممن كتب في طبقات القراء نصوا على أن أول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفىٰ سنة ٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين ، ولاريب في تقدم أبان لأن الذهبي في الميزان والسيوطي في الطبقات نصا على أنه توفي سنة ١٤١ إحدى وأربعين ومائة ، فهو مقدم على أبي عبيد بثلاث وثمانين سنة ، وكذلك حمزة بن حبيب ـ من أصحاب الصادق ـ فإنهم نصوا أنه تولد سنة ثمانين ومات سنة ١٥٦هـ وقيل سنة ١٥٤ وقيل سنة ١٥٨ وأن الأخير وهم . وكيف كان فالشيعة أول من صنف في القراءة ، ولايخفى هذا على الحافظ الذهبي وحافظ الشام السيوطي ، لكن إنما أراد أول من صنف في القراءات من أهل السنة لا مطلقا »[5] .

---

(١) ابن الأنباري : **نزهة الألباء** ـ مرجع سابق ـ ص٩ . وأيضا ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ١٦ ـ ص١٤٧ . وأيضا السيوطي : **بغية الوعاة** مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص٢٢ . وأيضا أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق جـ٢ ـ ص ٢٨٧ . وأيضا شوقي ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ .

(٢) السيد حسن الصدر : **تاسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص . ص ١٤٠ـ١٤١ .

(٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٢ .

(٤) خير الدين الزركلي : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٢٠ .

(٥) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص . ص٥١ ـ ٥٢ .

١٣ ـ علم الحديث :

تدوين العلم بين الاثبات والنفي :

كان بين السلف من الصحابة اختلاف كبير في كتابة العلم وتدوينه ، فكرهها كثير منهم وأباحها آخرون . ويظهر أن كتابة الحديث عند أهل السنة بدأت في منتصف القرن الثاني الهجري ، وفي ذلك يقول بروكلمان : « ذكر الغزالي في كتاب « الأحياء » ، والذهبي عن ابن تغري ، أن عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المتوفى ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، ٧٦٠م أو سنة ١٥١هـ ، وكان جده جريج عبدا روميا ... كان أول من صنف أحاديث رسول الله (ص) .. »[١] .

يقول العسقلاني : « وقد جمع في ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ما وصل إليه اطلاع كل منهم ، فأول من عرفته صنف في ذلك أبو عبدالله البخاري .. »[٢] . ويقول جرجي زيدان : « ومالك أول من دون الحديث في كتاب الموطأ ، رتبه على أبواب الفقه ، وقيل أن ابن جريج أول من ألف فيه »[٣] .

ويرى الباحث أن أول من صنف في الحديث من السنة عبدالملك بن جريج ، وهذا ما نص عليه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٤] . وغيره[٥] . ومات سنة إحدى وخمسين ومائة[٦] . ولهذا « فلم يكن الحديث قد دون إلى عهد متأخر من عصر الأمويين .. وقد أمر عمر بن عبدالعزيز بجمعه ، ثم لم يجمع إلا في عهد المأمون » . كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل[٧] .

---

(١) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ١٥١ . وأيضا محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية ـ مرجع سابق ـ ص٢٣٨** .

(٢) **ابن حجر العسقلاني** : **الاصابة** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص١

(٣) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الإسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٧٥ .

(٤) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ١٠ ـ ص٤٠٠ .

(٥) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٨ .

(٦) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ١٠ ـ ص ٤٠٧ .

(٧) محمد حسين هيكل : **حياة محمد** ـ القاهرة ـ ط٦ ـ دار المعارف ـ ١٩٨١ ـ ص ٦٦ .

أمـا موقف الشيعـة من تدوين العلـم وكتـابتـه ، وخصوصـا علم الحديث ، فهو يختلف تماما عن موقف أهل السنة ، وهذا شيء محقق عند الشيعة ، كما يقول الشيخ باقر القرشي ، فالإسلام منذ فجر تاريخه قد تبنى الدعوة إلى تدوين العلوم ونقلها ، لما في ذلك من أثر في تطوير الحياة العلمية والثقافية ، فقد روى عن النبي (ص) أنه قال ، « **قيدوا العلم** » .فانبرت إليه طائفة من أصحـابه فقـالوا له : « ما تقييـده ؟ « كتابتـه »[1] وقال (ص) : « **قيدوا العلم بالكتابة** »[2] . وقال علي بن أبي طالب : **لا تكتبوا المصاحف صغاراً** »[3] .

وكان الحسن بن علي يقول لبنيه وبني أخيه : « **يا بني وبني أخي تعلمـوا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفـظه ـ أو قال يـرويه ـ فليكتبه وليضعه في بيته** »[4] .

ومن هذه الأحاديث وغيرها ، يستند الشيعة في تدوين العلم وكتابته ، ولهذا كانوا أسرع من غيرهم في التصنيف ، والاشتغال في جميع العلوم ، حتى كانوا المؤسسين لها ، وواضعي أصولها وقواعدها .ومن جملتها علم الحديث ، حيث كان المتقدم في ذلك علي بن أبي طالب . فقد روى المسعودي عن أبي دعامة عن علي بن محمد عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله (ص) : « **اكتب يا علي ، قال قلت وما أكتب ؟ قال لي : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمـان مـا وقـرتـه القلوب ، وصدقتـه الأعمال ، والإسلام ما جرى به اللسان ، وحلت به المناكحة** »[5] .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : « بدأت الأحاديث الموضوعة تكثر إلى حد أنكره علي بن أبي طالب ، حتى روى عنه أنه قال : « ما عندنا كتاب

---

(١) باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٨ . وأيضا عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٠ .

(٢) الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ . وأيضا السيوطي : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص٣٠٣ .

(٣) المتقي الهندي : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص٢٢١ .

(٤) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٣٩٩ .

(٥) المسعودي : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص ١٧١ .

نقرؤه عليكم إلا ما في القرآن وما في هذه الصحيفة أخذتها من رسول الله فيها فرائض الصدقة »[١] .

وحديث الصحيفة يرويه أكثر العلماء . يقول أبو رية : « هذا الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ مختلفة . أما البخاري فقد رواه عن أبي جحيفة في كتاب العلم بلفظ قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهما أعطيه رجلا مسلما ، أو ما في هذه الصحيفة .. »[٢] . كما جاء ذكر الصحيفة في أبواب كثيرة من صحيح البخاري ، وكذلك مسلم وبقية السنن[٣] . وفي ذلك يقول بروكلمان : « والصحيفة الكاملة أو زبور آل محمد وانجيل أهل البيت ، وتنسب أيضا إلى علي بن أبي طالب »[٤] .

هذا وقد أباح كتابة العلم طائفة من المسلمين وفعلوها ، منهم علي وابنه الحسن ، كما في تدريب الراوي للسيوطي ، وأملا رسول الله (ص) على علي عليه السلام ما جمعه في كتاب مدرج عظيم قد رآه الحكم بن عيينه عند الإمام الباقر لما اختلفا في شيء فأخرجه وأخرج المسألة ، وقال للحكم هذا خط علي واملاء رسول الله (ص) وهو أول كتاب جمع فيه العلم على عهد رسول الله (ص) فعلمت الشيعة حسن تدوين العلم وترتيبه فبادروا إلى ذلك اقتداء بإمامهم . كما يقول السيد حسن الصدر[٥] .

وأول من جمع الحديث من الشيعة ورتبه على الأبواب ، أبو رافع مولى رسول الله ، وله كتاب السنن والأحكام والقضايا[٦] . وفي ذلك يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء : « مؤسس علم الحديث وهو أبو رافع مولى رسول الله (ص) صاحب كتاب الأحكام والسنن والقضايا .. ثم تلاه ولده علي بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين ، وهو أول من صنف في الفقه بعد أبيه ثم أخوه عبيد الله بن أبي رافع »[٧] .

---

(١) محمد حسين هيكل : **حياة محمد** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٢) محمود أبو رية : **اضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧ .
(٣) المصدر السابق : ص ٦٨ ـ ٦٩ .
(٤) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٨٣ .
(٥) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(٦) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٥ .
(٧) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **اصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ .

وقد لزم أبو رافع علي بن أبي طالب بعد وفاة النبي (ص) . وكان من خيار الشيعة ، وشهـد معه حروبه ، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة ، وكان ابنـاه عبيدالله وعـلي كاتبي أمـير المؤمنـين ، وله كتاب السنن والأحكـام والقضايا ، وهو أول من جمع الحديث ورتبه بالأبواب . كما يقول الشيخ عباس القمي[١] . يقول ابن الأثير « كان أبو رافع مولى رسول الله (ص) خازنا لعلي على بيت المال .. »[٢] .

وقال النجاشي في كتاب فهرست أسماء المصنفين من الشيعة ما لفظه : ولأبي رافع مولى رسول الله (ص) كتاب السنن والأحكام .. ومات أبو رافع سنة خمس وثلاثين بنص ابن حجر فـي التقـريب[٣] . ولهذا يرى محمد أبو زهرة : « أن الشيعة أول من دون الحديث عن النبي ، وينسب إلى عليٍ أنه أول من دونه ، فيقال أنه صنف أحاديث رسول الله (ص) في عهده »[٤] .

ومن الذين صنفوا في الحديث من الشيعة ، ميثم بن يحيى التمار ، من خواص علي بن أبي طالب ، وصاحب سره ، له كتاب في الحديث جليل .. ومات بالكوفة قتله عبيدالله بن زياد علـى التشيـع[٥] . لهذا نص الحافظ الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب ، على أن التشيع في التابعين وتابعيهم كثير مع الدين والورع والصدق ثم قال : فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذا مفسدة بينه[٦] .

يقول السيد محمد باقر الصدر : « ومن أهم الانجازات التي حققها جعفر الصادق هو أنه وضع أساس التـأليف في الإسلام .. يحـرض على التدوين والتأليف ويكون هو البادىء بذلك ، ثم يتداعى طلابه إلى التدوين والتأليف حتى يبلغ عدد ما ألفوه أربعمائة كتاب لأربعمائة مؤلف ، وتبرز

---

(١) عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٧٦ .
(٢) ابن الأثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص٢٠٠ . وأيضا الخطيب البغـدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ١٠ ـ ص٣٠٤ .
(٣) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ .
(٤) محمد أبو زهرة : **محاضرات في أصول الفقه الجعفري** ـ القاهرة ـ معهد الدراسات العربية ـ ١٩٥٥ ـ ص١٦١ .
(٥) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ـ ٦٩ .
(٦) الذهبي : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٤ .

دعوته إلى التدوين بمثل قوله لتلاميذه : اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا ، ومثل قوله للمفضل بن عمر : أكتب وبث علمك في اخوانك فإن مت فورث كتبك بنيك »[1] . ولهذا « فقد أخذت الجوامع المذهبية للشيعة من هذه الأصول الأربعمائة »[2] . وقد أثر عن أصحاب الأئمة كتب كثيرة في السنن سميت بالأصول عرف منها أربعمائة أصل ، جمعت ونقحت بعد ذلك في أربعة كتب »[3] كما يقول الدكتور رشدي عليان .

وهكذا كان فضل الشيعة في التأليف والتدوين لشتى علوم الاسلام ، ومنها علم الحديث ، والذين جاءوا بعدهم ، سلكوا طريقتهم في التأليف والتصنيف ، فكان لهم الأثر العميق في الحركة العلمية في الإسلام . يقول بروكلمان : « وقد رأينا في كتاب الموطأ لمالك بن أنس ، وفي مجموعة زيد بن علي ، نموذجا لأسلوب التصنيف الذي كان يحتذيه من صنف قبلهما »[4] ومن هنا يظهر عدم صحة ما ذهب إليه الدكتور رشدي عليان في قوله : « وهذا ما يفسر لنا نضج الدراسات الفقهية والأصولية ، وبدء مرحلة التصنيف عند أهل السنة قبل الإمامية بما يقرب من قرنين من الزمان »[5] . والعكس هو الصحيح . مع أن نضج الدراسات الفقهية والأصولية بدأت على أيدي الشيعة أيضا كما سيوضحه الباحث .

١٤ ـ علم غريب الحديث :

من العلوم التي اشتغل بها المسلمون علم غريب الحديث . يقول ابن الأثير في مقدمة كتابه النهاية : « فقيل أن أول من جمع في هذا الفن شيئا وألف ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب

---

(١) محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق جـ٢ ـ ص ٨١ .

(٢) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٦ .

(٣) رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ ـ هامش ٤٦ .

(٤) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٢٣٣ .

(٥) رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص٦٠ .

الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن كل مبدىء لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلا ثم يكثر ، وصغيرا ثم يكبر . والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم »[١] . ثم يستطرد في القول : « ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتابا في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة .. وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه .. »[٢] .
وفي ذلك يقول ياقوت : « معمر بن المثنى .. وهو أول من صنف غريب الحديث ، أخذ عن يونس بن حبيب ... إلا أنه يتهم بشيء من رأى الخوارج »[٣] .

والغريب من ابن الأثير أن يعتبر أبا عبيدة معمر أول من ألف في غريب الحديث مع أنه توفي على أقل الروايات سنة تسع ومائتين[٤] . مع أن النضر بن شميل المازني ، وله من التصانيف كما يقول ياقوت « كتاب غريب الحديث » مات سنة أربع ومائتين[٥] . وفي ذلك يقول ابن الأنباري « صنف ـ أي النضر ـ .. كتبا ، منها كتاب « غريب الحديث » ... وتوفي النضر سنة ثلاث أو أربع ومائتين في خلافة المأمون »[٦] .

ومن الذين صنفوا في غريب الحديث قبل أبي عبيدة ـ اسحاق بن مرار أبو عمرو ـ الكوفي ـ قال الخطيب البغدادي : كان أبو عمرو راوية أهل بغداد واسع العلم باللغة والشعر ، ثقة في الحديث ... وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية ، مشهور معروف ، والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهترا وصنف : .. غريب الحديث .. مات أبو عمرو سنة ست ـ أو خمس ومائتين ... وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين ، وقيل ثمان عشرة »[٧] .

---

(١) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير : **النهاية في غريب الحديث والأثر** ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي ـ بيروت ـ دار احياء التراث العربي ، بدون تاريخ ـ جـ١ ـ ص٥ .
(٢) المصدر السابق : ص٥ .
(٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ١٩ ـ ص١٥٥ .
(٤) القفطي : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٢٨٠ .
(٥) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ١٩ ـ ص ٢٤٣ .
(٦) ابن الأنباري : **نزهة الألباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ـ ٨٨ .
(٧) السيوطي : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٤٠ .

١٥ ـ علـم الفقـه :

« إن أثمن ثمرات الفكر الإسلامي .. هي التي نبتت في أرض الفقه ، لأنها كانت تحمل خصائص العقلية العربية وسمات الاتجاه الإسلامي وما استطاع الفكر الإسلامي أن يثري الثقافة بانتاجه إلا عندما وجد فقهاء فهموا هذا المنهج فهما سليما »(١) .

وكان للشيعة في العصر الأول من الإسلام نشاط مستقل في هذا الفن ، إذ ينسب إليهم تأسيس علم الفقه .. يقول ابن النديم : « من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سليم بن قيس الهلالي ، وكان هاربا من الحجاج لأنه طلبه ليقتله فلجأ إلى أبان بن أبي عياش .. وأعطاه كتابا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور .. وقال أبان في حديثه : وكان قيس شيخا له نور يعلوه ، وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي .. »(٢) . وهو مطبوع(٣) .

ويقول بروكلمان : « .. إن أول كتب الشيعة كان : كتاب الأصل لسليم بن قيس الهلالي الذي هرب من الحجاج .. »(٤) . وهو أصل من أصول الشيعة ، وأقدم كتاب في الإسلام في عصر التابعين بعد كتاب السنن لابن أبي رافع ، وبهذا حاز مؤلفه قصب السبق على من بعده . وكان ذلك الكتاب في جميع الأعصار أصلا ترجع الشيعة إليه وتعول عليه(٥) .

وقد تقدم علىٰ سليم بن قيس الهلالي في تصنيف علم الفقه على بن أبي رافع مولى رسول الله (ص) . ولهذا قال النجاشي في ذكر الطبقة الأولى من المصنفين من الشيعة : علي بن أبي رافع . وهو تابعي من خيار الشيعة ..

---

(١) سعيد اسماعيل علي : **فلسفة التربية الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص٨٩ .

(٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

(٣) انظر : **كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري** صاحب الإمام أمير المؤمنين المتوفى في حدود سنة ٩٠ ـ بيروت ـ منشورات دار الفنون للطباعة والنشر ـ ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ .

(٤) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص ٣٣٥ .

(٥) انظر ترجمة سليم بن قيس من **كتاب بحار الأنوار للمجلسي** مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

وجمع كتابا في فنون الفقه ، في الوضوء والصلاة ، وساير الأبواب ، وتفقه على أمير المؤمنين (ع) وجمعه في أيامه ، أوله باب الوضوء .. قال : وكانوا يعظمون هذا الكتاب فهو أول من صنف فيه من الشيعة .. وذكر الجلال السيوطي أن أول من صنف يعني من أهل السنة في الفقه الإمام أبو حنيفة ، لأن تصنيف علي بن أبي رافع في ذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام قبل تولد الإمام أبي حنيفة بزمان طويل .. [1] .

ولما نشطت الحركة الفكرية في عصر الصادق ، نشطت كذلك حركة الفقه ، وكان للشيعة في هذا العصر نشاط كبير فيه ، وقد صنف الإمام جعفر كتبا مختلفة مثل كتاب « مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة » المطبوع في طهران ، ومثل كتاب « فقه الرضا » لعلي الرضا حفيده وهو كسابقه مطبوع بطهران [2]

وأما غير الشيعة من المسلمين ، فقد تأخر تصنيفهم في هذا الفن ، يقول بروكلمان : « وقد روى ان معاوية بن عبيد الله بن يسار ، كاتب المهدي ، المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، ٧٨٠ م ، كان أول من صنف كتابا في الخراج »[3]. ومهما يكن ، فهذه الاعمال الفقهية العلمية التي ازدهرت في أثناء القرن الثاني الهجري ،أضافت إلى الثقافة العقلية الاسلامية مادة جديدة هي « علم الفقه »[4] وذلك بفضل الجهود التي قام بها الشيعة في اضافة هذا العلم الى الفكر والثقافة الاسلامية .

١٦ ـ علم اصول الفقه :

ومن العلوم التي اضافها الفكر الشيعي الى الثقافة الاسلامية ، علم اصول الفقه ، وأول من فتح بابه ، وفتق مسائله الامام محمد بن عليّ الباقر ، وبعده ابنه جعفر الصادق ، فقد أمليا فيه على جماعة من

---

(١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الإسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٢) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي** ـ العصر العباسي الأول ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ .
(٣) كارل بروكلمان : **تاريخ الادب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٣٣ .
(٤) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ .

تلامذتهما قواعده ومسائله[1]. وأقام الامام الصادق بالمدينة لا يبرحها ، يعلم الناس ويفقههم « ويواصل وضع أصول الفقه ويشرع للفقهاء كيف يستنبطون الأحكام عندما لا يجدون الحكم في الكتاب والسنة »[2]. وقد برز من تلامذته **هشام بن الحكم، ويونس بن عبد الرحمن** ،وكانا أول من صنفا في هذا العلم من الشيعة وفي ذلك يقول أبو زهرة : « وكلام العالمين « هشام ، ويونس » من علماء النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الذين عاصروا أصحاب أبي حنيفة ، وإذن فقد تصدى من فقهاء الشيعة من فكروا في أصول الاستنباط ، بل دونوا بعضها ، وأن اصول الفقه في هذا الزمان الذي ظهر فيه هذان العالمان كانت تنحو في اتجاه وضع مناهج الاستنباط ووضع المقاييس الضابطة من غير دفاع عن مذهب معين .. »[3] .

ويقول أيضا : « ولنتعرض لسبق تلاميذ الامام الصادق للامام الشافعي في تدوين علم أصول الفقه ، لقد ذكر الكاتب الفاضل ـ السيد حسن الصدر ـ أن هشام بن الحكم قد سبق الشافعي بكتابه الذي كتب في الألفاظ ، وأن يونس بن عبد الرحمن قد سبقه بكتاب الحديث ، وهذان الموضوعان بلا ريب جزءان من علم أصول الفقه ، ولكنهما ليسا هذا العلم ، والكتابة فيهما لا تعد تصنيفا كاملا في هذا العلم .. ثم يستطرد في القول : وبهذا ننتهي الى أن الامامين العظيمين « محمد الباقر .. وجعفر الصادق » لم يسبقا الامام الشافعي بالتصنيف ، ولا يغض ذلك من مقامهما ، فلم يعكفا على التأليف ، بل عكفا على البحث والتوجيه والتلقين والارشاد ، ولم يكن التأليف قد بلغ الشأو في عهدهما ، نعم كان هناك تدوين ، ولكن لا يعد تأليفا ، وان تدوين المذكرات والاقوال كان في آخر عهد الصاحبة رضوان الله عنهم »[4].

والذي ذهب اليه أبو زهرة ، من أن التأليف لم يكمل حتى جاء

---

(١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام**ـ مرجع سابق ـ ص ٩٥ .
(٢) عبد الرحمن الشرقاوي : **شخصيات اسلامية**ـ مرجع سابق ـ ص ٥١ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٦٩ .

الامام الشافعي مخالف لما ذكره صاحب الفهرست ان لعيسى بن عمر أحد قراء البصريين كتاب الجامع وكتاب المكمل وقد مات سنة تسع واربعين ومائة[1]. وان لأبان بن تغلب المتوفى سنة مائة وأحدى واربعين للهجرة ، كتابا في القراءات وكتابا في معاني القرآن وكتابا في أصول الحديث على مذهب الشيعة[2] . وقوله أيضا ان « يونس بن عبد الرحمن من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام من موالى آل يقطين ، علامة زمانه ، كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة ، وله من الكتب كتاب علل الاحاديث ، كتاب الصلاة ، كتاب الصيام ، كتاب الزكاة ، كتاب الوصايا والفرائض .. »[3] . ويقول الاشعري في مقالاته : « رجال الرافضة ومؤلفو كتبهم ، هشام بن الحكم .. وعلي بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن القمى .. »[4] وقول الشهرستاني : « ومن مؤلفي كتبهم - أي الشيعة - هشام بن الحكم .. ويونس بن عبد الرحمن »[5]. وقول الزركلي : « أبو حمزة الثمالي المتوفى سنة مائة وخمسين ومن رجال الحديث الثقات عند الامامية .. وله كتاب في تفسير القرآن ، وكتاب الزهد ، وكتاب النوادر »[6]. كما أن للخليل من الكتب كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط ، وكتاب فائت العين وكتاب الاقناع »[7]. وفي ذلك يقول بروكلمان : « ونسبت كتب ايضا الى حفيد علي زين العابدين على بن الحسين السجاد المتوفى سنة ٩٢ هـ ، ٧١٠ م . الزاهد والوصية طبع في مجموعة بالقاهرة ١٣٤٤ هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي »[8]. كما أن الامام الصادق ألف في الفقه كتاب « مصباح الشريعة » ، وكتاب « فقه الرضا » لعلى الرضا وكل منهما مطبوع كما مر . وغير هؤلاء كثيرون ذكرهم أصحاب الفهارس من مصنفي الشيعة - فما ذهب اليه أبو زهرة

---

(١) ابن النديم : **الفهرست**- مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٢٢ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٢٣
(٤) الاشعري : **مقالات الاسلاميين**- مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٢٤ - ١٢٥
(٥) الشهرستاني : **الملل والنحل**- مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩٠
(٦) خير الدين الزركلي : **الاعلام**- مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨١ .
(٧) ابن النديم : **الفهرست**- مرجع سابق - ص ٧١ .
(٨) بروكلمان : **تاريخ الادب العربي**- مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٣ .

من أن التـأليف لم يكن في زمان هشـام بن الحكم لا دليـل عليـه ، وإنمـا الدليل خلافه ، بـالاضافـة الى ما ذكـره الباحث من أن التصنيف كـان في القرن الأول للهجرة ، كما سوف يتضح أيضا عنـد الكلام في علم التـاريخ والسير .

أمـا أول من أفـرد بعض مبـاحث علم الأصـول بـالتصنيف من الشيعـة ، هشام بن الحكم تلميـذ جعفر الصـادق ، صنف كتاب الألفـاظ ومباحثها ، وهو من أهم مباحث هـذا العلم[١]. ثم يونس بن عبـد الرحمن تلميذ الامام موسى بن جعفر ، صنف كتـاب اختلاف الحـديث وهو مبحث تعارض الدليلين ، والتعارض والتـرجيح بينهمـا[٢] أما قـول السيوطي في كتاب الاوائل ، أن أول من صنف في أصول الفقه الشافعي بالاجماع يعني من الأئمة الأربعة من أهل السنة[٣].

وعندما نشطت الحركة العلميـة الفقهية والأصـولية ، جمـع علماء الشيعة بين الفقه وأصوله ، وكانـوا السابقـين في هذا الجمـع . يقول أبـو زهرة : « كما يلاحظ أن الذين كتبوا في الفقه عنـد أخواننـا الاثنا عشريـة كانوا يجمعون بين الفقه وأصوله ، وبين علوم أخرى ، فالطوسي مثـلا كان له نشاط في الفقه وأصوله ، كما كان له نشاط واضح في علم التفسـير وعلم الكـلام ، والشريف المرتضىٰ كـان كذلـك ، واذا يممنا جـانب السنة نجـد العلماء الذين جمعـوا بين الفقـه وأصولـه وعلم الكلام والتفسـير ، فنجد حجـة الاسلام الغـزالي ، ونجد فخـر الدين الـرازي ، ونجد الآمـدي ... وغيرهم من علماء الفقه والأصول والكلام ، مهما تختلف منـاهجهم في علم الكلام »[٤]. ومن الواضح أن السيد المرتضىٰ والشيخ الطوسي ، قد سبقـا الغزالي وغيره في هذا الفن ، حيث ولد السيد المرتضى سنـة ٣٥٥ هـ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ ، وولد تلميذه الشيخ الطوسي سنة ٣٨٥ هـ[٥]. أمـا الغزالي

---

(١) ابن النديم : **الفهرست ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٤**
(٢) المصـدر السـابق : ص ٢٣٢ . وأيضـا السيـد حسن الصـدر : **الشيعـة وفنـون الاسلام**ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤
(٣) السيد حسن الصدر : المصدر السابق ـ ص ٩٥ .
(٤) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٣ .
(٥) انظر الشيخ الطوسي من الفصل الخامس من هذا البحث .

فكان مولده سنة ٤٥٠ هـ[١]. وهكذا أثرى الشيعة الفكر والثقافة الاسلامية بفن جديد وهو علم الفقه وأصوله .

١٧ ـ الفقه المقارن ، أو الخلافي :

لقد أدى تعمق الشيعة في علم الفقه وأصوله الى ظهور « الفقه المقارن » أو « الخلافي » في الثقافة الاسلامية . فحينما تمركزت المدرسة الشيعية في الفقه في بغداد ، وفرضت وجودها على الأجواء العلمية في حاضرة العالم الاسلامي ، أثار ذلك أصحاب المذاهب الفقهية الأخرىٰ ، وأعلنوا المعارضة بوجه المدرسة بصورة صريحة ، وأثاروا المسائل الخلافية بصورة حادة وأدىٰ ذلك الى اصطدام فقهاء الشيعة بفقهاء المذاهب الاخرى في الندوات والمجالس العامة في المسائل الفقهية الخلافية[٢].

ومهما يكن من أمر ، ومهما كانت الدوافع السياسية التي كانت تثير هذه المسائل فقد أدى ذلك الى خصوبة البحث الفقهي ، فالخلاف والانشقاق دائما يؤدي الى الخصوبة لا العقم كما يدل على الخصوبة الذهنية لا عقمها .

وكان من أثر ظهور الخلاف بين « الفقه الامامي » والمذاهب الفقهية الأخرى ، أن تفرغ فقهاء الشيعة لبحث المسائل الخلافية بصورة موضوعية وبشكل مسهب ، « ومن الذين كتبوا في علم الأصول في المائة الثالثة .. الفقيه الشيعي العظيم محمد بن الجنيد ، وكان فقيها ... وكان على علم بالفقه المقارن ، فكان يقارن بين فقه الامامية وفقه الجمهور ، وكان منهاجه في الدراسة الفقهية أن يجمع بين النظائر المتشابهة في عقد واحد ، ولعله بهذا أول من ألف في الاشباه والنظائر في الفقه الاسلامي »[٣]. ولاشك أن محمد بن الجنيد كان متقدما في التصنيف في الفقه المقارن على كل من الشيخ الطوسي والسيد المرتضى بحوالي قرن من الزمن .

---

(١) محمد عطيه الابراشي : **التربية الاسلامية وفلاسفتها**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٧ .
(٢) الاصفي : **مقدمة كتاب اللمعة**ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦٣ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٦ .

وقد تقدم على ابن الجنيد من علماء الشيعة في علم الخلاف أو الفقه المقارن محمد بن عمر الواقدي المولود سنة مائة وثلاثين للهجرة ، والمتوفى سنة سبع ومائتين وله كتاب الاختلاف . يقول ابن النديم :« أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي .. وكان يتشيع حسن المذهب ... وله من الكتب ... كتاب الاختلاف ويحتوي على اختلاف أهل المدينة والكوفة في الشفعة والصدقة ، والعمرة ، والرقبى والوديعة والعارية والبضاعة والمضاربة والغصب والسرقة والحدود والشهادات وعلى نسق كتب الفقه ما يبقى »[١]. كما وأن لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي أشهر متكلمي الشيعة ببغداد والمتوفى سنة ٣٠٠ هـ ، ٩١٢ م رسالة في بيان مذاهب الفرق موجود في مكتب النجف أبادي[٢]. وكتاب أوائل المقالات في المذاهب المختارات لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد وابن المعلم والمتوفى سنة ٤١٣ هـ[٣]. وقد ذكر ياقوت تصانيف السيد المرتضى ، وذكر منها « كتاب مسائل الخلاف في الفقه .. »[٤] .

وقد صنف في الفقه المقارن القاضي أبو حنيفة نعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور قاضي مصر ، والمتوفى سنة ٣٦٣ هـ . نقله ابن خلكان ، واسمه « اختلاف الفقهاء »[٥] . وكتاب « اختلاف أصول المذاهب » المطبوع بدار الاندلس ، ببيروت سنة ١٩٧٣ . وفيه يقول : « وقد سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد ، عن علة اختلاف الناس بعد رسول الله ، وكيف يختلفون بعد رسول الله ؟.. »[٦]. بالاضافة الى كتاب الانتصار للسيد المرتضى[٧] ، وكتاب الاعلام فيما اتفقت الامامية عليه من الاحكام مما

---

(١) ابن النديم : **الفهرست**- مرجع سابق - ص ١٥٠ - ١٥١ . وأيضا اغابزرك الطهراني : **الذريعة الى تصانيف الشيعة**- مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٦٠ .

(٢) كارل بروكلمان : **تاريخ الادب العربي**- مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٤) ياقوت : **معجم الادباء**- مرجع سابق - جـ ١٣ - ص ١٤٨ .

(٥) ابن خلكان : **وفيات الأعيان**- مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٤٨ . وأيضا اغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**- مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٦١ .

(٦) القاضي النعمان : **اختلاف اصول المذاهب**- مرجع سابق - ص ٣٢ .

(٧) الاصفي : **مقدمة كتاب اللمعة**- مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٢ .

اتفقت العامة على خلافهم فيه . للشيخ المفيد [١]. وكتاب « الخلاف » لشيخ الطائفة الطوسي ، الذي يعتبر في حقيقته موسوعة فقهية عظيمة في الفقه المقارن . مطبوع[٢]. يقول أبو زهرة أن الشيخ الطوسي : « مع علمه بفقه الامامية ، وكونه من أكبر رواته كان على علم بفقه السنة ، وله في هذا دراسات مقارنة ، وكان عالما في الأصول على المنهاجين : الامامي والسني »[٣].

وأما ما يقوله طاش كبرى زاده : « ان اول من أخرج علم الخلاف في الدنيا أبو زيد الدبوسي بتخفيف الباء الموحدة الحنفي وهو عبد الله بن عمر بن عيسى له كتاب « الأسرار » وكتاب « تقويم الأدلة » كلاهما من أصول الفقه ... توفي ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة وقيل يوم الخميس منتصف جمادي الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة[٤] فقد عرف مما تقدم أن الشيعة هم الذين أوجدوا هذا العلم وصنفوا فيه قبل غيرهم بأكثر من قرنين ونصف من الزمن .

« هذا هو علم أصول الفقه عند الامامية في القرن الثالث الهجري ،، وقد جاء القرن الرابع ،، وفيه نما علم أصول الفقه عند الامامية نموا عظيما »[٥] . والسبب في ذلك « أن باب الاجتهاد مفتوح عند أكثرهم ،، وهم الذين لا يقفون عند أقوال الأئمة ان لم يعرف نص لهم في المسألة التي تعرض من بعدهم ، بل يستنبطون في غير قياس .. ولأن باب الاجتهاد مفتوح كان لا بد أن يعنوا بقواعد الاستنباط لكيلا يكون الأمر فرطا من غير ضابط يضبطه ، فكانت من أجل ذلك العناية بهذا العلم ودراسته »[٦] .

ولقد نمى هذه الدراسة وجود علماء من بعد القرن الثالث عكفوا

---

(١) المصدر السابق : ص ٦٤ .
(٢) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٦٤ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٠ .
(٤) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٤ .
(٥) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٠ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

على الفقه وأصوله ، فدونوه ورتبوا أبوابه ، وفتحوا عيونه ، وأجروا جداوله ، وكان في كل قرن من القرون التالية علماء اجلاء كتبوا في الفقه ، في فروعه وأصوله ، وكان أكثر الذين كتبوا هذه الاصول من المتكلمين الذين جمعوا بين الدراسات الفقهية العلمية المقتبسة من المأثور عن الأئمة والدراسات النظرية المجردة التي استمدوها من دراساتهم الفلسفية[1] .

١٨ ـ علم التاريخ والمغازي والسير :

« كان التاريخ ثمرة ناضجة في بستان الثقافة الاسلامية ، وموضع الدرس والاقبال من الطلاب في مختلف جوانبه ، بدءا بأيام العرب القديمة وظلت تروىٰ شفاها بالطريقة التقليدية أو المدونات التي تسجل الأحداث شهرا فشهرا ، وعاما فعاما ..»[2] .

وكان للشيعة أثر كبير في اخراج هذا العلم الى الوجود في تاريخ الاسلام . وأول من صنف في ذلك من علماء الاسلام أبان بن عثمان الأحمر التابعي المتوفىٰ سنة ١٤٠ هـ من أصحاب الصادق . ثم محمد بن السائب الكلبي ، وابنه هشام ، ومحمد بن اسحاق المطلبي ،، وأبو مخنف الأزدي ، وتأثر من كتب في هذا الفن بهم ، واعتمد عليهم ، والجميع من أعلام الشيعة ، ثم تلاهم أكابر المؤرخين وكلهم من الشيعة أيضا كأحمد إبن خالد البرقي صاحب كتاب المحاسن ، ونصر بن مزاحم المنقري ، واليعقوبي أحمد بن يعقوب المطبوع تاريخه في أوروبا وفي النجف ، ومحمد بن طباطبا صاحب الآداب السلطانية[3] .

« ويعتبر هشام بن محمد الكلبي المتوفىٰ سنة ٢٠٤ هـ ، وأبوه محمد أول من كتب من العرب في علم التاريخ ، كما اشتهر كل منهما

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، وأنظر أيضا السيد علي نقي الحيدري : **أصول الاستنباط** ـ ط ٢ ـ بغداد ـ مطبعة الرابطة ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م ـ ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) خوليان ريبيرا : **التربية الاسلامية في الاندلس** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٩ .
(٣) محمد حسين أل كاشف الغطاء : **اصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ .

بتحري الدقة في روايته »[1] . كما يعتبر هشام أول من صنف في كل أنواع التاريخ بالاستقصاء[2] . ولهذا كان من أعلم الناس بعلم الانساب ، وله كتاب « الجمهرة » في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا الفن .. كما يقول ابن خلكان[3] . وله من التصانيف في علم التاريخ وغيره شيء كثير ،، وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفا ، واحسنها كتابه المعروف « بالجمهرة » في معرفة الانساب ولم يصنف في بابه مثله ، وتوفي سنة أربع ومائتين[4] .

يقول بروكلمان : « لما قويت عناية علماء العراق بجمع اشعار الجاهلية وشرحها نشأت الحاجة الى البحث والتنقيب عن أيام العرب وملوكهم وأحوالهم في الزمن القديم ، وكان أعظم الفضل في حفظ هذه الأخبار والآثار يعود الى الكلبيين محمد بن السائب ، وابنه أبي المنذر هشام بن محمد ، وعنهما أخذ المتأخرون . فالأول : محمد بن السائب الكلبي .. توفي سنة ١٤٦ هـ ، ٧٦٣ م ..»[5] . ولهذا حاول محمد بن السائب الكلبي قراءة النقوش المكتوبة على قبور اللخميين للتحقق من تواريخها الا أن طريقته هذه بقيت زمنا طويلا لا تجد من يسير على غرارها ، حتى جاء الجهشياري فاستفاد منها في كتاب الوزراء ، حيث اعتمد على النقوش التي وجدها في ثغري « صور » . و « عكا »[6] . ومن هنا يبدو أن محمد الكلبي أول من استخدم المنهج العلمي في معرفة الوقائع التاريخية في العالم الاسلامي .

وسار هشام على خطوات ابيه ، وحاول أن يتم ما جمعه بالبحث والتنقيب في الآثار التي لا تزال باقية في كنائس الحيرة ، ليستكمل بذلك تاريخ اللخميين ومشاهدهم ، وصنف ما وصل اليه من ذلك ، وكان هذا المنهج الذي اتبعه هشام بن محمد غير مألوف في ذلك العصر في البحث ،

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٤٩ .
(٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٩ .
(٣) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ١٣١ ـ ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠ .
(٦) المصدر السابق : ص ٨ .

مما سبب اثارة التهم وتوجيه المطاعن اليه من قبل معاصريه ، ولكن البحث الحديث قد أكد كثيرا من أقوال هشام التي وجه اليها معاصروه التشكك فيها[1] .

وفي البيان والتبيين للجاحظ : « كان هشام بن محمد علامة نسابه .. فاذا رأى الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص في النار ، وكان علي بن الهيثم صاحب تفقيع وتقصير ، ويستولي على كلام أهل المجلس ، ولا يحفل بشاعر ولا بخطيب ..»[2] . يقول الجاحظ : « وكان ابراهيم بن السندي يحدثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي »[3] . وكان الهيثم من علماء الشيعة أيضا[4] وقد مات سنة سبع ومائتين للهجرة . وله من الكتب طبقات الفقهاء والمحدثين ، وهي من أوائل كتب الطبقات التي صنفها الشيعة[5] . كما أنها اسبق من كتاب طبقات الصحابة لمحمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، والذي يعتبر أقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا كما يقول جرجى زيدان ، وهو كتاب كبير ، وربما دخل في بضعة عشر مجلدا »[6] . « وللهيثم هذا فضل السبق الى ترتيب الحوادث حسب السنين ،، وقد استقى الطبري من كتب هؤلاء واعتمد عليها »[7] .

وقد تقدم على هشام بن محمد والهيثم بن عدي ، ابو مخنف الأزدي ، وهو لوط بن يحيى بن سعيد ، وكان صاحب أخبار ،، ويكنى أبا مخنف ، ومخنف بن سليمان من أصحاب علي بن أبي طالب .. مات لوط بن يحيى سنة سبع وخمسين ومائة ، وكان راوية إخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الاسلام[8] . قال ياقوت : « وجدت بخط أحمد بن الحارث

---

(١) المصدر السابق : ص ٣١ .
(٢) الجاحظ : **البيان والتبيين** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣١ ـ ١٣٢
(٣) المصدر لسابق : ص ٣٣٥ .
(٤) المصدر السابق : جـ ٢ ـ ص ١٥ هامش ٦ .
(٥) حاجي خليفة : **كشف الظنون** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٠٥ .
(٦) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠١ .
(٧) أحمد الحوفي : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٧ .
(٨) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٧ ـ ص ٤١ .
وأيضا ابن قتيبة : **المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣٧ . وأيضا السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥ .

الخزار قال : العلماء : أبو مخنف بـأمر العـراق وفتوحهـا ، واخبارهـا ما يزيد على غيره ..»[١] . وله كتب كثيرة صنفها في التاريخ ذكرهـا ياقـوت في معجمه[٢] .

يقـول بـروكلمـان : « أبـو مخنف لـوط بن يحيى الأزدي . أول من صنف في أخبار الفتوح والخوارج وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة . ولـه كتـاب ذكـر مقتـل .. الحسـين بن عـلي ، أو المصرع الشـين في قتـل الحسين ،، مخطوط في : أمبروزيانا ، جوتنجن ١٨٢٨ ، ليـدن ،.. وله ٣٥ كتـابـا من مصنفـاتـه »[٣] . « .. وذهب كثـير من المتـأخـرين في عصر العباسيين مذهب أبي مخنف »[٤] .

أما المغازي والسير ، فان أول من صنف فيهـا محمد بن اسحـاق ، قـال المرزبـاني « ومحمـد بن اسحـاق أول من جمـع مغـازي رسـول الله (ص) وألفها »[٥] . وكان ابن اسحاق من الشيعة[٦] . وفي ذلك يقول أدم متز : « يذكر أن ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية كان يتشيع .. وكـان يدخل في كتـابه أشعـارا للشيعة .»[٧] . ولـه من الكتب : كتاب الخلفـاء ، كتـاب السير والمغـازي .. وقـد مـات سنـة خمسـين أو احـدى أو إثنتين وخمسين ومائة[٨] . وفي ذلك يقول بروكلمان : « وبهذا الكتـاب ـ أي سيرة النبي ـ لقي ابن اسحاق معارضـة مالـك بن أنس ، لعنايتـه بغير حـديث الفقه والكلام كما رماه مالك بالقدر والتشيـع ، ولهذا اضطـر ابن اسحاق أن يهـاجر الى العـراق سنة ١٣٢ هـ ..»[٩] . يقـول الشاذكـاني : « كان

---

(١) ياقوت : المصدر السابق ـ ص ٤١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٣ ـ ٧٢ .
(٣) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٢٥٣ .
(٤) المصدر السابق : جـ ٣ ـ ص ٣٦ .
(٥) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ٥ .
(٦) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
(٧) أدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ .
(٨) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٨ ـ ص ٥ ـ ٨ .
(٩) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠ ـ ١١ .

محمد بن اسحاق بن يسار يتشيع ..» [١] . ويقول الخطيب البغدادي : « وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لأسباب منها : أنه كان يتشيع »[٢] . ولهذا قال أحمد بن يونس : « أصحاب المغازي يتشيعون ،، كابن اسحاق وأبي معشر ويحيى بن سعيد »[٣] .

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن : « ومن مصادر السيرة النبوية ايضا كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .. وكان كاتب الواقدي المتوفى سنة ٢١٨ هـ . ويعد هذا الكتاب من المصادر الموثوق بصحتها ، على الرغم من أن مؤلفه عرف بالميل الى الشيعة »[٤] . مع ان ابن النديم يذكر سنة ولادته ووفاته في قوله : « قال محمد بن سعد كاتبه أخبرني أبو عبد الله الواقدي أنه ولد سنة ثلاثين ومائة ومات .. سنة سبع ومائتين وله ثمان وسبعون سنة .. »[٥] وفي ذلك يقول الدكتور أحمد شلبي : « ومن أشهر من صنفوا فيه في عصرنا محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) فقد ألف كتاب التاريخ الكبير الذي اعتمد عليه الطبري كثيرا حتى حوادث سنة » ١٧٩ هـ « وهو بين أيدينا »[٦] .

وقد تقدم على ابن اسحاق والواقدي في علم المغازي والسير من علماء الشيعة أيضا جابر بن يزيد الجعفي ، المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة ، صنف كتاب صفين ، وكتاب النهروان ، وكتاب مقتل الامام علي وكتاب مقتل الحسين[٧] .

أما ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن ان : « أقدم مصادر السيرة النبوية سيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ . وتعرف باسم سيرة

(١) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ٦ ـ ٨ .
(٢) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٤ .
(٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ٦ ـ ٨ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٠ .
(٥) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٠ . وأيضا الذهبي : **ميزان الاعتدال ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٦٦٦** .
(٦) احمد شلبي : **التاريخ الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ ط ٦ ـ ١٩٧٨ ـ جـ ٣ ـ ص ٣٤٥ .
(٧) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٤ .

رسـول الله ، وقد استمـد معلومـاته التـاريخية عن أستـاذه ابن اسحاق المتـوفى سنـة ١٥١ هـ ، وهي تعطينـا صـورة صحيحـة لحيـاة النبي (ص) ...»[١] . فيعرف مما تقدم ، حيث سبقه في ذلك ابن اسحاق ، كمـا تقدم عليه الواقدي وغيره من علماء الشيعة. يقول الرحالة « وأول من سبق الى تدوين التاريخ محمد ابن اسحاق في كتابه عن المغازي والسـير ثم أخذ أهل العلم في تدوينه بعد ذلك ، ووضع محمد المعروف بـالواقـدي كتابـا في فتوح الشام ضمنه كثيرا من سير الخلفاء الراشدين »[٢] . كما ان أول من دون السيرة النبوية ـ كما يقول جرجي زيدان ـ محمد بن اسحـاق المتوفى سنة ١٥١ هـ[٣] .

وقد إستمد المؤرخـون من غير الشيعـة معلومـاتهم التاريخيـة مما صنفـه علماء الشيعـة ، ولهذا يقـول محمد بن ادريس الشـافعي : « من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال عـلى محمد بن اسحـاق »[٤] . كما ان ابن قتيبـة استمد معلـوماتـه عن ابن الكلبي ، وعن أبيه في كتـابه عيـون الأخبار[٥] . وكذلك في كتابه الشعر والشعـراء[٦] . كما اعتمـد الطبري في تـاريخه عـلى هشام بن محمـد وأبي مخنف[٧] وكل من كتب في التـاريـخ اعتمد على هؤلاء العلماء من الشيعة . وفي ذلك يقول اغابزرك الطهـراني : « ومع اشتهار تشيعـه ـ اي لوط بن يحيى ـ اعتمـد عليه علمـاء السنة في النقـل عن كتبه كـالطبري وابن الأثـير ، بل التـاريخ الكبـير لابن جـريـر مشحـون من كتب أبي مخنف »[٨] . وهكذا أمـد علماء الشيعـة الثقافـة الاسلامية بفن جديد هو علم التاريخ والمغازي والسير .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٠ .
(٢) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .
(٣) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٩٩ .
(٤) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢١٩ .
(٥) أنظر ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ .
(٦) انظر ابن قتيبة : **الشعر والشعراء** ـ مرجع سابق ـ الجزء الأول .
(٧) أنظر **تاريخ الطبري** .
(٨) أغابزرك الطهراني : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٢ .

١٩ ـ علم الجغرافية :

ومن العلوم التي اشتغل بها الشيعة كذلك ، علم الجغرافية ، وقد صنفوا فيه كتبا كثيرة ، وأول من صنف فيه من المسلمين هشام بن محمد الكلبي من أصحاب الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين ، صنف كتاب « الاقاليم » وكتاب « البلدان الكبير » وكتاب « تسمية الأرضين » وكتاب « الأنهار » وكتاب « الحيرة » وكتاب « منازل اليمن » الى غير ذلك كما نص على ذلك ابن النديم في الفهرست[١] .

يقول الدكتور احمد سوسة : « ففي الجغرافية الوصفية وهي التي اطلق عليها اسم البلدان والمسالك والممالك ظهر عدد من الجغرافيين العرب مثل الكلبي واليعقوبي والبلاذري ..»[٢] . كما أن لأبي جعفر محمد بن خالد البرقي من أصحاب الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق كتابا في الجغرافية ، وقد ذكر ابن النديم أن لابنه أحمد بن محمد بن خالد كتاب البلدان قال أكبر من كتاب أبيه[٣] وفي ذلك يقول الزركلي : « أحمد بن خالد البرقي : باحث امامي ، له نحو مائة كتاب منها .. البلدان »[٤] . وكتاب البلدان لليعقوبي المتوفىٰ سنة ٢٧٨ هـ وقد طبع في ليدن[٥] . يقول الزركلي : « ولأحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي : مؤرخ جغرافي كثير الأسفار ،، له كتاب البلدان وتاريخه يسمى بتاريخ اليعقوبي .. وسمي كتابه البلدان الممالك والمسالك »[٦] . وفي ذلك يقول آدم متز : « وكان اليعقوبي « حوالي آخر القرن الثالث الهجري » أول جغرافي بين العرب وصف الممالك معتمدا على ملاحظاته الخاصة ، ومتكلما عن البلدان من حيث خصائصها الحقيقية وما تمتاز به »[٧] .

---

(١) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ .
(٢) أحمد سوسة : **الشريف الادريسي في الجغرافية العربية** ـ الثقافة العربية ـ مرجع سابق ـ ص ٦٠ .
(٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ .
(٤) خير الدين الزركلي : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٥ .
(٥) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٦) خير الدين الزركلي : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٩١ .
(٧) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣ .

ويرى جرجي زيدان ان « أول من دون الجغرافية منهم على نحو ما عند اليونان الشيخ أبو زيد البلخي ، الف في أول القرن الرابع كتابا في الجغرافية سماه « صور الأقاليم » ذكر فيه أمثلة منها بعد أن قسمها الى عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال ...»[١] . يقول ياقوت : « اعلم أن أبا زيد في أول أمره كان خرج في طلب الامام الى العراق ، اذ كان قد تقلد مذهب الامامية »[٢] . مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة[٣] .

واعظم جغرافي شيعي ظهر في ذلك الوقت الشريف الادريسي . ولقب بالشريف ، لأنه من الادارسة المنتسبين الى الحسن بن علي بن ابي طالب[٤] الف كتابه المشهور «« نزهة المشتاق » في ذكر الأمصار والجزر والمدائن والأفاق ، وشحنه بالخرائط اللازمة التي زادت على الأربعين ،، وكان هذا الكتاب اعظم كتاب للجغرافية في زمنه ، ترجم من أجل هذا الى اللغة اللاتينية ، وطبع ، وجاءت خريطته مطابقة لمواقع البلدان ، ولم يخطىء الادريسي في غير القليل منها[٥] .

وقد قال الكاتب الفرنسي جوتيه : « ان الشريف الادريسي الجغرافي كان الأستاذ الذي علم أوروبا هذا العلم لا بطليموس الاسكندري ، وقد ظل الادريسي معلما لأوربا ثلاثة قرون ، ولم يكن لأوروبا مصدر للعالم الا ما رسمه الادريسي ، وهو خلاصة معارف العرب في هذا الفن ـ ولم يقع الادريسي في الأخطاء التي وقع فيها بطليموس »[٦] . ولهذا استأثر كتاب الادريسي باهتمام العلماء من مستشرقين ومستغربين وباحثين في الغرب والشرق ، ونالت هذه الدراسة من تقييم وتقدير العلماء ما لم ينله أي كتاب جغرافي عربي آخر قبله[٧] . « اذ كان الادريسي أول جغرافي عربي اعتبر

---

(١) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٣ .
(٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٧٤ .
وأيضا عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ ـ ١٠٦ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ـ ص ٦٥ .
(٤) أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ١٩٦ ـ وأيضا أحمد الحوفي : **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .
(٥) أحمد مجاهد مصباح : المصدر السابق ـ ص ١٩٧ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٩٨ .
(٧) أحمد سوسة : **الشريف الادريسي ـ الثقافة العربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٦ .

الجغرافية علما مستقلا يشمل جميع أقطار العالم من ضمنها أوروبا المسيحية »[١] . « وحسبه هذه الشهادة التي تشيد بفضله : ومن كتب الادريسي التي ترجمت الى اللاتينية تعلمت أوروبا الجغرافية في القرون الوسطى »[٢] .

٢٠ ـ علم الأخلاق :

اهتم الشيعة بالتربية اهتماما كبيرا ، حتى صنفوا فيها كتبا كثيرة ، تتعلق بالأخلاق والسلوك ، وأول من صنف في ذلك علي بن أبي طالب ،، كتب كتابا فيه بعد منصرفه من صفين وأرسله الى ولده الحسن أو محمد إبن الحنفية ، وهو كتاب طويل جمع فيه أبواب علم الأخلاق ، وطرق سلوكه وأحكام الملكات وكل المنجيات والمهلكات وطرق التخلص من تلك المهلكات ، رواه علماء الفريقين واثنوا عليه ، ورواه الامام أبو محمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري وأخرجه بتمامه في كتاب الزواجر والمواعظ وقال : « ولو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه ..»[٣] .

وقد صنف علماء الشيعة في الأخلاق ، وفي المصطلح الحديث في التربية كثيرا من التصانيف يذكر منهم الباحث على سبيل المثال :

أول من صنف فيه من الشيعة ، اسماعيل بن مهران بن ابي نصر السكوني وسماه كتاب صفة المؤمن والفاجر ، وهو من علماء المائة الثانية[٤] .

كتاب الآداب للقاضى أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة سبع ومائتين[٥] .

آداب المعاشرة لأبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٦ .
(٢) أحمد الحوفي : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .
(٣) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٧ .
(٤) المصدر السابق : ص ٩٨ .
(٥) اغابزرك الطهراني : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠

سنة أربع وسبعين ومائتين[1] . وله أيضا كتاب المحاسن ، كتاب التراحم والتعاطف ، كتاب أدب النفس ، كتاب أدب المعاشرة ، كتاب التهذيب ، كتاب مذام الأخلاق ، كتاب الزهد والموعظة ، كتاب مكارم الأخلاق ، وغيرها كثير . وكان جده قد حبسه يوسف بن عمر الثقفي . والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك ، بعد قتل زيد بن علي ، ثم قتله عبد الملك[2] .

كتاب تحف العقول لأبي محمد الحسن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من علماء القرن الثالث الهجري ، صنف كتاب تحف العقول فيما جاء في الحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق . مطبوع[3] . كتاب الأدب لأبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة الزيدي المتوفى سنة ٣٣٣ هـ[4] .

كتاب العالم والمتعلم ، كتاب القضايا وآداب الحكام ، كتاب فرض طاعة العلماء ، كتاب محاسن الأخلاق ، الى غير ذلك ، لمحمد بن مسعود العياشي من علماء القرن الثالث[5] .

كتاب تلقيح العقول أكثر من مائة باب أوله باب العقل ثم باب الأدب ، ثم باب العلم وما جانس ذلك ، لأبي عبد الله المرزباني المتوفى سنة ٣٧٨ هـ[6] .

آداب الحكماء في الأخلاق للشيخ ابن عبدون المعروف في عصره بابن الحاشر المتوفى سنة ٤٢٣ هـ[7] . الى غير ذلك مما صنفه علماء الشيعة في الأخلاق وهي في الحقيقة كتب تربية في الدرجة الأولى ، لأن التربية كانت تعتمد اولا على تغيير السلوك الخلقي .

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٩ .
(٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٣٢ .
(٣) أنظر الحراني : **تحف العقول** ـ مرجع سابق .
(٤) اغابزرك الطهراني : **الذريعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠ .
(٥) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٨ الى ٢٩١ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٩٧
(٧) اغابزرك الطهراني : **الذريعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ١٧ .

٢١ ـ الشعر التعليمي :

ومن الفنون التي إستحدثها الشيعة ، ولم تكن لها اي أصول قديمة ، فن الشعر التعليمي ، الذي دفع اليه رقي الحياة العقلية في هذا العصر ، فاذا نفر من الشيعة ينظمون القصص وبعض المعارف والسير والأخبار . وكان أبان بن عبد الحميد هو أول من عمل على اشاعة هذا الفن الشعري الجديد ، فقد نظم فيه تاريخا وفقها وقصصا كثيرا . ففي التاريخ ، نظم سيرتي اردشير وأنوشروان ، وفي الفقه نظم الأحكام المتعلقة ببابي الصوم والزكاة ، كما صنع قصيدة في مبدأ الخلق وضمنها شيئا من المنطق ، وأهم من ذلك كله أنه نظم في القصص ككتاب كليلة ودمنه في اربعة عشر ألف بيت ، وقد تأثر بهذا المنحى من الشعر التعليمي ابنه حمدان فينظم مزدوجة طويلة مسرفة في الطول[١] . وكان أبان بن عبد الحميد يتشيع للعلويين[٢] .

يقول بروكلمان : « .. وقد عنى هذا الشاعر بنظم المواد الثقافية .. فانتشر أدب العجم بهذه المنظومات بين العرب .. ولأبان اللاحقي أيضا قصيدة كونية في أحوال الدنيا تسمى : ذات الحلل ، كما نظم في فرائض الصيام ، وصنف كتبا في : حكم الهند .. وتوفي أبان في حدود سنة ٢٠٠ هـ ـ ٨١٥ م .. وكان ابنه حمدان بن أبان ، وحفيده الحسن شاعرين موهوبين أيضا .. »[٣] . وهكذا ظهر الشعر التعليمي لأول مرة على يد أبان بن عبدالحميد اللاحقي[٤] .

ودخلت شعاعات من هذا الفن التعليمي الجديد إلى بيئات الاخباريين فإذا الأصمعي ينظم قصيدة طويلة في ذكر الملوك والجبابرة الهالكين ، كما دخلت في بيئات المتكلمين ، فإذا معدان الأعمى الشيعي

---

(١) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٠ ـ ١٩١ . وأيضا ابن النديم : **الفهرست** مرجع سابق ـ ص ٢٣٨ . ١٧٨ . وأيضا الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) شوقي ضيف : المصدر السابق ـ ص ٣٣٢ .

(٣) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٤) عز الدين اسماعيل : **في الشعر العباسي** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠٥ .

الشميطي أحد متكلمي الشيعة الامامية ينظم قصيدة طويلة في أصناف الشيعة وعقائدهم ، كما يقول الدكتور شوقي ضيف[1] . وهكذا وجد الشعر التعليمي في الثقافة الاسلامية .

٢٢ ـ الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية :

اختلف المسلمون في جواز الخوض في العلوم الطبيعية ودراستها ، فذهب البعض إلى تحريم دراسة العلوم الطبيعية والكونية . ويذكر الدكتور الاهواني العلة التي من أجلها حرم هؤلاء الخوض في هذه العلوم بقوله : « .. ولكن المسلمين لشدة غيرتهم على الدين وخوفهم من التحول عنه ، وجدوا من السلام الإبتعاد عن البحث في الطبيعة حتى لا يصرفهم ذلك عن الايمان والعبادة .. يضاف إلى ذلك أن الفقهاء كانوا ينظرون بعين الريبة إلى العلوم الطبيعية . والجمهور على هذا الرأي أيضا »[2] . ويستطرد الدكتور الاهواني في قوله : « ومن الذين هاجموا العلوم الطبيعية هجوما عنيفا ، وصرفوا الناس عن دراستها الغزالي للعلة التي ذكرناها ، قال : « الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم . وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء ، وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها . فاذن الكلام كان من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية ، حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع »[3] .

أما الشيعة فقد كان لهم موقف آخر من العلوم الطبيعية ، ودراستها وبحثها فقد اعتبروا أن الخوض في هذه العلوم من الأمور اللازمة التي تؤدي إلى قوة الايمان بالله سبحانه وقدرته . ولهذا كان لهم فضل كبير في العلوم الطبيعية بكل فروعها حتى ليعدوا من المؤسسين لها

---

(١) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٢ .

(٢) أحمد فؤاد الاهواني : **التربية في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٥ . وأيضا الغزالي : **المنقذ من الضلال** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ .

وواضعي قواعدها ، كما دعوا تلاميذهم إلى الاشتغال بها ، لاثراء الثقافة الاسلامية والفكر الانساني على السواء .

ويبدو أن أول من دعا إلى دراسة العلوم الكونية من المسلمين ، الإمام علي بن أبي طالب ، وفي كلامه لتلميذه كميل حين ذكر حجج الله في الأرض دليل على ذلك ، فقال : « **هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون** »[1] **ومن كلامه في الكون** : « .. **ثم زينها بزينة الكواكب ، وضياء الثواقب ، وأجرى فيها سراجا مستطيرا ، وقمرا منيرا . في فلك دائر ، وسقف سائر ، ورقيم مائر ، ثم فتق ما بين السموات العلا** .. » إلى آخر كلامه[2] .

وقد سار أئمة الشيعة على نهج الامام علي بن أبي طالب في دراسة العلوم الكونية والطبيعية ، منهم الامام جعفر الصادق . وفي ذلك يقول أبو زهرة : « .. إن الامام جعفر (رض) كان له علم بالكونيات ، وعنى بدراستها ، فقد كان عنده من القوى العقلية والنفسية والفراغ ما يجعله يتجه إلى طلب المعرفة من أي نوع كانت المعرفة ، وعندنا الكثير من الأدلة المقربة التي تدل على أنه كان له علم بالكونيات ، وقد طلب ذلك ليتخذ منه ذريعة لبيان وحدانية الله تعالى »[3] ولذلك عكف الصادق على دراسة الكون ، وما اشتمل عليه ، وحث تلاميذه أن يسلكوا مسلكه في هذه الدراسة ، حتى تخرج من مدرسته جابر بن حيان واضع علم الكيمياء . وقد ذكر ابن خلكان ذلك ، فقد قال : « **أبو عبدالله جعفر الصادق .. أحد الأئمة الاثنى عشر ، على مذهب الامامية .. ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة** »[4] .

---

(١) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٥ .
(٢) محمد عبده : **نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨ . المائر : المتحرك .
(٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ .
(٤) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٩١ .

يقول السيد أمير علي : « ولا نزاع في أن الكيمياء « بوصفها علماً » من اختراع المسلمين ويعد أبو موسى جابر بن حيان أبا الكيمياء الحديثة بحق، ويعد اسمه عنوانا على عصر جديد في علم الكيمياء يقارع في الأهمية اسم « برستلي » و « لافوازييه »[١] . ويعرفه الأوربيون باسم «Geber» وقد ألف جابر كتبا كثيرة في الكيمياء والمعادن والأحجار انتفع بها الأوربيون[٢] . كما ترجمت منها طائفة كبيرة إلى اللاتينية وأفاد منها الأوربيون فوائد كبرى مما كان له أكبر الأثر في نهضة الأبحاث الكيميائية بديارهم ، وهو ، دون نزاع ، المؤسس الأول لعلم الكيمياء عند العرب . كما يقول الدكتور شوقي ضيف[٣] . وفي ذلك يقول الرحالة : « .. **حتى قام جابر بن حيان .. وهو تلميذ جعفر الصادق (رض) فكتب سفرا جليلا في علل المعادن ودون الكيمياء في سبعين رسالة ربطها بأصول العلم ونبذ من مذاهب المتقدمين مالم يؤيده التحقيق في مجرباته ، وقد قسم هذه الصناعة إلى قسمين منها القوة النفسية وهي السيمياء ، ومنها القوة العلمية وهي الكيمياء .. وقد وضع القواعد على منهاج لم يشركه فيها أحد ولا قدر على مثله حكماء اليونان أنفسهم ، ولذلك نسب إليه هذا العلم وصار علم الكيمياء يسمى بعلم جابر** »[٤] .

وقد تتلمذ جابر على يد الامام جعفر الصادق في الاعتقاد وأصول الايمان ، واقتباسه منه جميع العلوم الإنسانية والكونية ، وقد تضافرت أقوال المؤرخين أيضا كما يقول أبو زهرة ـ على أنه تحدث إليه في طبائع الأشياء وخواص المعادن ، ومزج الأشياء بعضها ببعض[٥] . وفي ذلك يقول السيد محمد باقر الصدر : « ولم يكن لجابر هذا أستاذ غير الامام الصادق عليه السلام وقد كرر جابر ذكر اسم أستاذه في أكثر كتبه وبتعابير مختلفة . ويقول الأستاذ « هوليارد » في بحثه عن جابر بن

---

(١) السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٧١ .
(٢) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥٢ .
(٣) المصدر السابق : ص ١١٦ ـ ١١٧ .
(٤) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٧ .
(٥) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٩٦ .

حيان : « أن جابرا هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه ، وقد وجد في إمامه الفذ سندا ومعينا وراشدا أمينا وموجها لا يستغنى عنه . وقد سعى جابر لأن يحرر الكيمياء بارشاد أستاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الاسكندرية ، فنجح في هذا السبيل إلى حد بعيد » ـ حتى قال عنه الاستاذ « برتلو » في كتابه الذي نشره بباريس عن الكيمياء عند العرب قال ما نصه : إن إسم جابر ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم أرسطو في تاريخ المنطق »[١] .

وهكذا سجل المسلمون إنتصارات واسعة في دراسة العلوم الطبيعية وعلى رأسهم علماء الشيعة ، وابتكروا فيها فكرة التجربة العلمية ، وقد دون اخوان الصفاء الشيعية تسعة عشر فصلا في الدراسات الكيمياوية من مجموع فصول رسائلهم ، وكان الفضل في ذلك لجابر ، يقول الأستاذ ساريف : « وأول باحث عظيم في علم الكيمياء ، هو جابر بن حيان (٧٦٦ م) ، وقد أصبحت كتبه عند ظهورها في القمة ، وصارت بعد القرن الرابع عشر أهم مصادر هذه الدراسات وأكثرها في التأثير وقيادة التفكير العلمي في الشرق والغرب ، مما سجل بحق اسم جابر في مقدمة من أفادوا علم الكيمياء وطوروه من الناحيتين النظرية والعلمية »[٢] . ولهذا يقول كويلر يونج : « وفي ميدان العلوم الطبيعية ظهرت جهود الاسلام في الطبيعة والكيمياء ، والمعروف أن مؤسس هذا العلم هو جابر بن حيان الكوفي .. »[٣] .

هذا وقد قسم جابر العلوم إلى دينية ودنيوية : فالدينية عنده تنقسم إلى شرعية وعقلية ، والشرعية منها ظاهرة وباطنة ، والعقلية تنقسم إلى علوم معادن وعلوم حرف ، وعلوم الحرف تنقسم إلى علوم طبيعية

---

(١) محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق جـ ٢ ـ ص ٧٥ .

(٢) M.M.Saarif : **الفكر الاسلامي منابعه و آثاره** ـ ترجمة الدكتور أحمد شلبي ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٣٧ .

(٣) كويلريونج : **أثر الاسلام الثقافي في المسيحية** ـ الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث إسلامية ـ جمع محمد خلف الله ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ١٩٦٢ ـ ص ٢٤٨ .

وروحانية .. أما علوم المعاني فهي فلسفية والهيـة ، وبذلـك تكون العلـوم الدينية في رأيه أسبق في الذكر من العلوم الدنيوية ، وأن زمن الانتفاع هنا هو الأساس في التفرقة بين العلوم الدينية والدنيوية(١) .

وقد اشتغل الشيعة بهذه العلوم في فترة مبكـرة من الاسلام ، فقـد نقل عباس محمود العقاد عن ابن بابويه القمي أحد علماء الشيعة قـوله : « وهذه الرواية رواها ابن بابويه الصدوق في الخصال عن جابـر بطريقـين بينهمـا اختلاف يسـير ، ورواها الحـافظ القمي عن جابـر في تفسير قـوله تعـالى : (**إني رأيت أحد عشر كـوكبا** ..) ثم سمى تلـك النجوم بتغيـير يسـير .. يقـول العقـاد : « .. ولا نحـرص عـلى روايتـه إلا لأن الصـواب والخطـأ في هذه التـأويلات يـدلان معا عـلى موقف القـرآن الكـريم عنـد المسلمين فلا حرج عندهم في دراسة النظريات العلمية ، ولا مانع في دينهم يمنعهم أن يتقبلوها كأنها مطابقة لآيات التنزيل »(٢) . وهذا يتفق مع رأي الشيعة .

وننتهي من هذا إلى أن مؤرخي المسلمين يتفقـون على حقيقتـين كما يقول أبو زهرة : الأولى اشتغال جابر بالكيمياء والطبيعـة ، والثانيـة صلته بالامام الصادق ، وأنه كان تلميذه ومتشيعا لآل البيت(٣) . ويقول أيضا : « يذكر العلماء أن الصادق (رض) تكلم في كثير من العلوم ، ولم يكن كلامه مقصورا على علوم الاسلام ومـا يتصل بهـا ، بل تصـدى للكلام في الطب وعلـوم الطبيعة وكتب اخـواننا الامـامية كتبـا في طبه ، وفي علـومه وليس عندنا ما نرد به كلامهم ، ولا يسوغ لنا أن نتصدى لرد هذا »(٤) . كما أن هشام بن الحكم تلميذ جعفر الصادق له نظريـات خاصـة في علم الطبيعة وطبقـات الأرض ، حيث ذهب إلى القول بـأن الله خلق الأرض من طبـائـع مختلفة يمسك بعضهـا بعضا ، فـإذا ضعفت طبيعة منهـا غلبت الأخرى

---

(١) عبد اللطيف محمد العبـد : **دراسـات في الفلسفـة الإسـلاميـة** ـ القـاهـرة ـ النهضـة المصرية ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٩٢ .
(٢) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٧ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٦ .

فكانت الزلزلة ، وإن ضعفت أشد من ذلك كان الخسف[١] . كما له نظريات أخرى في تكوين المطر[٢] . وهكذا أثرى الشيعة الثقافة الإسلامية بهذه العلوم .

٢٣ ـ المنهج العلمي التجريبي :

من الواضح أن المنهج طريق يسلكه العقل وفق قواعد عامة ترشده وتقوده إلى الحقيقة . كما أن المنهج العلمي ، هو حصيلة التأمل الدقيق ، والعقل المبدع الذي يحدد القواعد ، ويميز الصحيح من الفاسد ، ويخلص إلى القوانين ، وأن الفيلسوف المنهجي ، هو الذي يتجاوز حدود التخصص المعين ، ويستقريء المناهج المختلفة للعلوم ، محاولا الاتجاه نحو التعميم ، حتى يقدم صورة واضحة للمناهج التي يسلكها العقل الإنساني للكشف عن الحقيقة في العلوم[٣] . « فالمنهج اذن هو : طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الانسانية »[٤] .

وإذا فهمنا المنهج بهذا الشكل ، يتضح أنه لم يكن لليونان وحدهم مناهج ساروا عليها ، بل كان لمن قبلهم من أمم الشرق أيضا ـ وقد وصلت إلى بحوث عميقة في العلم التجريبي والعلم الرياضي ـ مناهج ومواقف نحو البحث العلمي . « ولم تضع أمة من الأمم أو مفكرو وعلماء أمة من الأمم قبل العرب المنهج التجريبي أو الاستقرائي كمنهج »[٥] .

ثم أن منهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لأمة من الأمم ، ومدى أصالتها فحيث توجد حضارة ، يوجد منهج ، فالمنهج المعبر عن روح الحضارة اليونانية هو المنهج العقلي القياسي ، وقد احتقر أرسطو التجربة والتجريب ، حيث أعلن « النظر للسادة ، والتجربة للعبيد »

---

(١) الأشعري : **مقالات الاسلاميين** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣٤ . وأيضا البغدادي : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٢) الأشعري : المصدر السابق : ص ١٣٤
(٣) عبداللطيف محمد العبد : **دراسات في الفلسفة الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ١٩١ .
(٤) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٦ .

والمنهـج المعبر عن روح الحضـارة الأوربية هـو المنهـج التجـريبي . ولن نستقصي هنا تاريخ الحضارات المختلفـة ، لكي نتبين منهـج كل حضـارة وإنما نحاول أن نعرض لمنهج الحضارة الاسلامية ، والمنهج الـذي وضعه أصحابها ، وهو المنهج المعبر عن روحها الحقيقية ، والذي صبغ حضارتها وثقافتها معا[1] . وأن « من شروط قيام العلم أن تكون هناك طريقة تجمـع شتـات الوقـائع المتفـرقة المبعثـرة لتفسر ما قـد يوجـد بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين ثابتة وهذا هو المنهج التجريبي »[2] .

ويبـدو أن الشيعة من أقـدم الفرق الإسـلامية التي آمنت بـالمنهج العلمي بقسميـه النظـري والعمـلي ، كمـا سـاهمت في وضعـه وتطـويـر نظـريـاتـه ، ولهـذا بنىٰ علمـاء الشيعـة بعض العلـوم عـلى التجـربـة والاختبار[3] . فالإمام الصادق : « آمن بالتجربـة والنظر العقـلي والجدل طـريقا إلى الايمـان ، وسلحته معـرفتـه الـواسعـة العميقـة بـالعلـوم في الاستدلال والاقناع وجذب أصحاب العقول المبتكرة إلى الدين »[4] .

أمـا أول من استخدم المنهـج العلمي في مختلف العلوم بعـد الامام الصادق ، فتلميذه جابر بن حيـان . يقول الـدكتور زكي نجيب محمـود : « إن مذهب جابر في خطوات السـير في البحث العلمي ، خطوات تطـابق ما يتفق عليـه معظم المشتغلـين بـالمنهـج العلمي اليـوم . وتتلخص في ثـلاث خطوات رئيسية : الأولى أن يستوحي العالم مشـاهداتـه فرضـا يفرضـه ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها . والثانية أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهة النظرية الصرف . والثالثة أن يعـود بهذه النتـائج إلى الطبيعة ليرى هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداتـه الجديـدة ، فإن صدقت تحول الفرض إلى قانون علمي يركن إلى صوابه في التنبؤ بما عساه أن يحدث لو أن ظروفا بعينها توافرت . ومنهاج جابر هـذا لو فصـل القول فيه قليلا لجاء من نتائج العصر الحديث »[5] .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٦ .

(٢) علاء الدين القزويني : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم في التربية والتعلم** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠١ .

(٣) عبدالله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٤) عبدالرحمن الشرقاوي : **شخصيات إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .

(٥) جلال مظهر : **الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمي الحديث** ـ القاهرة ـ مطبعة مخيمر ـ ١٩٦٩ ـ ص ٧٢ .

أمـا المنهج التجـريبي ، فيرجـع أصله في الثقـافة الاسـلامية إلى الشيعة أيضا . يقول الأستاذ جـلال مظهر : « والحق أن جـابر بن حيـان عبقرية نسيج وحدها ، وهو للشرق مفخرة ، بل أنه من مفاخـر الانسانيـة كلهـا ، ويكفيـه فخـرا أن يكـون النبي الـذي بشر بـالمنهـج التجـريبي ، فالتدريب الذي يحدثنا عنه جابر هو ما نسميـه اليوم تجـربة يقـول جابـر « فمن كان دربا متمرنا حاذقا ، كان عالما حقا ، ومن لم يكن دربـا لم يكن عالما ، وحسبك بالدربة في جميع الصنائع أن الصانـع الدرب يحـذق وغير الدرب يعطل »[1] .

ولجابر شهرة كبيرة عند الأفرنج بما نقلوه من كتبه ، في بدء يقظتهم العلميـة . قال بـرتلو : « لجـابر في الكيميـاء ما لأرسطـو طاليس قبلـه في المنطق ، وهو أول من استخرج حـامض الكبريتيـك وسماه زيت الـزاج ، وأول من اكتشف الصـودا الكـاويـة ، وأول من استحضر مـاء الـذهب ، وينسب إليـه استحضار مـركبات أخـرى مثل كـربونـات البـوتـاسيـوم وكربونات الصوديوم .. وقال لوبون : تتألف من كتب جابر موسوعة علمية تحتـوي عـلى خـلاصـة مـا وصـل إليـه علم الكيميـاء ، عنـد العـرب في عصره .. »[2] . « فـإن طـرق التحسـين في عمليـات التبخـر والتـرشيـح والتصعيد والتذويب والتقطير والتبلور ترتبط كلها باسم « جابـر » وكذلـك ينسب إليه أنه وصف عمليتي التكليس والتحويل وصفا علميا ، وأنه جهز مواد كيماوية كثيرة منها سلفيد الزئبق ، أوكسيد الزرنيخ ، المـاء الملكي ، الزاج النقي ... وقد ظلت الأعمال التي تحمل اسمه كبيرة التـأثير في هـذا العلم في أوربا وأسيا من القرن الرابع عشر إلى الثامن عشر »[3] .

وكان لجابر معمل في بغداد يجري فيه تجاربه وبحوثه ، وله بحـوث قيمة في التكليس وفي ارجاع المعدن إلى أصله بـالأوكسجين ، وفي تحسـين طـرق التبخير والتصعيـد والصهر والتبلـور[4] . وقد زود الإمـام الصادق

---

(١) المصدر السابق : ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٢) خير الدين الزركلي : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٩١ . وأيضـا أحمد الحـوفي : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٢ .

(٣) كويلربونج : **أثر الاسلام الثقافي في المسيحية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .

(٤) أحمد الحوفي : **تيـارات ثقـافيـة** ـ مـرجـع سـابق ـ ص ٢٥٢ . وأنظـر ابن النـديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٥١٣ ـ ٥١٤ .

تلميذه بكل ما يحتاجه من أدوات للقيام بتجاربه[١] . « وقد ترجم عددا من كتبه الكثيرإلى اللغة اللاتينية فدل هذا على دوام نفوذه العلمي مدة طويلة في أوربا »[٢] .

وكان جابر أول من حضر الحوامض ، لذلك كان أبا الكيمياء ، إذ لايمكن أن يتصور علم الكيمياء بغير حوامض ، ولم يكن يعرف قبله حامض أقوى من الخل المركز كما كان أول من وصف طريقة تحضير حامض النتريك في كتابه صندوق الحكمة ، كذلك حضر الحامض الليموني ، وكان يعرف أن إضافة ملح النشادر وهو كلوريد الأمونيا إلى حامض النتريك إنما يكون الماء الملكي ، وهو محلول يذيب الذهب ، وهذه حقيقة لها أهمية تعدينية كبرى وبذلك أوجد جابر فعلا الحل للمشكلة الكيماوية الكبرى في الحصول على الذهب على شكل سائل[٣] .

وقد استخدم جابر بن حيان في تجاربه ، قياس الغائب على الشاهد ، في مجال أبحاثه الكيمياوية ، وهو بهذا يلتقي مع المنهج التجريبي الحديث في فكرة الاحتمال ، إذ أنه لا يجوز الحكم على مالم يشاهد إلا على سبيل الاحتمال[٤] . ولهذا استطاع جابر أن ينجح في العبور من الكيمياء السحرية الخرافية إلى الكيمياء العلمية التجريبية ، ودعا إلى الاعتماد على الملاحظة والتجربة[٥] .

فالمنهج التجريبي إذن نشأ على يد الشيعة . وكان أولهم جابر بن حيان تلميذ الإمام الصادق ، وبالرغم من أنه « أحد العباقرة الذين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق والطب والرصد والرياضيات والكيمياء ، والميكانيك ، والفلك وسواها من المعرفة الانسانية ، إلا أنه طغت عليه شهرته بالكيمياء ، وعرف بها ، وبأنه إمام هذا الفن من غير منازع »[٦] ... « ثم جاء من بعده الكندي المتوفى سنة ٢٦٠ فقد قسم

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .
(٢) أحمد الحوفي : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٢ .
(٣) جلال مظهر : **الحضارة الاسلاية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٢ .
(٤) عبداللطيف محمد العبد : **دراسات في الفلسفة الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ٢٠٠ .
(٥) عبده فراج : **معالم الفكر الفلسفي في الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٠ .
(٦) عبدالله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٥ .

علـوم الفلسفــة إلى ثـلاثــة : « العلم الــريــاضي ، والعلم الطبيعي ، وعلم الربوبيــة ، وهو أعــلاها في الطبــع . ثم يأتي من بعــده أبو نصر الفــارابي المتوفى ٣٣٩ هـ في مقدمة احصاء العلوم ، ومن بعده ابن سينا فانــه بــدأ التصنيف ببيــان ماهيــة الحكمة المنضمــة لنوعــين من المعرفــة النظــريــة والعملية »[١] .

وكل هؤلاء من مفكري الشيعة وفلاسفتهم[٢] . وقــد توفى جــابر بن حيــان سنــة ١٦٠ هـ وكــان لــه أول تصنيف عــربي وإســلامي في هــذا العلم[٣] . وهكذا أثرى الشيعة الفكر والثقــافة في العــالم الإسلامي بهــذا المنهج العلمي والتجريبي .

٢٤ ـ الدراسات الفلسفية عند الشيعة :

أما الدراسات الفلسفية ، فإنها كانت في طليعة المسائل التي اشتغل بها الشيعة . « ومن أفواه الشيعة تلقى أساطين الفلسفة كلامهم في العقل والنفس وفي مــذهب الأفلاطــونية الحــديثة ، ومــذهب أفلوطــين منها عــلى التخصيص »[٤] . وأول من وضــع الأصول الفلسفيــة في الإسلام ، وتكلم في قضــاياهــا المختلفة ، قبــل عصر الترجمــة والاختلاط ، هــو علي بن أبي طالب ، ولهذا جاءت الفلسفة عنــد الشيعة فلسفــة اسلاميــة بحتة ، وإذا كان فيها بعض القضايا المــذكورة من فــلاسفة غــير اسلاميــين ، إنما هي لأجل المقارنة والمناظرة . أو أنها تــرجمة لبعض كتب الفــلاسفة ، كمــا هو مــوجــود مثــلا في بعض كتب أبي نصر الفــارابي . يقــول السيــد حسن

(١) عبداللطيف محمد العبد : **دراسات في الفلسفة الاسلامية** ـ مرجــع سابق ـ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) عبدالله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ . وأيضا عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٠ . وأيضا أغابزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ـ مـرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٧٧ . و جـ ٧ ـ ص ١٢ ، وأيضا السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجــع سابق ص ٩١ ـ ٩٢ . وأنظـر الدراسات الفلسفية عند الشيعة من هذا الفصل .

(٣) عبداللطيف محمد العبد : **مناهــج البحث العلمي** ـ مكتبة النهضــة المصرية ـ ١٩٧٩ ـ ص ٣١ .

(٤) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ .

الصدر : « إن بعض العلماء تسرع في تفكير الفارابي ، حيث وجد في كتبه ما يدل على قدم العالم وإنكار المعاد وأمثال ذلك ، ولم يلتفت أن هذا كله ترجمة بالعربي لكتب بعض الفلاسفة ، لا أنه كتاب عقيدة لأبي نصر الفارابي ، أو ليس في رسالة النصوص المنسوبة إليه خلاف هذه الكلمات .. »[١] . ولهذا يقول العقاد : « والذي اتفق عليه جلة الثقات أن فلسفة الفارابي فلسفة اسلامية لا غبار عليها ، فلم ير فيها جمهرة المسلمين المعنيين بالبحث الفكري حرجا ولا موضع ريبة ، ولا نخالها تغضب متدينا بالاسلام أو بغيره من الأديان ... »[٢] .

ومهما يكن من أمر ، فالإمام علي يعتبر أول من تكلم في الفلسفة من المسلمين . يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « فلنقرأ للإمام علي هذه العبارات لنرى كيف صبغت الأحكام الفلسفية العامة في لفظ أخاذ : « **من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق** » ، « **كفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره** » ، « **لسان الصدق خير من المال الموروث** »[٣] . وفي عباراته أيضا : « **إن الله تعالى خلق العرش إظهارا لقدرته لا مكانا لذاته** » ، وقال أيضا : « **قد كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان** »[٤] . ومن آرائه في الفلسفة قوله : « **كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم . مع كل شيء لا بمقارنة . أنشأ الخلق إنشاء ، وابتدأه ابتداء ، بلا روية أجالها ، ولا تجربة استفادها .. عالمابها قبل ابتدائها ، محيطا بحدودها وانتهائها** .. »[٥] . إلى غير ذلك من كلامه في الفلسفة . ولهذا يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « وماذا نقول في موقف امتزج فيه أدب وفلسفة وفروسية وسياسة ... والأديب هنا يصوغ العبارة بحكمة الفيلسوف ، والفيلسوف هنا ينتزع الحكمة ببديهيته ... فهو الأديب الذي جادت عبارته إن شئت وهو الفيلسوف الذي نفذت بصيرته ان شئت »[٦] . « فإذا حاولنا أن نصنف هذه الأقوال تحت رؤوس عامة

---

(١) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٥ .
(٢) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة إسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ .
(٣) زكي نجيب محمود : **المعقول واللامعقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٥ .
(٤) البغدادي : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣٣ .
(٥) محمد عبده : **شرح نهج البلاغة**ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٦ .
(٦) زكي نجيب محمود : **المعقول واللامعقول**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

تجمعها ، وجدناها تدور ـ على الأغلب ـ حول موضوعات رئيسية ثلاثة ، هي نفسها الموضوعات الرئيسية التي ترد إليها محاولات الفلاسفة قديمها وحديثها على السواء ، الا وهي : الله ، والعالم ، والإنسان ، واذن فالرجل فيلسوف بمادته وإن خالف الفلاسفة »[١] .

وهكذا وضع الامام عليّ الأصول العامة للفلسفة الاسلامية . يقول أحد المؤرخين الفرنسيين : « لولا اغتيال على ، لكان من المحتمل أن يشهد العالم الاسلامي تحقيق التعاليم النبوية ، وذلك بالتوفيق بين العقل والشرع ووضع المباديء الأولى للفلسفة الحقة موضع التنفيذ »[٢] . ويرى السيد أمير على : أن اول من تكلم بالفلسفة الاسلامية هو الامام على بن أبي طالب[٣] . ولهذا لم تكن الحكمة والبحث في الامور الالهية من فن أحد من العرب ، وأول من خاض فيها من العرب على عليه السلام[٤]. ثم نمت هذه الاصول على أيدي أبنائه وشيعته أمثال محمد بن الحنفية وأبنائه ، وعلى بن الحسين ، وولده الباقر وحفيده جعفر الصادق الذي استقرت الفلسفة الاسلامية في عهده ، حتى كان هو الأصل في انتشار الفلسفة الاسلامية . ولهذا كانت مدرسة الباقر والصادق من الاسباب التي أدت الى ظهور الاتجاهات الفلسفية بين العرب[٥]. وعلى هذا فان نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، انما كان في المدينة ومن البيت العلوي[٦]. ولهذا نشأ الفكر الفلسفي في الاسلام على أيدي الشيعة وأئمتهم . وفي ذلك يقول الدكتور ابراهيم مدكور : « ففي حين أن الشيعة يتقبلون بقبول حسن كثيرا من الآراء الفلسفية ، نرى أهل السنة يقفون من هذه الآراء موقف الحذر والحيطة[٧]. ويقول أحمد أمين : « ولذلك كانت الفلسفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن »[٨]. والى مثل هذا الرأي ذهب « كارادى فو » من

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٠.
(٢) السيد أمير على : **روح الاسلام**ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٠٥ .
(٤) ابن أبي الحديد : **شرح نهج البلاغة**ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦ . وايضا أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٨ .
(٥) السيد أمير على : **روح الاسلام**ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٦) على سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي**ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٩ .
(٧) ابراهيم مدكور : **في الفلسفة الاسلامية**ـ منهج وتطبيقه ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ .
(٨) أحمد أمين : **ظهر الاسلام**ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٠ .

أن التشيع متسم بأنه فكر حر طليق(١) . ومن هنا نجد أن أول نقد ظهر في الاسلام لفلسفة ارسططاليس كان من مفكري الشيعة . يقول الدكتور النشار : « بل اننا نرى لهشام بن الحكم ، هذا المتكلم الشيعي الأول وفي زمن مبكر ، كتابا في نقد ارسطو طاليس »(٢) .

وقد انتجت هذه الدراسات الفلسفية أكبر فلاسفة المسلمين من الشيعة ، يقول عبد الله نعمة : « وهنا تبرز شخصية الفكر الشيعي بوضوح وجلاء ، أكثر من أي موضوع آخر ، ويكفي دلالة على هذا أن ألمع الشخصيات الفلسفية والرجالات الفكرية كانوا من الشيعة ، وعرفوا بميولهم الشيعية في آرائهم ونظرياتهم . ومن هؤلاء هشام بن الحكم ، وجابر بن حيان ، وأبو يوسف الكندي ، وبنو نوبخت .. والفارابي ، وأبو زيد البلخي ، وأبو بكر الرازي ، وابن سينا .. وابن مسكويه ، والبيروني .. »(٣) « والفارابي أستاذ ابن سينا بالاطلاع والقدوة .. ورعى أقوال الشيعة الامامية في شروط الامامة .. وكان اخوان الصفاء يدينون بمذهب في الامامة كهذا المذهب ويؤلفون الرسائل مع هذا في المنطق وفي علوم الرياضة والفلك وما اليها من علومهم العقلية »(٤) .

يقول الدكتور أحمد صبحي :« لا يختلف ابن سينا عن الفارابي فيما خلعه على رئيس المدينة من صفات الهية ، ولا يختلف الاثنان في رأيهما في حاكم المدينة عن رأي الشيعة في الامام »(٥) . مع أن « النزعة الشيعية في التفكير السياسي عند الفارابي لا تحتاج الى سرد مطول للأدلة ، لأنها واردة بكل وضوح في مختلف النصوص »(٦) .

ولم يقتصر الشيعة على الدراسات الفلسفية فقط ، وانما قاموا

---

(١) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة في الاسلام**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٥ .

(٢) علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي**ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ . وايضا ابن النديم : **الفهرست**ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٤ .

(٣) عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة**ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ .

(٤) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية**ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ .

(٥) أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة**ـ مرجع سابق ـ ص ٤٩٣ .

(٦) عبد المجيد مزيان : **حدود الخيال السياسي عند الفارابي**ـ دراسات فلسفية مرجع سابق ـ ص ١١٦ .

بدرسها وتدريسها ، يقول الدكتور عبد الله فياض : « ويقوم بـروز معلمين كفاة في حقول العلوم غير الشرعية بين الامامية دليلا على اهتمامهم بالغـاية الـدنيويـة من التعليم .. وفي حقل الفلسفـة بـرز بينهم ، الكنـدي ، وابن سينا ، والفارابي »[1] .

وصفوة القول ، ان الفكـر الشيعي حقق تقدمـا رائعا خـلال الفترة الواقعة بين القرن الأول والخامس الهجري ، وكيف تلقى الفكـر والثقافـة الاسلامية ما دونه الباحثون من الشيعة في مختلف العلوم ، وكيف طوروها وزادوا عليها ؟ كما ظهر لنا ما ابتكره الشيعة من أبحاث علمية وفلسفية ـ بالاضافة الى تأسيسهم لعلوم الاسلام ، وأخيرا شاهدنا هذا النتاج يقدمه الشيعة زادا ناضجاً لمفكري الاسلام بصورة خـاصة ، وللعـالم على وجـه العموم ، فكان هذا الزاد أساسا شيدت عليه النهضة الأوربية .

يقول ساريف : « ولكن الفكـر الاسلامي انحـدر بعد القـرن الثالث عشر ، فكان في خلال الفترة من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ضعيفـا هـزيـلا .. وذلـك لأن المبـالغـة التي أدخلهـا الغـزالي في الشرق الاسلامي وابن رشد في الغرب الاسلامي على الفلسفة الاسـلامية ، فـأما الأول فقد اتجه بالفلسفة الاسلامية الى الجانب الروحاني حتى انماعت في سحب التصوف ، وأما الثاني فاتجه إتجاهاً مضادا لاتجاه الغزالي فانحدر بها الى هوة المادة .. »[2] .

عـلى أن الفكر الاسـلامي لم يمت عند الشيعـة ، بـل استمـر هـذا النشاط اكثر فأكثر عـلى أيدي مفكـريهم من الفلاسفـة ، أمثال الخـواجة نصير الدين الطوسي ، والعلامة الحلي ، وعلى بن ميثم البحراني ، وصـدر الدين الشيرازي الملقب بصدر المتألهين صاحب كتاب الاسفار في الفلسفـة وغير هؤلاء من فلاسفة الشيعة . يقول ابن كثير في تاريخه :« بعد ان أخذ التتار بغداد ، عمل الخواجا نصيرـ الدين ـ الطوسي الرصد ، وعمـل دار حكمة فيها فلاسفة لكل واحد في اليوم ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للحكيم

---

(١) عبـد الله فياض : **تـاريخ التـربية عنـد الامامـيـة** ـ مرجـع سابق ـ ص ٢٢٠ . وأيضـا أغـابزرك الطهـراني : **الذريعـة الى تصـانيف الشيعـة** ـ مـرجـع سـابق ـ ج ١ ـ ص ٢٧٧ ـ ٣٢ ـ ٢٨٩ . وجـ ٧ ـ ص ١٢ .

(٢) ساريف : **الفكر الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٣ .

درهمان وصرف لأهل دار الحديث لكل محدث نصف درهم في اليوم ، ومن ثم فشا الاشتغال بالعلوم الفلسفية وظهر »[1] . ولهذا كانت الفلسفة من خواص الشيعة كما يراه أحمد أمين ، « وحتى في العصور الأخيرة كانت فارس أكثر الاقطار عناية بدراسة الفلسفة الاسلامية ونشر كتبها »[2] . وهكذا ازدهرت ونمت الدراسات الفلسفية على أيدي الشيعة . حتى الوقت الحاضر .

---

(١) عبد الحليم محمود : **الاسلام والعقل** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ص ٧٩ .
(٢) احمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٠ .

خــاتمــة

تناولت هذه الرسالة الفكر التربوي عند الشيعة منذ نشأتهم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة . ولما كان الفكر التربوي لأي فيلسوف أو جماعة من الفلاسفة والمفكرين ، يتأثر بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ، فمن الممكن القول بأن الشيعة قد عاشوا في مجتمعهم ، ولاحظوا فيه من صور الفساد والانحراف الذي منى بها ، ولهذا حاول الأئمة وشيعتهم ان يجدوا حلا يخلصهم من هذه الانحرافات التي دفعتهم الى رفض الكثير من الأمور والأوضاع التي عاشوا بينها ، محاولين اصلاحها أو تعديلها وارجاعها الى الصورة التي كانت عليها في حياة النبي (ص) ولأجل ذلك اتخذ الشيعة مختلف الوسائل لتحقيق هذا الهدف .

وقد تعرضت هذه الرسالة ايضا الى النشأة الأولى للشيعة ، حيث ذهب البحث الى أن التشيع هو الاطروحة التي بذرها الرسول (ص) لاستمرار المسيرة الاسلامية ، وأن الأئمة من أهل البيت هم الممثلون لهذه الأطروحة بحيث أوجبت تلازما وارتباطا بين الاسلام ، وبين الأئمة بمقتضى أحاديث رويت عن النبي (ص) ، ولهذا يعتقد الشيعة أن الأئمة من أهل البيت محيطون بالعلوم الالهية ، تعليما عن النبي (ص) ، وان النبي كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، وان مسئوليتهم هي تعليم الناس وتربيتهم والمحافظة على روح الاسلام وجوهره .

ونتيجة الضغوط التي تعرض لها الأئمة وشيعتهم من قبل الحكام السياسيين في الفترة موضوع البحث ، وما قام به الأئمة من محاولة التغيير واصلاح المجتمع ، واتخاذهم العلم وسيلة لهذا التغيير ، واتساع قاعدتهم الشعبية ، كل ذلك أدىٰ الى اضطهادهم واختفاء بعضهم ، كما أدى بالبعض الآخر الى الخروج واعلان الثورات .

ومما لاشك فيه ان الشيعة وأئمتهم كانوا من أوائل الذين اشتغلوا بالفلسفة وعلم الكلام ، وكونوا لهم نسقا خاصا عن الكون والانسان والحياة ، وصاغوا آراءهم العقائدية صياغة فلسفية متمشية مع القرآن

والسنة النبوية وما أخـذوه عن أئمتهم ، وهذا النسق لم يكن معـروفا من قبل ، فأرادوا له الذيـوع والانتشار بـين المسلمين ، ومن هنـا استحدثـوا طرقا خـاصة لاذاعتـه . كما أنهم كـانوا من أوائـل المعبرين عن المـذهب العقـلي في الاسلام ، وهـذا المذهب لا يخضـع للتقليد ، وانمـا يـدعـو الى التجديد باستمرار ، ولهـذا كانت آراؤهم نـابعة من فكـر حر وعن أصـالة ذاتية ، جعلتهم يبتكرون ويؤصلون علوما لم تكن معروفة ولا متداولـة من قبـل ، وعلى هـذا يظهر أن التجـديد في الآراء والأفكـار كان شـائعـا بـين صفوف الشيعة وأئمتهم .

وقد حاول البحث أن يرسم المعالم العامة للنسق الفكـري الفلسفي لـديهم ، والذي يبـرز فيه اسـاسا مـوقفهم من الاصول العـامة للعقيـدة الاسلامية وصياغتها صيـاغة فلسفيـة ، وأخذهم منهـا ما يـوافق الشرع وحكومة العقل .

رأى الشيعـة أن الله سبحانـه واحد لا شريـك له أوجـد العـالم من العدم وأبدعه بعد أن لم يكن ، وان صفاته عين ذاته ، وانه عادل لا يجـور في حكمه ، وبالتالي ينعكس عدله سبحانه على أفعال العباد ، ولهذا رأوا أن الانسان مخير وليس مسيرا أي أنه حر الارادة في تصرفاتـه الاختياريـة . فهو يثاب ويعاقب عليها . وانه مكون من مادة وروح ، وان وظيفة الانبيـاء والأئمة هي تهذيب الروح واشباع المـادة ، وقد امتـدت هذه الـوظيفة الى ولايـة الفقيه ، حيث يقـوم بمهمة التعليم وتهـذيب النفوس بعـد الامـام . فـالفقيه ليس حـاكما عنـد الشيعة فحسب ، بـل يقوم بـالمهمة التعليميـة والتربوية أيضا ، هذه الصفة للحاكم من خواص الشيعة .

وقـد اهتم الشيعـة وأئمتهم بـالعلم والحض عـلى طلبـه وتعليمـه وتعلمه ، وجعله فريضة على كل مسلم تبعا لتعاليم الاسـلام ، كما ربطـوا العلم بالعمل ، ولهـذا تعددت عنـدهم مراكـز العلم حتى شملت كل مكـان وجـدوا فيه لأنهم يـرون أن تعليم الآخرين علـوم آل البيت فـرض واجب عليهم ، ولهذا نشطوا نشاطا ملحوظا في نشر العلم وتعليمه وبذلـه لمن طلبه من دون أجر عليه ، لأنه عندهم من الوسائل التي تقربهم الى الله سبحـانه بـه . وقد اتخـذوا من المسـاجـد ومنـازل العلمـاء والأمـراء ، ودور العلم والمكتبات أماكن خاصة لتعليم العلم ، ولعبت منـازل العلماء عنـد الشيعة

دورا مهما في التعليم ، نظرا لعدم توفر الحرية الفكرية لهم في المساجد العامة ، ومع ذلك كانت هناك مساجد خاصة بهم يعلمون بها علوم أهل البيت .

ومن المطالب التربوية التي توصل إليها البحث والتي تعكس معالم فلسفتهم التربوية ما يلي :

- إن طبيعة الانسان صفحة بيضاء قابلة لكل ما ينقش عليها من علوم ومعارف ، وإن الطفل يكتسب معارفه من البيئة التي يعيش فيها ، وذلك عن طريق حواسه ، ثم يتدرج في التعليم عن طريق هذه الحواس إلى تحصيل المعارف العقلية الضرورية والكسبية .

- إن وسائل اكتساب المعارف الانسانية هي الحواس والعقل بالاضافة لما ورد به الشرع وأقوال الأئمة . ولهذا فالتعليم عندهم يبدأ من الحواس .

- طلب العلم فريضة ، فبالعلم يعرف الله ويعبد ،. وأنه يقربه الى الله سبحانه ، وأن تعلم العلم مقرون بالعمل ، كما أن العالم عليه أن يعلم غيره . وطلب العلم مستمر طوال حياة الانسان مادام مكلفا .

- تعظيم العلم والعلماء ، وملازمة المتعلم للمعلم ، وطاعته واحترامه ، لأنه الأب الروحي له .

- التدرج في التعليم ، والابتداء بالعلوم الدينية ، وأن لا يترك فنا من الفنون إلا وأخذ منه .

- العطف على المتعلمين ورعايتهم وانزالهم منزلة الولد ، والاهتمام بتعليمهم لأنه حق من الحقوق الدينية والاجتماعية .

وعلى الرغم من أن النظام التربوي عند الشيعة فرع من نظام تربوي اسلامي عام ، فإن له ميزاته التي تميزه عن غيره من فروع التربية الإسلامية الأخرى ، فالشيعة رغم اعتقادهم أن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وأن السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون ان غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما الحقيقية . ويعتقد الشيعة أن حملة الشريعة الاسلامية الذين

أناط بهم النبي (ص) توضيحها بأمر من ربه هم الأئمة المعصومون . وترتب على ذلك الاعتقاد أن تفاسير القرآن والسنة الموجودة عند المسلمين من غير الامامية عرضة للخطأ والاضافة والنقص ، لأن نقلتها كانوا غير معصومين . ونتج عن هذا الاختلاف في الاعتقاد بين الشيعة وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن . فالرحلة في طلب العلم ، خاصة في عصر الأئمة ، اتخذت عند الشيعة طابعا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين ، فهي عند الشيعة تحقق غرضا دينيا اماميا في طابعه ، بالاضافة الى الغرض العلمي . فالطالب الامامي يرحل للقاء الامام ليأخذ الحديث من مصدره الذي لا شك في قوله ، في حين أن الطالب غير الامامي يرحل لتلقي الحديث من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة .

هذه خلاصة تمثل طرفا من فلسفة التربية عند الشيعة ، والتي لم تنفصل في مجالها التطبيقي في تربية الانسان .

مقترحات ببحوث أخرى قادمة :

وأخيرا فإني لا أظن بهذه الرسالة قد أتيت على كل آراء الشيعة التربوية في الفترة موضوع البحث ، وربما فاتني الكثير منها ، وهذه الدراسة لا تمثل كل النظام التربوي لديهم ، بل تمثل جزءا من آرائهم في التربية ، وهناك دراسات كثيرة يجب الكشف عنها وتقديمها للدرس والبحث ، لعلها تكشف عن أصالة الفكر التربوي في الاسلام وطراوته وجدته . ومن هذه الدراسات :

١ ـ دراسة لأئمة الشيعة كل على حدة ، واستقراء آرائهم الفلسفية والتربوية في مجالي النظر والتطبيق ، لكي تكتمل حلقة هذه الدراسة التربوية من تراثنا الاسلامي . خصوصا وأن الأئمة من أهل البيت قد مارسوا الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية ، وكان لهم تلاميذ ومريدون لازموهم وتتلمذوا عليهم ونشروا علومهم تعليما وتعلما .

٢ ـ دراسة علماء وشيوخ الشيعة الذين قاموا بعملية التعليم ، من حيث حياتهم الاجتماعية والظروف التي عاشوا فيها والآراء الفلسفية

والتربوية التي نادوا بها ، ومدى أثرهم في الفكر والثقافة الاسلامية ، أمثال هشام بن الحكم ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ الطوسي ، والعلامة الحلي وغير هؤلاء من علماء وشيوخ الشيعة .

٣ ـ دراسة المراكز العلمية لدى الشيعة ، كل مركز مستقل عن الآخر ، والكشف عن مدى تأثير هذه المراكز على الفكر والتطبيق التربوي في العالم الاسلامي ففي هذه الدراسة إثراء لثقافتنا الاسلامية .

٤ ـ دراسة المنهج النظري والمنهج العلمي التجريبي عند جابر بن حيان ، ومدى صلته بالامام جعفر الصادق ، بالاضافة الى أهم الآراء التربوية التي أدلى بها ومقارنتها بمناهج مفكري الاسلام .

٥ ـ تعتبر جامعة النجف من أكبر وأعظم جامعات العالم الاسلامي ، وقد تخرج منها آلاف العلماء أثروا الفكر والثقافة الاسلامية بمختلف العلوم والفنون منذ نشأتها حتى اليوم . ولهذا فالباحث يضع هذه الجامعة أمام الباحثين لدراستها دراسة موضوعية ، لعلنا نضيف إلى ثقافتنا ثقافة جديدة لما أوتيت هذه الجامعة من ضروب العرفان خصوصا وقد أنتجت كثيرا من المفكرين . **ولعل أهم مفكر جدير بالانتباه ـ السيد محمد باقر الصدر ـ فدراسة حياته و آرائه الفلسفية والفكرية والتربوية لها أثر كبير في اثراء الفكر التربوي الاسلامي** .

وكل ما أرجوه ، هو أن اكون قد وفقت في هذه الدراسة ، وفيما قدمته من آراء وأفكار فلسفية وتربوية للشيعة ، والله ولي التوفيق ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه .

المراجع العربية

١ ـ **القرآن الكريم** .

٢ ـ إبراهيم مدكور : **في الفلسفة الاسلامية ـ منهج وتطبيقه** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ .

٣ ـ ابن الاثير « أبو الحسن علي بن أبي الكرم » : **الكامل في التاريخ** ط ٣ ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ ١٩٨٠ .

٤ ـ ابن النديم : **الفهرست** ـ القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ـ بدون تاريخ .

٥ ـ ابن حجر العسقلاني : **الاصابة في تمييز الصحابة** ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧١ .

٦ ـ ابن خلدون : **المقدمة** ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر ـ بدون تاريخ .

٧ ـ ابن خلكان « أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي الكرم » : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ ط ١ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ .

٨ ـ ابن منظور : **لسان العرب** .

٩ ـ أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الانباري : **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ .

١٠ ـ أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل : **مقالات الاسلاميين واختلاف** المصلين تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٩ .

١١ ـ أبو الحسن بن موسى النوبختي : **فرق الشيعة** ـ ط ٣ ـ النجف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

١٢ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ ط ٣ ـ

مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ .
١٣ ـ أبو الحسين ورام بن أبي الفوارس الأشتري : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** المعروف بمجموعة ورام ـ ط ٣ ـ المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .
١٤ ـ أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني : **الملل والنحل** تحقيق محمد سيد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي بمصر ـ ١٩٦١ .
١٥ ـ أبو المظفر الاسفراييني : **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين** ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ ١٩٥٥ .
١٦ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ المدينة ـ المكتبة السلفية ـ بدون تاريخ .
١٧ ـ أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري : **الرياض النصرة في مناقب العشرة** ط ١ ـ محل السادات محمد أمين الخانجي بالأستانة ومصر ـ بدون تاريخ .
١٨ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : **جامع البيان عن تأويل القرآن** ط ٢ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ بدون تاريخ .
١٩ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : **تاريخ الطبري** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٢ .
٢٠ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي : **الخصال** ـ بيروت دار التعارف ـ ١٣٨٩ هـ .
٢١ ـ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني : **أصول الكافي** ـ ايران مطبعة حيدري ـ بدون تاريخ .
٢٢ ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : **المنقذ من الضلال** ـ تحقيق عبدالحليم محمود ـ القاهرة ـ مطبعة حسان ـ بدون تاريخ .
٢٣ ـ أبو حيان التوحيدي : **الامتاع والمؤانسة** ـ بيروت ـ مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ .
٢٤ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ـ تحقيق على محمد البجاوي ـ ط ١ ـ دار احياء الكتب العربية ـ ١٩٦٣ .

٢٥ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : **البيان والتبيين** ـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ـ ط ٤ ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ ١٩٧٥ .
٢٦ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني : **تحف العقول عن آل الرسول** ـ النجف الأشرف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٨٥ .
٢٧ ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : **الامامة والسياسة** ـ ط ٣ ـ مطبعة مصطفى البابي بمصر ـ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م .
٢٨ ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : **الشعر والشعراء** ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار التراث العربي ـ ١٩٧٧ .
٢٩ ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ القاهرة ـ دار الكتب ١٩٢٨ .
٣٠ ـ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي : **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ـ بغداد ـ مكتبة مثنى ـ بدون تاريخ .
٣١ ـ أحمد أمين : **فجر الاسلام** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار الشباب للطباعة ـ ١٩٧٨ .
٣٢ ـ أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ ط ٩ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ .
٣٣ ـ أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ .
٣٤ ـ أحمد أمين : **يوم الاسلام** ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٢ .
٣٥ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : **تاريخ اليعقوبي** ـ ط ٤ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ .
٣٦ ـ أحمد بن حجر الهيتمي المكي : **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .
٣٧ ـ أحمد بن عبدالله القلقشندي : **مآثر الأناقة في معالم الخلافة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٢ .
٣٨ ـ أحمد بن يحيى البلاذري : **أنساب الاشراف** ـ تحقيق الدكتور

محمد حميد الله ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٩ .
٣٩ ـ أحمد بهجت : **الله في العقيدة الاسلامية** ـ ط ٢ ـ المختار الاسلامي ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
٤٠ ـ أحمد شلبي : **التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية** ـ ط ٥ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ .
٤١ ـ أحمد شلبي : **التربية الاسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ .
٤٢ ـ أحمد شلبي : **تاريخ المناهج الاسلامية** ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ .
٤٣ ـ أحمد عبدالرحمن عبد اللطيف الجاحد : **الاتجاه الاسلامي عند بعض مفكري التربية في مصر وأثره في التطبيق التربوي من ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢** ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ـ جامعة المنوفية ـ ١٩٨٣ .
٤٤ ـ أحمد فؤاد الأهواني : **التربية في الاسلام** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ .
٤٥ ـ أحمد كمال زكي : **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثالث الهجري** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧١ .
٤٦ ـ أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي** ـ ط ٢ ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر ـ ١٩٧٨ .
٤٧ ـ أحمد محمد الحوفي : **أبو حيان التوحيدي** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ بدون تاريخ .
٤٨ ـ أحمد محمد الحوفي : **أدب السياسة في العصر الأموي** ـ ط ٥ ـ القاهرة دار نهضة مصر ـ ١٩٧٩ .
٤٩ ـ أحمد محمد الحوفي : **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** ـ ط ٣ ـ القاهرة دار نهضة مصر ـ ١٩٧٨ .
٥٠ ـ أحمد محمود صبحي : **في علم الكلام ـ المعتزلة ، الاشاعرة** ـ الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية ـ ١٩٧٨ .
٥١ ـ أحمد محمود صبحي : **نظرية الامامة لدى الشيعة الأثنى عشرية** ـ القاهرة دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ .
٥٢ ـ أدم متز : **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ـ ترجمة

محمد عبدالهادي أبو ريدة ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ .
٥٣ ـ آغابزرك الطهراني : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ ط ٢ ـ طهران ـ ١٩٦٨ .
٥٤ ـ السيد الشريف الرضي : **حقائق التأويل في متشابه التنزيل** ـ ترجمة عبدالحسين العلي ـ دار المهاجر ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
٥٥ ـ السيد أمير علي : **روح الاسلام** ـ ترجمة أمين محمود الشريف ـ المطبعة النموذجية بالجماميز ـ ١٩٦٣ .
٥٦ ـ السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ ١٣٣١ هـ .
٥٧ ـ السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ـ بدون تاريخ .
٥٨ ـ السيد علي نقي الحيدري : **أصول الاستنباط** ـ ط ٢ ـ بغداد ـ مطبعة الرابطة ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .
٥٩ ـ السيد محمد الحسيني الشيرازي : **شرح منظومة السبزواري** ـ قم ـ ايران ـ مطبعة مهر ـ بدون تاريخ .
٦٠ ـ السيد محمد العيناثي : **آداب النفس** ـ طهران ـ المكتبة المرتضوية ـ ١٣٨٠ هـ .
٦١ ـ السيد مرتضى العسكري : **عبدالله بن سبأ** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ .
٦٢ ـ الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي : **تاريخ الجهمية والمعتزلة** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
٦٣ ـ الشيخ علاء الدين المتقي الهندي : **كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال** ـ ط ٢ ـ حيدر آباد ـ مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ .
٦٤ ـ الشيخ مرعي الأمين الأنطاكي : **لماذا اخترت مذهب الشيعة** ـ ط ٣ ـ حلب مؤسسة العرفان ـ بدون تاريخ .
٦٥ ـ القاضي النعمان بن محمد : **اختلاف أصول المذاهب** ـ تحقيق مصطفى غالب ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٧٣ .

٦٦ ـ الكسيس كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ـ ترجمة شفيق أسعد فريد ـ بيروت ـ مؤسسة المعارف ـ ١٩٧٧ .
٦٧ ـ **أمالي الصادق** : تحقيق محمد الخليلي ـ النجف اوشرف ـ مطبعة النعمان ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م .
٦٨ ـ أمير محمد الكاظمي القزويني : **رد على رد السقيفة** ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ .
٦٩ ـ أمير محمد الكاظمي القزويني : **مع النشاشيبي في كتابه الاسلام الصحيح** مطابع اليقظة ـ بدون تاريخ .
٧٠ ـ أمير محمد الموسوي القزويني : **أصول المعارف** ـ ط ١ ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ .
٧١ ـ اميل فهمي حنا : **المذاهب والآراء التربوية** ـ دار العلم للطباعة ـ ١٩٧٧ .
٧٢ ـ باقر شريف القرشي : **النظام التربوي في الاسلام** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ .
٧٣ ـ برتراندرسل : **تاريخ الفلسفة الغربية** ـ الفلسفة الحديثة ـ ترجمة محمد فتحي الشنيطي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ .
٧٤ ـ بول وودرنج : **نحو فلسفة التربية** ـ ترجمة سعد مرسي أحمد ، فكري حسن ريان ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٦٦ .
٧٥ ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : **الخطط** ـ طبعة بولاق ـ ١٢٧٠ هـ .
٧٦ ـ توفيق الطويل : **أسس الفلسفة** ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ .
٧٧ ـ جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ دار الهلال ـ ١٩٥٨ .
٧٨ ـ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : **ماضي النجف وحاضرها** ـ ط ٢ ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٥٨ .
٧٩ ـ جلال الدين السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة المدني ـ ١٩٦٤ .
٨٠ ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ـ الكاظمية ـ دار الكتب العراقية ـ بدون تاريخ .

٨١ ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٩٦٥ ٨
٨٢ ـ جلال مظهر : **الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمي الحديث** ـ القاهرة مطبعة مخيمر ـ ١٩٦٩ .
٨٣ ـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي : **إنباه الرواة على أنباء النحاة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط ١ ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٠ .
٨٤ ـ جمال الدين أبو منصور الشهيد الثاني : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ طهران ـ المكتبة العلمية الاسلامية ـ ١٣٧٨ هـ .
٨٥ ـ جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر العلامة الحلي : **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمي ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٨٦ ـ جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** ـ القاهرة ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ ١٩٣٥ .
٨٧ ـ جورج ـ ف ـ نيلر : **مقدمة الى فلسفة التربية** ـ ترجمة نظمي لوقا ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٧٧ .
٨٨ ـ جوستاف جرونيباوم : **الحضارة الاسلامية** ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة مصر ـ بدون تاريخ .
٨٩ ـ جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة في الاسلام** ـ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ـ القاهرة ـ دار الكاتب المصري ـ ١٩٤٦ .
٩٠ ـ جون ديوي : **الديمقراطية والتربية** ـ ترجمة نظمي لوقا ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٧٨ .
٩١ ـ حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ـ بغداد ـ مكتبة المثنى ـ ١٩٤١ .
٩٢ ـ حامد عبد السلام زهران : **علم نفس النمو** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٧ .
٩٣ ـ حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ .
٩٤ ـ حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ

النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ .
٩٥ ـ حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية للفكر السياسي الاسلامي** ـ رسالة دكتوراه غير مطبوعة ـ جامعة القاهرة ـ قسم العلوم السياسية ١٩٨٠ .
٩٦ ـ حسن عبد العال : **التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ـ رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٨ .
٩٧ ـ حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة في التاريخ الاسلامي ـ جامعة بغداد ـ النجف الأشرف ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٧٥ .
٩٨ ـ حسون ملارجي الدلفي : **فضائل آل الرسول في المعقول والمنقول** ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي ـ ١٩٧٣ .
٩٩ ـ حسين أحمد البراقي النجفي : **تاريخ الكوفة** ـ النجف ـ المكتبة المرتضوية ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .
١٠٠ ـ حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني : **الأقوال الذهبية في الطب النفساني** تحقيق عبد اللطيف العبد ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ .
١٠١ ـ خوليان ريبيرا : **التربية الاسلامية في الاندلس** ترجمة الطاهر أحمد مكي ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ .
١٠٢ ـ خير الدين الزركلي : **الاعلام** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .
١٠٣ ـ **دائرة المعارف الاسلامية الشيعية** : **بيروت** ـ دار التعارف ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .
١٠٤ ـ دوايت م . دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ تعريب ع ـ م ـ مصر ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٤٦ .
١٠٥ ـ رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ جامعة الأزهر ـ كلية الشريعة والقانون ـ بغداد ـ مطبعة دار السلام ـ ١٩٧٣ .
١٠٦ ـ رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ ط ٦ ـ بيروت ـ ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ .
١٠٧ ـ روث م ـ بيرد : **جان بياجية وسيكولوجية نمو الأطفال**

ـ ترجمة د /فيولا فارس الببلاوي ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧ .
١٠٨ ـ روكس بن زائد العزيزي : **الامام علي** ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .
١٠٩ ـ زكريا ابراهيم : **المشكلة الخلقية** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ دار مصر للطباعة ـ ١٩٨٠ .
١١٠ ـ زكي نجيب محمود : **المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري** ط ٢ ـ بيروت دار الشروق ـ ١٩٧٨ .
١١١ ـ زكي نجيب محمود : **نظرية المعرفة** ـ مطبعة وزارة الارشاد القومي ـ ١٩٥٦ .
١١٢ ـ ساريف : **الفكر الاسلامي منابعه و آثاره** ـ ترجمة د / أحمد شلبي ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ .
١١٣ ـ سامي نصر لطف : **الحرية المسئولة في الفكر الفلسفي الاسلامي** ـ مكتبة الحرية الحديثة ـ ١٩٧٧ .
١١٤ ـ سبط بن الجوزي يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي : **تذكرة الخواص** ـ طهران ـ مكتبة نينوى الحديثة ـ بدون تاريخ .
١١٥ ـ سعد مرسي أحمد : **تطور الفكر التربوي** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٥ .
١١٦ ـ سعيد اسماعيل علي : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** دراسات فلسفية ـ تصدير ابراهيم مدكور ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٦ .
١١٧ ـ سعيد اسماعيل علي : **النزعة العقلية في الفكر التربوي العربي** ـ الثقافة العربية ـ تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ العدد الخامس ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ .
١١٨ ـ سعيد اسماعيل علي : **أوضاع المربين العرب** ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ .
١١٩ ـ سعيد اسماعيل علي : **ديمقراطية التربية الاسلامية** ـ القاهرة ـ دار الثقافة ١٩٧٤ .
١٢٠ ـ سعيد اسماعيل علي : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراسات في فلسفة التربية ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٨١ .

١٢١ ـ سعيد اسماعيل علي : **معاهد التعليم الاسلامي** ـ القاهـرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ ١٩٧٨ .

١٢٢ ـ سعيد اسماعيل علي : **مكانة العمل في الفكر التربوي** ـ الكتـاب السنوي في التربية وعلم النفس ـ المجلد السادس ـ القاهرة ـ دار الثقافة ١٩٧٩ .

١٢٣ ـ سعيد اسماعيل علي : **نشأة التربية الاسلامية** ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٨ .

١٢٤ ـ سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري : **كتاب الأصل** ـ بـيروت ـ منشورات دار الفنون للطباعة والنشر ـ ١٩٨٠ م ـ ١٤٠٠ هـ .

١٢٥ ـ سنيـة قراعـة : **تاريـخ الأزهر في ألف عـام** ـ القاهـرة ـ مكتبـة الصحافة الدولي ١٩٦٨ .

١٢٦ ـ سيـد ابراهيم الجيـار : **دراسات في تـاريخ الفكـر التربـوي** ـ القاهرة ـ دار غريب ١٩٧٧ .

١٢٧ ـ سيد أحمد عثمـان : **التعليم عند بـرهان الا سـلام الزرنـوجي** ـ الأنجلو مصرية ١٩٧٨ .

١٢٨ ـ سيف الدين الآمدي : **غاية المرام في علم الكلام** ـ تحقيق محمـد عبد اللطيف ـ القاهرة ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ١٩٧١ .

١٢٩ ـ شـوقي ضيف : **التطور والتجـديد في الشعـر الأموي** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٣ .

١٣٠ ـ شـوقي ضيف : **المدارس النحـويـة** ـ القـاهـرة ـ دار المعـارف ـ ١٩٦٨ .

١٣١ ـ شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول** ـ ط ٧ ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧٨ .

١٣٢ ـ شيخ سليمان البلخي القندوزي : **ينابيع المودة** ـ ط ٢ ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ .

١٣٣ ـ صبحي الصـالح : **معـالم الشريعة الاسـلامية** ـ بـيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٥ .

١٣٤ ـ طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ـ مطبعـة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن الهند ـ ١٣٢٨ هـ .

١٣٥ ـ طـه حسين : **الفتنـة الكبرى ـ عثمـان** ـ ط ٦ ـ القـاهـرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٦ .

١٣٦ ـ طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ علي وبنوه ـ ط ٩ ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧٨ .
١٣٧ ـ عباس القمي : **الكنى والألقاب** ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٩٥٦ .
١٣٨ ـ عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ .
١٣٩ ـ عبدالحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمي ـ بدون تاريخ .
١٤٠ ـ عبدالحكيم بلبع : **أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٦٩ .
١٤١ ـ عبد الحليم محمود : **الاسلام والعقل** ـ القاهرة ـ دار المعارف . ١٩٨٠ .
١٤٢ ـ عبد الرحمن الشرقاوي : **شخصيات اسلامية** ـ أئمة الفقه التسعة ـ بيروت ـ دار اقرأ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
١٤٣ ـ عبدالرحمن جلال الدين السيوطي : **المزهر** ـ مطبعة عيسى البابي بمصر ـ بدون تاريخ .
١٤٤ ـ عبد الصاحب الحسيني العاملي : **الأخلاق عند الرسول وأصحابه** ـ بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ ١٩٦٩ .
١٤٥ ـ عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق في حديث واحد** ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ مطبعة النعمان ـ ١٩٧٦ .
١٤٦ ـ عبد الغني عبود : **في التربية الاسلامية** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٧ .
١٤٧ ـ عبد الفتاح اسماعيل شلبي : **أبو علي الفارسي** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٣٧٧ هـ .
١٤٨ ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : **الفرق بين الفرق** ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ القاهرة ـ مطبعة المدني ـ بدون تاريخ .
١٤٩ ـ عبد الكريم الخطيب : **القضاء والقدر بين الفلسفة والدين** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ الفكر العربي ـ ١٩٧٩ .
١٥٠ ـ عبد اللطيف محمد العبد : **دراسات في الفلسفة الاسلامية** ـ

النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
١٥١ ـ عبد اللطيف محمد العبد : **مناهج البحث العلمي** ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٩ .
١٥٢ ـ عبدالله شبر : **حق اليقين في معرفة أصول الدين** ـ ط ٢ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .
١٥٣ ـ عبدالله عبدالدائم : **التربية عبر التاريخ** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٣ .
١٥٤ ـ عبدالله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ بغداد ـ مطبعة أسعد ـ ١٩٧٢ .
١٥٥ ـ عبدالله نعمة : **فلاسفة الشيعة ـ حياتهم وآراؤهم** ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ .
١٥٦ ـ عبدالهادي الفضلي : **دليل النجف الاشرف** ـ مطبعة الآداب في النجف ـ بدون تاريخ .
١٥٧ ـ عبده فراج : **معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى** ـ ط ١ ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٦٩ .
١٥٨ ـ عبيدالله بن عبدالله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابوري : **شواهد التنزيل لقواعد التفصيل** ـ ط ١ ـ بيروت مؤسسة الاعلمي ـ ١٣٩٣ هـ ١٩٧٤ م .
١٥٩ ـ عز الدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد **شرح نهج البلاغة** ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ بدون تاريخ .
١٦٠ ـ عز الدين اسماعيل : **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي** ـ بيروت ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٧٦ .
١٦١ ـ عز الدين اسماعيل : **في الشعر العباسي ـ الرؤية والفن** ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ .
١٦٢ ـ علاء الدين أمير محمد القزويني : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم في التربية والتعليم** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية ـ عين شمس أصول التربية ـ ١٩٨١ .
١٦٣ ـ علي ابراهيم حسن : **التاريخ الاسلامي العام** ـ القاهرة ـ

النهضة المصرية ـ بدون تاريخ .
١٦٤ ـ علي القاضي : **أضواء على التربية في الاسلام** ـ القاهرة ـ دار الطباعة الحديثة ـ ١٩٧٩ .
١٦٥ ـ علي بن أبي طالب : **الصحفية العلوية المباركة** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ التعارف للمطبوعات ـ بدون تاريخ .
١٦٦ ـ علي بن علي بن محمد الحنفي : **مختصر شرح العقيدة الطحاوية** ـ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ـ بدون تاريخ .
١٦٧ ـ علي حسني الخربوطلي : **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٥٩ .
١٦٨ ـ علي خليل أبو العينين . **فلسفة التربية في القرآن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٨٠ .
١٦٩ ـ علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام** ـ ط ٧ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ .
١٧٠ ـ علي محمد الحسين الأديب : **منهج التربية عند الامام علي** ـ المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .
١٧١ ـ غانم سعيد العبيدي : **التعليم الأهلي في العراق ـ تطوره ، ومشكلاته** ـ بغداد ـ مطبعة الجمهورية ـ ١٩٧٠ .
١٧٢ ـ فؤاد زكريا : **آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة** ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥ .
١٧٣ ـ فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مكتبة الحرية الحديثة ـ عين شمس ـ ١٩٨٢ .
١٧٤ ـ كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ـ ترجمة د. عبدالحليم النجار ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ .
١٧٥ ـ كمال الدين هيثم بن علي بن ميثم البحراني : **شرح نهج البلاغة** ـ طهران ـ مؤسسة النصر ـ ١٣٧٨ هـ .
١٧٦ ـ كويلر يونج : **أثر الاسلام الثقافي في المسيحية** ـ الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث اسلامية ـ جمع محمد خلف الله ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ .
١٧٧ ـ لجنة التأليف في دار التوحيد : **الامام الباقر** ـ الكويت ـ دار التوحيد ـ ١٩٨٢ .

١٧٨ ـ لويس معلوف : المنجد .
١٧٩ ـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير : **النهاية في غريب الحديث والأثر** ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ـ بيروت ـ دار احياء التراث العربي ـ بدون تاريخ .
١٨٠ ـ مجد الدين الفيروز أباذي : **القاموس المحيط** .
١٨١ ـ محمد أبو الفيض ابراهيم : **مقدمة كتاب أمالي الشريف المرتضى** عليّ بن الحسين الموسوي العلوي ـ دار احياء الكتب العربية ـ ١٩٥٤ .
١٨٢ ـ محمد أبو زهرة : **أبو حنيفة ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٧ .
١٨٣ ـ محمد أبو زهرة : **الامام الصادق ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ .
١٨٤ ـ محمد أبو زهرة : **الامام زيد ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٤ .
١٨٥ ـ محمد أبو زهرة : **مالك ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٥٢ .
١٨٦ ـ محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ .
١٨٧ ـ محمد أبو زهرة : **محاضرات في أصول الفقه الجعفري** ـ القاهرة ـ معهد الدراسات العربية ـ ١٩٥٥ .
١٨٨ ـ محمد الصادقي : **علي والحاكمون** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .
١٨٩ ـ محمد الهادي عفيفي : **الأصول الثقافية للتربية** ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ١٩٧٨ .
١٩٠ ـ محمد الهادي عفيفي : **الأصول الفلسفية للتربية** ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٧٨ .
١٩١ ـ محمد باقر الصدر : **الصحيفة السجادية** ـ دار التبليغ الاسلامية ـ بدون تاريخ .
١٩٢ ـ محمد باقر الصدر : **المدرسة الاسلامية** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١٩٣ ـ محمد باقر الصدر : **المعالم الجديدة للأصول** ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٥ هـ .
١٩٤ ـ محمد باقر الصدر : **بحث حول الولاية** ـ ط ٢ ـ دار التعارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
١٩٥ ـ محمد باقر الصدر : **خلافة الانسان وشهادة الأنبياء** ـ قم ـ ايران ـ مطبعة الخيام ـ ١٣٩٩ هـ .
١٩٦ ـ محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٧٠ .
١٩٧ ـ محمد باقر الصدر : **لمحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الاسلامية** ـ ط ٢ ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م ١٣٩٩ هـ .
١٩٨ ـ محمد باقر الصدر : **منابع القدرة في الدولة الاسلامية** ـ مجلة صوت الأمة ـ العدد الرابع ـ السنة الاولى ـ رجب ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ وزارة الارشاد في جمهورية ايران الاسلامية .
١٩٩ ـ محمد باقر الصدر : **موجز في أصول الدين** ـ مطابع صوت الخليج ـ بدون تاريخ .
٢٠٠ ـ محمد باقر المجلسي : **بحار الأنوار** ـ طهران ـ شركة طبع بحار الأنوار ـ ١٣٧٦ هـ .
٢٠١ ـ محمد بحر العلوم : **موسوعة العتبات المقدسة** ـ قسم النجف ـ مقالة بعنوان : الدراسة وتاريخها في النجف ـ بيروت ـ دار الكتب ـ ١٩٦٥ .
٢٠٢ ـ محمد تقي الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٦٣ .
٢٠٣ ـ محمد تقي فلسفي : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ ترجمهُ عن الفارسية فاضل الحسيني الميلاني ـ ط ٢ ـ مطبعة الآداب في النجف الأشرف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .
٢٠٤ ـ محمد جعفر شمس الدين : **دراسات في العقيدة الاسلامية** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ .
٢٠٥ ـ محمد جواد فضل الله : **الامام الرضا تاريخ ودراسة** ـ بيروت ـ دار الزهراء ١٩٧٣ .

٢٠٦ ـ محمد جواد فضل الله : **حجر بن عدي الكندي** ـ بيروت ـ دار التراث الاسلامي ١٩٧٤ .
٢٠٧ ـ محمد جواد مغنية : **دول الشيعة في التاريخ** ـ ط ٢ ـ النجف ـ مطابع النعمان ـ ١٩٦٥ .
٢٠٨ ـ محمد جواد مغنية : **في ظلال الصحيفة السجادية** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ .
٢٠٩ ـ محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الاسلامية** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار القلم ١٩٧٣ .
٢١٠ ـ محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ المطبعة الحيدرية في النجف ـ ١٩٧٩ .
٢١١ ـ محمد حسين الزين : **الشيعة في التاريخ** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار الآثار ـ ١٩٧٩ .
٢١٢ ـ محمد حسين الطالقاني : **مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار** ـ النجف الأشرف ـ مكتبة دار المعارف ـ ١٣٨٩ هـ .
٢١٣ ـ محمد حسين الطباطبائي : **القرآن في الاسلام** ـ تعريب أحمد الحسيني ـ بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣.
٢١٤ ـ محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة وأصولها** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بدون تاريخ .
٢١٥ ـ محمد حسين آل كاشف الغطاء : **التثبت قبل الحكم** ـ دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام ـ جمع محمد محمد المدني ـ القاهرة دار التحرير ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .
٢١٦ ـ محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الاسلام** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
٢١٧ ـ محمد حسين هيكل : **حياة محمد** ـ القاهرة ـ ط ٦ ـ دار المعارف ـ ١٩٨١ .
٢١٨ ـ محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ بدون معلومات .
٢١٩ ـ محمد عاطف العراقي : **ثورة العقل في الفلسفة العربية** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٨ .
٢٢٠ ـ محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم في الاندلس** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٨٢ .

٢٢١ ـ محمد عبدالمنعم خفاجي : **أعلام الأدب في عصر بني أمية** ـ دار العهد الجديد للطباعة ـ ١٩٥٤ .

٢٢٢ ـ محمد عبده : **شرح نهج البلاغة** ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ بدون تاريخ .

٢٢٣ ـ محمد عطية الابراشي : **التربية الاسلامية وفلاسفتها** ـ ط ٣ ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ـ ١٩٧٥ .

٢٢٤ ـ محمد علي أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام** ـ الاسكندرية ـ دار الجامعات المصرية ـ ١٩٧٤ .

٢٢٥ ـ محمد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية ـ ١٩٧٩ .

٢٢٦ ـ محمد عمارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ـ ط ١ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية ـ ١٩٧٢ .**

٢٢٧ ـ محمد فوزي العنتيل : **التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها** ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٧ .

٢٢٨ ـ محمد قطب : **منهج التربية الإسلامية ـ ط ٤ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٨٠ .**

٢٢٩ ـ محمد كامل الفقي : **الازهر واثره في النهضة الأدبية الحديثة** ـ القاهرة ـ المطبعة المنيرية ـ ١٩٥٦ .

٢٣٠ ـ محمد لطفي جمعة : **تاريخ فلاسفة الاسلام** ـ بدون معلومات .

٢٣١ ـ محمد مهدي الأصفي : **مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية** لمحمد ابن جمال الدين العاملي ـ ط ١ ـ منشورات جامعة النجف ـ ١٣٨٦ هـ .

٢٣٢ ـ محمد مهدي النراقي : **جامع السعادات** ـ ط ٤ ـ العراق ـ مطبعة الآداب في النجف الأشرف ـ ١٩٦٧ .

٢٣٣ ـ محمد نبيل نوفل : **أبو حامد الغزالي ، فلسفته وآراؤه في التربية والتعليم** رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٦٧ .

٢٣٤ ـ محمود أبو رية : **اضواء على السنة المحمدية** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ .

٢٣٥ ـ محمود حب الله : موقف الاسلام من المعرفة ـ الثقافة الاسلامية

والحياة المعاصرة ـ بحوث ودراسات اسلامية ـ جمع وتقديم محمد خلف الله ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ .

٢٣٦ ـ محمود شكري الألوسي : **مختصر التحفة الاثنى عشرية** ـ استانبول ـ مكتبة ايشيق ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

٢٣٧ ـ مصطفى عبد القادر : **مفهوم العمل وتطبيقاته التربوية في التعليم الثانوي العام في المجتمع المصري المعاصر** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية ـ عين شمس ـ أصول التربية ـ ١٩٧٩ .

٢٣٨ ـ نادية جمال الدين : **فلسفة التربية عند إخوان الصفا** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٧٣ .

٢٣٩ ـ نافع الخفاجي : **في رحاب الامام زين العابدين** ـ بغداد ـ دار الأنوار ١٩٧٨ .

٢٤٠ ـ نور الله الحسيني المرعشي التستري : **احقاق الحق وازهاق الباطل** ـ طهران المطبعة الاسلامية ـ ١٣٧٧ هـ .

٢٤١ ـ هاشم معروف الحسني : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ ط ١ ـ بيروت ـ دار القلم ـ ١٩٧٨ .

٢٤٢ ـ هاشم معروف الحسني : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ بيروت ـ دار التعارف للمطبوعات ـ ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ م .

٢٤٣ ـ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : **معجم الأدباء** ـ الطبعة الأخيرة ـ مطبعة المأمون ـ بدون تاريخ .

٢٤٤ ـ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : **معجم البلدان** ـ بيروت دار صادر ـ ١٩٥٧ .

٢٤٥ ـ يوسف خليف : **حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة** ـ القاهرة ـ دار الكتاب العربي ـ ١٩٦٨ .

٢٤٦ ـ يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية** ـ القاهرة ـ مطابع الدجوى ـ ١٩٧٦ .